سيرة ومناقب العارف الربانى شيخنا أبى خليل وسموّه الروحى

للفقير

محمد محمد أبو خليل

الصغير

الى اخي العزيز الدكتور
صلاح ابن عم فضيلة
الشيخ ابراهيم ابو خليل
مع الاعزاز والتقدير
اسامة خليل

المربي

سيرة ومناقب العارف الربّاني شيخنا أبي خليل وسموّه الروحي

للفقير

محمد محمد أبو خليل

الصغير

مقــدمة وإهــداء

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ورضى الله تبارك وتعالى عن شيخنا أبى خليل سلطان الذاكرين ، ومربى المريدين ، ومرشد الحائرين ، وبعد :

فهذه السيرة الطيبة لولى الله العارف به الحاج ـ محمد أبى خليل ـ أهديها لأخ فى الله عرف إخوة الطريق فضله وتقواه ومكانه بيننا ومكان أسرته الـكريمة وآبائه الكرام فى السلوك الذى تبشر معالمه بالوصول .

أعنى به السيد ـ محمد رجب الخليفة أخ السيد ـ حسن الخليفة الـذى كان لهما أكبر الفضل فى تشجيعى على العمل فيها وإخراجها إلى حيز الوجود فهى هدية لهما لأنها وحى توجيهما وثمرة إخلاصهما لشيخنا أبى خليل . فتمت بذلك رغبة كانت تجول بقلوب الإخوان الذين طالما فاتحونى بها وكنت أتردد فى ذلك لأنه والدى ...

وفى السيرة الخليلية لأخى العارف بالله السيد ـ عبد السلام الحلوانى والمناقب الخليلية لأخى الصالح السيد ـ لدلى خشبة ، مايفى بالغرض .

فكان الجواب : أنهما كتبا من ابتداء ظهور شيخنا ودعوته واعتذرا عن كتـابة ما قبل ذلك باستفاضة لقلة المعلومات عن تلك الفترة ، وأنت بفضل الله تعالى قد نقبت واستقصيت التاريخ من البداية إلى النهاية . وأنت مطالب من الله تعالى بما ندفعك إليه دفعا ، إرادة العلم به ونهجه وسيرته وتوجيهه . .

محمد محمد أبو خليل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمد الشاكرين والصلاة والسلام على أفضل المرسلين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ومن اهتدى بهديه ولزم سنته إلى يوم الدين ورضى الله تبارك وتعالى عن شيخنا وقدوتنا سيدى الحاج ـ محمد أبى خليل . . وبعــد فهذه المنظومة التى أقدمها لإخوة الطريق جهد متواضع أردت به وجه الله تعالى لتكون مرجعا لمن أراد أن يعرف عن شيخه (سيدى العارف بالله الحاج محمد أبى خليل) مايحب أن يعرفه ولتذكر إخوة فى الله أحبوا أن يتذكروا .

و « الذكرى تنفع المؤمنين » . ولعلها ترشد شبابا فى هذا العصر أحاطت به سبل الغواية وتكاثرت عليه أسباب الضلالة والله يهدى لنوره من يشاء .

ولقد شاء الله سبحانه أن تتاح لهذه المنظومة أسباب هيأتها للخروج عــلى الناس فى صورتها التى ترونها ، فيعلم الله أننى ماقصدت إلى هذا العمل ولا أعددت له إعداد المؤلفين ، ولــكنى منذ درجت طفولتى وصباى فى رحاب الشيخ رضى الله عنه وأنا أحرص كل الحرص على أن أستقصى ماأرى وماأسمع وأن أتتبع ماحولى فى كل مايجرى للشيخ أو يجرى على يديه . وزادنى فى هــذا الاتجــاه حرصى على ملازمة الشيخ ملازمة المريد ومجاورته مجاورة التلميذ الحريص المجد المتطلع إلى مزيد من العلم والمعرفة فكانت بنوتى له تتيح لهذه الرغبة أن تنهل من منــاهل الفيوضات الربانية التى عــاش فيها شيخى ووالدى رضى الله عنه .

ومنذ استطعت الــكتابة والتدوين كنت أدون ماتهيأ لى أن أدونه وكنت أحفظ ذلك ، حريصا على ألا يراه غيرى ولا يطلع عليه سواى ، وبعض المواقف كانت تنقش فى ذاكرتى وتسجل تسجيلا دقيقا ثم يسدل عليها ستار من الحجب لا من النسيان .. فكان ثمة مايحول بينى وبين التحدث بها وإن لم تكن هذه المواقف بعيدة عن متناول الذاكرة .

ولقد شهدت مواقف كانت أسرارا بين الشيخ وبعض أتباعه يتبادلان فيها

حديثا عن كرامة وقعت للشيخ مع مريده وكانت طفولتي تشجع المريد على ألا يتحرج فيما يقول وأن يعلق على ماحدث ، وكأن والدي رضي الله عنه أراد لي أن أسمع دون أن أنطق ببنت شفة .

وقد تجمع لي في حياة الشيخ ماكنت أحرص عليه حتى انتقل رضي الله عنه إلى جوار ربه فزاد حرصي على ماجمعت — وإن كان أقل من القليل — ودفعني دفعا لا هوادة فيه إلى أن أتتبع أبناء الشيخ الذين لازموه سنوات طوالا أسألهم عن حياة الشيخ وما وقفوا عليه فيها مما لم أشهده قبل مولدي . فما عرفت للشيخ مريدا يكبرني في السن ويقدمني في العهد إلا قصدت إليه أسأله وأتعرف على مالديه من حياة الشيخ وكراماته حتى تجمع لدي ماستطعت جمعه ، وبقي في طي الذاكرة بعضه . وفي طي الكراسات والقصاصات بعضه الآخر . وضممت حناياي على مالدي من ذكريات ومذكرات أستلهمها الإفصاح وقت الحاجة إليها وآوي إليها عندما يشتد الحنين إلى الشيخ . ويا طالما كان ذلك عندما كنت أطمئن إلى بعض الإخوان نتجاذب أطراف الحديث عن شيخنا أبي خليل رضي الله عنه .

ثم اتجه إلى بعض الإخوان ممن لا أملك لكلمتهم ردا ولا لرجائهم صدا أن أجمع ذلك في منظومة تكون دليلا لمن يستدل وهاديا لمن يستهدي ومرجعا لمن يريد الرجوع إلى حياة شيخه ليعرف عنها مايحب أن يعرف . وكنت أعد بالوفاء وأهم به دون أن تهيأ لي فرصة للوفاء . حتى شاء الله المنعم الوهاب أن أعيش هذه الساعات التي كتبت فيها هذه المنظومة والتي أحسست فيها أن روح الشيخ تطوف بالمكان الذي أكتب فيه وأن إلهاما خفيا يقود القلم إلى مايريد فكنت أستجيب لما أحس وأقتاد لما يقع في خاطري ككل الملهمين من إخواني بالطريق ممن يقع في روعهم الكلام فيترجم اللسان عنه . .

وهذه نفحة من نفحات الطريق يعرفها المريد حين يهيم في سبحات من الرضا ، يلقي بزمام فكره فتنطلق به الروح مرفرفة في عالمها بإشراقاته وفيوضاته ويكون حصاد هذه الجولة العلوية رضاً من الرضا ، وروحا من الروح ، إذا

ارتد إلى نفسه بعد أن لم يكد يترجم عما حدث في هذه الفترة وإن كانت في مجال الإدراك واضحة لا لبس فيها ولا خفاء . .

وهكذا كانت هذه اللحظات التي كتبت فيها ماأقدم لك ، فلا غرو أنني ما إن بدأت حتى وجدت ضمير المتكلم يسيطر على أسلوب الحديث وكأن الشيخ رضي الله عنه هو الذي يحدثني عن نفسه وليس ابنه وتلميذه هو الذي يتحدث عنه : « وأفصح عن حالي بسردي لقصة » . « نشأت على التقوى » « فأجلس مملوءاً حياء » « حفظت كتاب الله جودت لفظه » . . . .

ثم بعد : فتتميما للفائدة قسمت هذه المنظومة إلى عدة فصول . قدمت بين يدي كل فصل بموجز عما احتواه . واختتمت الفصول بفصلين أحدهما إجابة عن سؤال لبعض الإخوان « يقولون لي كيف اتصلت بربنا » . شاء الله أن يكون السؤال وجوابه في جلسة يتذاكر فيها المحبون موارد الحب التي تجمعهم وأسباب المودة التي تؤلف بين قلوبهم .

وهنا وجدت أن القلم الخليلي لا يريد أن يتوقف عن تفصيل سيرة شيخنا رضي الله عنه وجهاده في الدعوة إلى الله تعالى وتفصيل حالاته ومناهجه الخاصة والعامة للانتفاع بها والاتباع لها بتوفيق الله تعالى ومعونته . .

ثم يأتي الفصل مسك الختام بذكر شيء من سيرة سيد الأنام صلى الله عليه وسلم ونبذة في سيرة سيدتنا زينب وكان تمام مسك الختام بقصيدة عزاء وسلوى .

وهنا وقع في قلبي أن أسمي تلك المجموعة **(المربي)** سيرة ومناقب العارف بالله شيخنا الخليل الحاج ـ محمد أبي خليل .

وقد حاولت أن يقتصر التعليق على الأبيات في أضيق الحدود حرصا على أن يمضي القارئ مع السياق دون أن يفتقد الجو العام للمنظومة فيما عدا الفصل الخاص بالكرامات ، فقد قصدت إلى تسجيل ماقدر لهذا المختصر أن يسعه منها وما تسمح به ظروف النشر في هذا العصر المادي الذي يبعد بنفسه عن كل مايتصل بعالم الروح من أسباب .

وهنا وجب على الشكر والدعاء لأخى فى الله تعالى الأستاذ ـ محمود زايد الذى قام مشكورا بالتعليق . والسيد الأستاذ ـ مصطفى منصور من خيرة الإخوان الذى قام بالتبييض والتنسيق . . والأستاذ إبراهيم محي الذى قام بأعمال اللجنة بغاية التوفيق .

وكل من تفضل مشكورا بتقديم ماأعان على نجاح المشروع وابرازه . . . خاصة الإخوان المخلصين بالقاهرة والإسكندرية حيث تقدموا مشكورين بدافع الحب والإخلاص والوفاء لشيخنا رضى الله عنه رغبة فى نشر الطريق وهداية كل صديق ورفيق أثر الحب الإلهى المتغلغل بصدورهم وحب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب المربى رضى الله عنه . .

هدانا الله سواء السبيل فهو سبحانه الهادى إلى الطريق وهو المستعان وهو المعين . . وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وعلى الله يتوكل المؤمنون.

والحمـــد لله رب العالمين

الجـــزء الأولـــ

القسم الأول

اللمعة البهية

مقدمة

بدأت ببسم الله والحمد والثنا (١) على مالكى ثم الصلاة على حبى
وبعد : فهذى سيرتى ومناهلى لإهدائها رجب المتيم بالرحب
ليهدى بها الإخوان رغبة نفعهم بمعرفة لله يقوى بها القلب
أيارجبا(٢) يا ابن الخليلين طمئنوا نفوسكم فالبيت حافظه ربى
فإن إلهى كافيا ورسوله شفيع وخير الخلق يشفع للحب
«لقد جاءكم(٣)» فيها لنا غاية المنى وفى ذكر حالى مايطمئن للقلب

١ — افتتحت المنظومة بـ « بسم الله » اقتداء بالكتاب العزيز وعملا بخبر : « كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أبتر » والمعنى : ناقص وقليل البركة والمراد بالنقص النقص الشرعى لا الحسى .

٢ — هو السيد الاستاذ ـ الحسيب النسيب : محمد رجب الخليفة ، أخو المرحوم التقى الولى السيد ـ حسن الخليفة . وهما علمان من أعلام الإخوان الخليلية وزهرتا بيت الخلافة الأحمدية الموروثة لسيدى عبد العال رضى الله تعالى عنه ووالدهما العارف بالله السيد ـ خليل الخليفة . خلاصة الخلفاء الأحمدية لكرمه وتقاه وعلمه . وهو الوالد الجسمانى للسيد ـ محمد رجب . أما والده الروحانى : فهو العارف بالله شيخنا أبو خليل . وقد أشير إلى هذا المعنى بلفظة : (الخليلين) .

٣ — « لقد جاءكم » جزء من الآية الكريمة : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » (١٢٨— التوبة) .

وقد أورد ابن كثير فى تفسير الآية عددا من الأحاديث نختار منها :

• الحديث المروى عنه صلى الله عليه وسلم من طرق قال : « بعثت بالحنيفية السمحة » .

• حديث البخارى بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

٢ — نسبه

نسبت(١) إلى بيت الرسول محمد ... وجدى الحسين السبط رمز فدا النجب
وباليمن (٢) الميمون نشأة أسرتى ... ومن قبلها كان الحجاز لهم رحب
وقد كان جدى فوق جدة حاكما ... وفوتح فى أن يحكم الخصب لا الجدب

— « إن هذا الدين يسر وشريعته كلها سمحة كاملة يسيرة على من يسرها الله تعالى عليه » .

• الحديث المروى عن أبى ذر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مابقى شئ يقرب من الجنة ويباعد من النار إلا قد بين لكم » .

• مارواه أحمد بسنده : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله لم يحرم حرمة إلا وقد علم أنه سيطلعها منكم مطالع ، ألا وإنى آخذ بحجزكم أن تهافتوا فى النار كتهافت الفراش أو الذباب » .

١ — ينتسب العارف بالله شيخنا أبو خليل رضى الله عنه إلى سيد الشهداء الإمام الحسين سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنه .

٢ — كانت الأسرة تستوطن الحجاز ثم انتقلت إلى اليمن فى أواخر القرن الثالث الهجرى دعاة للمذهب الزيدى واتصلت حياتها فى اليمن منذ هذا التاريخ . وقد تقلبت الظروف السياسية بالسادة عامة فى اليمن بين القوة والضعف . يمتد سلطان الأسر الحاكمة حتى يشمل اليمن عامة وينكمش حتى يقتصر على « صعدة » وبعض حصون الجبال المنيعة .

ونرجح — عن وجود الجد الأقرب للشيخ فى تركيا — أنه أبعد عن اليمن بواسطة الأتراك فى احتلالهم الأول . وهناك تلقى تعليمه وعاد مع رجال الحكم التركى ليعين حاكما على جدة ثم اشترك مع الجيش المصرى فى الحرب الوهابية ، وصحب إبراهيم باشا عند عودته إلى مصر ليعين سنجقا فى دمنهور شبرا وماحولها .

رقى سنجقا فى مصر جاء إلى هنا ... لتعيينه فى دولة السنجق الشهب
هنا قام(١) جدى بالمبيع لملكه ... هناك وتم الملك للروضة الخصب
دمنهور شبرا مربع ضم والدى ... وجدى وأعمامى ويانعمهم عرب
ولما أتم الله نضجا لوالدى ... وشاء له الرحمن والدة النجب (٢)

---

١ — لما استقر جد الشيخ فى دمنهور شبرا سنجقا لها أرسل إلى إخوته وأبناء عمومته فباعوا أملاكهم فى اليمن واستوطنوا من حوله فى المنطقة التى يحكمها .

٢ — والدة الشيخ . من أسرة من أشراف عرب بنى سليم بسنورس مديرية الفيوم وينتهى نسبها إلى مولانا الحسن سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى الله تعالى عنه .

— وسادة اليمن حسنيون أو حسينيون . وشيخنا يرجع نسبه الطاهر إلى سيد الشهداء الإمام أبى عبد الله الحسين سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم

وفى رحاب الجد وماتمتع به من نفوذ وسلطان نشأ الوالد : السيد - خليل . وحينما اكتمل نضجه صاهر أسرة من أشراف عرب بنى سليم بسنورس محافظة الفيوم . وينتهى نسب السيدة الفاضلة إلى مولانا الحسن رضى الله عنه

ومن هذا النسب الزكى الطاهر ولد شيخنا أبو خليل فى قرية القضابة بشمال الدلتا حيث قدر للوالد أن يرحل من شبرا بجوار القاهرة إلى هذه القرية الواقعة على فرع رشيد . ثم لم يمض طويلا حتى انتقل إلى مدينة الزقازيق حيث استوطن أحد أحيائها (كفر النحال) .

ثم هو بعد : الحسيب النسيب العارف بالله الحاج محمد بن السيد - خليل ابن السيد - ابراهيم بن السيد - اسماعيل .

وقد كان الشيخ رضى الله عنه يحفظ هذا النسب ويحدث به تلاميذه غير أن أحدا لم يلتفت إلى أن يسجل عن الشيخ ماحفظ وكأن السبحات الروحانية التى عاشوها بجوار شيخهم قد غمرتهم بما لم يسمح لهم بهذا التسجيل .

وصاهر أشـــرافا بسنورس لهـــم … كريم خصال سادة قادة عــربه
ولما رأى جـــدى لظلم وخســـة … تنـــكر للحكام وانحـــاز للشعب
لذا صودرت أملاكنا شأن غيرنا … بأمر الخديوى رأس مجتمع النهب
لذا كان هجرتنا لمنع وجودنـــا … بقاهرة والمكث صار من الصعب
وزاد الجفـــا تجميع جـــدى لفتية … بجمع غفير يقصد الطرد للغرب
وعند رشيد كـــان نصر أثمـــاره … جناها الخديوى عند صلح بلاحرب
و«قضابة» كانت لنـــا هجرة بها … ولدت وسنى الخمس غادرها الركب
وكانت لنا عند الزقازيق عـــترة … من الأهل نالوا حظوة ولهم قرب
وقد أوجدوا أمرا يواليه والـــدى … وكيلا على أرض يتم لهـــا الخصب

٣ — ملامح مبشرة (١)

وأفصح عن حالى بسردى لقصة … جـــرى قدر فيهـــا بما يأخذ اللب
نشأت على التقوى وحسن تخلق … مطيعا أحب الله والمصطفى حـــبى
وكنت على حال غريب مغـــايرا … لمن هو فى سنى وأكرمنى ربه
أحب النبي عفوا أفوه بهـــا كما … يكون اهتزاز والتمـــايل كالصب
شهرت بحـــبى للنبي وربنـــــا … وحبى لأهل الذكر من يعبدوا ربى
شهرت بأنى إن يحلفنى امـــرؤ … باسم النبى أن أفعل الشئ عن حب

---

١ — كانت طفولته تبشر بكل خير . هدوء عجيب ملفت للأنظار . وانصراف عن لهو الصبية وعبثهم . وخلق كريم منحة من الله الوهاب .

طفل يصلى ويصوم فى السابعة من عمره ... يجلس بين القوم وفكره بعيد عنهم لا يلهيه مزاحهم ولا تجذبه مداعباتهم. وتعلق بالمصطفى الرسول صلى الله

وألقيت نفسى فى الميـــاه بترعة … بكامل لبسى عندما حلف الصحب
وكان استغاثات ونشـــل بصحة … وذاك وســنى دون عشرة ياحب
وسنى بالسبعين مازحـــنى امرؤ … بنفس المزاح الصعب تم لى الوثب
ومن بعد ذاك السن حلفنى امرؤ … فسامحته فى ثلث ألف بـــلا عتب
تطفلت طفـــلا طائفا حول حيهم … أحيي لهم يبغوا التصافى بالجنب
فأجلس مملوءا حياء ورهبـــة … ولطفهم لى يذهب الروع والريب
لهـــذا تعودت الجلوس بجمعهم … وإن غبت عنهم كان يذكرهم قلبى
تبرك بى قومى صبيـــا وأكـــدوا … بأنى على حـــال سيظهره ربى
وصمت لسبـــع حيث كنت مصليا … ومنطويا نفســـا صموتا كما الصب
وكـــان هدوئى فى جميـــل رزانة … وكنت عزوفا عن رفيق وعن لعب

عليه وسلم فى حب عميق متأجج حتى اشتهر بين القوم بهذه اللمحة الفياضة . تلك كانت طفولة شيخنا حتى كان الكبار والصغار يتندرون بشدة حبه للنبي عليه الصلاة والسلام . فكانوا يقسمون عليه بالنبي فى كل مايشاءون حمله عليه . حتى أقسموا عليه مرة أن يلقى بنفسه فى الترعـــة وهو لا يعرف السباحة فسارع بإلقاء نفسه وكاد يغرق لولا لطف الله . وأقسم عليه آخر أن يسامحه فى مبلغ كبير فتنازل عنه فى سماح . كما ستراه مفصلا فى موضعه . كل ذلك أشعر الناس بهذا الفيض الروحى الـــذى أحاط بالشيخ منذ طفولته فدفع الناس إلى التماس بركته ومحاولة التقرب إليه .

عندما يشاء الله أن يحيط بعنايته إنسانا فلا تسأل عما يكون ولا تعجب مما هو كائن . . الصبي الصغير يدفعه الوالد إلى الـــكتاب فيأبى أن يتعلم القراءة والـــكتابة ويصر على أن يكون حفظه للقرآن تلقيا ويزامل العمى الذين يحفظون بالتلقى مشافهة . ولـــكن معلم الـــكتاب لا يرضى للصبى هذا الطريق ويستعدى الوالد عليه ولـــكن الأب بإحساس الملهم يقر ابنه على

٤ — بعد حفظ القرآن

وألحقت بالكتاب أول منهل … لعلم فعافت نفسى اللوح والكتب
ويممت شطر العمى أحفظ مثلهم … وأسمع للتلقين يحفظه قلبى
ولما نهى الأستاذ أمرى لوالدى … أقر لحالى مابدا منه لى عتب
لأن أبى قد كان لله عابدا … وكان على نور ومشربه شربى
وهذا مراد الله منى لأنه … سيجعلنى الأمى لما خط بالغيب
وقال أبى يلقى بروعى إنه … أتته عنايات وحالته تنبى
حفظت كتاب الله جودت لفظه … ونلت مبادىء الدين والفقه ياحبى
وخالطت للقراء مذ صرت قارئا … وأثنى على الناس وانهمل الصيب
على قدر حبى لله كانت محبتى … من الناس حيث الحب يبعثه ربى
وما ارتاح قلبى أن أكون كقارئ … تعرض بالقرآن للرزق والوهب
أرى شرف القرآن فوق تلاوة … لكسب ولكن للتعبد والقرب
لذا لم ألبى دعوة لقراءة … بجعل ولم أحفل بفقر ولا كسب

«أراد حتى يتخرج من الكتاب حافظا للقرآن أميا لا يعرف القراءة ولا الكتابة وحتى يتأكد الناس بعد ذلك بسنوات طوال أن هذا العلم الغزير الذى يتدفق به الشيخ على جلسائه إنما هو إلهام من الملهم لا كسب من المكتسب

حفظ الصبى القرآن لينعم به فيرفض أن يشارك القراء فى التكسب به كما كانوا يفعلون . ولكن الشيخ وقد ودع زمن الطفولة وفكر فى التكسب طرق سبيل الزراعة ، ولكن حياة البؤس التى كان يعيشها الفلاح فى ذلك العصر ، وحالة القسوة وجحود القلوب والظلم الطاغى التى كانت تطبع الإقطاعيين بطابعها المظلم سارعت بالشيخ أن يبتعد عن هذا الميدان .

زرعت وقد ضارعت أنتج زارع … ولكن رأيت الأمر فى نفسه صعب
لأن جميع المالكين تجاهلوا … فضائل دين والتعاون فى الكسب
وما الناس إلا كالعبيد بأرضهم … كما الآلة الصماء بكم بلا عتب
وإن زال منهم سيد جاء سيد … وويل ضعيف منه يجبى ولا يجبى
وإن حكم الجهال فالظلم سائد … ولابد يوما أن يحاكمهم ربى
هنا وقفة فيها عظاة وعبرة … ولكن قليلا من يفقههم ربى
وياويل أهل البغى من بغتة السما … إذا نزلت فى ساحة عمها العطب
لذا قد تركت الزرع أرجو تحررى … من الرق والإجهاد والظلم والرعب

٥ — جهاده فى التجارة

وتاجرت فى الأقطان مع صاحبين لى … وعند افتضاح السر فارقت لصحب
وقمت بغرض الحج ثم زيارة … وأطفأت أشواقا لها صفة اللهب
وتاجرت فى صنف الحبوب جميعها … وجدت تجار القمح تجهر باللعب
رأيت لهم غسلا لقمح وبيعه … بسعر عظيم للزيادة فى الكسب

وفارق الشيخ الزراعة كراهة مايلاقيه الفلاحون من ظلم واتجه إلى التجارة وكانت تجربته الأولى فى تجارة الحبوب وشركة مع تاجرين . ولكنه آثر السلامة فى دينه بأن يطرق باب التجارة وحده لكيلا يلتبس ماله بربح حرام أو زيف يأباه الشرع « وسيذكر سبب انفراده فى موضعه . حيث حصلت كرامة فضحت ولايته » .

وكانت تجارته فى الحبوب يمنا وبركة عليه وعلى البسطاء الذين طالما وقعوا بين براثن التجار يتقاضونهم بأغلى الأثمان من وراء ألاعيبهم وحيلهم التى كشفها الشيخ فكشفت عنهم القناع ونبهت عامة الناس إلى حقيقة ماكانوا يفعلون ودفعتهم فى حب وثقة إلى التعامل مع الشيخ رضى الله عنه . .

بحجة أن القمح قد زال عيبه ... وصار نظيفا خالى الطين والترب

غسلت لقمحى ثم أنزلت سعره ... لأن مياه الغسل يشربها الحب

هنا زاد فى الأردب بالكيل كيلة ... ولا بد من إنزال قيمة ذى الشرب

تفطن كل للذى قد فعلته ... وهل على الرزق كالسيل ياحبى

وحار تجار القمح فيما يعملوا ... وماساءهم إلا اقتدائى بلالعب

٦ — التربية الروحية

وكنت قنوعا ناصحا متسامحا ... عفيفا أمينا صادقا خائفا ربى

أؤدى زكاة المال بعد تصدق ... رحيما كريما مشفقا طاهر الكسب

وما علقت نفسى بدنيا أصبتها ... وقد فاض مالى ماحلا لى بها قرب

وعند شعورى أننى خصم لها ... وأنى إلى حال سيظهره ربى

تعلق قلبى(١) بالمساجد ساعيا ... إليها وفيها خلوة القلب للرب

---

١ — من السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله . كما جاء فى الخبر : رجل تعلق قلبه بالمساجد.وفى الحديث المتفق عليه المروى عن أبى هريرة رضى الله عنه : من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له فى الجنة نزلا كلما غدا أو راح .

منحة إلهية لهذا الشاب التقى النقى العفيف الأمين الصادق الناصح المتسامح الذى ناصب دنياه العداء لا يلتفت إلى مغرياتها ولا ينصرف إلى ملاهيها بإحساس ملهم بأن له مع ربه حالا يترقب مشرقه فى كل يوم . فلا عجب أن نرى قلبه معلقا بالمساجد، متردداً عليها نهاره للصلاة ، يخلو بها ليله فى القيام . ورأى نفسه على أول الطريق يلوذ بأهل الطريق فيما لا يخرج عن روح الشرع فسار فى موكبهم على درب الوصول ، هاديهم القرآن وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآثار الصحابة والتابعين رضى الله عنهم .

قصدت طريق القوم فزت برائد ... وكان بأخذ العهد سيرى على الدرب

وجدت طريق القوم روح شريعة ... حقيقة أمر بعد نهى عن الذنب

قواعدها قرآن ربى وسنة ... وأخذ كبار التابعين عن الصحب

عرفت بإخلاصى وحبى لخالقى ... فليلى ذكر فى جهاد كما الحرب

وعند شروق الشمس بالى كاسف ... وعند غروب الشمس يهتف بى قلبى

إلى الذكر والمحيا لأحيا بحبهم ... هم القوم لايشقى جليسهم الحب

تحفهم أملاك ربى برحمة ... ويغشاهم نور ويذكرهم ربى

تجنبت أرباب النفوس جميعهم ... كذاك نساء الحى والمرد والريب

وطهرت قلبى للعبادة والتقى ... غسلت لأوزارى كما يغسل الثوب

ولذت بالاستغفار لله راجيا ... قبولى وأن يرضى ويقبل للتوب

تفانيت فيه وانتهزت لقوتى ... صرفت كدوراتى وماحال عن ربى

تركت لشبهات ، فعلت عزائما ... شكرت لنعمائى وأدبت للقلب

رأيت لدنيانا تخادع أهلها ... فترفعهم يوما ويوما لها سلب

لهذا زهدت المال والجاه والورى ... ووجهت وجهى حيث يقبلنى ربى

وحسبى من الدنيا محبة خالقى ... وخير الورى من ساد للعجم والعرب

تشرق عليه الشمس بقلب شارد . وتغرب عليه الشمس بقلب لهيف يغشى المجالس ذاكرا ويفارقها فى غمرات النور ونسمات الملائكة حيث كانت تحفهم بها رضا من الله العلى القدير عما يصنعون .

وهنا ينبرى الشاب لنفسه يحاسبها ويباعد بينها وبين كل ماتشير عليه ومستقبل أيامه فليبتعد عن مجالس النساء ومواطن الشبهات وليفر من ذوى الجاه والنفوذ وليكن ملاذه الاستغفار وطرق أبواب الرضا والجود .

وتكشفت أمامه الدنيا بلا زيف وسطعت فى ناظريه أنوار القبول بطيف الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقد شغلت روحى بشيخى وعهده ... ومعهده والركب والسير للربه
ومذ عاهدت روحى لنفسى جاهدت ... ومذ راقبت قد حاسبت فانمحى ذنبى
ومذ شاهدت طيفا لذات نبينا ... زهت ماوهت حتى انتهت حيث لاخطب

٧ ـ شيخى وإخوانى

ولازمت رحب الشيخ(١) أنهل مشربا ... روى الروح منى ياله أول القرب
وآخيت إخوانا كراما أعزة ... لهم همة عليا وآدابهم تسبى
لهم مثل عليا لكل فضيلة ... وأهدافها تكميل نفس كذا القرب
ثلاث سنين خادم لنعالهم ... على الباب مسكين أهاب لهم قرب
ومثلهم فى خدمة كنقيبهم ... أقدم للمحيا التحيات والشرب

١ ـ العارف بالله الشيخ الشناوى يوسف أحد شيوخ الطريقة البيومية . وجد نفسه يمسك بيد الشاب الناشئ ليبايعه على الطريق وليرسم له الطريق . وصفت نفس شيخنا بالصحبة التى كانت تضم شيخه وإخوانه والتزم ماعاهد عليه الشيخ فى دأب منقطع النظير .

كان يلقى بنفسه فى مياه الترعة فى ليل الشتاء القارس لينشط وليواصل ماهو فيه، ويزيد به الوجد فيرتقى أعمدة المسجد حتى لا يغلبه النوم. ويجلس عليها مستترا بحالة لا تتيسر للغير . ومع شدة حب شيخه له وإقباله عليه آثر أن يكون مكانه فى (الحضرة) حارسا لنعال إخوانه كإلحاحه فى ذلك الوضع الذى لا يوافق على غيره أبدا . وكانت هذه الرياضة التى استمرت ثلاثة أعوام إذلالا لنفسه وتربية لها وإرتقاء بروحه إلى عالم الروح . واختاره الشيخ نقيبا للحضرة يطوف على إخوانه محييا ومشجعا وخادما فكانت لمدة ثلاثة أعوام أخرى ، ثم تولى نيابة الطريق وإمامة الحضرة ثلاثة أعوام أخرى انخرط بها فى المجلس ليصل إلى مرحلة التخرج ، وكانت شهادة التخرج التى حصل عليها من شيخه غاية فى الكمال . فقد قيدته الخلوة بنفسه وحب التفرغ

ومثلهم فى مجلس الذكر حافظا ... لقلبى وحسن الظن زاد لهم حبى
وقدّمنى شيخى لصحبى رائدا ... فأكرمنى صحبى ويانعمهم صحبى
ولو أن تقديمى أثار لبعضهم ... لما خصنى شيخى من القرب والحب
فكان كيعقوب وكنت كيوسف ... فقد حاسدوه إخوة سادة نجب
كذاك شكانى والغ عند سيدى ... ليفسد ماء الطهر إذ يبعث الريب
شكونى بأنى قد تأخرت عامدا ... وقد حفنى كبر وقد عاقنى عجبى
وعززه بعض الغواة بقولهم ... فمر على ظهرى بسبحته صحب
وقال لهم شيخى احملوه لمنزل ... فقمت بلا ضر نشيطا بلا رعب
فخاطبنى شيخى : بلغت لرتبتى ... وقال لى الزم خلوة تهطل السحب
فتربيتى تمت ومازلت ناهضا ... تعد لحمل العبء يكلؤكم ربى

للعبادة والذكر حتى رغب عن الناس وشغل عن لقاء إخوانه وشيخه أحيانا. وعدها البعض تقصيرا وإهمالا فى شأن الحضرات . ورام بعض حساده فى الطريق إلى أن يوقع به عند الشيخ الشناوى وأن يرميه بالكبر والترفع عن الإخوان أحيانا . وكان عقاب الشيخ فى هذا أن يحضر المريد فى المجلس ويطرح على بطنه ويمر بسبحته على ظهره ويقرأ الفاتحة فينزل بالمريد مالا يستطيع منه النهوض على قدميه فيحمله زملاؤه إلى بيته حيث يقضى فترة العقاب .

وجئ بشيخنا وطرح كما يطرح زملاؤه ومرت السبحة بردا وسلاما على ظهره وصاح الشيخ الشناوى بعد أن عاقب تلميذه : إحملوه . . فاذا به يفاجأ كما فوجئ بقية تلاميذه بأبى خليل يقف صحيحا معافى . ويقول : لا داعى ياعمى فلا بأس على . .

وهنا استشعر الشيخ من تلميذه مختليا به . هل انتهت آية السبحة فلم تر

فناشدته بالله لله دلني ... على من يواليني فقال لكم ربي
وقال لي ابحث إن وجدت مربيا ... ربي كلينا بالهدى ينجلي الخطب
وبشرني بشرى جننت لسمعها ... إذا تم نضج علم الخضر للحب
وعاقب ربي بالجذام لكل من ... أذاني فكان الضر والفقر والنكب
ولكنني والله ماكنت ناقما ... فقد سببوا لي ماأنا فيه من قرب
تأملت ماأملت ملت لخالقي ... ووجهت وجهي نحوه فانجلى كربي
وقرر وجداني وجودي لربه ... وجلت بفكري حيث ذكري منصب

٨ — الخلوة الصغرى

ومذ صار وجداني وعقلي لخالقي ... فكل انتقالات تلقيت بالحب
خلوت بخلاقي ولذت بخالقي ... وأيقنت أني بالحمى آمن السرب
ورضت لنفسي عند نور تتابع ... وماقادني نيل المقامات للعجب
لأني أرجو وجهه ووصاله ... مناي فلا تعويق يشغل للصب
صفا الذهن مني تابعا لقريحتي ... ووفرة عقلي والذكا معطه ربي
ونور ربي للبصيرة دائما ... فلا مشكل أو غامض مفزع قلبي

شيئا مما يحصل لإخوانك . ؟ فأسر إليه أنه سمع لسبحته قعقعة كالرعود ولكنها لم تؤثر فيه شيئا . — هنا أدرك الشيخ أن تلميذه قد تخطى مرحلة التلمذة وأنه وصل إلى درجة عالية . فهنأه بتلك الخطوة التي نالها ونعم بها وودعه طالبا منه أن يعود إلى ماكان فيه وإلى خلوته التي انتزعوه منها انتزاعا . فقد تساوت المنازل ووصل التلميذ إلى مرتبة الشيخ . . وهنأه قائلا : هنيت بما أعطيت . . .

تلك مرتبة لا تتهيأ إلا للصفوة الذين يختارهم الله لولايته وأحاطهم بعنايته وأظلهم بروح من عنده تشرق في أعينهم أنوار قدسية وتتفتح في

وجدت وراء الكون سرا محجبا ... هنا شفت المرآة أدركه قلبي
وأدركت سر البدء لذت بواحد ... تركت مرائينا وما يشغل اللب
وأدركت إذ جئنا بغير اختيارنا ... ليسعد مسعود ويشقى أخو نكب
وأدركت نفسي ذرة ضمن نطفة ... وأني تراب سوف يرجع للترب
عرفت لقدري فاتضعت لخالقي ... فما قيمتي لولا عطاؤك يارب
وأدركت معنى واجب لإلهنا ... وماجاز ثم المستحيل بلا كتب
وهيمني سر الوجود كذا البقا ... لرب قديم واحد غافر الذنب
وسر حياة والقيام بنفسه ... وقدرته ثم الإرادة والسلب
مخالفة الرحمن كل حوادث ... لما أدركت روحي وأنعم به غيب
وليس كمثل الله شيء فقهتها ... وإلهام قلبي صار كالسيل ينصب
إذن هو ماقال الثقات بعلمهم ... فلا جوهر ربي ولا عرض سلبي
ولا كم ولا كيف ولا نسبة ولا ... زمان ولا أين ولا نقلة السرب
ونفي إضافات كذاك وهيئة ... ونفي انفعال هكذا الوصف للرب
وأدركت سر الكون خلف وجودنا ... ونبع حياتي والنجاة من السلب
وقرت بأعماق الحقائق جملة ... وقد قبست روحي وكان الرضا حسبي
فكل الذي يجرى بدنياى باطل ... يزول ولا يبقى سوى الأبدي ربي
وقلت لنفسي هاهنا الزرع واجب ... لما هو بعد الموت يصحب للصب
فلابد من موت وقبر وبعثنا ... ووقفة ذل للحساب على الحوب

أذهانهم عظمة الخالق . فيسبحون في علويات لايدركها عالم الحس . عندئذ يفزع المريد عندما تلمسه يد بشر أو تلحظه عين إنسان أو تكلمه شفتان .

يفزع لأنه يخشى أن تنتزعه ماديات الناس مما هو فيه من روحانيات وتجليات وأنس بالله تعالى دون غيره من المخلوقات . الفكر سابح في ملكوت الله والروح مرفرفة في شفافياتها فلا غرابة إذا وجدنا الشيخ يمضي خمس سنوات

يليه اختلاط والصراط نجوزه   على فزع من ذلة الزلق والكب
لذلك لم يخطر على القلب غيره   ولم يشتغل قلبي بشيء سوى ربي
وإن شغلت روحي عن الله لحظة   عددت لها ذنبا وأنبت للقلب
عرفتك يا ألله ربا وبارئا   وأبرزتني عبدا لذكرك ياربي
فهبت بنفسي أن خذي لك أهبة   فقد صح عزمي أن أراقب للرب
أقمت بداري كي أداري تعشقي   وقد زاد بي وجدي فأخرجني حبي
ومر السنون الخمس مدة خلوتي   كما مر فوق الكون مسرعة السحب

٩ — الخلوة الكبرى

تجردت إذ جردت لله همتي   وحددت ما أرجو فكان هو القرب
وودعت للدنيا وأهلي وصاحبي   ولذت بربي حيث يعلم بي ربي
وعند قبور الحي كانت إقامتي   وكان دوائي أصل دائي هو القرب
عجبت أراني داخل القبر قائما   وما عالجت نفسي لثقب ولا نقب
رأيت ثواب القبر ثم عقابه   وخالطت أصحاب النعيم أولي القرب
فبرزخهم ياصاح يفضي لجنة   بباب وكل الخير يتطفه الحب
وبرزخ من كانوا يعادون ربنا   له الباب يفضي للجحيم وذا نكب
رأيت قبورا في اتساع كروضة   وأخرى تضم الجسم تدلع باللهب

في خلوته بمنزله بعيدا عن الناس يطوى جسمه في حيز صغير ويطلق روحه في عالم كبير .

إذا غفل لحظة عن الذكر استغفر وتضرع . وإن سها برهة عن التفكر بكى وطال حنينه وبكاه ولكن هل يمكن لهذه السنوات الخمس أن تحقق له مايتمناه ؟ . وهل تتوفر في خلوة الدار مايصبو إليه الانقطاع الكلي فكرا وروحا وجسدا إلى خالقه . . ؟

وكان شراب القوم راو وسائغا   فيا نعمه زادا ويانعمه شرب
وفي دولة الأرواح روحي تروحنت   وأهلا وسهلا مرحبا طيبت قلبي
وددت بأني لو أعيش جوارهم   وغاية قلبي أن أجاور للرحب
نسيت بأنسي أهل جنسي ورفقتي   وأصلي وأبنائي ودنياي والكسب
وفي خلوة قد فزت فيها بجلوة   وفهم وإدراك لحق بلا ريب
كذا في وجودي خارج البيت خلوة   تعز على فهم ومخبرها يسبي
وفرغت بالي باعتزالي لغيره   فقد صح مني العزم وانجابت الحجب

ولم يكن الأمر يتم بتفكير وتدبير ولكن العناية والتقدير هما اللذان دفعاه ، دفعا لا هوادة فيه ، إلى أن يودع دنيا الناس ليعيش حياته في دنيا القبور . .

وجد نفسه ينطلق من منزله بلا زاد ولا رفيق إلى مقبرة « كفر النحال » يتنقل بين قبورها ويأوي في نهاية المطاف إلى ضريح ولي الله سيدي «المبرز» الذي كانت تضمه تلك المقبرة . هناك انجابت عنه كل معالم المادية . وعاش في حالة جذب كامل وتكشفت أمامه أستار وأستار . .

هناك رأى بعين البصر والبصيرة مايعز على الفكر أن يحيط به . وعلى اللسان أن يترجم عنه .

هناك عاش مع سكان القبور وعرف أحوالهم وماهم فيه . .

رأى القبور تتسع لبعض السعداء وتمتد ظلالها حتى ينعم ساكنها برياض الجنة ، ويشم ريحها . .

ورأى القبور تضيق على بعض الأشقياء وتلتهب بسعير من نار تشوى أبدانهم وتصهر أرواحهم . .

كل ذلك وغير ذلك كان لايلهي الشيخ عن مواصلة الذكر والتفكر ، وكان رضي الله عنه يحكي عن بعض أيامه تلك أنه كان بعناية من العلي القدير إذا حان وقت الصلاة المكتوبة ينجاب عنه كل ماهو فيه وإذ به يعد نفسه

وضعت مصيرى فى يد الله خاضعـــا   ولم أنثنى عن وجهة شاءهـــا ربى
وما أقعدتنى صبية أو صبـــا لهم   فؤادى حيث الصب غالبه الحب
كبيرهم لم يبلغ الرشد راشـــدا   فكيف بأحداث وقلت : لهم ربى
فلما أضاعوا ءاجمعت وبـــددوا   عظيم ثرائى صـــار كافلهم ربى
وصار لهم ربى معينـــا ورازقـــا   كما ترزق الطـــير الغذاء من الحب

للصلاة ثم يؤديها على وجهها . حتى إذا قضاها لم يعد يدرى كيف تنقل بين حاليه هذين ثلاث سنوات صاحب فيها هذه القبور وتعرف على أصحابها واستقرأ أحوالهم وماهم عليه من فرج وضيق . .

ثم لم تعد هذه المقبرة لتعطى أكثر مما أعطت ، ولا تمنح أكثر مما منحت. ولم يعد لبقاء الشيخ هناك مجال ، فهناك عالم يترقب طواف الشيخ به ومعالم تهفو إليه وتحن . . .

وما أن تلقى الشيخ إشارة البدء حتى انطلق من مقره فى سياحة استغرقت أربع سنوات تقلبت فيها الظروف والأحوال بشيخنا رضى الله عنه ؛ حتى نسى الدنيا والإنسان وحاجاته من طعام وشراب ونوم وراحة.وإنما هى دنيا الروح . دنيا العبادة والرفادة العلوية . دنيا كان فيها هائما فى الله هياما مطلقا مجذوبا جذبا مطبقا . .

وكثيرا ماكان يفتح عينيه على بلاد لا يعرفها وشعوب يستقر بها فـلا يعرف أين هو إلا إذا سأل من حوله فأجابوه بلغتهم التى يفهمها دون مترجم إلهاما من الله تعالى ، وتعليما من فيضه . ولا غرابة فى ذلك — فقد طويت له مسافات المكان والزمان مما رأيناه ولمسناه فى حياة الشيخ وماكان من بعض كبار تلاميذه الذين تعدته الآية بمدده إليهم . وأفاض بإذن الله تعالى عليهم ، إعدادا لما أسند إليهم من القيام بدعوة الخلق للخالق تعالى مزودين بالآيات والنفحات دليلا على حسن حالهم مع الله تعالى واتباع سيدنا الرسول الـكريم وشرعه

١٠ — باب النبى

ولما استفاض الجذب كانت سياحتى   بأمر لأمر فيه كان العطا سيب
وقد لاح لى من جانب الشرق بارق   له مغناطيس يجذب الجسم والقلب
فيممت نحـــو الشرق أشرق نورهم   على وكان الأنس والبسط والقرب
ولما وصلت الحى عاينت دهشـــة   لما عاينت عينى وعمى الجـــذب
وقـــد جد بى سير لمـــكة ساعيا   وجزت الفيافى حافيا دونما سغب
بأم القرى قد قرت الروح بالقرى   وقد أكرمونى : من محاهم قلبى
وجـــاورت بالبيت العتيق بمـــكة   بسعي وتطوافى أهيم ولا أنـــبى
يغذى لجسمى ماء زمزم(١) سائغا   كمثل نبات الحقل ينبت بالشرب
ولما هفت روحى لحى المصطفى   علمت بإذنى أن أفـــارق للرحب
فودعت توديع المفـــارق روحه   بجسم ومـــالى غير طاعتهم صوب
ينازعنى خـــيران حـــبى لبيته   وشـــوق لخير الخلق يحرق لى قلبى
وصرت كما المشدوه يبدو تحيرى   بما صار من قرب ومامر من قرب
أقول حوى هذا جـــلالا وروعة   وذاك جمال رائع يأخـــذ اللب

العظيم وأثرا للذكر الـكثير الذى أورث حب الله تعالى الغزير الذى أعلى الهمة فـــكان الوصول للقمة .

١ — عن أبى ذر مرفوعا عند أبى داود الطيالسى فى مسنده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماء زمزم لما شرب له . إن شربته تستشفى به شفاك الله ؛ وإن شربته لشبعك أشبعك الله به ، وإن شربته لقطع ظمئك قطعه الله ، وهى هزمة جبريل وسقيا اسماعيل. (والحديث رواه الدارقطنى وأخرجه الحاكم). وكان ابن عباس إذا شرب ماء زمزم قال : « اللهم إنى أسألك علما نافعا ورزقا واسعا وشفاء من كل داء » .

رأيت كلا الحالين يشمله الرضا … فزال خلاف بين عقلى والقلب

فما القصد إلا أن أنال ندى الرضا … فذلك أصل السير والحب والجذب

ولما وصلت الحى حييت سيدى … وأهلا وسهلا مرحبا هيمت قلبى

وفى يثرب كم مطرب لمقرب … وقيل : رياح الأنس من نحونا هبى

وهب نسيم النصر والعصر لى صفا … وقد سعدت روحى بمنهلها العذب

وفى لذة قد زادها القرب بهجة … قضيت لأيام الوصال على قرب

وللروح معراج لجنة ربها … ولو أن جسمى مستتر بلا غيب

ملئت من الأسرار حتى حشاشتى … وقال لسان الحال ياسادتى حسبى

وأورثت علما بل وحكما وحكمة … وقيل لى اهنأ حيث لقبت بالقطب

وقد تم هذا بعد توجيه دعوة … من السيد البدوى أن أحضر الرحب

ومن باب سر سرت للمسجد الذى … وجدت به الأرواح فى مسجد يسبى

وأجلسنى الداعى بكرسى رياسة … وأعلن تعيينى وعانق ياحبى

وكان يمينى من دعانى لحيه … وكان يسارى ابن بيوم بالجنب

وقد كان من قبلى الرفاعى وأحمد … كذاك الدسوقى وابن جيلان ياحبى

يليهم كثير بالبرية عينوا … إلى أن أتانى ذلك الفضل من ربى

هذه السياحة الطويلة التى نعمت فيها الروح أيما نعيم وشقى فيها الجسد أيما شقاء لابد أن تتوج بما يزيدها اكتمالا ويضاعف أنوارها بهاء .

ولا أسمى من توجه إلى الحج وزيارة قبر الرسول الكريم الذى لم يقم بهما منذ صباه حاجا وزائرا . .

ولكن أين الزاد . . وأين الراحلة . . ؟

ومتى كان لمثل هذه الصفوة أن تفكر فى زاد أو راحلة ؟ . إذا عزموا توكلوا على خالقهم . . وهو الكفيل بهم وبما يبلغهم مآربهم .

مضى الشيخ فى طريقه إلى مكة على قدمين لاتعرفان الكلال . . فطويت له البلاد وتسابقت إلى لقائه الفلوات حتى انتهى إلى مكة . .

حملت لوا غوثية كونية … كذا ولواء الذكر كى أدع للرب

هنا صرت بابا للنبى محمد … مثيلا لأمثالى وتم لى القرب

من المصطفى ألقى الأوامر جملة … وألقى إلى الأقطاب ماياأمر الحب

كذاك همو يلقون ما أنا مبلغ … إلى من يليهم فى المقامات عن كثب

إلى أن يكون الأمر واصل قرية … لتنفيذ أمر الله فى الوهب والسلب

كسلطان قطر حوله وزراؤه … يليهم وكيل والمدير بلا ريب

ومن تحتهم من ينفذوا رغباتهم … كما فى وزارات بها الحكم للشعب

وقس غائبا عنا بمشهود عيننا … تشاهده العينان والباطن القلب

لأن وراء الكون سرا محجبا … ومملكة الأرواح منشئها ربى

وفى جوار بيت الله الحرام نهلت روحه من فيض النور الإلهى . . ونهلت جوارحه من ماء زمزم . وأمدت الروح الجسد من عذب ماتروى به . وأمدت الجوارح الروح من نعيم ماتترع منه . . فكان يتقلب فى ذلك النعيم ، لا يشغل فكره بمال ولا يصرفه عما هو فيه زاد أو طعام .

وتأججت لواعج الشوق إلى حبيبه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وسرعان ماكان الجوار . وزاد الأنس بالقرب شوقا ولهفة ، وعاد الشوق بالأنس على الروح بهجة . . وهناك فى الروضة كانت صحبة . . وكانت رفقة ، وتكشفت من جوانب الروضة معالم الجنات . . وتفتحت من أبوابها أبواب السموات . . هناك ناجى الحبيب حبيبه وآنس الضيف مضيفه . .

ملئت من الأسرار حتى حشاشتى … وقال لسان الحال ياسادتى حسبى

وأورثت علما بل وحكما وحكمة … وقيل لى : اهنأ حيث لقبت بالقطب

هنا صرت بابا للنبى محمد … مثيلا لأمثالى وتم لى القرب

١١ — القطب

فلا تعجبوا ياقوم مما ذكرته … فإن كلامى للذى شفه الحب
وليس كلامى للذى كان قلبه … بعيدا ولم يدر التصوف عن قرب
ولا تنفع الأوراق فى وصف ذوقنا … وفهم عبارات لمن سلكوا الدرب
وما القطب إلا كالملاك وظيفة … ينفذ أمر الله بالوهب والسلب
كجبريل أو ميكال للوهب والعطا … وعزريل للأرواح يسلبها سلب
وربى إله العرش للشىء فاعل … بواسطة أو غيرها ياأخا اللب
وفى «قاتلوهم»(١) عند ذاك وساطة … وفى «مارميت»(٢) أفهم حقيقة ذا الرب
كذاك لنا فى «النازعات» دلائل … تدل على التوسيط سبحانه ربى

---

١ — (قاتلوهم) : هناك ثلاث آيات فيها لفظة قاتلوهم :

• وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله . (آية ١٩٣ — البقرة) .

• وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله . (آية ٣٩ — الأنفال) .

• قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين. (آية ١٤ — التوبة) ، وهى المقصودة هنا . ولذلك وردت بدون حرف العطف بخلاف سابقتها وفيها بيان لحكمته سبحانه فيما شرع للمسلمين من الجهاد مع قدرته على إهلاك الأعداء بأمر من عنده ٥

٢ — (ومارميت) : الآية الكريمة — فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا إن الله سميع عليم .

فبين الله سبحانه وتعالى أنه خالق أفعال العباد وأنه المحمود على ماصدر منهم من خير لأنه هو الذى وفقهم لذلك وأعانهم عليه ٥ وإنما النصر من عند الله.وفى الآية وجه سبحانه الخطاب لنبيه صلى الله عليه وسلم فى شأن القبضة من التراب التى قبضها يوم بدر وحصب بها وجوه الكافرين

فخمسة(١) آيات بأول سورة … تشير إلى فعل الملائكة النجب
خلافة رب العرش كانت لآدم … ومن بعده للرسل يتبعهم صحب
لأن الورى فى ضعفهم وقصورهم … لمحتاجة من يفصح الشرع عن ربى
ومحتاجة تجديد دين بمرشد … له الوصل أصل فى تأسيه بالحب
على رأس قرن هاديا تم نوره … يجدد أمر الدين بالشرق والغرب
كما قال خير الخلق فى خبر له … فكن واثقا بالغيب تسلم من الريب
وما اتخذ الرحمن إلا لعالم … ومن عملوا بالشرع علمهم ربى
ولما أراد الله للقدس زورة … نزحت بجسمى إذ تركت لهم قلبى
وما عاينت عينى لغير رحابهم … فهم نصب عينى قبلة وجهة القلب
وما سكنت نفسى لغير إلهها … وخير الورى من رسمه دائما جنبى

حين خرج من العريش بعد دعائه وتضرعه واستكانته . فرماهم بها وقال : «شاهت الوجوه» . ثم أمر أصحابه أن يصدقوا الحملة إثرها ففعلوا . فأوصل الله تلك الحصباء إلى أعين المشركين فلم يبق أحد منهم إلا ناله منها ماشغله عن حاله . ولذا قال الله تعالى : «ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى» . يعنى أنه هو الذى بلغ ذلك إليهم وكبتهم به لا أنت .

روى ابن عباس : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع يديه يوم بدر فقال : «يارب إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد فى الأرض أبدا» . فقال له جبريل : خذ قبضة من التراب فارم بها فى وجوههم . فأخذ قبضة من التراب فرمى بها فى وجوههم . فما من المشركين أحد إلا أصاب عينيه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة فولوا مدبرين) .

(١) الآيات الخمس هى قوله تعالى :

(والنازعات غرقا . والناشطات نشطا . والسابحات سبحا . فالسابقات سبقا . فالمدبرات أمرا) . — وهى الملائكة تنزع أرواح بنى آدم . فمنهم من

(المربى)

وجبت بــلاد الله شـــرقا ومغربا   وإن بعدت عينى أعاين عن كثب

فقد أبدلت ذرات جسمى وبلورت   وحلل طينى فضل وهب بلا كسب

وصرت من الأبدال تطوى مسافتى   وقد نسيت نفسى المآكل والشرب

كماية يوم بعــد عشر وسبعــة   تركت غذائى طاويا خـــالى القلب

ولمـــا تذكرت الطعـــام وطعمه   وجدت لرزقى مثل مريم بالجنب

وبعد لقد جزت الفيافى مســـكرا   بوصل ومالى يابس الغصن أو رطب

غذائى ذكراهم وترديد اسمهم   هداى همو هم ســادة سلبوا لبى

ولما رأيت الناس للـــذل جانبوا   وعزوا بنعمـــاء ودينهم نهب

وقد شغلوا عن دينهم وتدين   بما قـــد حباه الله من نعمة الكسب

عصوه بما أولى من الخير والعطــا   وغرهم حلم عظيم من الــرب

وغرهم طول الســلامة إذ نجوا   من الضر أو شىء مغبتـــه كـــرب

وفتنهـــم مال وآل وصحبـــة   وجاه وأتباع وأشياع بالقـــرب

نسوا الله أنساهم نجاة نفوسهم   بيوم حساب حيث أخرهم ربى

وقد هضموا حق الفقير وأمعنوا   فلا صدقات أو زكاة ولا حب

وعم ظـــلام الظلم وانطمس الهدى   وكل على منواله ينسج الثـــوب

فمـــا فقهوا دينا وما عملــوا به   وما اتبعوا شرعا وموقفهم ســـلبى

وقـــد قرأوا كتبـــا لغرب وكابها   تحط لقدر الدين كى نتبع الغرب

ولما رأيت الأمر صار إلى هنـــا   قصدت إلى ربى فأدبنى ربى

نسجت لثوبى من خيوط تذللـــى   وكان السدى الإيمان واللحمة الحب

فصار رداء الصدق والحق والهدى   وتعظيم من يهواه روحى والقلب

وصار صفائى فى خفائى عن الورى   ولا أناعن ســـر مشير ولا منبى

سمت غايتى عن غيره فأنا به   غنى عن الدنيـــا ووهى منصب

تأخذ روحه بعسر فتغرق فى نزعها ، ومنهم من تأخذه بسهولة كأنما حلته من نشاط ، وهى السابحات بأمر ربها وهى السابقات التى سبقت بالإيمان والتصديق وهى المدبرات التى تدبر الأمر من السماء إلى الأرض بأمر ربها عز وجل وصفوة الله المختارة تتدرج فى مراقى صفائها حيث هيأها العلى القادر

وكان هنائى فى التجـــائى ووقفتى   على الباب أرجو للقبول من الرب

وصرت من الحجاب بالباب مدنفا   هنا النعمة العظمى هنا المنهل العذب

وإنى إذا ماكنت للسر فاشيـــا   أحـــل دمى شرعى وعوقبت بالسلب

وما دق عن فهم فلست أبثـــه   بغير مذاق فاعذرونى بـــلا عتب

وما كان فوق العقل لابد ستره   وعند رجال القوم يرمز للصعب

وقد قال غيرى عند جذب مقالـــة   يلوح تلويحـــا بما يشغل القلب

فهـــذا بليـــلى هـــائم ومتيم   وذلك فى سلمى مقالته تسبى

له غزل كالنصل صاب لمقتـــل   يوارى به ماشب من وجده الصعب

وآخر فى شطح يقـــول مقـــالة   تخالف شرعـــا حيث منطقها يكبى

تفيد حلولا واتحادا ووحـــدة   بظاهرها لـــكنه مظهـــر الجذب

كما فعل الحـــلاج والقوم مثلـــه   لمـــا يوجب التأويل من سالم القلب

جذبت ولـــكن كنت للشرع واعيا   أقوم بفرضى والنوافل والندب

وأقرأ للقـــرآن ماكنت ناسيـــا   لأحكامه بل متقنا فى ذرا الجذب

حفظت بعون الله فضـــلا ومنة   وماكنت أهذى عند أخذى فلاعتب

ولـــكننى عن غـــير ربى ذاهـــل   وللملأ الأعلى مشاهدة القلب

وكنت على حـــد الشريعة واقفـــا   ولو أننى بالخضر علمت للغيب

وذلك لأنى سوف أدعو لربنـــا   إماما به حسن اقتداء بلا جـــذب

فـــلا يقتدى بالذاهلين وفعلهـــم   وقول لهم لا عن حقيقتهم ينبى

عرفت لخلاقى ولذت بشرعـــه   وكان إمامى المصطفى والهـــدى دربى

لمن شاء ، حيث شاء . فلا عجب مما وصلوا إليه من مراتب السمو وليس لمتعجب أن يستحضر مقاييس العالم المادى لينظر من خلالها إلى هذا النور النورانى الذى يبهر العقول ويشرق فى أعماق الأرواح فيضئ معالم وعوالم هى فوق الإدراك قد خطت آفاق الحس إلى رحبات ياسعادة من رف عليه نسيمها الشذى العطر . وغمرته بشفافياتها القدسية .

وبعد هذه الرحلة التى أضنت الجسد ومزقت الثياب وشغلت الشيخ عن

فقد تم صحوى بعد محوى والفنا   وكان سلوكى وانسلاخى من الجذب
ثلاثة أعـــوام سكنت مقابرا   وأربعة فيهـــا السياحة ياصب
وعـــدت لأوطـــانى بأمر مبارك   وكان منى قلبى ملازمة الرحب
ولـــكن فنت فى رغبة الله رغبتى   كما فنت الآمال إلا من القـــرب
وما رقأت عينى فدمعى به دمى   لفرط هوى منى وموجدة القلب
تهيجنى الأشـــواق ألهج باسمهم   وفى الـــذات قولى والتصبب لى دأب

١٢ ــ العـــودة

وزايلت للأسمال والعـــرى والحفا   وباشرت للأسباب وأهمل الصيب
وبضع قروش رأس مال وجدته   وأفئدة تهوى ورنى لهـــم يربى
وإن جلوسى كان خـــارج متجرى   كحالة من لم يستفق من الجـــذب
ومن شـــاء صنفـــا أهـــده لمحله   نظير اقتضائى ماية الضعف ياحب
وآمـــر من يبـــغى لشـــئ يناله   بأن يودع الأثمـــان فى مدرج جنبى
يساومنى لا أقبـــل السوم رافضـــا   لمطلبه حتى يكون له عـــتبى
بماية مثـــل كان تصريف سلعتى   وماية مثل مثلها وهب الـــرب
يقول ومـــاذا إن أخـــذت بضاعة   تـــكافئ ماأدفعه من ثمن صعب

مأكله وملبسه وموطنه . . بعد هذا الانقطاع الطويل عن دنيا الناس والأنس بعالم القبور . . بعد أن طاف الغريب بعالم الغرباء وتخطى القفار إلى مزار البيت الحرام ومرغ جبينه بثرى الروضة الشريفة وسكن فؤاده اللهيف بقرب الحبيب وفتحت الأبواب ورفع الحجاب والتقى الأصحاب . . بعد كل هذا الفيض الغامر آن للرحالة أن يلقى عصا التسيار وأن تأوى الروح وقد جردت الحس من قيوده المادية المرهقة . وأن يتحول النهر إلى مجراه يشق طريقه

أقول له : لابد حبسك يافـــتى   إلى أن يكون الحق فافعل ولاتننى
هنا يبتغى للاختبـــار ويعطـــنى   دراهمه فى حـــالة تشبه الجـــذب
ويدخل حيث الصنف كان مكانه   ويأخذ للأضعاف يحبسه ربى
يريد خروجا لا يرى قط مخرجـــا   بغير ارتجاع للـــذى زاد ياحب
ويخرج فى حال عظيم نوالـــه   وإيمانه بالله عـــلاً للقلب
ويسرى كما المذياع يروى لما رأى   فتأتى جموع مثله يكرم الـــرب
إلى أن وجدنا رأس مال مبـــارك   ثلاثين دينارا بها بدأ الـــوهب
وصار اعتدال فى المبيع وفى الشرا   كحالة أصحاب المتاجر بالـــرحب
وقيض ربى من يقـــوم بخـــدمة   لزوار ربعى والمبـــاشر للـــكسب
وأقبلت الدنيـــا وأقبـــل صفوهـــا   وأقبل عـــز لا يعكره كـــرب
غرقت بدنيا صيرتنى بقلبهـــا   ولـــكنها لم تدخـــل القلب ياحب

بطريقته ترفرف على آفاقه أعلام الوصول التى لاتظل إلا الأقطاب المختارين من أولياء الله الصالحين . .

فى صحوة العودة تلفت الشيخ إلى نفسه فوجد الملابس تلبد عليها التراب من كثرة العرق حتى أصبحت تقلق جنبيه من قسوة صلابتها فكيف بحاجته إلى الاستحمام وقد طال العهد به .

« يحكى عن الشيخ رضى الله عنه أنه وجد نفسه يسير فى طريق شق له وسط القفار وانتهى به الطريق إلى نهر صاف صفاء الفضة فاغتسل وغسل ماعليه من ثياب . فلما قضى حاجته منه وتلفت حوله لم يجد للنهر أثرا ولا للطريق معالما . . . »

عاد الشيخ إلى دنيا الناس فى نقاء الماء الصافى الذى لم يبق من درنه شيئا . . عاد ليبدأ حياة التجارة كما تحدثنا الأبيات . .

١٣ — الشيخ وبداية الطريق

وقد قابلت روحى لروح رسولنا … بغير وسيط يقظة ياأخا اللب
وصرت أنا المأمور والحب آمرى … أنفذ أمرا شاءه قبلنا ربى
وما هو رؤيا نائم قد رأيتها … ولكنه أمر تحقق بالقرب
وليست شفافيات روح قوية … ولا سحر مشهور بشرقك والغرب
وما هو إيحاء لقلب ملهم … ولا أخذته الروح فى حالة الجذب
وليس حديث النفس أو هو فكرة … ولكنه أمر ككف أو لنا لبى
وما هو تحضير لروح بعيدة … كما يفعل التالى الوسيط لنا ينبى
وكيف لنا تحضير روح قريرة … بجنة خلد حيث يكرمها ربى
وكيف لنا تحضير روح حبيسة … بنار وهل تأتى وحابسها ربى
ولكن حضور الجن بالرحب جائز … ومن خوفه الإحراق يحضر بالرحب
وما هو شرع آخر ياأخا النهى … فما كان خير الخلق يكتم عن صحب
وقد بلغ المختار ماجاءه به … سفير الهدى بالهدى عن حضرة الرب
ولكنه عهد كريم وبيعة … وأمر بذكر خالص يوجب القرب
وقرآننا قد سمى الذكر يافتى … ويأمر بالذكر الكثير لذى اللب
وللأربعين أعدد لآيات حضه … على الذكر أن الذكر جسرك للقرب
وإنى بذكر الله بالركب وارد … على الله يوم البعث فى موكب النجب

١٤ — الكرامات

توارد الآيات رغم تحفظى … وقد غلبتنى حالة تشبه الجذب
وأول ماأرغمت فيه وجدتنى … أقوم خطيبا واعظا بالهدى أنبى
وذلك من بعد الصلاة لجمعة … إلى العصر والأحباب كلهم جنبى

قد يكون فى هذا الذى يروى مثاراً للإنكار من بعض القارئين . . ولكن من يعرف أن الحب الإلهى حين يضفى على الإنسان تطوى أمامه معالم المادة

ولى طيران بالهوا متنقلا … على حاملات للمصابيح ياحب
رأيت لجمع ثائر فى فرقة … على من له حق الرياسة ياحب
ولما رأونى آتيا رافعا يدى … ببيرق كالمجذوب أو قل هو الجذب
تراءى لهم أن يجعلونى محكما … فقلت مقالا أذهل الكل من صحبى
وقلت رئيس القوم من يلك رابطا … لهذا فى آخر الصارى يانجب
فقالوا : نعم . قالوا : تفضل بفعله … فعلت لهذا فانتهى الشغب والصخب
هنا قر لى بالفضل كل وأقبلوا … على بصدر واسع مكرم رحب
لهذا رأست الجمع بعد تمنع … ولكنه الحل الوحيد لذا النكب
وعم النواحى ذكر حالى وأقبلت … على جموع هزها الشوق والحب
أنادى الهوا يأتى بريح كريمة … زكا ريحها والريح مرسلها ربى
وأبرز من جيبى النضار لبائس … ومن قد أراد المن من خادمى الرحب
وأكشف عن قلب وفعل لزائر … يريد لأمر جاء من أجله صب
وأخبر عما كان بالأمس والذى … يكون بالاستقبال مطلعنى ربى
لعاقر أدعو يجبر الله كسرها … ويمنحها الإنجاب مكرمها ربى
ويشفى إلهى للمريض بدعوة … كذا وصفة عطرية ألهم الرب
وحينا أرانى شارب الماء آمرا … لكل مريض شربة ينمحى الكرب
كذا وضع كفى فوق موضع علة … وأتلو المثانى السبع ينكشف النكب
وأدعو لمكروب رجاء نجاته … يجيب إله العرش بالرفع للكرب
وأخبر عن سعر المحاصيل كلها … بأول عام حيث ينتفع الشعب
وأخبرت أن القطن يرفع سعره … إلهى لخمسين الجنيهات ياحبى
على قدر إيمان الفتى تم نفعه … وباع بفوق الأربعين أخ الوهب

التى أشار إليها الحديث القدسى : الذى رواه البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إن الله تعالى قال : « من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب . وماتقرب إلى عبدى بشئ أحب إلى مما افترضته عليه . وما زال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى

تصرفت فى جسمى فلى تكبيره ... كذاك وتصغير يحير للب

وإن يدى كانت تطول ولا انتها ... لطول لها إلا إذا انتبه الصحب

وكان لها حال انكماش مباغت ... وكفى بكتفى لاصق يذهل اللب

إن أباسط لجمعنا قومونى ... قد تضيع الجهود يضحك صحبى

وكذا يسمع المريد ندائى ... وهو فى أبعد البلاد يلبى

ويجئ الذى يريد اختبارى ... فى علوم فيكرم الله ربى

وإذا ماسألت ينقلب الحال ... لأن السؤال منى صعب

وببعض الأحيان يسحب ربى ... لعلوم يبدو البكا والنحب

ورد الرحمن للعلم إذا تاب ... ويغدو كالسالكين وصحبى

وأتى ملحد لرحبى يقول ... يبعث الشر فيه شك وريب

حيث أعطيته العصا وبهذا ... صار يهذى بعد الجنون ونكب

وأرانى مجيب صالح زيدان ... وله بالزقازيق عينت قطب

وأزور المريد ليلا يرانى ... وعلى الفور يأتى قاصدا رحبى

وكذا يحفظ الإله محبى ... من معاص تذيب لبا وقلب

ولذا أذعن الدعاة بعصرى ... غير من يجهلوا لحكمة ربى

تهيأت الأرواح للدعوة التى ... أريد لها نجحا وحافظها ربى

فحينا ترانى فى ثبات ورقة ... وحينا ترانى ثائرا هاجنى حبى

وقد كثر الإقبال والتف بى الورى ... فعهدى المعمور بالدافع القلب

فذاك يريد الهدى والعلم والتقى ... وذاك يريد الكشف فى سكرة أنبى

وهذا مريد للشفاء بدعوة ... وذاك يريد الغوث يكرمه ربى

أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها وإن سألنى لأعطينه وإن استعاذنى لأعيذنه وماترددت عن شئ أنا فاعله ترددى عن قبض نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته » .

دعانى مجاب بل وطبى نافع ... وعلمى شمول والتودد لى دابه

هنا قد أراد الله تعطير كوننا ... بأنفاس ذكر حيث يلتمس القرب

ونشر طريق واجتماع أحبة ... وقيل كما قد مر ياعبدنا ربى

فما أنا إلا عبده وبأمره ... أسير بروح منه فى الدم للقلب

وقبلا سرى الشيطان للقلب واصلا ... فذلك عن بغض وإنى عن حب

وما كان مايعطيه ربى عدوه ... عزيزا على أحبابه ياأخا اللب

ألا إن روح الشيخ روح ملائك ... فروح لها وهب وروح لها سلب

وروح المربى حسب أمر إلهها ... لها الفيض ثم الغيض كل من ربى

فكم قائل إنى كملت مراتبا ... وجافى مربيه فأدب بالسلب

فمن أخذته عثرة فى مسيرة ... وغير من وضعى وإن كان من صلبى

يؤدبه ربى بدنياه أولا ... وعند حساب الحشر يؤخذ بالذنب

فإن جحود الفضل للعم محنة ... وإن عقوق الإبن يغضب للرب

أخاصم يوم الدين قوما تآمروا ... على أمر خير الخلق ابتدعوا الحزب

لقد طلبوا شيئين دنيا ومركزا ... ومن باع دينا بالدنا خصمه ربى

فقد حال مابينى وبين محبه ... وصار كسد حيث لا مد للحب

حمانى إلهى من حسود وحاقد ... ومن ظالم باغ يحض على حربى

كذلك يحمى للطريق بفضله ... وما جد من نهج سيذهب ياحب

وأرجع فيما كنت قبلا أبثه ... متابع ماقد قلته فاشرب الشرب

بدأت طريقى فى انكسار وذلة ... وخوف يليه ذلة كسرت قلبى

أهاب إختبارى واضطرارى لوقفة ... بوسط طريق أو بعادى والسلب

هنا غلبتنى حالة الخوف والرجا ... تغلب حيث اللطف من صفة الرب

— وإذن فلا إنكار على من يبصر بنور الله ويمشى بقوة القادر الخالق ويبطش بقدرة الله .

وإذن فقدرة الله هى التى تنهج الطريق وتقرب البعيد وتشق الأنهار وتفرق البحار وتهيء الأسباب وتقضى الحاجات وترفع الحجب . .

١٥ — كفاك بعلم الروح

وتابعت ما أبدعت والنفس بِهمّها ... وليلى قرآن وأمرهم حزبى
وسنة خير الخلق ضوئى ومنهجى ... وذكر إلهى الموصل العبد للرب
وأمضيت أمرا نافذا لنفاذه ... ألا وهو ذكر الله مطهرة القلب
وما الذكر إلا حصننا ووقاؤنا ... وأخلاقنا بالذكر تسمو عن العيب
وقلت اذكروا الرحمن قومى لتذكروا ... لدى الملأ الأعلى وذاكركم ربى
فى ذكر مولانا لنا كل رحمة ... ومن داوم الأذكار أهل للقرب
وأمر اذكروا ذكرا كثيرا مؤكد ... لكثرة ترديد تؤهل للقلب
ولا يذكر الرحمن إلا لوجهه ... فذكرك للأسباب يوجب للحجب
كفاك بعلم الروح وارج لفضله ... وكن واثقا من نصره ينجلى الكرب
فلا ترج جلب النفع بالذكر يافتى ... ولا دفع شر يا أخا العقل واللب

سبحانه تعالت قدرته بيده الملك وهو على كل شئ قدير . . .

لذا حدثتك بالأبيات عن رؤية النبى عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام كشافا فهى فى هذا النطاق . . وإذا حدثتك عن فيوضات العلم اللدنى التى أذهلت عقول العلماء الدارسين وجعلتهم يذعنون للشيخ ويتتلمذون عليه . فليس هذا بكثير على عناية الله . .

وإذا تعددت أمامك صور الكرامات حتى جعلت الشيخ يتصدر القرن ويرأس الطريق فى رحاب الكتاب والسنة آية الهداية لمن هداهم الله . وماهى إلا ومضات تضئ لتكشف معالم السبيل لأبناء الشيخ .

أما الشيخ رضى الله عنه : فقد مضت به الأيام بما علمت بعضه إجمالا يحتاج هو بعدها إلى مزيد — هى مدرسة الطريق تصوغ الأبناء وتقودهم

وكن حاضرا قلبا معنى ومعتن ... بمعنى لإسم أنت فى حضرة الرب
وفى ذكرنا استشعار هيبة خالق ... لتعظيمه بالفعل والقول والقلب
وقصد لتوحيد لتفريد خالق ... وبث لإيمان يباشر للقلب
وما ذكرنا إلا لنعرف نعته ... لمكتسب الأخلاق من صفة الرب
ونوقن أن الأمر لله وحده ... فنرضى بتسليم ونلجأ فى كرب
هنا الفتح والإلهام والكشف للغطا ... وحالة الاستدراج أو دائم الوهب
ولكن خير الفتح شرح صدورنا ... لكثرة ذكر حيث يقوى لنا الحب
وما بعد حب الله إلا طاعة ... لأمر وإقلاع عن الذنب بالترب
ونأتى بالاستغفار (١) فى ندم بدا ... وما بعد عفو الله إلا ندى الوهب

إلى رحاب الدين الحق والعبادة الحقة ؛ إلى ساحة القدس مسبحين ذاكرين ، والشيخ يحب ويعطف ويحنو ويوجه ويرد لهفة اللهيف ويمسح بيده الحانية وجع الوجيع . .

كم من مفكر أقر ، ومارق عاد وانقاد . .

كم من مشكك أيقن ، ومتكبر تطامن . .

وما هو إلا قليل حتى زخرت ساحة الشيخ بالخير وأهل الخير وهو أصل الخير سبحان من بيده الخير وهو على كل شئ قدير . .

(١) الآيات القرآنية فى الحث على الاستغفار كثيرة معلومة منها قوله تعالى : « والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون » .

ونختار من الأحاديث :

• حديث أبى هريرة الذى رواه البخارى بسنده قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة .

• حديث ابن عباس عند أبى داود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ومن كل هم فرجا ورزقه الله من حيث لا يحتسب .

وللـــذكر (١) أنوار تعم قلوبنـــا ... وعند انشراح الصدر نلحق بالنجب
ونسرى بركب والطريق ممهـــد ... ومن لازم الأخيـــار يأمن من نكب

---

* حديث شداد بن أوس عند البخارى : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : سيد الاستغفار أن يقول العبد : اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت . أعوذ بك من شر ماصنعت. أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبى فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . من قالها فى النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسى فهو من أهل الجنة . ومن قالها فى الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة .

* حديث أنس رضى الله عنه . الذى رواه الترمذى وحسنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال الله تعالى : ياابن آدم إنك مادعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ماكان منك ولا أبالى . ياابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولا أبالى . يا ابن آدم إنك لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة . .

(١) الآيات القرآنية فى فضائل الذكر والحث عليه كثيرة معلومة . ومن الأحاديث النبوية — وقد أفردت لها بابين يقرآن بمحلهما — ونختار لك أيضا :

* الحديث الذى رواه مسلم عن سعد بن أبى وقاص بسنده : قال : كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أيعجز أحدكم أن يكسب فى كل يوم ألف حسنة ؟ فسأله سائل من جلسائه : كيف يكسب ألف حسنة ؟ . فقال : يسبح مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة أو يحط عنه ألف خطيئة .

* وحديث مسلم أيضا عن أبى ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة . فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهى عن المنكر صدقة ، ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى » .

وللذكر يامطلـــوب تلقى فوائدا ... وإن كنت لاتلقى سوى الوصل بالرب
تنال به عفوا ولست بقـــاصد ... جواهر فوق العقـــل يكسبها الصب
تنال به الإخلاص لله والـــتقى ... وصبرا وإيمانا يعـــاون للقلب

---

* وحديث البخارى عن أبى موسى الأشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكره مثل الحى والميت .

والحديث عند مسلم : (مثل البيت الذى يذكر الله فيه والبيت الذى لا يذكر فيه مثل الحى والميت) .

* حديث أبى هريرة المتفق عليه . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه إذا ذكرنى فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم .

* وروى مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : سبق المفردون . قالوا : وما المفردون يارسول الله ؟ قال : الذاكرون الله كثيرا والذاكرات .

* وروى الترمذى وحسنه عن عبد الله بن بر رضى الله عنه ؛ أن رجلا قال : يارسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت على . فأخبرنى بشئ أتشبث به. فقال : لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله .

* وروى الترمذى عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لـكم من إنفاق الذهب والفضة . وخير لـكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم . ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا : بلى — قال : ذكر الله تعالى . .

* وفى مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه .

* الحديث المتفق عليه المروى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن لله تعالى ملائكة يطوفون فى الطرق

تنال به علما ورشدا كذا الهدى ... وتفويض أمر والنجاة من الذنب
تنال به فهما لقرآن ربنا ... كلام إلهى حيث تشعر بالحب
تنال به حب الإله وعشقه ... وحب رسول الله والآل والصحب
تنال به الإمداد من روح ربنا ... وروح شفيع الخلق والمرشد الصب
تنال به حسن الظنون بربنا ... كذا ثقة ثم اليقين فلا صعب

يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل تنادوا : هلموا إلى حاجتكم . فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا فيسألهم ربهم وهو أعلم : مايقول عبادى ؟ قال : يقولون : يسبحونك ويحمدونك ويمجدونك . فيقول : هل رأونى ؟ فيقولون لا والله يارب مارأوك . قال يقول : فكيف لو رأونى ؟ قال : يقولون : لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد تمجيدا وأكثر لك تسبيحا. قال : فيقول : فما يسألون . ؟ قال يقولون : يسألونك الجنة قال يقول : وهل رأوها ؟ . قال يقولون : لا والله يارب ما رأوها قال يقول : فكيف لو رأوها ؟ قال يقولون : لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا وأشد لها طلبا وأعظم فيها رغبة. قال : يقول : فمم يتعوذون؟ قال يقولون : يتعوذون من النار . قال فيقول : وهل رأوها؟ قال يقولون : لا والله مارأوها . قال فيقول : فكيف لو رأوها ؟ قال يقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة . قال فيقول : فأشهدكم أنى قد غفرت لهم . قال يقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة . قال : فيقول : هم الجلساء لا يشقى جليسهم .

* وفى رواية لمسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن لله ملائكة سيارة فضلا يتتبعون مجالس الذكر فإذا وجدوا مجلسا فيه ذكر قعدوا معهم وحف بعضهم بعضا بأجنحتهم حتى يملأوا مابينهم وبين

تنال به بسطا لنفس لأنها ... بها فرح من نعمة بزجها ربى
تنال به حسن المناجاة والرجا ... فتطلب خيرا من لدن حضرة الرب
تنال به خوفا لربى وخشية ... وبعداً عن الزلات والتوب من ذنب
تنال به صبرا عن الغى والخنا ... وصبرا على الطاعات والسير للرب
تنال به عرفان نفس وحالها ... فتطلب تطهيرا لها والهدى ثوب
تنال به حسن الجهاد لها وأن ... تريد لها الإقلاع عن نجس الذنب

السماء الدنيا فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء فيسألهم الله عز وجل وهو أعلم : من أين جئتم ؟ فيقولون : جئنا من عند عباد لك فى الأرض يسبحونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك . قال : وماذا يسألونى ؟ قالوا : يسألونك جنتك . قال : وهل رأوا جنتى ؟ قالوا : لا أى رب . قال : فكيف لو رأوا جنتى . ؟ قالوا ويستجيرونك . قال : ومم يستجيرونى ؟ قالوا من نارك يارب . قال وهل رأوا نارى ؟ قالوا : لا . قال : فكيف لو رأوا نارى ؟ قالوا : ويستغفرونك فيقول : قد غفرت لهم وأعطيتهم ماسألوا وأجرتهم مما استجاروا . قال يقولون : رب فيهم فلان عبد خطاء إنما مر فجلس معهم . فيقول وله غفرت . هم القوم لا يشقى بهم جليسهم .

* وروى مسلم بسنده عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله عنهما قالا : وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده .

* وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عند مسلم — قال : خرج معاوية رضى الله عنه على حلقة فى المسجد فقال : ماأجلسكم ؟ قالوا : جلسنا نذكر الله . قال آلله ما أجلسكم إلا ذاك . ؟ قالوا ما أجلسنا إلا ذاك . قال أما إنى لم أستحلفكم تهمة وما كان أحد بمنزلتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم أقل عنه حديثا منى . إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من أصحابه فقال : ما أجلسكم ؟ قالوا : جلسنا نذكر الله ونحمده على ماهدانا للإسلام ومن به علينا . قال : آلله ماأجلسكم إلا ذاك. ؟ قالوا ما أجلسنا إلا ذاك قال أما إنى لم أستحلفكم تهمة ولكنه أتانى جبريل عليه السلام فأخبرنى أن الله يباهى بكم الملائكة .

تنال به التفتيش بعد تفقد … لما فتحاسبها على الذنب والريب
تنال به حكما لنفس جموحة … وإلجامها حتى تنوء إلى الرب
تنال به كشف الغطا كذاك … جلاء القلب من صدأ الذنب
تنال به ما كنت ترجو نواله … ألا وهو قرب والرضا من لدن ربى
تنال به حسن الحيا من ربنا … وعند الحيا تحيا بخوفك ياصب
تنال به عند الوفاة مسرة … بلقيا كريم غافر يقبل التوب
تنال به عند السؤال هداية … لحسن جواب لا افتتان ولا ريب
تنال به عند الصراط جوازه … إلى جنة فيها الدوام بلا سلب
تنال به خلدا لجنة ربنا … ورؤية من نهواه خالقنا ربى
تنال به حسن الجوار بجنة … لسيدنا الهادى البشير مع الصحب
لأن الذى صلى(١) على خير رسله … كثيرا له استصحابه الجنب بالجنب

(١) عن ابن مسعود رضى الله عنه فيما رواه الترمذى وحسنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم على صلاة .

* وفى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا .

* وعن أبى هريرة رضى الله عنه فيما رواه أبو داود بإسناد صحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «لاتجعلوا قبرى عيدا وصلوا على فإن صلاتكم تبلغنى حيث كنتم» .

والنهى عن أن يفعل فى زيارة قبره من اللهو والزينة مايفعل بالأعياد .

* روى الترمذى بسنده عن على رضى الله عنه ، وقال حديث حسن صحيح ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «البخيل من ذكرت عنده فلم يصل على» . .

ومرتبة الوصول إلى الصفاء الروحى والاتصال بالعالم العلوى هى قمة الأمانى وذروة الرجاء . .

كذاك له من سيد الخلق نظرة … بدنياه تجعله المقيم على الدرب
وتجعله صبا محبا وهائما … كما كان منى فى وصولى إلى ربى
فما الخير إلا منه أول نبعة … كواسطة عظمى وباب إلى ربى
ومن غير هذا الباب لايدخل الذى … أراد وصولا للتقرب للرب
وما دخل الماضون من أوليائنا … بغير رجاه فافهم اللب ياصب

١٦ ـ وصفت رجالا كالجبال

وللشيخ آيات تعرف قدره … كعرفان مافى القلب والكشف ياحبى
وفى سمعه والصوت ثم لرؤية … وفى قوة يسرى بروح كما الشهب
كما كان للفاروق يوم ندائه … لسارية فافهم ولا تتبع الريب
وما آية للناس إلا لأنها … تسبب اقناعا لمن شاءه الرب
وما آية إلا لأجل رسولنا … لمد رسالات له وعلا الكعب
وآية من يأتى بها للمصطفى … كمعجزة أخرى له فافهم اللب
و«عبدى أطعنى» أقدرت لموحد … و«ما زال عبدى» آية للنهى تسبى
يقول لشئ كن بأمر إلهه … يكون كما قد أخبر الحب عن ربى
و«من عمل» اقرأ للحديث تجد به … إشارة فتح الله للذاكر الصب
لذا كنت ما أرجو يتم نواله … وما طلبى إلا الهداية للركب
وعم الهدى وانجاب عن حينا الردى … وصار العدا من بعد جفوتهم صحبى
وصغت رجالا كالجبال متانة … لهم خير حال فى معاملة الرب

ــ ومازال المريد يطرق الباب ويتمسح بالأعتاب حتى ينفرج ثم يلج . .

وتلك الدقات التى تنبعث من القلب ويلهج بها اللسان هى ذكر الله الخالص
خالصا من رغبات الدنيا وشهوات الحياة وملذاتها .
خالصا من تطلعات الثواب وتوجسات العقاب .
خالصا من ذهول الفكر وسبحات الخيال .

إذا جنهم ليل جنوا لثماره   و«كانوا قليلا» وصفهم حيث لاريب
سعوا لإلهى لا يباهون داعيا   وإخلاصهم كسب يزيد له وهب
وباعوا لأرواح ومال بجنة   بها يتجلى الله للعين والقلب
لهم آية الإلهام والعلم والتقى   وكشف حجاب حيث أكرمهم ربى
وفاضت بحارى حيث جارى راويا   ونبأ أبنائى بما خط فى الغيب
وما كان منى حاصل كان حاصلا   من التابعين الغر وانهمل الصيب
فكل لهم فتح ومنح وسيرة   يفوح شذاها بين إخوانه النجب
وسادهم حب وود وألفة   وكل يظن الخير فى الكل والقرب
وكل له شخصية مستمدة   كما قيل من عم تحبير للب
لقد أخذوا عنى ومنى امتدادهم   بما مدنى حبى وأكرمنى ربى
لقد قطعوا فى لحظة ما لغيرهم   به تعب طول السنين مع الجذب
كذا كان حال السابقين بنظرة   يربون أرواحا ومعطيهم ربى
فكانوا كتابا إن نظرت لصفحة   وجدت بها شيئا يهم للقلب
كباقة أزهار تغاير لونها   ولكن غذاها واحد وكذا الشرب
وصاروا سرايا للبرايا بدعوة   لها جذب أرواح وأيدها ربى
وفى « ولتكن منكم » إجابة طائع   كذا قوله « كنتم » به وصفهم يسبى
لهم آية الأخلاق فازوا بنيلها   وإشفاقهم والرفق ينجم عن حب
لهم غيرة إن هاجم الشرع غائر   وقد شهروا للحق ناصرهم ربى
لحبهم فى الله فيه تحابيوا   وإن يبغضوا لله قوما فلا سب
وإن واجهوا أمرا تراهم تحققوا   ولم تتعصب عصبة لسوى ربى
قلوبهم حساسة ونفوسهم   لها الحس عن حق فلا زيغ ولا ريب
فإنهم لم يتبعونى لشهرتى   ولكنهم من بعد أن علموا شربى

خالصا من قيود المادة ومثقلات النزوة . .

يقول لك الشيخ : أذكر بفكرك . بقلبك . بوجدانك . بكل جارحة تنبض بين حناياك لتصل إلى عالم الروح واثقا من الوصول . .

وقد بحثوا حالى وفعلا ترددوا   على الحى يستقصون حالى عن قرب
ولما اطمأن القلب منهم تواثبوا   على بيعة حيث المتاب كذا القرب
وقلت لهم لا عصمة بعد أحمد   فإن حدت يا قومى اهجروا رحبى
كما قلت إن فزتم بشيخ مربيا   يربى لنا جمعا نعاهد عن حب
وفضل إلهى واسع وعطاؤه   فرب مرب جاء لم يدره قلبى
وعطر أنفاس البرية ذكرنا   لربى وهذا مخرجى من ذرا الجذب
كما قلت إن الشرع ميزان سيرنا   به تعرفوا الداعى ومن يدعى الحب
فإن كان فى سير يلاحظ ربه   وإلا دعوه حيث يجعله ربى
كما قلت ياقومى الزموا مارسمته   فإنى مأمور وآمرنى ربى
وما كنت ياقومى أرانى معبرا   ولكنه التعبير يلهمه ربى
وقولى كالماء الزلال انسيابه   به ترتوى روح المحب بلا جذب
يهز فؤادا ينعش القلب سمعه   ويحيى لآمال ويذهب للكرب
فإن اغترافى من محيط نهلته   وليس ارتشاف القطر من هاطل السحب
أخاطب عقلا ثم قلبا بمنطق   له الشرع والتفسير يلهمه ربى

أذكر مستحضرا عظمة الخالق . .

أذكر مستشعرا هيبة الخالق . .

أذكر متمثلا وحدانية الواحد وقدرة القادر . .

أذكر وانهل من معانى القدس كل مقدس :

أذكر لترقى بصفاء الذكر سموا فى الخلق . .

أذكر ففى الذكر فتح وإلهام وكشف للغطاء . .

أذكر واستغفر ثم عد إلى رحاب الذكر ليلا . .

أذكر و صل على المصطفى المختار ثم عد إلى الذكر ليلا .

١٧ — مفاسد العصر الحديث

م ملحد لا قيت من إعنــاته ... وكم جامد فى دينه صار من حزبى
ناقد ، كم حاقد ، كم حاسد ... أرادوا لهدمى ، بالهدى سايروا ركبى
صائد قد أوقعته شباكنــا ... وصدناه كالطير الذى يلقط الحب
لهم قلبا وإن كان حائرا ... يريد الهدى للحق يشرب من شربى
هم طهر ولــكن أصابه ... شكوك لتقصير المعرف عن ربى
مد شــك المرء إلا اتجــاهه ... لبحث عن الحق المزيل لــذا الريب
أفسد الإيمان ســوء تحــلل ... وسوء مروق من مسايرة الغرب
ذنا عن الغــربى سوء تحلل ... ولم نأخذ العلم الذى يرفع الشعب
ــل إحصاء المزاعم كلهــا ... وتفنيدهــا ، والزود والرد بالسلب
هلوا لكن بظلم تجاهلــوا ... لزيغ قلوب لا يريد لهــا ربى
يتجاهل واقعــا من حقيقة ... فذلك مثبور لمــا بث من ريب
ذاك إلا قصد دنيــا دنيــة ... يقوم بها التبشير فى خدمة الغرب
ــا لتبشير يــكون وراءه ... بلاء بالاستعمار والنهب والسلب
ـه فتــح المــدارس بعــده ... بناء مصحات يزيل لنــا الريب
تجــارات وجلب منــافع ... وفعل احتــكاكات تؤهل للحرب
بعد ذا إيجاد أسبــاب حربنا ... لنصر أقلياتهم يبدأ الضــرب
بدأ التسليم منــا لضعفنــا ... ويحتلنــا ضعف ونفزع للسرب

ذكر ثم اذكر تنل به كل خير يحدثك عنه الشيخ رضوان الله عليه . .
هذه هى مدرسة الشيخ . . وهاهم أبناؤه . .
رجال كالجبال متانة . . لهم خير حال فى معاملة الرب . .
هؤلاء هم أبناؤه فى عصر عمت فيه الجهالة وطغت فيه المادية وران على
الناس ماشغلهم عن دين الله . .

وكيف يجيب الله والكل لا هيــا ... وقد ترك الأمر المنزل من ربى
يقول أعدوا (١) ما استطعتم لقوة ... بها ترهبوا الأعداء بالشرق والغرب
وترك اعتصام بالإله ووحــدة ... وجمع قلوب للنضال كذا الحرب
وكل يريد النفــع من مستعمر ... يواليه بالألقاب والمــال والــكسب
هنا ظهر التفتيت والضعف للقوى ... وهزأنا الباغى وأمعن فى السلب
فهــلا اجتمعتم واتضعتم لبعضكم ... وقمتم بلم الشعث وامتنع العتب
على قلب فرد واحــد واتجاهكم ... لرفعتــكم بالدين يرفعــكم ربى
وإن مريد الله بالله نصــره ... فــكم فئة فاءت فأسعدها ربى
هنا القلق البادى يزول وينجــلى ... بما لاح من نصر يهدئ للقلب
ويرهبــكم من كان قبلا يسودكم ... ويطلب منــكم ما يريد بلا عجب
وأول شئ واجب أخذ حــذركم ... لمــا هو جار بالسياسة من لعب
فقــد ستر المستعمرون وجوههم ... بشتى قناعــات لكسب بلا حرب
لذاك نراهم بالظــلام تسللــوا ... بحجــة تمــويل لنــا يرفع الشعب
وصار بالاستعمار والبــذل للربا ... عقود اتفاقات بها يحصل النكب
فحاجتنا للمــال صارت ملحــة ... لشتى مشــاريع بها نطعم الشعب
كذاك وإنشاء الجيوش لحفظ مــا ... نشيد ودفع الحرب لابد بالحــرب
وبعنــا ببخس واشــترينا بفاحش ... وعند اضطرار المرء يركب للصعب

مضى بهم الشيخ على الطريق . . لهم آية الإلهام والعلم والتقى وكشف حجاب حيث أكرمهم ربى .

(١) يشير إلى الآية الـكريمة « وأعدوا لهم ماستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » . « آية ٦٠ ـ الأنفال »

وقد رفعوا سعر الربا وتحكموا — كذا أنقصوا وقت السداد وذانكبه
أليس الذى يجرى أشد تحكما — بغير مصاريف احتلال ولا حرب
نسوا زرعهم فينا اليهود لذلنا — بسوء امتلاك للحثالات ذى العيب
وما زال ما اقتطعوه تحت يمينهم — وما زال ماينبنوه يبعث للرعب
وأمدادهم تأتى إليهم هدية — من النصراء الكثر بالشرق والغرب
وما زالت الأخطار محدقة بنا — جميعا كإخوان بدين له شعب
وهذا جزاء الطارحين لدينهم — لصالح دنياهم فأدبهم ربى

١٨ — ألسنا بدين الله كنا أعزة ؟

ألسنا بدين الله كنا أعزة — وأن صلاح الدين قد قهر الغرب
أولى الأمر خافوا للمملك ملككم — وإن «تتولوا» أدب الله بالسلب
ولا بد للديان ياقوم ترجعوا — ويجزيكم عما صحائفكم تنبى
ولولا وجوب النصح ماكنت مفصحا — لحال كصوفى ويشغلنى حبى
وإنى لدنياكم عبرت كسالك — طريقا إلى مولاى ما سلكت قلبى
ومالى للدنيا فكل الذى بها — بأمر مريد واقعع يأخا اللب
وكل الذى قد جاء من محبوبنا — نحب له قطعا ولا نشغل القلب
نفوض فيه بل نسلم أمره — فقد فنت الرغبات فى رغبة الرب
وخالقنا الرحمن خالق فعالنا — وحكمته تعلو عن الشك والريب
كفانا بعلم الله فينا مطمئنا — لقلب وما يقضيه نقبل عن حب
فما محنة إلا بعدل سابغ — ولا منة إلا بفضل من الرب
وفى مشرط الجراح كل سلامة — وما العسر إلا باب يسرين عن قرب
ولا بد من تحسين ظن بخالق — كذا ثقة بالله كى ينجلى الكرب
ولا بد من ذكر وشكر وتوبة — وحسن التجاء ثم نستغفر الرب
فأما الولى يسعى لتنفيذ القضا — على نفسه من خشية الله ياصحبى

١٩ — أول ما يرضى الاله

وأول مايرضى الإله اتجاهنا — لننشئ أبناء على الدين والحب
وتثقيفهم بالبيت حيث يلقنوا — بما فيه تعريف عن الله كالغرب

هذه المدرسة التى أحاطها الشيخ بسياج الذكر فارتقت فى مدارج السمو.. — كانت الواحة الخضراء فى فيافى صحراء ممتدة لاتكاد تنتهى فيها إلى أطراف أثقلها العصر بمثقلات العصر :

الإلحاد والجمود والحقد والحسد وظلمات الضمائر والتحلل والانغماس فى الشهوات والشك القاتل والانعزالية الممزقة والسقوط فى شباك الزيف مأخوذين ببريق المدنية الغربية وهوان تعاليم الإسلام وقيمه الروحية فى أعين المسلمين . .

كل هذا واجهته هذه المدرسة فى إيمان لا تزعزعه الأعاصير ،وفى دأب لا يعرف الكلال وفى صدق لا يتطرق إليه الوهن واجهوه ماضين على الطريق . .

هذا التردى الذى وصل إليه المسلمون سببه البعد عن أسباب الدين وعدم التمسك بأهدابه ، فإذا كنا نرزح تحت نير الاستعمار ونقع بين براثن الاستغلال الغربى لا نستطيع أن نرد اعتداء ولا نملك القدرة على أن نغضب لحرياتنا . تستباح الحرمات وتستذل الأوطان وتنهب الأموال والخيرات ونحن فى غفلات الجهل غافلون وعن طريق الحق سادرون .

ويتساءل الناس فيما حولهم : ألسنا بدين الله صرنا أعزة . . ؟

بلى . إن دين الله يعز من يتمسك بدين الله . وإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فعودوا إلى مصدر العزة لتعزوا ،وارجعوا إلى ساحة الإيمان لتنهضوا فقد أسس رسولنا صلوات الله وسلامة عليه امبراطورية واسعة الأرجاء فى خلال ثلاث وعشرين سنة وأتم تأسيسها بزمن وجيز فى زمن الصحابة رضى الله عنهم. أولهم الخلفاء الراشدون ومن بعدهم التابعون رضى الله عنهم . حتى عز الإسلام وانتشر شرقا وغربا فى الوقت الذى فيه بنت اليابان مدنيتها

فتعليمنا الأحداث فى صغر لهم ... كنقش على الأحجار لا يقبل(١) الشطب
وتعليمنا بعد الأوان كأنه ... هو النقش فوق الماء يذهب بالصب
ولابد من تعليمهم لصلاتهم ... وصوم قبيل العشر فى السن يا حبى
لتنشأ فى أحضان دين وحبهم ... لخالقنا الأعلى فلا يقبل الريب
ومن قبل ذا حض ازوجات لنا ... على أن تصلى كى يحب لهم ربى
وتذكيرهن لله والنعمة التى ... بها عمهن الله والحفظ من نكب

وحدها فى خمسين سنة وما زالت تحتاج للتمام بخمسين سنة أخرى ضمتها لما قبلها وللآن بعد المائة سنة تستكمل مدنيتها لتوازى مدنية أمريكا والسوفييت اللتين عززتا بمال اليهود الذين يستعبدون كلا الدولتين بمالهما أما اليابان فإنها تريد أن تعلو بمالها وجهدها لتكون حاكمة نفسها بنفسها . وليس لأحد سلطان عليها كدولة الإسلام الأولى التى قامت على أكتاف رجالها رضى الله عنهم بقيادة سيدنا الرسول عليه السلام .

ونسأل الله تعالى صفاء القلوب والثبات واجتماعها حتى نعيد مجدها . .

(١) مما جاء فى وجوب أمر الأولاد المميزين وكل من يتولى الإنسان رعايته بطاعة الله ورسوله والنهى عن ارتكاب المحرمات وتأديبهم :

* حديث ابن عمر رضى الله عنه المتفق عليه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالرجل راع وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته ، وكلكم راع ومسئول عن رعيته» .

* وروى أبو داود بإسناد حسن عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنهم قال : «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم فى المضاجع» .

* وفى الحديث المتفق عليه عن أبى حفص عمر ، أن ابن أبى سلمة - ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال : «كنت غلاما فى حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت يدى تطيش فى الصفحة (تدور فى نواحيها) فقال

ولا بد من إصلاح فرد وبعده ... يكون لإصلاح الجماعات منصب
وبعد جماعات يكون لمجمع ... كما فعل الهادى وأيده ربى
لنأمر (١) بالمعروف ننهى عن الخنا ... ونذكر حيث الذكر يوصل للقرب

رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياغلام سم الله تعالى ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك . . فما زالت تلك طعمتى بعد . »

ولقد طرح المفكرون هذا السؤال عن كيفية إصلاح المجتمع :

كيف نصلح المجتمع الإنسانى الكبير ؟ قيل : ابدأوا بإصلاح الشعب . .

واستدعت الإجابة سؤالا آخر : وكيف نصلح الشعب ؟ فأجيب أصلحوا العاصمة .

وكيف نصلح العاصمة ؟ قيل : أصلحوا الإقليم .

وكيف نصلح الإقليم ؟ قيل : أصلحوا القرية .

وكيف نصلح القرية ؟ قيل : أصلحوا الأسرة .

وأخيرا قيل وكيف نصلح الأسرة ؟ . وأجيب : أصلح نفسك أولا . .

وبمنطق هذا الترتيب فإن أول لبنة فى إصلاح المجتمع هى : إصلاح الفرد ، ولن نصل إلى إصلاح الفرد إلا إذا أصلحنا النشء وقومناه .

والمدرسة الأصيلة فى أداء هذا الواجب هى البيت . .

— من البيت تبدأ وفى البيت يتم الغرس ، وينمو الزرع ، ويستوى على سوقه ليعجب الزراع فنغيظ بهم الكفار وهذا ما يرضى الإله . .

(١) من الأحاديث التى وردت فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر نختار لك :

* الحديث الذى أورده مسلم بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «مامن نبى بعثه الله فى أمة قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره . ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ، ويفعلون مالا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل .»

٢٠ – تفكروا فى خلق الله

كذا الذكر يدعو أن تفكر دائما(١)   بكون وأسرار له تأخذ اللب

وقد قيل إن الأرض بالكون رملة   بصحرائه سبحان مبدعه ربى

نفكر فى رفع السما دون حامل   وبسط لأرض والتوازن والجذب

وشمس وبدر والنجوم وكوكب   وموجبها من جذبها وكذا السلب

هناك ألوف للمجرات بالفضا   يؤلف إحداها الملايين ياحبى

كذا تتبع الأعداد أعداد حولها   بقانون جذب تم إبرازه ربى

وشحن الفضا بالكهرباء لآية   ومغنطة الأجواء تحفظ للجذب

وسير أثير والأشعة والضيا   بهذا الفضا شئ يحير اللب

وقد دارت الأقمار فى فلك لها   على نسق عال منظمه ربى

وتبخير ماء البحر ثم ارتقاؤه   لصنع سحاب ماطر لحيا الجدب

وتسخير أنواع الرياح لدفعها   بمد وجزر البحر عن قدرة ينبى

---

* وروى الترمذى بسنده عن حذيفة بن اليمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم . »

(١) من الآيات القرآنية التى تحث على التفكر فى عظيم مخلوقات الله وعظمة الخالق وقدرته . قوله تعالى « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض . ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » . (آية ١٩١ – آل عمران)

* وقوله تعالى : « أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا » .

** وقوله تعالى : « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت. وإلى السماء كيف رفعت. وإلى الجبال كيف نصبت. وإلى الأرض كيف سطحت . فذكر إنما أنت مذكر .» (الآيات ١٧ : ٢٠ – الغاشية)

ودورة أرض حول شمس يكن بها   فصول لحفظ الجسم والزرع والحب

ولولا مياه البحر والشمس يافتى   لزالت حياة الناس والزرع ياحبى

ومن دورة للبدر من حول أرضنا   ودورة أرض حول شمس لنا يسبى

ومن دورة للأرض من حول نفسها   يكون النهار الصحو والليل ياحبى

وإن باعدت أرض لشمس شتاؤنا   وإن قاربت تلقى لصيف على قرب

وإن هى بين البين كان وقوعها   شهدنا ربيعا والخريف لنا يجبى

وفى باطن الأرض الكنوز غزيرة   لمكتشف يرجو المنافع للشعب

وجدنا حديدا ثم بترول مثلما   وجدنا عديدا للمعادن ياحبى

كذاك ومن آيات قدرة ربنا   جبال لها صفو المعادن بالقلب

وأيضا هى الأوتاد للأرض يافتى   لكيلا تميل الأرض ميلا على جنب

كذا ومحيطات أحاطت بأرضنا   لتمخر فيها السفن بالشرق والغرب

لتسهيل جلب الواردات وصادر   لنفع عباد الله للرزق والكسب

وفيها لنا لحم طرى لغذائنا   ولؤلؤ والمرجان حلية ياحب

ومن قدرة خلق البحار لأنها   تتم فعلا للمحيطات ياصب

ومن قدرة خلق لأنهار فعلها   لسحب مياه بالبحيرات تنصب

كذا سحب ماء الغيث بعد نزوله   بفعل احتكاك للجبال بذى السحب

هنا الفيضان الصعب يظهر بالقرى   وبعد قليل للبحار سينصب

هنا قدر المولى لنا السد حاجزا   لماء إذا مازاد للبحر ينصب

هنا نعمة كبرى بإحياء جدبنا   ووفرة رزق ساقه الله بالكسب

ومن قدرة البارى انبساط لأرضنا   فأرض لها خصب وأرض لهاجدب

وبالخصب قمح والشعير وأذرة   وفاكهة والخضر والزهر عن كثب

وقطن لتصدير وكتان مثلـه ... لصنع لباس يحفظ الجسم من عطب
وعند اختلاف اللون والطعم آية ... وكل تغذيهـا المياه كذا الـترب
كذلك ومن آيات قـدرة ربنـا ... وجود لأنعـام بها ينعم الشعب
لتحمـل أثقالا وتعطى لنـا غـذا ... بلحم وألبان ومن صوفها الثوب
ومن قدرة المولى الحيـاة وموتنـا ... ونوم وإيقـاظ وحفظ لنا يسبى
كذا صحة والسقم والفقر والغنى ... ورفع ضعيف وانخفاض لذى عجب
ومن قدرة المولى العطـاء لرزقنا ... كذا ونجاة حين يدركنـا نكب
ومن قـدرة إعطاء روح غذاؤها ... بعلم وحلم والتقى مظهر الحب
وإعطاؤهـا الإيمان والنور والهدى ... وإن حارب الشيطان أيدها ربى
فـكن شاكرا ياعبد لله ذاكـرا ... محبـا وصبا هائم اللب والقلب
وكن ذاكرا لله حبـا ورغبـة ... عبودية تفضى لتمجيـدك الرب
وذلك فضل الله يعطيه من يشـا ... لإسعاده فـادأب يساعدك الرب
وأول خـلق الله نور محمـد ... ومن نوره الأشيـاء فاطرها ربى
وأول خـلق من ضيـاء حبيبه ... هو العقل حيث العقل يدعو إلى القرب

٢١ ـ التفكر فى النفس

كذا الذكر يدعو للتفـكر يافتى ... بنفس بها آيات قـدرته تنـبى
وأولهـا تقويم جسم وهيئـة ... وحسن قـوام واعتدال بلا عيب
ورأس بأعلى الجسم تعطى لهيبة ... ووجه له حسن البهـا زانه ربى
ورأسك بيت للوزارة طائـع ... لخـبير مليك عالم وهـو القلب
لأن بهـا المخ الـذى هو حاكم ... لـكل جهازات بجسم بـلا ريب
يؤازره المخيخ فى أحـكامـه ... كـذا ونخاع يحمل الأمر ياحبى
توصلها الأعصاب للعضو مثلمـا ... يكون لبرق خاطف وكذا الشهب
إشارات تحـذير ، إشارات وقفة ... إشارات سير يمنع الشر ياصحـبى
وهـذى إشـارات لحس ونفسنا ... لتعرف كنه الشئ يدركـه القلب
وأما إشـارات لحس فخمسـة ... بها نعرف الأشياء قطعا بلا ريب

فعين لإبصـار وأذن لمسمـع ... وألسنة للذوق للشئ عن كثب
وأنف لشم واليـدان للمـس ... وما بعد ذا عنـد الجهازات ينصب
لمعـدتنا من بعدهـا أمعاؤنـا ... وأكبادنا ثم المـرارة ياحب
لقلب بأوردة لشـريان بعـده ... لعرق لدفع الـدم والجلب فى دأب
كـذاك وللـرئتين قصـد تنفس ... وعند جهـاز البول للماء ينصب
كذاك لقولون ليـدفع مـا به ... إلى خـارج والقفل بالشرج المنبى
كذاك إشـارات إلى أطرافنـا ... لتحريكها فورا لشرق كذا غرب
كـذاك إشارات لـروح ونفسنا ... لبسط وقبض واتزان أو الشغب
وفرح وأشجان وضحك كذا البكا ... كذا غضب ثم الرضاء أو الحرب
كذا الحب والبغض البغيض وإننا ... نقوم بفهم للحقائق والصعب
وفهم اعتقادات تعقـد فهمهـا ... ولـكننا بالشرع نفهم عن ربى
وما نحن فى فوضى تعاليم غـيرنا ... وفلسفة الأديان والمال والحـرب
وداخل جسم المرء نذكر بعضهـا ... إرادة الاستبصار والشكر للرب
وأولهـا العينـان أول نعمـة ... وأذنان تزجى السمع يدركه القلب
وأنـف لتنقية الهـوا بتنفس ... وشم لطيب الشئ والصد عن قرب
كذاك فم فيه اللسـان لنطقنـا ... يترجم عما خالج النفس والقلب
كـذا الشفتان البـاب للفم فعلها ... تنظم للألفـاظ فى النطق ياحب
وفى نعمة الأسنان والمضـغ رحمة ... وصب لعاب سهل المزج والسكب
وفى عنق الإنسان بابان واحـد ... لمعـدتنا حيث الطعـام له صب
وثان لتوصيـل الهـوا لرئاتنـا ... لسحب شهيق والزفـير على دأب
وعند قنـاة صب كل غـذائنـا ... لمعدتنا حيث العصـارات تنصب
ولـولا الغذا ماكان فينـا حرارة ... وعنـد برود الجسم قد يقف القلب
ولـولا بخـار صـاعد لرءوسنا ... لمـا كان أحيـاء يشـاء لها ربى

وعند انقطاع للبخار مماتنا … لفقد وقود والحرارة ياحبى
لنا كبد يعطى الدما لمرارة … وعند الكلى تصفو العصارة من شوب
ويحملها للقلب شريان رفعها … وبالقلب آلات لها الدفع والجلب
بأوردة تعطى الشرايين قدرها … وعرق من الشريان يأخذ ياحب
وعند طحال المرء خزن دمائه … وصنع كرات نافعات على دأب
وبالجسم أعصاب دقيق خيوطها … وتوجد بالجسمان كالنسج فى الثوب
وأخرى لها ربط لأجزاء جسمنا … لتسهيل تحريك الذى ربط العصب
وأعظمنا تبنى لهيكل جسمنا … وداخلها صفو النخاع وبالصلب
ومن دمنا إنبات لحم جسومنا … بصفو خلاصات المآكل والشرب
وبالجسم أنواع المعامل كلها … وأفعال كيمياء تحير اللب
معامل تجهيز العصائر يافتى … وتجهيز أصل الدم من حكمة الرب
لفرز حموضات ومر وسكر … وضبط حرارات وبرد فلا عطب
وصنع الكرات الحمر والبيض بالدما … وإسكانها والجرى بالعرق والقلب
وصنع مبيدات الجراثيم كلها … لنلقى مناعات فلا وهن أو كرب
بوزن له قدر وحسن تناسب … وما زاد يلقى بالمسالك منصب
وفى أسفل البطن الجهاز لبولنا … ودفع منى بعد طبخ له صب
وآخر البطن المراحيض تحتوى … على فضلات الأكل فاخجل ولا تنبى
لماذا يكون الكبر والعجب ناسيا … لحملك مرحاضا فكن لين الجنب
وغطى إلهى الجسم بالجلد يافتى … وفيه العيون الكثر تخرج للشوب
لإفراز ماء حامل أملاحنا … كذاك ولين الجلد بالدهن فى الصب
ولولا وجود للأظافر عندنا … لما أمسكت منا الأصابع للصعب
وما شعرة إلا لها قصرية … بها مايغذيها كما الزهر والعشب
وإلا هو الشوك المدبب طرفه … يغطى لجسم كالقنافذ ياحب

وعلى الرغم منا أى بغير إرادة … تسير جهازات لجسمك عن كثب
فى حالة النوم العميق بفرشنا … ترى القلب شغالا ودورته تنبى
كذا السحب للرئتين سار بدقة … وأمعاؤنا والكبد والدم ياحب
يسيرها البارى المريد بأمره … بدون وسيط فافهم اللب للب

اسبحوا بأفكاركم فى ملكوت الله . فى كل خطوة من خطوات الفكر ، وفى كل خطوة من خطوات العقل لمحة من لمحات الإيمان ودفعة من نور إلهى علأ القلب ضياء ويعمره باليقين .

والكون مترابط فى وحدة متكاملة كل ذرة فيه تمسك بأختها لتسبح بحمد الله العلى القدير وتدين بعظمة الخالق العظيم . .

النجوم لتلفت أن كل كشف تتمخض عنه بحوث العلماء يؤكد حقيقة الإيمان بالله الموجد قيوم السموات والأرض . .

اسبحوا بأفكاركم فى ملكوت الله . فى أنفسكم فكروا . فى عظمة الصانع وفيما حولكم فكروا فى عظمة الموجد . (وفى أنفسكم أفلا تبصرون) .

عندما تنشق الأرض عن نباتها . . فكر فيمن أنبت (أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون) . وعندما تحلق الطيور فى أجوائها . . فكر فيمن أقدر ، (مايمسكهن إلا الرحمن) .

عندما تتهاوى السحب إلى الأرض الجرز . . فكر . .

وعندما تشق الأنهار طريقها لتعمير البلاد . . فكر . .

وعندما تتشابك النجوم لتريك أقل القليل منها . فكر فيما وراء ذلك من عالم وسيع فسيح . وعندما تمسك الشمس بمجموعتها الكوكبية فى نظام لا يختل . فكر فى رحمن الأرض رحيم السموات .

وكل ماتدرك من حقائق وكل ماتصل إليه من فكر فهو دون ملكوت الله ، هو دون قدرة الله ، وهو دون علم الله ، وأنت أيها الانسان بكل ماتعلم

٢٢ ـ فلا تتعاظم بل تواضع لخالق

فلا تتعاظم بل تواضع لخالق … ودع تدبير الأمور إلى الرب
وإن أساس المهلكات لجسمنا … هو الأكل والإسراف فيه كذا الشرب
وإن الدوا عند التوسط دائما … وقلة أدهان كما ينصح الطب
كذاك انفعالات النفوس مسبب … لعدة أمراض لها يهلع اللب
كشل لأطراف وضغط وجلطة … وأمراض أعصاب كذا مرض القلب
وتصليب شريان وضعف دمائنا … وضعف جهاز الهضم والسكر الصعب
وإن دواء الإنفعالات كلها … رضاك ونسيان لماض مضى نكبي
كذلك واستقبال دهرك باسما … وذكرك للرحمن قد طمأن القلب
وقد كنت قبلا نطفة منوية … بصلب أب قوت ومخرجها ربي
تلاقت بماء الأم صار امتزاجها … وتم بذا التلقيح بذرك كالحب
وأينعت فى ظلمات حرزك محجبا … عن الضير محفوظا ويكلؤكم ربي
فمن نطفة قد صرت بعد كدودة … كذا مضغة والعظم أنبته ربي
يغذيك مولانا بفضل مشيمة … أى الحبل يعطى سرة حيث لاثقب
وألبسك المنان روحا عزيزة … فأصبحت حيا خالى الجسم من عيب
وأنزلك الرحمن طفلا مباركا … تلقاك محبوبان أمك والأب

لن تصل إلى ذرة من علوم الملائكة الذين خاطبهم رب العزة بقوله : (أنى أعلم مالا تعلمون) . .

فإن وصلت إلى هذه المرتبة من العبادة . . وحلقت بفكرك هذا التحليق العلوى فإنك لاشك ستصل إلى مرتبة معرفة النفس . .

ستضع نفسك فى موضعها الصحيح من هذا الملكوت . . وستعرف لها قدرها وأنت . . من أنت . . ؟ تواضع . . تواضع . . تواضع لخالقك . .

تواضع لخلق الله فى ذلك الرضا . . وفى ذلك هدوء النفس ، واطمئنان القلب . وراحة البال والتسليم لقضاء الله .

ويانعمها من حياة . .

٢٣ ـ قاموا بإفساد العقول (*)

لماذا بدا هذا فكن متبصرا … ودع لدعايات يبث لها الغرب
ويرجو بها نسياننا لبديعنا … ودين كسد مانع رادع صعب
ليمتلكوا للكون من غير حائل … كدين وجنس واللغات وما يكبي
وقاموا بإفساد العقول بخلقهم … مبادىء تخفى الله والرسل والكتب
وقد حاربوها كلهم قدر طوقهم … يساعدهم تحليل ما حرم الرب
وقد جذب الشبان سوء تحلل … وحرية والعرى والعبث المكبي
وكاتبهم يهذى بقول يمجه … سليم طباع . أصله الشك والريب
يقول بأن الكون هذا صدفة … عرفناه لا أصلا له بل ولا رب
وقال بأن الدهر يحيى لنا كذا … يميت وحظ المرء صدفة ياحب
أيوجد مصنوع بلا صانع له ؟ … إذن واجب هدم المصانع ياصحب !
وننتظر الأفعال للدهر صدفة … ليعمل ما نبغيه وهبا بلا كسب
وقال نزلت الأرض لا بإرادتى … أكنت ترى استئذان ربك ياذئب
وهل كنت موجودا ليأخذ إذنه … وكيف لمعدوم يشاوره ربي
لماذا خلقنا ؟ والجواب صريحه … بقرآننا كى تعرف الله ياحبي
لماذا يكن عرفاننا لإلهنا … لنعبده مثل الملائكة الشهب
لماذا عبدنا للغنى عن عباده … ليسكننا الجنات كى نرى الرب
لماذا اعتنى فينا لمن يعبدونه … لطاعتهم راجين للقرب بالحب
لماذا يعذبنا وهذا قضاؤه ؟ … لروح لنا قد بثها تعرف الرب
وأيدها بالعقل والفعل مثلها … لقد شاهد المولى وأشهده ربي

---

* إن خطر الاستعمار الغربى على الفكر كان أشد وطأة على العالم الإسلامى من الاستعمار العسكرى والاستعمار الاقتصادى . وقد أدرك الذين رسموا الطريق لهذه القوى المستغلة أن الدعامة التى يستندون إليها فى بقائهم واستمرار استنزافهم لخيرات بلادنا هو توسيع الهوة بيننا والتشكيك فى كل مقدس عندنا . .

(المربى)

وكلفنا بالشرع حرزاً لديننا   وحرزاً لدنيانا به الخير ينصب
فماذا يكون الاحتجاج بما قضى   وهل ما قضاه قد علمت له تنبى
أتحتج بالأمر الذى قد جهلته   أما لك عقل عاقل يمنع العتب
لماذا نرى إيلام طفل وغيره   ألست ترى دفع المحارب بالحرب
فيدفع ربى بالقليل عناءه   عظيم بلاء ذا هو اللطف ياحبى
ترى هذه الأقوال فى قصص لهم   لبلبلة الأفكار والبعث للريب
كما يقصد الكتاب ملء جيوبهم   وشهرة أسماء ولو حبذوا العيب
وأسأل مولانا العظيم وقاءكم   ومن إبفضل والهداية ياصحبى

٢٤ — الروح من أمر ربى

وأرجع فيما كنت فيه مقررا   بأن سبوح الروح قرره ربى
لتعلم آيات لقدرة ربنا   بكون وجسم ثم روحك ياحبى

ومن هنا جدت المدارس الاستعمارية فى بذر الشكوك فى عقول الشباب والتقطت من حولها بعض ضعاف الإيمان . ومن هم على قدر كبير من الضحالة الذين استهوتهم أضواء المدنية المزيفة . والتفت من حولهم ببغاوات تردد مايقال دون أن تدرك أبعاد مايقال، وبث السموم كل مايقرأ ويسمع ويدرس ، ورسمت سياسة التعليم لحرمان الأجيال من أبناء الأمة الاسلامية من دراسة دينهم الحنيف . .

وبات الشعب الإسلامى وأصبح ليتخبط فى دياجير الشك والحرمان من القيم الروحية وعناصر النهوض .

ولولا أن تداركنا الله بلطفه فى كل حين بمن يذكرنا وينفض عنا غبار النسيان ويرسم لنا معالم الطريق . . لكانت النهاية . .
نعوذ بالله من الضلال والمضلين . .

لذا قد ذكرنا الكون والجسم بعده   ولم يبق إلا ذكر روحك ياصب
ولو أن ذكر الروح ليس لبحثها   وكيف يكون الفهم للغيب عن كثب
لأن ثلاثاً ليس ندرك كنههم   إذا ذكروا فامسك عن القول فى الغيب
هى الذات للرحمن والبحث فى القضا   وبحثك عن روح فكن سالم القلب
هنا الروح من أمر الإله فإن تكن   تفكر فيها لست تدرك ياحب
ففكر بآثار لها متيقناً   وجوداً لها لكن لها صفة الحجب
كشأن الملائكة الشداد وحجبهم   وشأن لجن الأرض حاجبها ربى
وعندى أشياء كثير عديدها   لها أثر يسرى بما ينفع الشعب
ولسنا نرى عيناً لها بعيوننا   فكن مؤمناً حقاً ولاتطلب الصعب
كآثار مغناطيس جذب وكهربا   وفعل أثير ناقل الصوت للرحب
كذلك ورادار وتلفزة بها   نرى صور الأشياء بالبعد عن قرب
فما الروح إلا نفحة قدسية   لطيفة شفت أمرها يعلم الرب
وآثارها أيضاً عزيز وقوفنا   على كنهها إلا إذا فقه القلب
كقلب سليم يدرك الحق دائماً   وأما مريض القلب أعمى بلاريب
فآثارها دلت على رؤية لها   لبارئنا يوم الشهادة والقرب
بيوم «ألست» (١) الوصل كان مشاهاها   تجلى لموسى والكلام الجلى المسبى

---

(١) بيوم « ألست » — الاشارة بذلك إلى الآية الكريمة :

(وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إناكنا عن هذا غافلين. أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون . وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون) . « الآيات ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ — الأعراف »

فالله سبحانه وتعالى يخبر أنه استخرج ذرية بنى آدم من أصلابهم ، شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم وأنه لا إله إلا هو وأنه تعالى فطرهم على ذلك وجعلهم .

لذلك تـراها دائمـاً فى سبوحها   لدائم ذكراها لذا ذكرت ربى
تحن حنين الطير للوكر ذاكـرا   فتبكى بتغريد يفتت للقلـب
تهيجها الذكرى ويوحشهـا النوى   لعز مضى كالحلم فى جنة القرب
وتطلب سـكناها الجنـان لأنها   بها كان سكناها وتذكر للقرب
يفيض سناها من ثناها لربنـا   وتذكره دوما ومنهلها العـذب

جاء فى صحيح مسلم بسنده عن النبى صلى الله عليه وسلم : «يقول الله إنى خلقت عبادى حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ماأحللت لهم » .

وقد وردت أحاديث فى أخذ الذرية من صلب آدم عليه السلام وتميزهم إلى أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ، وفى بعضها الاستشهاد عليهم بأن الله ربهم .

روى الإمام أحمد بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم : « يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة : أرأيت لو كان لك ماعلى الأرض من شىء أكنت مفتديا به . . ؟ قال فيقول : نعم — فيقول : قد أردت منك أهون من ذلك ، قد أخذت عليك فى ظهر آدم ألا تشرك بى شيئا فأبيت إلا أن تشرك بى » .

روى الإمام أحمد أيضا عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يوم عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرها بين يديه ثم كلمهم قبلا قال : (ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ... الآية)

يقول هؤلاء الذين أطغتهم المادة وأخذت على أسماعهم وأبصارهم فلا يدركون إلا مايصلك تلك الأسماع وتخترق الأبصار . . يقولون : أين الروح .؟ نحن فى عالم ذللت فيه آلات العلم كل صعب واكتشفت كل خفى . . هاتوا هذه الآلات وابحثوا معنا عن الروح . .

عمى طمس على قلوبهم فهم لايفقهون . .

٢٥ ـ تقديس واشتياق

تقدس تقديس الملائـكة العـلا   وتشتاق للرحمن خالقهـا ربى
تردد أسمـاء وتهفـو لقربـه   وترهب ذاتاً والدموع لها سكب
وإيمـانها بالله فى ثقـة بـه   يعزز للصبر الجميل على الكرب
لها ذكر مولانا غـذاء وشـكره   شراب ويحييها التشوق والحب
تهيم بمولاها مولهـة بـه   لها الذل حال حيث أدبها ربى
لها مثل عليا وأخـلاق ديننـا   وحسبك بالقرآن من صادق ينبى
فإن لأسمـاء الإلـه دلالـة   يبينهـا المعـنى وإشراقها يسبى
فأسماؤه دلت عـلى أوصـافه   وأفعـاله دلت عليه بلا ريب
كاسم رحيم ، ارحم الناس يافتى   واسم كريم ، كن كريماً على الرحب
واسم عفو ، كن عفواً مسامحـا   واسم رءوف ، كن رءوفاً أخاحدب
كذا كل إسم فيه أمـــر كـذا   عن الضد فافهم لب مايقصد الرب
كاسم كبير ، لا تكن متكبرا   وإسم عظيم ، لا تكن قاسى القلب

أيها الانسان : وأنت تسير فى الطريق وترى أسلاك الـكهرباء التى صنعها الإنسان الضعيف تجرى بها التيار الكهربى الضعيف بقوى متفاوتة إذا لمست كائنا حيا صعقته . . وإذا اتصلت بجماد أحرقته . ضعوا بجوار هذه الأسلاك مثيلا لها منقطعا من التيار هل يستطيع إنسان أن يميز أحدهما عن الآخر . . ؟ هل يرى إنسان ذلك التيار وهو يتدفق عبر الأسلاك تدفق الشلال الهادر ؟ .

أنت لاتراه وأنت لا تستطيع أن تنكر وجوده . وكذلك تكون المغناطيسية والجاذبية والأثير . آلاف الآثار الدالة على قدرة الله تمر أمام ناظريك وتتحسسها فى نفسك وفى العالم من حولك . .

وفى كل شىء له آيـة   تدل على أنه الواحـد

٢٦ — عودة إلى الحديث عن الروح

هنا قد علمت الروح من أمر ربنا ... محـــل علوم بعد فهم لها يسبي
بها ندرك الأشيا وكل منـــاظر ... وصفو علوم والتعرف عن ربي
لماذا نقول الروح لغــز مركب ... فأين أو من أى الجواهر ياصحبي
وهل هى فينا أم بخـــارج جسمنا ... وهل هى عقل المرء والنفس والقلب
وهل هى عند القلب يبدو وجودها ... أو المخ حيث المخ أعمـــاله تسبي
وهل هى كالماء الذى فى عـــودنا ... من الشجر المزروع بالخصب والجدب
وهل هى هذا الدم يجرى بجسمنا ... وهل فى بخار واصل الرأس ياصحبي
وهل هى عقل المـــرء أم هى نفسه ... أم النور فى جسم على صورة الصب
وقالوا إذا كانت هى العقل للفتى ... فلهمة بالخير والسير للـــرب
وإن كانت النفس التى بين جنبنا ... فطالبة للشر دائمـــة النكب
وذلك سعى حـــول معرفة لهـــا ... كما اجتهدوا والحق يعلمه ربي
وظاهر فعل الروح والنفس يافتى ... سأذكره حتى أسهـــل للصعب

— ومع هذا نرى هذا التبجح من بعض الملحدين الـــكافرين أنكروا وجود الخالق وأنكروا وجود الملائكة وأنكروا عالم الجن . . وإن ربك لبالمرصاد . .

إن هؤلاء الذين لا يدركون إلا بلسع النار ولا يؤمنون إلا بقرع العصا ولا يتذوقون إلا بحلو الطعام ومره . . هؤلاء لا نستطيع أن نحدثهم عن نعيم الروح ولا عن حلاوة الشوق ، ولا عن لذة القرب إذا خفق القلب ولهج اللسان وانهمرت الدموع وذاب الـــكون كله فى حلاوة الكلمة ولذة الذكر ، حتى تضاءلت القوى فى ظل قوته وذلت الجبابرة أمام عزته وسلطانه وهانت الشدائد ، وذابت الكروب ، وعذب الصبر ، وتمثل القرب على البعد .

إذا كان ذلك . .

فماذا علينا من جحد جاحد وسفسطة جاهل . . دعونا نمضى على الطريق . لنرى ببصائر الروح مالا يراه الغاوون .

نشأنا عـــلى خـــير بروح عزيزة ... وقابلها شر لنفس عـــلى الجنب
وساعد روح المـــرء قلب وعقله ... كذا ساعد الشيطان للنفس فى الحرب
وصارت قوى نفس تحارب روحنا ... وفى القلب ميدان لسرب لدى سرب
فإن كان روح المـــرء يغلب نفسه ... فذو رحمة كبرى وواهبها ربي
وإن كان شيطان ونفس غالبـــا ... فيا خيبة المسعى لعصياننا المكبي
هنا تظهر الآفـــات يظهر سمهـــا ... بلدغ يميت القلب أو يرحم الرب
وآفاتنا نفس وإبليس والهـــوى ... ودنيا وآمـــال وتأجيلنا التوب
وجهل وأطماع وظـــلم وخوفنا ... من الفقر فى سوء لظننا بالـــرب
وغفلتنا والكبر والعجب والغوا ... وفخر وحب النفس يجمع للعيب
وشر مجـــون والخـــلاعة والخنا ... وطيش شباب فى فراغ من القلب
وحب رياســـات وجـــاه ومنصب ... وجلب خصومات وحقد له غب
وقسوة قلب والغـــرور وفرحنا ... بنكب عدو والشماتة فى النـــكب

وماذا يرى الغاوون ؟ إنهم لا يرون ماتحت أقدامهم . ودفعهم غرورهم إلى البحث عن الروح وطرحوا مئات الأسئلة وأجابوا بمئات الافتراضات وما وصلوا إلى شئ ولن يصلوا إلى شئ .

« قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » . ولـــكن الأمر المحقق الذى لاشك فيه أن سمو الروح مرتبط بكل خير وهو أساس لـــكل خـــير .

فإن ماتت واستحوذ عليها الشيطان وتناهبتها الأهواء فيالخيبة المسعى ويالسوء المنقلب . فهناك الطمع الذى لا يعرف الرضا ، والجوع الذى لايعرف الشبع ، والقسوة التى لاتطرقها رحمة ، والعمى الذى لايتخلله بصيص من نور ، والأنانية التى لاتبصر للناس من حولها وجودا ، والحسد الذى يأكل القلب ، وشهوة الحكم والتسلط ، وبغض وتدابر وتفكك وانحـــلال وزيف وضلال . نعوذ بالله من عالم بلا روح ...

وفخر بمــال أو بجــاه وسلطة   وسكنى وزهو بالمطاعم والشرب
ويبدو التدابر والتباغض بعــده   تشاحننا يفضى إلى حالة الحــرب
ونهض للعدوان بعد ترخــص   بقول له زيف ويعلمـــه ربى
لسلب حقوق قدس الله حفظهــا   وفرح بنصر عند سلب بلا حرب
وأن نأخذ الأموال نهباً ورشوة   بشكل هدايا تربط القلب بالقلب
وما بعد ذا إلا افتراق وضيعــة   لهيبة دين والطريق له نــكب
وعز الدوا والسير قطعاً قـد التوى   وعز اهتداء الركب للرب ياحبى
وعز على الداعى الوصول لصوته   لبعد الذى يدعو بأن هنا الدرب

٢٧ — يا ألله علمك واسع

هنا قلت يا ألله علمــك واســع   فهب لى علما يصلح النفس والشعب
هنا قــد بدا لى وقفــة روحية   وقلت لروحى ماهو العلم عن ربى
فدلت على القرآن(١) حيث هو الهدى   وفعل رسول الله حيث هو الحب

(١) القرآن الــكريم : هو مائدة الله الممدودة لــكل مسلم يجد فيها حاجته لإصلاح دينه ودنياه ، والأحاديث الدالة على فضل القرآن وذكره وتعهده كثيرة نختار لك منها :

* حديث أبى أمامة رضى الله عنه عن مسلم قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به فى الدنيا تقدمه سورتا البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما . »

* وحديث عثمان بن عفان رضى الله عنه الذى رواه البخارى : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : خيركم من تعلم القرآن وعلمه ».

* وعن أبى الدرداء والترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها » . .

وأخلاقه (١) القرآن فانهج لنهجه   بحسن التأسى والزم الذكر والحب
فقلت أنا الأمى لاعهــد لى بمــا   أفتش عنه دون كسب ولاوهب

* الحديث الذى رواه الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنه وقال حديث حسن صحيح : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «إن الذى ليس فى جوفه شئ من القرآن كالبيت الخرب» .

(١) عن سعد بن هشام قال : «دخلت على عائشة رضى الله عنها ، فسألتها عن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : أما تقرأ القرآن ؟ فقلت بلى ، قالت : كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن » .

وإذا كان الحديث عن الروح قد طاف بنا هذا الطائف البعيد ، فهل هناك من جواب عن الطريق ؟

والجواب : كتاب الله الذى لن تضلوا بعده أبدا وسنة رسول الله .

بحسن التأسى ولزوم الذكر والحب . .

— وإن كان الجواب هينا سهلا على الألسنة إلا أنه قد عصف بقلب الشيخ رضى الله عنه فى عنف لاهوادة فيه . . كيف الوصول إلى هذه الغاية وهناك البحر المتلاطم من العلوم والفنون لــكى نصل إلى الكشف عن معانى القرآن وأساليب القرآن وأخبار الرسول الكريم والتعرف على سنته المطهرة . . ؟

وبفضل هذا الجهاد الطويل العنيد والرياضة التى واصلها الشيخ حتى وصل واتصل ، وذللت أمامه العقبات ولانت أمامه الصعاب وانتهى إلى الطريق :

— ذكر الله .. حب الله ورسوله .. وآله وأصحابه والتابعين وأولياء الله الصالحين . . ووجد فى القرآن العقيدة والأحــكام وصلاح الدنيا والدين . . ووجد فى الرسول الــكريم خير قدوة . .

فقلت لنفسى تابعى قدر طاقة . . .

٢٨ ـ رجعت إلى المولى

رجعت إلى المولى حقيراً كعادتى   ذليلاوراجىالعفوعن ذلك الذنب
وقلت وما لى والعلوم وشأنها   ويكفيك ذكر الله والحب للرب
ويكفيك حب للنبى وآله   وأصحابه والتابعين الأولى النجب
وحب جميع الأوليا لقيامهم   بدعوة خلق الله لله ياحب
لأنى هنا هان الممات ولا أكن   بغير العلوم الكثر أفهم عن ربى
كعلم لتفسير وعلم لسنة   وعلم لنحو والبلاغة ياصحب
ولما أفاض الله بالوهب والعطا   على قدرة دون انتظار لذا الوهب
وكنت كموسى إذ رأى أنواره   على قدر والعين منى هو القلب
لأنى والله القدير محبه   ولا غاية غير الممات على الحب
وإنى لوجه الله لله ذاكر   رجاء الرضا والغير ماخالط القلب
هنا يسر المولى الكريم لفعل ما   أردت من البحث الموصل للرب
تتبعت القرآن وحى إلهنا   وحليت نفسى بالنفائس عن قرب
وجدت به أحكامنا واعتقادنا   وأخلاقنا والسير لله والحب
وإصلاح دنيانا ، ودينا ، ووجهة   بإيمان قلب لا يخالطه الريب
ويضرب للأمثال قصد اعتبارنا   وبالقصص الغالى تنير لذى قلب
وفيه التأسى بالرسول لمن رجا   إلهى ويوماً آخر يذهل القلب
ولما أردت الاقتداء بسيدى   حبيبى إرسول الله تاه هنا لبى
فكيف التأسى بالذى كان قلبه   مع الله فى أمن وفى حالة الحرب
وكيف التأسى بالذى كان غيبه   حضوراً بكشف الغيب حقا بلاريب
وكيف التأسى بالذى شهد السما   وشاهد للمولى يقيناً على قرب
وقد شهد الجنات والنار واعتلا   وبارحه جبريل والقلب فى وجب
ولولا الندا « أقبل » لما كان مقبلا   لشدة ما لاقى من الخوف والرعب
ينازعه حب وشوق وهيبة   فما زال فى جذب بجاذبه سلب

هنا وقفة لم يسمح الدهر قبلها   ولابعدها إلا إله فافتح القلب
هنا انفصلت أوصال جسمى مخافة   فمن لى بأخلاق الذى شاهد الرب
وقلت لنفسى تابعى قدر طاقة   فقد مثل الماء النجوم بلا ريب
وقد مثل الكرت الصغير لصورة   بها رسم شمس والكواكب فى ركب

٢٩ ـ ملامح الوصول إلى باب الرسول

تتبعت آثار الرسول منقبا   وكان التأسى بالحبيب هو الكسب
تمثلت أيام الرسول ودعوة   بها خفق الأعلام بالشرق والغرب
فحصت لأخلاق الرسول محمد   وجدت سمواً لايكيفه منبى
وذلك لا عن فحص كتب كعالم   تعلم عن راو لما خطه كتب
ولكن بفضل الله كانت معارفى   لعلم لدنى بكشف من الوهب
وأيدنى فيما زعمت أئمة   لعصرى وصاروا بعد جفوتهم جنبى
وذلك لما ناظرونى وحققوا   لما سمعوا عنى وخالطهم حبى
وقد سلكوا عنى الطريق لنفعهم   فيانعمهم داعون يانعمهم صحبى
وقد زادهم ربى كمالا ورفعة   بذكر به فاضت علوم من الغيب
يذاكرنى فى المعضلات كبارهم   هنا يفتح الفتاح والفتح ينصب
وأرجع للذكرى شغوفاً بحبه   وحب تعاليم له تأخذ القلب
وجدت رسول الله ساق قلوبنا   لنحو إلهى رافعاً راية الحب
حريصاً على هدى العباد لرحمة   تجلت بقلب راحم فاض بالحب
يخاف عليهم من مصير ووقفة   بيوم حساب حيث يندلع اللهب
بيوم ترى فيه الملوك أذلة   بلاحول ولاطول ولامال ولاصحب
فقد ذهب السلطان والهيبة التى   بها كان يزهو حيث يستدرج الرب
رفيقاً شفيقاً راحماً متواضعاً   محباً لجميع الناس جمعاً بلا حرب

ويوصى بتوب بعد أوب وحسرة ويوصى بالاستغفار كي يغسل الحوب
ويوصى بأن نستشعر العفو دائماً فرحمة رب العرش أقوى من الذنب
فإن إلهى محسن متجاور غفور عفو ، حانيا ، يقبل التوب
وربى للقاصى طبيب ، مواسياً ، وربى للدانى يدانيه بالقرب
ويفرح ربى عند عودة مذنب كما يفرح العاصى بمغفرة الرب
ويوصى ببر الوالدين ورحمة كذا أيما تؤوى اليتيم أخا النكب
ويوصى بأرحام وقربى وجارنا كما كان يوصى بالفقير أخا الكرب
أبر الورى بالبائسين ملاذهم وأقواهمو عطفاً على فاقد الكسب
يسير لحاجات الضعيف ملازما تفقده فى رحمة تجبر القلب
يعاون للعانى ويرفع ثقله ويحمل دين المرهقين ولاينبى
بغير امتنان ينفق المال باذلا لمعروفه المعروف بالفرض والندب
ويوصى بلين والسهولة دائماً كذا والتروى عند نازلة الكرب
ويوصى بحب ، موصلاً ، لتعاون على ألفة فى عطف قلب على قلب
ويوصى بتقوى الله ثم عبادة على حسن أخلاق ليقبلها ربى
ويوصى بإيمان يباشر قلبنا كذا ثقة بالله من يعلم الغيب
وما طاعة إلا طريق لربنا لحسن التقاء حيث يقبلنا ربى
ويوصى بحسن الظن فى الله دائماً فإن جميل الظن يدفع للكرب
فإن بحسن الظن تنشا علاقة بربى فيعطى للرجاء وللحب
وتنفتح الآمال فى حالة الرضا فكم داعياً لبى وأنقذ من كرب
ويوصى بذكر الله عند تيقظ لمعنى سما لاسم وإحضارنا القلب
بوفرة أعداد تعد لذاكر بحضرة قدس يا لها منهل عذب
ويوصى بفكر فى جميل صنائع له وهى الآيات منظرها يسبى
ويوصى بشكر الله فى كل نعمة فما نعمة إلا وسائقها ربى

ويوصى بتفويض الأمور لخالق له حكمة كبرى تجل عن اللب
ويوصى بصبر المرء عند نوائب ليلطف مولانا وينكشف الصعب
ويوصى بإصلاح لدين وعصمة وإصلاح دنيانا وتطييبنا الكسب
ويوصى بأنواع الفضائل جملة وترك رذيلات تسبب للذنب
ويوصى بأنواع الوفاء جميعها وصدق إخاء للصديق بلاريب
ويوصى بتدقيق التحرى برزقنا ليبقى حلالا سائغاً خالى الشوب
ويوصى بإخبات وحسن تبتل كذا والدعا إن الدعا يهطل السيب
وأن نرع حد الله فى كل حالة ونرعى حماه والمهابة للرب
ويوصى بأن نسمو عن الغى والغوى وسفساف أمر ، والتعالى عن الذنب
يقيل لذلات وينسى لعثرة صبور حليم لا يعجل بالعتب
ويوصى بكظم الغيظ عند تشاحن وصفح جميل عن مسىء وعن عيب
ويوصى بعدل واجتناب مظالم وما ظالم إلا سيأخذه ربى
فقول لحق عند(١) سلطان جائر جهاد وعون الظالمين هو النكب
تبرأ خير الخلق ممن تعاونوا على الظلم حيث الظلم يغضب للرب
فكيف ترى حال الظلوم وشأنه إذا كان هذا حال من ناصروا الذئب
ويوصى بحفظ الناس فى أجسادهم وعرض ومال فى الحضور وفى الغيب
ويوصى بكف للأذى ومضرة لخلق فرب الخلق يأخذ بالذنب
وحفظ لسان والجنان وسترنا لعيب وعورات وما كان من لعب
ويوصى بحسن الظن عند سلامة بصدر به الإيمان يمنع للريب
فسوء ظنون المرء يوجب مثله بمن ظن فيه السوء يلحظه القلب
ويوصى بنصح الخلق حباً ورحمة رجاء شعارات لهم تفرح القلب
ويوصى بطهر والنقا وانشراحنا بحب إله قد تقدس بالغيب

---

(١) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه . عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : «أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر». رواه أبو داود والترمذى وحسنه .

ويوصى بتطمين المشـــاعر كلها   وإحساسنا ثم الرضا ينجلى الكرب

ويوصى ببسط الوجه عند تقابل   كذاك وإكرام لضيف على حب

رءوف رحيم وصف ربى لسيدى   عزيز عليه ما عنتم فلا نـكب

أمين عـلى وحى الإله مبـلغ   رسالته لم يخف مدحـاً ولاعتب

ورد بهـذا قول من كان مرجفاً   بوضـع لقرآن وينـكر للغيب

له القلب مشروح وكـل فعاله   على فطرة فيه وباعثهـا ربـى

مشاعره نـور أحاسيسه رضـا   شفوق فؤاد شـفه لذة القـرب

له نشوة كبرى بحـب إلهــه   وتقديسه لله زاد لــه الوهــب

محباً لـكل الخلق أهـلا لحبهم   فأخلاقه القرآن «أدبـنى ربـى»

عطوف لتأليف القـلوب معلم   لمن شاء أن يدعو لدين كما الصب

رفيع جليـل القـدر أنبل من دعا   يراعى شعوراً يشعر الناس بالحب

شديد حيـاء صـابر متجـاوز   سموح عفـو لايؤاخـذ بالذنب

ولو كان خير الخلق آخـذ ظالما   لعاقب(١) يوم الفتح وانتشر الرعب

رعى الطلقاء المنعمين بعفـــوه   وأوصى بهم خيراً ولان لهم جنب

حريص عـلى إسـلامهم وولائهم   وإيمانهم فى عزة الأمن لا السبي

أحاطت بـه كل القلوب تعلقاً   به ورسول الله ينعـم بالحـب

يسوقهم الرحمـن شرحاً لصدره   لإنجـاز مايصبو إليه فلا صعب

---

(١) خبر فتح مكة مشهور ، تناولته كتب السيرة وكتب الصحاح وفيها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع أهل مكة ووجه اليهم الحديث بقوله عليه الصلاة والسلام : «ماتظنون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : خيرا . أخ كريم وابن أخ كريم . فقال عليه الصلاة والسلام : اذهبوا فأنتم الطلقاء» ومسح بهذا العفو الـكريم مافى نفوسهم من خوف وغل وحقـد وجذبهم إلى حلاوة الإيمان ، كما سن سنة العفو الـكريم عند أصحابه عما لاقوه من إيذاء وحرب شعواء من أهل مـكة قبل الهجرة وبعدهـا .

يود جميع الناس طـول حياته   ولافرق بين الخـاملين أو النجب

وآمـن من لاذوا بكعبة ربــه   كذا وبيوت البعض فاعجب لذا الوهب

عظيم حنـان رقـة القلب طبعه   ومن لطفه يضفى على الناس مايسبي

فـكم نابذ قـد صار بعد محبذا   وإخلاصه لله زاد لــه الحــب

صدوق مقال والفعال ووجهـة   وود ووعـد للأجانب والصحب

وكل له من وصف أحمـد شيمة   تقرر فى نفس له منتهى الخصب

يسـالم للأعـداء مثـل أحبة   يعاهد لايرجو لشر ولا حـرب

ويعلم من أهـل النفاق نفاقهم   فيغضى لطرف حيث لايفض للغيب

أطـال أذاه المشركون وأوغلوا   فـكان دعاه : جاهلين اهدهم ربى

سريرته نـور وظاهره هـدى   وإخلاصه قـد لقن الحب للحب

وجاهد إذ كان الجهاد ضرورة   ومن حارب الإسلام أدب بالحرب

وما كان فتحـاً للبـلاد لعلـة   بها يجلب الدنيـا وينتفع الصحب

لفتح قلوب مغلقـات أحاطها   بنور من الإيمـان يدخل للقلب

ولم يثنه عن عزمـه ومضـائه   وعيد ولا وعـد وناصره ربى

فلا يقبل الإغراء من شفه الهوى   وعزته من ربه تسلب اللـب•

• هذا الـكسب الكبير ، الكسب الموهوب ، الذى ملأ ساحة الشيخ علما وبركة ورضا وطمأنينة ، قد فتح أمامه مغاليق العلوم وجذب إليه جهابذة العلماء مناظرين أو متحدين فى أول الأمر ثم أحبوه منقادين بعد ذلك .

وفتح أمامه تلك الوصايا الخيرة عن الرسول عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام وهى قبس من السيرة العطرة يهديها لك شيخلك لتقرأ . . وتمعن فكرك ثم لتحاول أن تسير على نهج الرسول .

هنا الإيمان.. هنا الخلق الحق.. هنا الرضا الحق.. هنا النور.. هنا الهدى.. هنا الحب . . هنا الصفاء . هنا الـكرم . . هنا العدل . . هنا الصدق . . هنا العفو.. هنا السمو.. هنا البر.. هنا كل خير تتعرف عليه من وصايا سيد المرسلين .

٣٠ — العزم والعزيمة

هنا قد عقدت العزم بالهمة التى   بها من مولانا المذلل للصعب

ومن سيرة مرت ترى [قدر [هيبة   ولولا الرضا ماكان لى الفتح والوهب

ولولا عنايات من الله نلتها   وصفو عنايات لروحى تنصب

لكنت ككل العابدين منازعاً   أداوم حرب الروح للنفس كالصحب

وذلك فى حال الطفرلة نلتها   لذا كنت محفوظاً من الغى والذنب

فما فعلت نفسى الكبيرة يافتى   ولاصدرت منى الصغيرة ياصحبى

ومع ما ذكرت الخوف هد لقوتى   لسبق قضاء مبرم يقلق القلب

ولكنكم يامن طلبتم لربكم   ككل جميع المومنين.. على حرب

لذا كان منى النصح للكل صادرا   لتنبيه أرواح وعقل كذا القلب

ففى خبر عن سيد الرسل نفسنا   لأعدى عدو بين جنبيك لاريب

لذا كان لابد القيام بحربها   كذا ذلك الشيطان من أجج الحرب

ولابد من كسب لحرب بكسرها   وذل لها بالأسر والهون والسب

ولابد من إخضاعها وخنوعها   وخشيتها من خالق يقبل التوب

ولابد من زجر لها ورجوعها   بذلك لاتقوى على فعلها الذنب

ولابد من طول الحساب وتهمة   لما كان منها من خيانة ياصحبى

ولابد من فطم لها عن رذائل   وتقويمها حتى انتهاها عن الذنب

ولابد من تطهيرها ونقائها   لتقبل للطاعات طاهرة الثوب

ولابد من تلقينها ما يفيدها   وتعليمها كل الفضائل ياحبى

ولابد من تفتيشنا لمعايب   بها التصقت كالطبع أو وسخ الثوب

ولابد حتماً من مراقبة لها   لئلا يكون العود للشر عن قرب

ولابد من إلجامها عند بعثها   خواطر سوء والتسلل للقلب

ولابد من إيقافها عند حدها   إذا خوفت بالفقر واتهمت ربى

ولابد من تأديبها لجحودها   لنعمة خلاق له صفة الوهب

ولابد من تأنيبها حين قولها   مماتك خير من وجودك ذى التعب

ولابد من حرمانها شهواتها   خصوصاً لما قد يغضب الله ياحبى

ولابد من ترك الهوى واختصم لها   خصومة قطع للعلائق والقرب

ولابد من عصيانها عند نصحها   ورفض لنصح يوجب القطع والسلب

وإن هى قرت واستقرت فكن لها   على حذر فالغدر شيمتها الصعب

وقل هات للبرهان يانفس أنك استقمت وهاتى دليلا يقنع الروح والقلب

فإن تعملى كالشرع فى حب له   كذا وتعينى الجسم فى الفعل للصب

لأن حلول النور بالنفس شأنه   ينشط للأعضاء فى الجسم والقلب

كذا وافعلى مايطلب الشرع فعله   من النفس كاستغفارها وكذا التوب

وذلك من بعد الندامة والبكا   كذا مع عزم ألا تعودى إلى الذنب

وقوى لإيمان وصبر كذا الرضا   بجار بكون تعرفى قدرة الرب

وسيحى بجسم تعرفى أسراره   كذاك وروح شاكر نعمة تسبى

إذا كان الشيخ رضى الله عنه قد وهبه الله وأنعم عليه فى فترة الصبا بالتغلب على نوازع النفس حتى لانت واستكانت لما قدر لصاحبها من فضل .

فإن نصيحته رضوان الله عليه لأبنائه أن يطيلوا جهاد النفس ، وأن يجاهدوها بكل ماأوتوا من عزم وعزيمة حتى إذا أسلمت قيادها ظلوا من تمردها على حذر وهو أمر فى غاية الصعوبة ، وأشق ألوان المجاهدة ، ولذا سماه الرسول عليه أفضل الصلاة وأتم السلام: «الجهاد الأكبر» . والنفس البشرية إذا استلانت بالقهر فترة فانها تترقب من صاحبها الغفلات وتتحين منه الفرص فاذا انفلت زمامها فهيهات أن تعود مرة أخرى إلا بجهود مضنية وصبر طويل . . وسلاحك ياأخا الطريق فى ساحة الجهاد هذه :

وإن طريق الذكر أفضل موصل   بأقرب وقت حيث يذكرنا ربى

وسيحى بنفس منك إذ كنت تعبدى … هواك وشر الشر جحدك للرب
وسيحى بنفس منك بعد هدايــة … ترى لك أنواراً لها وهج يسبى
وقد كنت قبلا للغوى أمــارة … وصرت إلى أسماء تفرح للقلب
وصرت هنــا لوامــة مرضية … وراضية والمطمئنــة للــرب
فحارب لها حتى يتم اهتداؤها … تراها تبدت بالهدى داخل السرب
فحنت وأنت واستجابت لربها … وقد ذكرت لله فانجابت السحب
وما بعد ذكر الله إلا عطاؤها … وخير العطا ما يوصل العبد للرب
وإن طريق الذكر أفضل موصل … بأقرب وقت حيث يذكرنا ربى

٣١ – احذروا إبليس

ولم يبق إلا أن أنــوه ذاكــراً … لأصل شرور تبعث النكب والكرب
هنا بعد صلح النفس يظهر سافرا … عدو شديد البطش يمقته ربى
عدو لدود فاجــر متــكبر … غوى على علم بما يجلب النكب
له عندنا ثــأر مثير لحــزنه … دواماً ولاينساه لحظــة ياحــبى
هو الطرد والإبعاد والقطع والجفا … من الله بعد الأنس بالله والقرب
لما كان منه عند عصيان ربــه … لكبر غشاه دون أقرانــه الشهب
لقد كان قبل الطرد أعــلم عــالم … ومن لم يكن يعمل بعلم له نكب
وكان من الجن اسمعوا قول ربنا … — وليس ملاكاً — أصله النار واللهب
ولولا امتنــاع من سجــود لآدم … لدامت له الجنات مسكن لاالترب
وأصل ابتــلا إبليس من حسد له … كذا غيرة والحقد والبغى ياصحبى
فلا تأمنوه واحــذروه لأنــه … يرى أخذ هذا الثأر منا بلاريب
« عدو لكم » جاء الكتاب بذكرها … كذا «اتخذوه»(١) قررت حالة الحرب
وما بعد قول الله قول لامــرىء … ولابد من دفع المحارب بالحرب

(١) « أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا » (آية ٥٠ – الـكهف)

وعند كتاب الله كامل قصة (١) … ألا فاقرأوها حيث يروى لها ربى
لأن تعلموا أن الشرور جميعهــا … لخير يشاء الله لا الضر ياصحــبى
وكل الذى يجرى عن الله صــادر … لحــكمة تعلو عن عقول وعن قلب
عسى تكرهوا شيئا وفيه صلاحكم … وعاقبة تفضى إلى الوهب لاالسلب
فلولا امتناع النذل ماكان آدم … خليفة رب العرش بالأرض ياحبى
ولا كان إدخال المــلايين جنــة … وإدخال إبليس وأتبــاعه اللهب

(١) «وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون. فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين. فسجد الملائكة كلهم أجمعون. إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين. قال ياإبليس مالك ألا تكون مع الساجدين. قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون. قال فاخرج منها فإنك رجيم. وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين. قال رب فأنظرنى إلى يوم يبعثون. قال فإنك من المنظرين. إلى يوم الوقت المعلوم. قال رب بما أغويتنى لأزينن لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين. إلا عبادك منهم المخلصين. قال هذا صراط على مستقيم. إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين» . (الآيات من ٢٨ : ٤٢ – سورة الحجر)

واعلم ياأخا الطريق أنك عندما تمسك بزمام النفس فهناك من ينازعك هذا الزمام. تريدها على الخير، ويزين لها سبيل الغواية. تدفعها إلى الحق ويجذبها هو إلى الباطل. تعدها بنعيم مقيم، ويغريها بلذة فانية ودنيا زائلة.

ذلك إبليس الذى ناصب أبانا العداء وأخرجه من الجنة وتوعدنا بالغواية وأنت أقدر عليه إن اتقيت، وأقوى منه إن تمسكت بأهداب دينك. وهو سيد مطاع لمن ضعف، وحاكم لا ترد كلمته لمن استجاب. فكونوا منه على حذر.

هنا وجب الشكر الذى خالط الثنا   وخالطه الحمد الجميل من الصب

ألا فاسألوا الرحمن وابتهلـوا له   بأن يكفكم شرا لإبليس ينصب

٣٢ — ثلاث وقائع مع إبليس

وأذكر شيئـا من تفانينه معـى   إرادة بعث للغـرور هنـا سلبى

فقد جاءنى الشيطان نورا مجسـدا   وشع شعاعا يملأ البيت ياصحبى

ونادى يقول : اسألن ياعبد ماتشا   ويوهم أن هذا التجلى من الـرب

فقلت لنفسى : إن يكن نور ربنـا   أرى النور حتما يملأ الشرق والغرب

وقمت لفورى أفتح الباب باحثـا   فلم أر أنوارا يضاء بهـا الدرب

سوى بعض نور نافذ من منافـذ   فناديته : اخرج لاتسبب لى العجب

هنا انفلت المفتون يجرى بسرعة   وقد حفظ الله الـكريم فلا سلب

فعم ظـلام حيث قـام بطفئـه   مصابيح بيتى رغبة البعث للـرعب

فقمت بإشعال المصابيح كلهـا   وأشـكر ربى حيث أنقـذنى ربى

وأذكر شيئا ثانيا قصد نفعـكم   بألا تطيعوه ولو أوهم الـكسب

رأيت مرارا ليلة القدر قـد بدت   وفيها صفت تلك السماء من السحب

فلم أدع للرحمن بل كنت شاكرا   لما جاد من فضل ومافاض من وهب

وقد أخذتنى هيبة من سـؤاله   لتفويض قلبى راضيا ماقضـا ربى

وفى ليلة جـاء اللعين يقول لى :   بوسوسة فى الصدر قم واسأل الرب

ولـكن لإلحاح له قـد رأيتنى   أرى أن فضـل الله يسأله الحب

فأيقظت فورا زوجتى لدعائهـا   فما ألهمت دنيـا ولا مـال ينصب

وما ألهمت إلا الدعا لطـريقتى   بنشر وستر والتفضـل بالقرب

فأمسكت عن تنبيهـا لدعائهـا   لمـا تبتغيه واستجيب من الـرب

وبعد فوات الوقت أبدت تأسفا   لما نسيت من مطلب وبدا عتبى

رجعت على نفس بلومى مؤنبـا   لمـا كان من فعل وتبت من الذنب

بحالة جـذب هادئ دس خاطـرا   ووسوس فى شـكل النصيحة للحب

بأن اكتساب الرزق أول واجب   يحب له المولى فبادر إلى الكسب

وجذب مضى يكفى لما كنت طالبا   وقد تم ماترجوه بالكسب والوهب

هنا تدع للرحمن فى حـال عـزة   وتبنى طريقـا رائعا يعبد الرب

فقلت لنفس صار جذبك هادئـا   ولا مانع من أن أزاول للـكسب

هنا قد رأت عينى تلالا بضاعة   لتاجرة ترجو لحزن بلا تعب

فسلمت تسليم المـؤدب سائلا   تريدين حمالا فقالت : ضع الثوب

فأين ألاقى « فـاسـق » مثلك قـادرا   على عملى المضنى وويلك من ضربى

خلعت ثيابا يمنع الشغـل لبسهـا   وصرت بلا جلباب أنقـل للصعب

بفردى بلا حمـال ساعد رفعـه   لثقل أعانى رفعه وابتدا غلـبى

إلى أن نقلت التل هـذا بمخزن   ببضعـة أيـام وتم لـه سحـب

طلبت لأجرى قالت الأجـر سجنكم   لأنك لص ترغب النهب والسلب

وصاحت بصوت منـكر جاء إثره   أناس وجاءت شرطة باشرت سحبى

وقد أخذونى السجن والحبس تم لى   وكنت أعانى للقضا ثابت القلب

وما أطلقوا حتى أخـذت لعلقة   بها دغدغوا رأسى بها دغدغوا جنبى

وهـذا جزائى للقبـول لنصحه   وقد كان ظنى أنه الخير ياصحبى

وجاء طريقى شوكة وسط حلقة   بها صار من ضبع لئيم إلى ذئب

وله ثأر ، ثانيا ، هو أنـكى   وأشـد ابتلا وأعظـم نكب

هـو ميلاد سيد الخـلق طـه   وانتشار الإسـلام شرقا وغرب

حيث صـار الغفـران للـذنب   بتوب لمن يـؤوب لـرب

وكـذا غاظـه التجمـع بالحـج   هنـا تقبـل الألـوف بتوب

ويقول الشيطان أشتغـل العـام وفى يوم ضاع منى الـكسب

أسأل الله أن يعين لـكم جمعـا   ويرجعـه بانـكسار ونكب

أسأل الله أن يجنبكم شر ثلا ... ث بها معاناة كرب
فتنة بالحياة والموت والقبر ... كما قد دعا النبي المحب *

٣٣ — كيف اتصلت بربنا

يقولون لى كيف اتصلت بربنا ... أقول لهم هيا اسمعوا لى ياصحبى
بغاية أمر قد وصلت لخالقى ... كغاية نور كل نور له صب
بتفكير عقلى فى ذنوبى وضيعتى ... وإيجاد حل للوصول إلى ربى
بقصدى بعهدى بالمربى برجعتى ... بحسن امتثال سرت فورا على الدرب

---

* هذه الأمثلة التى ساقها الشيخ رضوان الله عليه ، والتى حاول فيها اللعين أن يصرفه عما هو فيه من نعيم الذكر ولذة العبادة ، تريك كيف يواصل الشيطان حربه ، حتى مع أولياء الله الصالحين ، بل إن حربه معهم أشد ووسائل غوايته لهم لايقاومها إلا من أحاطت به عناية الله . الأولى :

أدرك الشيخ بعين البصيرة أن نور الله لاتحده جدران ، بل هو ملء الأكوان « الله نور السموات والأرض » . وبهذه اللمحة العلوية فوت على اللعين أحبولته .

الثانية :

تلك التى أوهمه فيها عند إشراقة ليلة القدر واستعان الشيخ بزوجته الفاضلة فما وجدت على لسانها إلا الدعاء للطريق وأهل الطريق . . وفشل اللعين فى أحبولته مستدرجا الشيخ أن يهم بسؤال شئ من متاع الدنيا الزائل .

الثالثة :

تلك التى أوهمه فيها بالبحث عن الرزق لعل فى اشتغاله به مايصرفه عما هو فيه ، وكانت تلك العقوبة التى فرح بها الشيخ رضوان الله عليه لأنها أخرجته مما كان فيه ، وأعادته لما هيئ له من دنيا الذكر والعبادة ، وذلك عند وجوده بالمدينة المنورة ملازما الحرم النبوى الشريف متعبدا حيث كان لا يزال فى سياحته الأخيرة مجذوبا .

بتوبى بعزمى بالندامة بالبكا ... بذكرى بفكرى بالتشكر للرب
بتطهير قلبى ثم تطهير وجهتى ... وتطهير كسبى ثم لى القصد ياحب
بتفريغ قلبى بالتفرغ باختلا ... بجهدى وجدى قد تقربت للرب
بتركى لبيتى والعيال ومسكنى ... وعند قبور الحى لازمت ياصحبى
بحبى بشوقى بالهيام بجذبتى ... بفرط غرامى والفنا قبل الرب
بلزومى توحيد ذات إلهى ... فى صفات والعقل نور قلبى
ولزومى حد الشريعة لله ... وحسن اقتدا بطه حبى
وبحبى القرآن حبا عميقا ... وكذا سنة أهاجت قلبى
ولزومى إقبال قلبى على الله ... تم منه القبول سبحان ربى
ولزومى الوقوف بالباب عبدا ... لم أحول وجهى اعتنا بى ربى
بانتهائى عن المحرم ياقوم ... وفعل الطاعات هيم لبى
بالتحلى بالفضل بعد التخلى ... عن ذميم الفعال عاينت دربى
بحربى لنفسى واحتقارى لشأنها ... وحسن افتقار واستتار رضى حبى
بحربى للدنيا وإبليس والهوى ... أتانى نصر الله وانجذب القلب
بثبات من بعد إخبات قلبى ... وبحسن الظنون أرضيت ربى
باعتمادى بعد التوكل لاقيت ... لرزق يفيض من حل كسبى
باغتنائى عن خلقه واقتنائى ... ليقينى وقيت فقرا وكرب
بإيمان قلبى والفعال لقالبى ... ونطق لسانى لا إله سوى ربى
باتباعى للحق تم ارتداعى ... لاابتداعى هنا حبانى بوهب
بتركى كدوراتى بأنسى بخالقى ... ونيل لنعماء له صرت صب
بامتحانى باستكانى بامتكانى ... بارتكانى عليه زال الكرب
وببذلى للمال فى دون من ... حيث أن المنان والمعط ربى
بخوفى بتقوى بالحياء بهيبتى ... رأيت صفاء لا يكيفه قلبى
باعتصامى بالله بعد انفصامى ... عن سواه تم الوثوق بربى
بانكسار بذلتى بخضوعى ... بخشوعى بانقطاعى لربى
بصدق بقولى والفعال ونيتى ... وودى ووعدى والتوجه للرب
بصبرى بتفويضى بتسليم بالرضا ... بتسكين قلبى ثم نفسى بلا عتب

بصفائي بسخائي بالتجائي   بدعائي برجائي بالحمد قد تم قربي
بعفافي بالاكتفا بكفافي   بانتصافي للروح بالعدل ينبي
بعراج روحي في سبوحي بكونه   تدبرت تدبيرا لفاطره يسبي
وببحثي في الكون والروح والجسم   ونفسي قدرت قدرة ربي
فانتهزت الشباب والوقت والعمر   وحب الإله والذكر حسبي
فحباني ربي بكل مقام   منه فضلا بلا تطلع قلب
وتلقنت منهجا من حبيبي   فدعوت المراد لله ربي
وذاك بتوفيق وحسن عناية   وحسن قضاء سابق بمعه ياحبي
هنا لم ألاق للغرور وشره   وأسجد شكرا واضع الوجه بالترب

في ليلة مباركة اجتمع بعض إخوان الطريق عندي. وأخذنا نتدارس حياة الشيخ رضوان الله عليه وكراماته وما أنعم الله به عليه فطلب مني أخ عزيز علي أثير عندي أن أكتب لهم بالمنظومة في سؤال يرد عليه سيدنا الشيخ في كيفية وصوله رضي الله عنه إلى الله . وما إن أبدى الأخ هذه الفكرة حتى تبادرها الإخوان بالتحبيذ والإلحاح ووعدتهم خيرا وواصلنا جلستنا فيما كنا فيه .

وأخذ الجماعة أنس الجلسة، ورفرف عليهم صفاء المحبة، ووجدتني أمسك القلم وأنتحي جانبا وأجيب عن سؤال الأحبة بما أجعله مسك الختام لهذه المنظومة المباركة . والجواب :

« يقولون لي كيف اتصلت بربنا   نهاية أمر قد وصلت إلى حبي
ثم ذكر المائة أمر .

وما قصدت إلا وجه الله والتماس الثواب منه جل وعلا . وماتوفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

أسأله سبحانه أن يهدينا وإخواننا سواء السبيل . وأن يمن على كل قارئ لهذا الكتاب بخير الدارين . .

إنه نعم المولى ونعم المجيب

٣٤ ـ خاطر وإقناع

فإن قيل هذا لا يطيق له فتى   وهل كلنا نال العناية من ربي
أقول لكم : كل به ربه اعتنى   وأدخله في معمعان بلا جذب
فإن طريقي الذكر والذكر وحده   كفيل لتوصيل العباد إلى ربي
وفيه إندراج للمقامات كلها   بدون شعور الذاكرين بذا القرب
فلو شعروا إما يهيموا ويسكروا   وإما يكون الفتح مفسدة صعب
كما قد مضى عند افتتاح طريقنا   بنفع ذوي وهب وضر ذوي وهب
لأنهم اطلعوا على درجاتهم   هنا مثلوا ماقد فعلت وذا نكب
فقد بعثروا للسر دون تحفظ   هنا سحب الرحمن مافاض من وهب
ولكنني الصوفي المجدد نهجه   بإصلاح دنيانا ودين وذا كسب
وعنكم تحملت الشقاء جميعه   وأعطيتكم صفو الرحيق القوي المسبي
ألا وهو ذكر الله خالصا   بعيدا عن الغايات قصد رضا ربي
عبودية صرفا وحبا لذاته   وتمجيده والشكر حيث هو الرب
وكان لذكري مابه الأمر يافتى   لإدراك إعدادي بما ساق من وهب
وما كان فضلا لي يكون لتابعي   فإن غذاء الروح للروح ينصب
فكل الذي قررت فيكم زرعته   يغذيه نور الذكر والفيض للرب
فبشر لمن قد باشر الذكر مخلصا   بوصل لروح شأنها الذكر والحب
وقل للذي أخفيت عنه مقامه   بأني طبيب حاذق فارتضى طبي
فإني طبيب الروح أعرف نفعها   وأعطي دواها حيث يلهمني ربي
وأعطي مناعات وإعطاء قوة   لروح بإذن الله والفاعل الرب
وفي «إذ رميت» افهم مرادي فإنني   رميت ولكن وصل رميي من ربي
فسيروا إليه واثقين بفضله   وهاقد هداكم ساحة الحب والقرب

٣٥ ـ تقرير حال

ولا بد من تقرير حالي ووجهتي   لتثبيت قلب السائرين على الدرب
أقول : وحق الله ماكنت طالبا   لمال وإلا كنت ألزم للكسب
وحق حبيبي لم أكن قط طالبا   لجاه فجاهي الله يكلؤني ربي

وحق الـــذى أهواه ماكنت راغبا ... رئاسة قوم بل متابعة السرب

لذا لم أكن يوما أدبر سياسة ... ولا أنا بالتدبير أسلك بالركب

ولم أك يوما للمعادى معاديا ... رجاء دفاع الله عن مؤمن صب

وسامحت فى حقى وعرضى وهبته ... لربى فلا لوم يكون ولا عتبى

رمانى أقوام فما كنت راميا ... ولما أتونى كان صدرى لهم رحب

وماكنت يوما رافعا لعقيرتى ... بسب وماكنت الغضوب على حب

وما كنت يوما ناسيا لحقيقتى ... فإنى تراب سوف يرجع للترب

وما كنت أرضى غيبة ونميمة ... وأهجر للواشى وأرفض للكذب

وماكنت يوما مكرما لمكابر ... يريد التعالى بالتغالى لما ينبى

وصدرى مشروح لمن هو وافد ... ولاشئ فى صدرى سوى الحب للحب

وما أنا إلا العبد مملوك مالكى ... يسير بالأمر فى السير بالسرب

أدل عليه وهو من قبل دلنى ... عليه ومنه الفضل فى الحب والقرب

أدل عليه وهو من قبل دلهم ... على ومنه الفضل فى جعلهم صحبى

ومالى فضل فى الذى قد ذكرته ... ومنه بدا التوفيق من قبل منصب

أقرب من شاء الإله لقربه ... ويبعد ربى من يعوق للركب

ويبعد ربى من أراد لنفسه ... خصوصية أو مال أو جاه من صحبى

وأعطى لمن شاء الكريم عطاءه ... وأمسك عمن ليس يقصد للرب

تمسكت بالقرآن مثل تمسكى ... بسنة خير الخلق كالآل والصحب

كما فصل الداعون قبلى لأنهم ... منارات هدى الخلق هاديهم ربى

إلى أن أراد الله نقلى لرحبه ... بملك رفيع سرمدى حى ربى

تخلصت من أفقى لأفق ملائك ... وجاورت من أهوى وهنيت بالقرب

تخلصت من سجنى بدنياى حينما ... تسورت سور الكون بالقطع والحب

إلى عالم ماكنت أجهل شأنه ... وشأن الذى فيه ومن فيه بالرحب

وقد هالنى ماهل من نور مالكى ... وماكنت أهلا لكن الفضل من ربى

كأنى حسام إذ يفارق غمده ... فلا خوف من قطع يؤكده سلب

لذاك ترانى فى فضائى سابحا ... ألاحظ أبنائى دواما على قرب

أزور لهم بالروح فى كل بقعة ... ولو شف روح عاينوا لى بلا حجب

أراهم جميعا دفعة بديارهم ... وأسمعهم جمعا وماطلبوا أنبى

لأنى سفير للشفيع محمد ... يقولون ياعمى فأرجو له لب

فيرجو لمولانا رجا متقبلا ... فيرفع ماتلقوا ويرحمكم ربى

منازل تكبير لصوت صاعد ... منازل تصغير لخير له صب

ولولا وجود للمصغر يافتى ... لتم احتراق السلك واندلع اللهب

« ولا يشفعون » اقرأ ترى آية الرضا ... «ومن ذا الذى» دلت على شافع صب

وفى المبرم المقدور ليس شفاعة ... لأى نبى أو ولى فلا عتب

يقول الفتى : أين النبى وشيخنا ؟ ... هنا قدر محتوم لايقبل الشطب

وما المحو والإثبات إلا بلوحه ... وأم كتاب من خصوصية الرب

وكل الذى قد كان من شأن ربنا ... عزيز على كل الخلائق ياصب

وأما شفاعات الكرام فبالذى ... تعلق فى التنفيذ للطف من ربى

بحيث يتم المحو بعد شفاعة ... بإذن من الله الكريم بلا ريب

ورب يتم المحو من بعد دعوة ... لشاكر نعماء بها ارتفع الكرب

ووصل لأرحام وأيتام يافتى ... ووصل الأيامى والمساكين ياحبى

وإنفاق مال قصد وجه إلهنا ... وفعلك للخيرات والتوب للرب

وقد وجبت منا المودة وصلة ... لآل رسول الله والسادة الصحب

وللأولياء الأتقياء بحبهم ... فأرواحهم ترجو ومكرمهم ربى

فما كان معطيهم إلهى رضاءه ... بدنيا وفى الأخرى لهم حالة السلب

فقد أخبر القرآن أن حياتهم ... لديه وتحت العرش طير لهم وجب

فذاك لمن قد جاهدوا واستشهدوا ... ومن جاهدوا فى الله يكرمهم ربى

فكل لرفع الدين جاهد جاهدا ... وباع لروح واشترى روحه الرب

ولم يبق إلا ذكر دنياكم التى ... مررت بها مر الكرام على اللعب

فالحياة الدنيا قليل مداها ... ولئن طال عمر مرء فسلب

وهى فترة انتقال لأخرى ... من دنانا إلى جوار برب

حيث هذى الدنيا كجسر مرور ... وحياة الإنسان لهو ولعب

فأكثروا الزاد فالمزار بعيد ... حيث دار الخلود ليست بقرب

إن دارنا بها الزرع للخير   وهناك الحصاد ينفع صب
واحذروا فجأة الممات ونزع   خياة بدون إنذار حب
واذكروا الموت والقرار بقبر   وكذا البعث يوم حشر ورعب
يوم سكر بغير خمر ولكن   من ذهول أصاب عقلا ولب
واذكروا يوم ترجعون إلى الله وعرض على المحاسب ربى
واذكروا للحساب والوزن والسير   على ذلك الصراط الصعب
واحذروا من عذاب نار أعدت   لجهول عاص يخالف ربى
واطلبوا جنة لها الخلد دوما   وبها كل مايهيم قلبى
جنة عرضها السموات والأ   رض أعدت للمتقين لربى
وبها الحور والقصور وأكل   وشراب والأكل يذهل لب
تأكلوا مايلذ من كل طعم   من طيور ومن فواكه تسبى
تلبسوا للثياب من سندس   خضر كذا أسوراتكم من ذهب
وشرابا ختامه المسك لا شك   وما بعد كوثر حسن شرب
وهناك الأسرة الذهب الصرف   تدهش العقل بل وتذهب لب
وكذاك الفراش يذهل للعقل   إذ يحليه جوهر بعد ثقبه
وهناك الولدان كاللؤلؤ الحر   يطوفون بكل ماشاء حب
اعملوا تؤجروا بذلك ياقوم ففضل الإله كسب ووهب
واعلموا أننى بيوم حساب   سوف آخذكم بوفد لربى
وهنا موكبى وأنتم أمامى   يصل المصطفى كأول ركب
هاهنا هاهنا التشفع لله   وتنجوا من كل غم وكرب
حيث تلقوا الميزان والعفو منه   وتجوزوا الصراط من غير كب
ولنا روضة وقصر مشيد   فيه إخواننا تسبح ربى
فوق هذا النعيم رؤيتنا الله لتنعيم كل روح وقلب
فاشكروا الله مع ثناء وحمد   لعزيز عفا وطمأن ركب
فاعملوا تعلموا وترتفع الحجب   وينساب العطاء كسبا ووهب

دمعة وفاء ورجاء

ياعم ياثاويا فى حى خالقنا   فى مقعد الصدق مجموعا بخير نبى
مجاور الآل والأصحاب يتبعهم   أتباعهم وكذاك الأوليا النجب
قد كنت حال حياة منك مفزعنا   عند الملمات والأحزان والكرب
كنا نناديك نلقى الهم منفرجا   والغم منكشفا وينتهى التعب
لأنك الزخر فى الدنيا ومأملنا   تسأل لنا الله يعطى النجح فى الأرب
وما تأخرت عمن يستجير بكم   فى القرب والبعد حتى ينفذ الطلب
وكنت رحمة كل العارفين لكم   أنت الوسيلة يامن حاز للرتب
فالله يرضى لمن أرضى لخالقه   كذاك من كان محسوبا لخير نبى
فكيف من قد دعى لله محتسبا   يعلم الخلق دين الله والأدب
والجمع شق طريقا جاء مختصرا   لمن أراد وصول الله ثم نبى
قلت اذكروا الله ذكرا دائما أبدا   بكثرة العد قصد الله لا طلب
والذكر أحيا قلوبا كنت تنفحها   من فيض جود به قد خصكم ربى
هنا لنا نظرات أنت مصدرها   هنا لنا نفحات تنعش القلب
هنا لنا لمعات العلم لامعة   بها تطهر قلب سبح الرب
أرشدت أمة خير المرسلين وقد   بلغت دعوة طه قائد الركب
لما أويت لحى الله خالقنا   زاد الحنين لنا والدمع ينصب
يبكيك معهدك المعمور ساحته   عند الحياة ويبكى العلم والأدب
وليلة القدر فينا بعدكم أفلت   وغيب القبر شمس الدين والقطب
تركت فينا فراغا ليس يملؤه   إلاك ياعم ياتلميذ خير نبى
فقد حرمنا لرؤيا نور طلعتكم   كذا وسمع الحديث المحيى القلب
وكلنا نال من فضل ومن كرم   ماكان جاءنا فى حبكم نجب

نرجوك أن تسأل المولى العظيم لنا ... شرح الصدور ورزقا يمسح الكرب

واسأل لرب الورى عفوا ومغفرة ... نراهما عند جود منك منصب

ونجاة يوم اللقا وحساب ... أو عتاب منه يفتت قلب

حيث عفو الإله أقوى من الذنب ... وأقوى من عدله فضل ربي

إن تعامل بالعدل ضعنا جميعا ... إن تعامل بالفضل زال الكرب

فإلى من يارب نرجوا للطف ... غير ذات توحدت يارب

لا مثيلا لها بذات ووصف ... وفعال بغير جهد ودأب

وبكن كان كل كون مقاما ... بزمان محدد عند ربي

أو بأمر منكم لمن يفعل الشئ ... وفي النازعات (١) تفسير يسبي

وكذا روح مرسل وولي ... كنداء الفاروق (٢) قائد حرب

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى بأول سورة النازعات : «والنازعات غرقا»(١) وهم الملائكة المختصة بنزع أرواح الكفار بشدة . «والناشطات نشطا»(٢) وهم الملائكة المختصة بنزع أرواح المؤمنين بسهولة . «والسابحات سبحا»(٣) وهم الملائكة التي تنزل من السماء إلى الأرض . «فالسابقات سبقا»(٤) وهم الملائكة التي تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة . «فالمدبرات أمرا»(٥) وهم الملائكة التي تدبر أمر الدنيا .

من هذا نرى تنفيذ أمر الله وحقيقة أمر قضاه وتكليف الملائكة بها .

(٢) أي قول الفاروق عمر ، وهو على المنبر عندما رأى جيش المسلمين الذي كان يقوده سارية يتعرض للهلاك والموت من قبل الأعداء : ياسارية الجبل . أي احتموا بالجبل . فنرى أن سارية قد سمع نداء الفاروق عمر وهو على أميال كبيرة بعيدة بينه وبين سارية . وتتحمل الآية تدبير الرسل والأولياء والعامة تنفيذا لما قضاه الله تعالى وحكم به . ولكنه تعالى الفاعل على الحقيقة كقوله تعالى : (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى) . فالله تعالى الفاعل الحقيقي . والواسطة هم المحاربون —

وربنا إننا عبيدك فارحم ... ضعفنا إننا نناجيك ربي

نحن ممن تشرفوا برسول ... خير خلق خلقته وهو حسبي

واتبعنا الدين الحنيف بقلب ... مخلص سالم من شوب

سقت يارب للخليل ليدعو ... ثم سقت العباد ركبا فركب

ربه تم مانؤمل فيه ... وهو باب النبي شفيع الركب

ذاك قول يقوله رفقائي ... عند ذكرى لهم مناقب حسبي

أما أنا لست إلا خادما أبدا ... فإن قبلت سما بي بالسما نسبي

أنا الفقير إلى ربي ورحمته ... أزجي له الشكر في حفظي من العطب

واللطف فيما به يجري القضاء به ... وبسطه يد إحسان لأجل أبي

وشكره أنه هز القلوب إلى ... عطف على كأني للجميع أب

باعم شكرا جزيلا لاحدود له ... لكم على مدد قد ناله صحبي

فقد أعانوا طريقا أنت قائده ... بالنفس بالمال بالمجهود عن رغب

وصار في عنقي دينا أدان به ... يقضي ديوني وليي وهو أنت أبي

عماه يامسكري منكم بتربية ... هدت غروري وصرت الخائف الرهب

فقد رأيت لحال كنت تلزمه ... حال الحياة ودمع منك ينسكب

خوف الإله وتقديرا لقدرته ... وحبه مع حب منك خير نبي

جزاك ربي عن الإسلام خير جزا ... فانظر إلى كذا وانظر إلى صحبي

وصى علينا النبي ينظر لمجمعنا ... حتى نلاقي لكم والآل والصحب

فأنت بالملأ الأعلى وبهجته ... أقوى انطلاقا لروح فاقت الرتب

وهذه دمعة فيها الوفا ورجا ... وهي مسك الختام كسبا ووهب

— والقاتل والرامي الحقيقي هو الله تعالى . إذ هو سبحانه المحرك ليد المحارب ومعطيه النصر والمحرك ليد الرسول صلى الله عليه وسلم والموصل لما رمته يد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأعدائه . وهكذا يكون الأمر مع الولي .

ثم لا بد أن أقــرر للفضــل … لشيخي الخليــل نعم المــربي

حيث كسبي إمداد روح من العم … فلــولاه ما ذكرت لــربي

وكذا الوهب من لــدن نفحــات … مرسلات من روحه نحــو قلبي

ولقلبي استقبــال مايرسل العم … فــكسبي من مده ثم وهب

وصلاتي على الممــد لشيخي … من عطايا فاضت لمعطيه ربي

وعلى آله الممــدين ممــا … يأخـــذوه من النبي من وهب

وكذا الصحب من لنفس باعــوا … ولمــال والمشترى الله ربي

ثمن البيــع « جنة وحريرا » … ثم رؤيا أنوار ذات لــربي

وصــلاتي عــلى المسمى نورا … بالــكتاب المبين سمــاه ربي

عــد ماعــده المصلون طــرا … وجديد التعــداد من فــم حب

وكــذا الآل والصحــابة جمعــا … حيث كانوا للدين أول ســرب

صدقوا ماعاهدوا عليــه إلهي … فجزاهم نصرا وملــكا ووهب

فــوق هــذا رضوان ربي يلقوا … بخــلد ورؤية الله تسبي

وهنــا « اللمعة البهية » تمت … ويليهــا نبــع خليــلي يسبي

* * *

القسم الثاني

لمعة ثانية

بسم اللـــه الرحمن الرحيم

١ — مقـــدمة اللمعـــة الثانية

باسمك الله أبتـــدى يامـــريدا يابديعـــا لـــكل خلق أنشـــاه
وأصـــلى عـــلى رســـول كريم هـــو طه الـــذى حميت حمـــاه
وعـــلى آله وصحب جميعـــا ناصرى المصطفى بمـــال وجـــاه
ورضـــا منك ياإلهى عن العم الـــذى عم فضـــله ونـــداه
وارث المصطفى مجـــدد دين بطريق على الشريعـــة أنشـــاه

٢ — عـــودة المـــربى

« تفصيل بعد إجمال »

وهـــذه لمعة أخـــرى رزقت بها بهـــا يتم لخـــير قد قصـــدناه
تبدأ بعـــودته من بعـــد غيبتـــه لـــكى يجـــدد دينا عـــزه الله
عـــاد الغريب غريبـــا فى تطوره يصلح الدين ويصلح أمـــر دنيـــاه
وبدا الفتح مسرعـــا وقويا وبدا النـــور رافعـــا للـــواه
وابتدى صـــائحـــا بشعر ونـــثر بعلوم التوحيـــد قـــد فاه فاه
ثم تفســـيره لقـــرآن ربى وحديث المختـــار حقـــا رواه
أذهل الوافدين من كـــل صـــوب يستشفـــون منه سيـــل عطـــاه
كلهم ذاق من رفيـــع كـــلام أنه داعيـــا بإذن اللـــــه
وانكبـــاب الأنام سبب للضيـــق فـــكان الســـرادق الفخم مثواه
ولذا صـــار حيه مقصد النـــاس ومن فيضـــه تـــكبر أفـــواه
واتفاق الجميع خفف للضغـــط فيـــوما من بعد يوم نـــراه
بالضحى تحضر الضواحى إلى الظهر وبعـــد العصـــر الزقازيق تراه
وأخصـــاه يحضـــرون بليـــل وإلى الفجـــر يلزمون حمـــاه
حيث عم الجميـــع آخذه الوجد سواء ليـــلا له وضحـــــاه
وبهـــذا كان الوجود إلى الفجـــر لجمـــع كانوا النـــوى لحـــلاه

٣ — مجلس العم

كانت مجالسه أوقات آخرة ... بالنور زاخرة والفيض أعلاه
وذاك يا إخوتى وصفاً لمجلسه ... عند الحياة لأمر قد قصدناه
فوصف مجلسه يعطيك منزلة ... له تعدته قصداً عند أبناه
وذاك يدعو لنقل السر منه إلى ... تلميذه عند فتح يعطه الله
من انفعال لأرواح قد امتزجت ... والبحر إن فاض عم الخير شطاه
وعندما «تهجم» الأحوال نشهده ... والحال من بعد حال قد رأيناه
نرى لقبض وبسط خوف ثم رجا ... نرى لشوق ووجد قد وجدناه
نرى بوادره نرى بوارقه ... نرى طوارقه نرى خوارقه والمكرم الله
نرى لمحو وصحو والثبات كذا ... والذوق والشرب منه قد شربناه
نرى محاضرة نرى مكاشفة ... نلحظ مشاهدة تمت بمرآه
نرى لوامعه نرى طوالعه ... نرى لوائحه لاحت وأضواه
نرى لفرق وجمع والفنا وبقا ... وغيبة وحضور تم مبناه
نسمع لعرفانه حين الشهود له ... لنور ذات تجلت عند رؤياه
ذات تجلت وما حلت بموقعنا ... لكن أنوارها فضلا رأيناه
وستره للتجلى كان عادته ... لكن نور التجلى قد لمسناه
وعند سبح لروح كان مشتغلا ... عنا بما هو فيه من قضاياه
يزول تلوينه ندرى علامته ... بحال تمكينه فى ذكر مولاه
يقول فى نبرات منه تؤنسنا ... ما حالكم ويكون اللطف مبناه
ويبدأ القول بالترفيه فى أدب ... ينسى شعوراً بثقل قد حملناه
فكل حال له تراه منعكساً ... منه علينا لنيل من عطاياه
فإن أرواحنا فى روح حضرته ... تم امتزاجاً لها صارت بمسراه

والروح منه لروح الكل جاذبة ... كالمغنطيس لما يلمسه حاذاه
وتم هذا لأن القوم أجمعنا ... غرقى بنور تجلى الله إجلاه
هنا اندفاع بسر للقلوب هنا ... ترى القلوب كقدر هادر فاه
فالحب هيمنا والشوق تيمنا ... والذكر علمنا والمقصد الله
وبعد هذا ترى الأحوال يكتمها ... إذ صار يملكها والحال أخفاه
لأنه رسخت فيه ولايته ... ونال فضل الرضا دنيا وأخراه

٤ — سفور الدعوة

هنا نراه جرى فى بدء نشأته ... حتى أتى الأمر أن يرعى رعاياه
وهذه فترة ربى بها فئة ... مثل الجبال ثباتاً شاءها الله
حتى تكون بنشر الدين قائمة ... فيها الذى فيه من نور وأضواه
وفرق النجب فى كل البلاد لأن ... يدعون دعوته لله مولاه
هنا ابتدا دعوة لله سافرة ... بالخير زاخرة والقطر حياه
أرسى القواعد فى كل البلاد وقد ... تم انتشار لها والفتح أعلاه
يزورها كل عام فى سياحته ... يزوره عند أشواق أحباه
والبيت صار ملاذ التابعين له ... وصار كالمعهد المعهود أضواه
يملأه نور ولى لا مثيل له ... غوث الزمان وحامى دين مولاه

٥ — الاستقرار

وصار مجلسه بالذكر يشغله ... لطاعة الله والرحمن قواه
ما بين أمر بمعروف يقوم به ... وبين إصلاح شأن فى رعاياه
أو بين تكريم وفد للحما وفدوا ... وبين توديع وفد تم لقياه
أو بين تطبيب قلب قصد تربية ... وبين تطبيب جسم يشفه الله
وذاك إن لم يكن حم القضا ومضى ... عمر الذى جاء يستشفى بدعواه

او بين وفد لعلم جاء يخبره ... من أهل علم تناجوا حسبه الله
ومن عجيب ترى بيعاً له وشرا ... بلا مساومة والكسب أرضاه
فإن كمية المطلوب وافرة ... تسمح لكسب عظيم ساقه الله
بدون سعى ولاجهد ولاطلب ... ولا انتقال لأن السائق الله
وبعد بيع له يتم شرا ... يقول شيئاً رفضناه وجدناه
ويسأل الله أن ينفقه أجمعه ... فى خدمة الله لا فى شأن دنياه
وقال من يخدم الرحمن تخدمه ... الدنيا وذاك وفق حديث جاء معناه
مع كل هذا وهذا الذكر ديدنه ... والشكر معدنه والفكر مبناه

٦ ـ تعاليم وتربية

ثم انثنى بعد للأرواح يصقلها ... بالذكر واجهنا فوراً بأسماه
بالذكر نبهنا للذكر وجهنا ... وقال من يذكر الرحمن يرعاه
فالذاكر الله مذكوراً بحضرته ... وهذه منة أهدى بها الله
إبنى هو الذاكر الرحمن أطلقها ... صريحة وتبنى ذاكر الله
وقال : من لم يكن يذكر لخالقه ... اوكان لى والداً ماكنت أهواه
وقال : قدر الذى تأتيه من عدد ... يأتيك من مدد بالروح تلقاه
وقال : صحح مبان الإسم فى مهل ... واحضر لقلبك واستذكر لمعناه
وقال : إنى مأمور أمرت بما ... أمرت ليس اجتهاداً يخشى عقباه
وقال : فى العدد المعهود أن له ... سراً خفياً كذا ترتيب أسماه
وقال : فى العدد التنشيط يرسله ... ربى لذاكره والواهب الله
وقال : وجهتنا فى الذكر ترضية ... لله حباً له لا نيل إعطاه
وقال : من شاء إعطاء ومنزلة ... فالذكر يحجبه عن وجه مولاه
وبث فينا من التوحيد أظهره ... لفظاً ومعنى وروحاً شاءها الله
وبث فينا مزيداً من معارفه ... ذقنا لطعم غريب ما عهدناه
وبث فينا كثيراً من مشاربه ... أخلاق من سلفوا من أكرم الله
وبث فينا من الإخلاص خالصه ... بفعله وبقول فاق معناه

وبث فينا من الإيمان أكمله ... فالصدق أوله والفعل مثناه
وبث فينا لحب الله خالقنا ... حباً عزيزاً لهذا قد عرفناه
وبث للذكر والصبر الجميل كما ... بث التشكر للمولى وتقواه
وبث فينا الرضا عند القضا أبدا ... من بعد تفويضنا فالفاعل الله
وبث فينا لحب الخير أجمعه ... ثم التعاون فى بر وجدناه
وبث فينا لصدق القول نهجه ... وصدق وجهتنا كى يقبل الله
وبث فينا لبذل الجهد فى طلب ... كى يرضى عنا الذى تمت عطاياه

٧ ـ معارفه رضى الله عنه

مربيا كان فى أقواله نغم ... يهدى القلوب بعلم فاق معناه
مربيا كان فى ألفاظه حكم ... تجلى لعلم غزير تم إعطاه
مربيا كان جزل اللفظ موجزه ... فكم كلام قليل دل معناه
مربيا كان فى تأثير منطقه ... كالمغناطيس إذ مست زواياه
مربياً كان يولى صفو فلسفة ... لأنه عامل قادته تقواه
مربيا كان قد نارت سريرته ... فأدرك الحق من إلهام مولاه
مربيا كان بالتوحيد منغمسا ... ينزه الله حيث الأول الله
مربيا كان لا نثرا يغر له ... كلا ولا الشعر فالإلهام يؤتاه
مربيا كان يعلم أن رائده ... هداية الخلق والتقريظ يأباه
مربيا كان لايأتى بمشكلة ... تحتاج للجدل المعروف عقباه
مربيا كان لا تلقى صياغته ... فيها التكلف بل ما يلهم الله
مربيا كان لا التلميح يعجبه ... فمن يلمح فقد بانت نواياه
مربيا كان فى التصريح راحته ... فالحق أبلج والإخلاص مبناه
مربيا كان مسئولا على ثقة ... يعطى لها يوم أن يسأله مولاه
مربيا كان ممنوحا لمعرفة ... علم وحق وعين أطلع الله

مربيا كان فيه كل ناحية   فيها جمال كمال خصه الله
مربيا كان أهل العلم تنصفه   بالعلم توصفه ما قال ترضاه
مربيا كان أهل العلم ناظره   وصار أكثرهم أتباع تهواه
مربيا كان فردا فى تصوفه   وأوليا عصره جمعا به باهوا
فى كل طائفة تلقاه رائدها   والمتقى الله لا تنضب عطاياه
مع الطبيب طبيبا حاذقا وكذا   مع المهندس وصافا زواياه
مع المحامى محام ثم خبرته   مقننا عالما يدرس قضاياه
كهف المعارف لم توقفه مسألة   والله يعلم أن الحق قلناه
مربيا كان فى آيات خالقه   مفكرا بعميق العقل ذكراه
مربيا كان خصب الفكر نيره   لأنه عامل والملهم الله
مربيا كان يستعرض بدائع ما   فى الكون من كائن أنشاه مولاه
مربيا كان كالغواص فى لجج   يستخرج الدر حيث الله والاه
مربيا سل التأليف قال هنا   يكفى كتاب كريم أرسل الله
فيه الشريعة والتوحيد مع قصص   وضرب أمثاله وعظا فقهناه
فيه التصوف موصوفا حقائقه   فيه الفضائل والأخلاق مبناه
فيه التعبد والإيمان مع أدب   والحب لله من أولى قضاياه
والحب لله يغرى بالوداد له   والود من سيدى أعلى عطاياه

٨ — تصوفه رضى الله عنه

قال : التصوف فى حسن استقامتنا   على طريق الهدى والشرع نرعاه
قال : التصوف فى ترك لمعصية   وطاعة الله أقوى ماورثناه
وكسب رزق حلال فى مطاعمنا   ولبسنا من حلال رزق الله
قال : التصوف فى تطهير باطننا   من بعد ظاهر تطهير فعلناه
وأول الأمر توب قبله ندم   والعزم والحزم أن الذنب نأباه
وبعد تربية الأرواح نطلبها   والقلب نخليه من عيب تولاه
والعقل ننصره فيما يريد له   بكل فضل عزيز سنه الله
والروح نور بقلب العبد يسكنه   والنفس نخذلها والخير نهواه

والنفس إن سكنت للروح صار لها   حال عزيز كريم شاءه الله
هنا نسمى لها روحا وندمجها   فيه لمزج عجيب ثم إنشاه
ذا مع مراقبة فيها محاسبة   والاتهام لنفس ليس ننساه
لأنها شأنها التقليب يغلبها   لشهوة طرأت والشر لهواه
هنا نؤدبها هنا نهذبها   للخير نجذبها فالشر تنساه
لذاك كان ضرورى معاهدة   مع المربى لها والهادى الله
إذ للمربى سلوك بالطريق له   أفاده قبلنا والشوك خطاه
والشيخ مثل طبيب فى معالجة   للنفس فالروح منه ثم مسراه
والروح منه لها للروح تغذية   بالسر والنور معروف قضاياه
إن الرسول حبيب الله قائدنا   يمد من مدد أولاه مولاه
والرسل والأنبيا والأولياء لهم   كل على قدره الإمداد يؤتاه
وكلهم واهبا مما يفاض له   لأنه دائما تنمو عطاياه

٩ — منهجه الصوفى

كان التصوف معروفا مناهجه   تشددا ثم تفريطا وجدناه
قال : التصوف لا جوع ولا سهر   لا خلوة لا لباس رث نهواه
بل التصوف : ماكان الرسول به   يأتى وفعل صحاب قل غلواه
قال : التصوف لا إفراط نجهدنا   ولا يكون بتفريط رأيناه
بل اعتدال به إصلاح آخرة   كذا وإصلاح دنيانا وعقباه
حتى يكون لنا مجدا نفوز به   والعز للدين من أقوى قضاياه
قال الإله : أعدوا فى مقالته   لما استطعتم وربى الناصر الله
قال : التصوف إيمان نخالطه   قوى اليقين وضعف العبد نأباه
قال : التصوف لا جبر يؤخرنا   مستسلمين وفعل الخير نخشاه
بل التصوف تفويض به عمل   لرفع دين متين قد تبعناه
والنور شرح لصدر لاتباع هدى   من بعد تيسير أمر شاءه الله
والنور يهدى مريد الحق ينقله   عن طبعه وينمى من مزاياه
يزداد إيمانه تزداد وصلته   يزداد خوفا لمولاه ونخشاه
يزداد حبا له يزداد منزلة   يزداد قربا وصفو القلب يؤتاه

والذكر والفكر والإيمان يصقله ... والشكر لله بعد الحمد رقاه
والحب والعشق يوصل حبله أبدا ... للقلب أنواره والواهب الله
هنا المقام هنا الأحوال جاذبة ... إلى وجود الفتى والجمع عقباه
هنا الوجود أو التحرير ياأملي ... هنا الخمود أو الداعي إلى الله
أما الخمود فسكر دائم أبداً ... أما التحرر للداعي لإعلاه
لكنه فى حنان ما يعيش إلى ... وقوفه ضمن حجاب وأصفاه
لكنه ضاع منه الاختيار بما ... يختاره الله والرحمن أولاه
هنا ترى الخلق مجموعين عن ثقة ... بمن أحب إله العرش إنشاه
من هؤلاء مربينا ومرشدنا ... هو الخليل الذى تمت عطاياه
هو الخليل الذى أحيا الطريق على ... نهج الرسول الذى بالسر والاه
قد جاء والخلق مفتونون يشملهم ... حب الظهور وحب المال قواه
فصاح صيحة حق قال سامعها ... هذا الدليل الذى قد قيض الله
هذا هو النبوى الصرف وجهته ... هدى العباد لمولاهم ومولاه
صفى الطريق ونحى من شوائبها ... ماشابها من جهالات وأشباه
ووعظه كان يبكينا ويحزننا ... لكنه لحياة القلب نهواه
فإنه كان بعد الخوف يعطرجا ... فالخوف نار وحسن الظن أطفاه
وبعده كان منشينا ومطربنا ... ببشريات جسام يعطها الله

١٠ ـ أخلاقه رضى الله عنه كمتصوف

مربيا كان يتبع صفو نيته ... قبل الشروع بأمر يقصد الله
مربيا كان للإخلاص يلزمه ... والصدق فيه موصول « بتقواه »
مربيا كان فى صدق اليقين له ... تمام إيمان قص الآى (١) مبناه
مربيا كان صدق القول شيمته ... والصدق فى الفعل درسا قد وعيناه

(١) (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير . .) (آية ٢٨٥ ـ البقرة) .

مربيا كان حال الصدق مبدؤه ... فى قصده حينما يدعو لمولاه
مربيا كان ذكر الله ديدنه ... والفكر فى كونه والنفس رقاه
مربيا قد قضى للعمر ذاكره ... لله شاكره لله يهواه
لله يعبده لله يقصده ... كما يمجده والغير يأباه
والذكر مجلسه بالقدس يؤنسه ... معراج روح أرادت ربها الله
مربيا كان للطاعات أجمعها ... كان المؤدى لها والدافع الله
مربيا كان بالمولى له ثقة ... فيه وصار الرجا والخوف يلقاه
مربيا كان يشغله مراقبة ... لله فى كل أمر كان يغشاه
مربيا كان يخشى الله خالقه ... ونشطت خشية القهار أعضاه
مربيا كان يحفظ للجوارح فى ... حفظ لقلب كذا للذنب جافاه
مربيا كان حال الصبر يجعله ... مستغفرا تائبا لا يشتكى فاه
مربيا كان فردا فى توكله ... ثم الرضا بعد تفويض شهدناه
مربيا كان شكر الله يكثره ... بما له من زيادات سيلقاه
مربيا كان فى زهد وفى ورع ... وعفة قانعا لا يرج إلا هو
مربيا كان يستغنى بخالقه ... عن خلقه ولهذا الله أرضاه
مربيا كان فى تقصيره أملا ... يباشر الرزق فى رفق رأيناه
مربيا كان يطلب للحلال ولا ... يبيع آخرة بكسب دنياه
مربيا كان فى حلم وفى كرم ... والعفو بعد سماح قد رأيناه
مربيا كان فى حسن التواضع فى ... حال انكسار وذل وهو أواه
مربيا كان فى فقر لخالقه ... هنا الخشوع تراه فت أعضاه
مربيا كان يخفى عند حظوته ... بالسر للسر كتاما عطاياه
مربيا كان شرح الصدر أول ما ... أعطى فكان طريق الشرع مسراه
مربيا كان نور الله أودعه ... بقلبه ولشرح الصدر أولاه
مربيا حاز نورا كان هاديه ... يفرق به باطلا من حق يرضاه
مربيا كان هذا النور يخرجه ... من شر شبهات نفس قد تلقاه
مربيا كان قدر تقواه وخشيته ... والعقل والعلم يعرف ربه الله
مربيا كان للقرآن يتبعه ... وسنة المصطفى الداعى لمولاه
مربيا كان للتقوى ملازمها ... خوفا على دينه خوفا لمولاه
مربيا كان يفتح فى بصيرته ... والغيب يدركه والكشف يعطاه

١١ ــ التمسك بالمربى وتربيته

الذاكر الله تلميذ لمرشده … والمرشد الحق روح الخلق تهواه
الذاكر الله يقفو إثر قائده … ملازما نهجه يحذو لخطواه
الذاكر الله لا يرضى مطاولة … على ولى إله العرش ولاه
الذاكر الله يذكر فضل مرشده … ومن تجنى عليه رده الله
الذاكر الله رب العرش يرشده … للحق والقلب منه يهده الله
الذاكر الله لا يجحد لتربية … ولا يخون لمن بالسر رباه
ولا يخون لمن كانت سفارته … أصلا لمعرفة قد شاءها الله
ومن يكن صالحا من نسل قائدنا … باب إليه ويخطئ من تخطاه
وللحفيد اقتفا آثار مرشدنا … أبى خليل هنا نتبع ونرضاه
كذا نرى الخلفاء الغر من ثبتوا … أركان دولتنا قواهم الله
قد قال شيخى عنهم إنهم أبدا … ضباط جند طريق عزه الله
وإن أرواحهم بقدر خدمتهم … كذا وروح لجندى سيهواه
وقدر همته نعطيه نفحته … وقدر إخلاصه يعطيه مولاه
وطالما هو فى صحو ينبههم … وإن ينم تجد نامت رعاياه
وكل راع سيسأل عن رعيته … والأجر من فضل مولاه سيعطاه
والأجر ستر بدنياه وآخرة … والحشر مع شيخه والعفو وافاه
ورؤية المصطفى المختار سيدنا … عند الشفاعة والرحمن أرضاه
نعم وسكنى بجنات يكون بها … رضا الإله الذى هناه رؤياه

١٢ ــ الحفظ الالهى

مربيا كان مسبوقا عنايته … من أول الأمر حتى تم أخراه
مربيا كان محفوظا برحمته … ورحمة الله أعلى ماطلبناه
مربيا كان محفوظا بقدرته … بكل حال ونعم القادر الله
مربيا كان ملحوظا بمنته … ومن يلاحظ حظى والنصر آتاه
مربيا كان محجوزا بغير عنا … عن المعاصى ونعم الحافظ الله
مربيا كان حفظ الله عم به … فى القلب فى نفسه فى كل أعضاه
مربيا كان معروفا تفرغه … لله والله أعطاه وأرضاه

١٣ ــ المنهج التعبدى بالطريق

« ذكر ، استغفار ، صلاة على الرسول »

« الذكر » :

قال المربى لنا : إنى أمرت بما … به أخذت عن الهادى بلقياه
بعالم لمثال نحن نثبته … وعالم الروح أهل العلم سماه
ماكنت مبتدعا بل كنت متبعا … نهجا كريما حبيب الله أعطاه
وشيخنا كان يذكر من طفولته … إلى الكهولة فى عزم عرفناه
وشيخنا قال : ذكر الله داخله … كل المزايا لعبد شاء مولاه
فالذكر أول شئ بل وآخره … فإنه لسبيل الفتح مسراه
لذا نرى شيخنا للذكر وجهنا … للذكر ذكرا كثيرا نقصد الله
بالذكر أدبنا بالذكر هذبنا … بالذكر أصهرنا والطهر نلقاه
بالذكر واصلنا بالذكر وصلنا … بالذكر أوصى لنا والصدق نرعاه
بالذكر أقبسنا نورا … وألبسنا ثوب التقى لإله فاتبعناه
بالذكر هيمنا بالذكر تيمنا … بالذكر علمنا مارضى مولاه
بالذكر أوصل نور الله أفئدة … لنا وشرحا لصدر قد وجدناه
بالذكر روحننا بالذكر حن لنا … روح لخالقنا والحب أقواه
بالذكر عرفنا لمن يصرفنا … والله لما عرفناه عبدناه
وبالثلاثة عشر اسم لنا اندرجت … معنى لأسماء حسنى قد وجدناه
بها الشهادة مفتاح القلوب بها … اسم الجلالة اسم الذات : الله
بها الصفات لذات الله خالقنا … بها صفات لأفعال عرفناه
و « هو » بها هام كل الذاكرين لما … كانت تشير إلى رب عرفناه
أسما الجمال بها أسما الجلال بها … فللجمال اتباع والجلال له
أسما الجمال ودود ثم يشبهه … الوهاب والباسط المرجو عطاياه
أسما الجلال كقهار ويشبهه … مهيمن وعزيز ليس إلا هو
وما تعدد أسماء الجمال لنا … إلا لنتبع أخلاقا بها الله
مثل العفو فنعفو للمسئ لنا … ثم الغفور وفيه نفس معناه

مثل الرحيم ورحمن برحمته   تكون رحمتنا كى يرحم الله

أسما الجلال تخص الله واجدنا   فلا تكون لنا وصفا طلبناه

والكبرياء له كذا وقدرته   كذا إرادته والحاكم الله

هنا ترى أن أسماء الجمال لنا   تعطى الرجاء وبسطا شاءه الله

كما ترى أن أسماء الجلال لنا   تعطى لخشية رب قد عبدناه

وهكذا كل اسم فيه منفعة   حيث التخلق أو تقديرنا الله

وقس على ذاك أسماء الجليل ترى   قسما لتوحيد قسما لإعطاه

رأى شيخنا فى الأوراد :

ليس التصوف أورادا نرددها   أتباع شيخ وذكر الله ننساه

إلا إذا كان فى جمع يكون به   حفل ودعوة شيخ ثم أبناه

وأصبح الورد عنوانا لفارضه   يتبعه تابعه لايرضى إلاه

كذا به حال نسيان لسالفه   ثم احتلال فراغ كان بملاه

والورد طابع إخوان له اتبعوا   واسمه لاسم من أنشاه أنساه

والورد كان لأقطاب به سألوا   أعلا المقامات عند الله يعطاه

من بعد خلوتهم قسرا وجلوتهم   والأخذ والجذب والتشريد عقباه

حتى انثنى بعضهم يدعو لخالقه   والبعض ظل بجذب مثل من تاهوا

وإنهم ترجموا بالحزب ماوصلوا   إليه داعين أن يتمم عطاياه

فكيف يسأل هذا أى مبتدئ   يسلك بدرب طويل طال مسراه

لذاك لم أبتدع وردا له طلبت   بعض المحبين كى يدعو به الله

والورد هذا سؤال الله حاجتنا   والذكر محضا لفتح قد وصلناه

بدون قصد نجد آثاره ظهرت   بالحب بالقرب بالإيمان زدناه

بالاستقامة فى سير لخالقنا   والاستقامة أعلى ماورثناه

وذاك فضلا عن الأنوار نقبسها   وشرح صدر ونور فيه أضواه

واقرأ حديث رسول الله سيدنا   تجد لتفضيل ذكر قد ذكرناه(١)

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رب العزة :

« من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ماأعطى السائلين »

ومن يقل جدلا فى الورد منفعة   هنا نباشر قلنا حسبنا الله

هو الحليم ولكن للجزا أمد   إن جاء يعرف مغرور لعقباه

فالله ربى عليم بالذى فعلوا   فى ديننا وطريق قصده الله

« الاستغفار » :

وقال قائدنا استغفار خالقنا   يعطى رضاه ويعطى صفو تقواه

فإن مستغفر الغفار يكرمه   بحسن مغفرة والعفو يلقاه

كذا ويمسح زلات له سبقت   وينسى كاتبها ماكان أحصاه

ويبدل الله أوقات الذنوب بأوقات التجلى بذكر الله مولاه

كذاك تلقاه يلقى الرزق أكثره   ورزق روح لها قد تم تقواه

« الصلاة على سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم » :

وقال قائدنا إن الصلاة على   طه نهارا وليلا نذكر الله

قال الصلاة لنا تعطى محبته   فإن أحب لنا نلنا عطاياه

وروح سيدنا المختار تسمعنا   عند الصلاة عليه من رعاياه

كذا وأعمالنا تعرض عليه فإن   رأى لخير نحمد ربه الله

ويسأل الله للعاصين مغفرة   من الكريم الذى جلت عطاياه

لذا نصلى عليه طالبين له   وسيلة ومقاما خصه الله

وما الصلاة لنا إلا لمنفعة   فللمصلى عليه رفع بلواه

دفع الكروب وغفران الذنوب وإصلاح العيوب وأجر يعطه الله

كذا وتيسير رزق الروح مع جسد   واليسر يغلب عسرا زاله الله

والقرب لله بالزلفى لحضرته   بحب خير رسول عزه الله

فمن أحب رسول الله كان له   حب من الله والجنات عقباه

هنا أشيد بحب كان يحمله   شيخى كأقوى محب قد وجدناه

إن قال يارب أو يامصطفى نبعت   منه الدما بجبين قد شهدناه

وذاك من هيبة تبدو بظاهره   وباطن فيه كان الشوق أعلاه

لذا الصلاة عليه ها هنا وجبت   منا عليه صلاة ترضى مولاه

١٤ — تخفيه رضى الله عنه

مربيا كان من أخبار خلوته ... سر عزيز علمناه فآذاه(١)
وقال لابد من تأديب ناشره ... إن لم يكف ويكفيه بلاياه
مربيا كان يخفى للمقام إذا ... ما الغير لوح فى شطح تولاه
مربيا كان لايبدى لطاعته ... أمام غير الذى بالسر والاه
مربيا كان يخفى الفتح أجمعه ... وصار يكتمه حتى تعداه
مربيا كان لا يرضى مجاهة ... بالكشف يكشف عن عيب لأبناه
مربيا كان لايرضى لتابعه ... شرا بثرثرة تكشف عطاياه
مربيا كان يؤذيه مكاشفة ... ومن يخالفه بالإيقاف رباه
مربيا كان يخفى الشوق كاتمه ... والشوق نار تلظت فى حناياه
مربيا كان لايبدى تواجده ... والوجد كاد يفتت بعض أعضاه
مربيا كان لايبدى الهيام ولا ... يبدى التتيم والتمكين معناه
مربيا كان لايبدى لطنطنة ... قصد التفات له فالجمع أبناه
مربيا كان لايحسن لمظهره ... قصد التقلل فى إظهار دنياه

(١) إشارة إلى واقعة وقعت أيام لزومه الخلوة الصغرى بمنزله والتى امتدت إلى خمس سنوات كان طعامه بها كمية قليلة من الفول السودانى تقدم له كل أسبوع بعد أن تسلمها له من وراء الباب إحدى سيدات المنزل ، وهى بنت أخته .

وفى ذات يوم توجهت إليه السيدة المذكورة لتعطيه كمية الطعام ودقت الباب كالعادة فلم يجب ولم يحضر. فدقت الباب دقا عنيفا متتابعا فلم يجبها. هنا اقتحمت عليه خلوته فلم تجده بها . . بل رأت أنها داخل بستان عظيم لاترى له حدا .. وعمها ذهول .. صارت تجرى معه هنا وهناك . . باحثة عنه فى كل موضع وهى تنادى : ياخال . . ياخال . .

هنا حضر حضرته وسكن روعها وأخذ منها ما معها وأمرها بعدم إفشاء هذا السر.. هذا وقد خرجت من عنده وهى فى حالة يرثى لها مما لقيته من

مربيا كان عياف التظاهر ... عياف التجاهر مشغولا بمولاه
مربيا كان لايحفل بما حفلت ... به المشايخ هيابا لمولاه
مربيا كان لايرضى الرسوم فلا ... حجاب بالباب تطلب إذن رؤياه
مربيا كان لايرضى التنيب ولا ... رايات تخفق على رأس بمسراه
مربيا كان لايرضى مظاهرة ... لاطبل لازمر لادف اتخذناه
مربيا كان ينفى كل شائبة ... حيث التعاليم مما الشرع يرضاه
مربيا كان لولا الأمر ينفذه ... لما رأيناه حيث القفر مثواه
مربيا كان يرجو أن يكون فتى ... بجانب الحق لا نعلم خفاياه
مربيا كان فى كل الأمور فتى ... وبالفتوة أعلى دين مولاه

١٥ — فتوته رضى الله عنه

مربيا كان فى حرية أبدا ... لايخش فى الكون إلا ربنا الله
لأنه وارث المختار سيدنا ... فى فعله فى مقال فى وصاياه
فى حسن أخلاقه فى رفع همته ... وفى عزيمته والحزم أعلاه
وفى شهامته وفى شجاعته ... وفى حماية منكوب وإيواه
وفى سياسته وفى سماحته ... وفى هدايته من شاءه الله

المفاجأة . فلم يسع جميع من بالمنزل إلا سؤالها عما جعلها فى حاله تنبئ عن شئ مهم للغاية . . وبعد تطمينها بأن الشيخ خالها ولا يسمح بضررها عند إفشاء سره ...

هنا تكلمت بما رأت . وعلى الفور .. وقعت فى بلاء لاتتحمله .. وهو آلاف البنور الصديدية المؤلمة مما جعلها فى غاية المرض ولزوم الفراش . . ولكنها كانت عند شكواها تشير إلى السبب فيعلمه السائل .

فأرسل لها حضرته أنها إذا لم تكف عن ذلك وتكتفى بما هى فيه سيكون العقاب أشد . فكفت — وشفاها الله تعالى .

وكان هذا درسا للأسرة كلها . . ولكنه امتنع أن يأخذ طعامه المعتاد إلى أن خرج إلى سكنى القبور بعد ذلك بقليل . .

وفى بشاشته وحسن بسمته ... عند اللقاء لمن قد شاء لقياه
خفض الجناح وبسط الحديث له ... ولين جنب للين القلب أفضاه
وفى تعاهده لمن يعاهده ... وفى توودده واللطف مبناه
فى حسن إيثاره والمال يلزمه ... فى حسن بر وعدل فى رعاياه
فى بسط وجه لمن كان مادحه ... فى حسن عفو لمن ضلت نواياه
هذى فتوة إبراهيم (١) والده ... من بالفتى قبله سماه مولاه
كذاك فتية كهف بالكتاب لها (٢) ... ذكر من الله للمختار أوحاه
فمن فتوة خير الخلق نبعته ... ومن خليل لنا نبع شربناه
وفتية الصحب من للدين قد نصروا ... وكسر كسرى وروم ذل أعداه
وللتصوف فتيان لقد لزموا ... سكنى الثغور لتمنع شر أعداه
مرابطين لهم سيما تميزهم ... سروالهم وقميص كان أعلاه
وحاربوا للتتار والمغول كذا ... فى فتح أسفل أوربا رأيناه
وأسسوا دولة فى مصر تحكمها ... أبناء فاطمة (٣) الزهراء أبناه
ونجدة عند حرب الغرب أجمعه ... لنا باسم **صليب** ماعبدناه
وكان آخرها حرب الفرنس لنا ... وأسر عاهلهم بالله نلناه
لما افتدوا ملكا بالمال وانحدروا ... مصاحبين (لويسا) (٤) بعد إفداه

---

(١) قوله تعالى : (سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم) آية ٦٠ — الأنبياء .

(٢) قوله تعالى : (إذ أوى الفتية إلى الكهف) آية ١٠ — الكهف
وقوله تعالى : (إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى . وربطنا على قلوبهم) (آية ١٣ — الكهف)

(٣) الدولة الفاطمية التى حكمت مصر ثلاثة قرون .

(٤) بهذه الغزوة التى كان مظهرها دينيا ومخبرها استعماريا ، حضر الجيش الفرنسى يرأسه لويس التاسع ملك فرنسا واشتد القتال بالبحر الأبيض عند دمياط ودارت الدائرة على المسلمين الذين كان فيهم العارف بالله تعالى زعيم علماء عصره وصوفيته « العز بن عبد السلام » مقيما بخيمته

ودار لقمان تشهد مايكابده ... قبل الفدا كأسير ذله الله
وانظر لدعوة « عز » حين أطلقها ... صارت كغزوة أحزاب قرأناه
وانظر فتوة مولانا الجليل تجد ... من ذلك الفيض قد كانت عطاياه
إذخاطب السحب فوراعندها انسحبت ... والمولد النبوى فورا أقمناه
وخاطب البحر فى ثغر وقد هدأت ... أمواجه وهياج البحر أقصاه
والأمر منه تعال باهواء تجد ... لشدة الدفع حالا قد وجدناه
والريح سخره يدفع سفينته ... بالنيل رغم جفاف كان أعلاه
والريح سخره فى نقل خطوته ... إلى عديد بلاد عند مسراه
وعندباب الكرامات التى وقعت ... تجد مايكرم الله عبدا ذاكرا فاه
ولا يهم هنا تصديق من جهلوا ... فجاهل الشئ جهلا منه عاداه
يكفى شهادة منشى الكون خالقنا ... والله يعلم أنا ماكذبناه
هذى الفتوة موجود حقيقتها ... عند الولى الذى يكرم له الله

١٦ — توكله رضى الله عنه

مربيا كان معروفا توكله ... من اليقين بأن الفاعل الله
مربيا كان مع مولاه فى أدب ... ويكفه حكمة البارى ويخشاه
مربيا كان فى عز لخالقه ... لشرح صدر وصفو كان يؤتاه
مربيا كان بالرحمن مكتفيا ... لذا كفاه وأعلاه ووالاه

يتعبد ويتوجه إلى الله تعالى بسؤال النصر ، فلما بلغته هزيمة الجيش الإسلامى ، خرج والناس حوله قاصدا شاطئ البحر واتجه إلى ناحية جيش أعداه رافعا صوته قائلا : « خذيهم ياريح » . فهبت الرياح ، تماما كما هبت فى واقعة الأحزاب بحضور سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم ، ونال العدو هزيمة الأحزاب عينها . وهنا انهزم الجيش الفرنسى حتى أسر أكثره وفيهم ملكهم المذكور الذى أمضى مدة أسره ببيت ابن لقمان بالمنصورة حتى تم الصلح على فداء الملك وأسراه بمبالغ فاقت التعويضات . .

(وما النصر إلا من عند الله) .

مربيا كان يرضى بالقضاء إذا … حم القضاء به ترضيه تقواه
مربيا كان عبدا عند خالقه … إن شاء يمنعه أو شاء أعطاه
مربيا كان لا التدبير يشغله … حيث المدبر كل الكون مولاه
مربيا كان تملؤه السكينة فى … كل الظروف التى مرت بدنياه
مربيا كان معروفا علاقته … بالله والله بالخيرات وافاه
مربيا كان معروفا برهبته … وكل مايرض للرحمن أرضاه
مربيا كان ذكر الله يصرفه … عن حاله ويرى فى الفعل مولاه
مربيا كان فى التفويض راحته … فمن يسلم سلام الله يلقاه
مربيا كان إن تفجأه كارثة … يقول خيرا وأجرا شاءه الله
مربيا كان إن تعصره حاجته … يحصر رجاه برب يعطه الله
مربيا كان يعلم أن مانقصت دنياه إلا ليبقى غنيا عند أخراه
مربيا كان إن يفقره خالقه … يقول صندوق توفير ملأناه
مربيا كان إن يسكنه خالقه … دار الهوان فلطف الله عقباه
مربيا كان للتفريج منتظرا … مع الرجوع ودعواه لمولاه
مربيا كان لاحيران لا قلقا … ولا كئيبا ولا التشكيك يهواه
مربيا كان لاحب ولا ولع … يكون منه لشئ يمنع الاله
مربيا كان لارتاع من شبع … للجوع والفقر أو مايقدر الله
مربيا كان لا إشراف لاطمع … لا مطلب وهلوع عند إقصاه
مربيا كان لاتلقاه مضطربا … بل راضيا أبدا مايقسم الله
مربيا كان قماع الوساوس فى … صدر كذا خاطر بالشر يغشاه
يطرد لشيطانه والنفس يقهرها … والروح ينصرها والعقل أرضاه
هذا توكله فانظر لسيرته … تجد توكله أصلا لمسراه

١٧ ــ دنياه رضى الله عنه

اقرأ لسيرته تعلم حقيقته … تدرك طريقته فى شأن دنياه
تدرك سريرته تدرك مسيرته … تدرك لتوفيقه تدرك عطاياه
تجده عند سلوك نحو خالقه … كعابد والترقى كان مبناه
تجده قد طلق الدنيا وزخرفها … وانحاز فى خلوة يذكر لمولاه
تجده مضطربا للجذب منجذبا … تجده وسط قبور كان مثواه
تجده سواح أقطار يكون بها … كزمرة قبله بالكون قد تاهوا
تجده عاد لرفع الدين يدفعه … أمر الرسول ونهج منه أعطاه
تجده ساق له الرحمن تابعه … وساقه الله للمطلوب إهداه
تجده قد أثرت فى الناس دعوته … كالشمس إن بزغت لاليل نلقاه
تجده سهل ربى فى زيارته … بلاد قطر ونور الله يغشاه
تجد لمعهده المعمور ساحته … يغص بالخلق كى يحظوا برؤياه
تجده قد كان للدنيا مخاصمها … فالدار فانية والباقى الله
تجده قد كان يسكنها كمزرعة … والحصد يعطى جناه عند أخراه
تجده قد كان جاعلها دوما مطيته … إلى حمى ربه والشوق مسراه
فانظر لدنياه تلقاها بآخرة … موصولة وهنا دنياه أخراه
لذاك كنت تجد دنياه آخرة … فاعجب لساكن أخراه بدنياه
والآن بالملأ الأعلى وبهجته … ينعم بأنوار وجه الله مولاه
يسأل لنا ربنا الوهاب مكرمة … من فضله لنجد فينا مزاياه
هنا يجاب لما يطلبه قائدنا … بساحة الفضل حيث الواهب الله
وإن تدقق تجد أن الخليل له … شيئان كانا طريقا عند مسراه
فالحب والذكر كانا فى طبيعته … والحب والذكر أولاه وأخراه

١٨ — صبره رضى اللـه عنه

ملازم الصبر فى جهد يقوم به   فانظر لصبر طويل تم مبناه

مربيا قد قضى للعمر ذاكره   من الطفولة حتى يوم لقياه

والصبر فى خلوة قاسى شدائدها   والصبر حيث قبور الحى سكناه

والصبر فى القفر فى أثناء جذبته   والصبر فى الفقر صبرا قد شهدناه

والصبر فى شهوات النفس قام به   خير القيام وقاسى ماعرفناه

والصبر فى طاعة دوما يقوم بها   بهمة ونشاط نال عقباه

والصبر فى دعوة للقطر شاملة   ولسن منه بقدر قد عرفناه

على حاقد أو حاسد أو معاند   كذا ناقد يصبر ولا يشك مولاه

لمن قد يناوئه العداء مسالم   ويترك أمر المعتدين وينساه

ويصبر عمن كان للفضل جاحدا   ويصبر عمن بالتعامل جافاه

لذا لم نراه غاضبا أى لحظة   ولا لحظة فى ثورة قد رأيناه

له البشر حال لم يفارقه برهة   ويعطى جليسا مابه تم بشراه

صبور على من جاء يدرس حاله   كصبر لأيوب مريدا لإهداه

ويصبر فى دعواه لله قاصدا   رضاه ورب العرش تم إرضاه

١٩ — زهده رضى اللـه عنه

مربيا كان يكفيه الكفاف وما   مد اليمين لعبد خوف مولاه

مربيا كان معروفا قناعته   إذ من بضاعته أن يحمد الله

مربيا كان يلقى الستر غايته   لايغره المال والإنفاق يهواه

مربيا كان إن يغنيه خالقه   ينفقه فى طاعة ترضى لمولاه

مربيا كان إن يرزقه خالقه   كان السخى الذى فاضت عطاياه

مربيا كان فى اطمئنان فى ثقة   حيث الأمور مراد شاءها الله

مربيا عن هموم الدهر مبتعدا   حيث التفرغ للرحمن ألهاه

مربيا كان باب الذل مدخله   لله أوصله والله آواه

مربيا كان يستجدى لخالقه   توفيقه وصوابا يعطه الله

مربيا كان يقنت والدعاء له   يكسر لحدة طبع حال دعواه

مربيا كان يدعو الله فى أدب   وفى انكسار وفى ذل تغشاه

مربيا كان يدعو الله فى رغب   أن يمنح اللطف فيما قدر الله

مربيا كان يدعو لله فى رهب   أن يكشف الكرب والمكروه نحاه

مربيا كان مسكينا لخالقه   لا يبتغى رفعة لا يبتغى جاه

مربيا كان لا يختار فى طلب   بل راضى القلب والإيمان مأواه

مربيا كان فى فقر لخالقه   لا يسأل الناس بل يجنح لمولاه

٢٠ — خوفه رضى اللـه عنه ، ورجاؤه

أخاف لربى هيبة لجلاله   وأصبحت قدر الخوف لله أخشاه

على قدر عرفانى لربى أهابه   وتقدير قدرته ونعماء إعطاه

وأسما جلال الله جبار قادر   تمر على قلبى فيزداد تقواه

كبير وقهار عظيم مهيمن   رقيب حسيب سوف نفنى ونلقاه

له المحو والإثبات يفعل مايشا   يقلب قلب العبد حسب نواياه

فإن يفعل الخيرات لله طالبا   وصادق إخلاص بخير تولاه

وقد يفعل الشر البغيض بظنه   هو الخير والشرع الإلهى يأباه

يقول اجتهادا منه يفعل هكذا   ويطلب أجر الفعل تلقاه دنياه

ويفخر بالمال الكثير وجاهه   وكثرة أتباع وتشريف يلقاه

وينسى لمقت الله عند اختباره   بما نال من عز ورفع بدنياه

فذلك مفتون مراء مجادل   نسى الله فالرحمن للحق أنساه

أحس امتلا قلبى بفكر نيّر   عند الحقيقة والتأويل أأباه

تفكرت فى نفسى وقصدى ووجهتى   وفتشت نياتى وفعلى وعقباه

هنا قد وجدت الفعل لله مقصدى   وخفت غرورى والتفاخر ألقاه

فإن غرور المرء أقوى قاطع   عن الله حيث الكبر والعجب عقباه

تحيرت فى أمرى وزادت مخاوفى   ومن سابق المكتوب خوفى أعلاه

وخفت نهاياتى وماخطه القضا   وخفت انحرافى عن طريق طرقناه

فإكرام إبليس اللعين حدا به   لعصيانه والكبر والفخر أرداه

وما جره بالكذب والخلف خائنا   له الدنا الأعلى وللعهد أنساه

وغفران مولانا لآدم زاده ... لحقد دفين كان باللؤم أخفاه
ومع كل هذا قد أجاب إلهنا ... لما سأل المولى لتكثر أخطاه
وكان هبوط الجد للأرض حكمة ... بها يدخل الجنات أصدق أبناه
ويدخل النيران إبليس نادما ... رافقه أهل الفجور رعاياه
وآدم جدى كان لله عابدا ... نسى عهده عند القضا ماتغشاه
وعند قبول الله لاستغفاره ... تحقق فضلا للهبوط وسكناه
بذا زاد خوفى حيث عاقبة الفتى ... بغيب عزيز يعلم الله أنباه
وقد خاف هذا الغيب صحب رسولنا ... وأعلاهمو قدرا ولم يلههم جاه
وقال أبو بكر(١) مقالة خائف ... وفاروق (٢) خاف الشر فيما تمناه
هنا اشتد بى وجدى وزادت مخاوفى ... وأجريت دمع الحزن والهم أقصاه
تمنيت أنى لم أكن من سلالة ... لآدم فى عبء قد تحملت أعباه
ورب طلبت المال والجاه مسكرا ... بما تم فيه من طريق رضيناه
وما نحن فيه ليس إلا تفضلا ... ونحن كآلات لتنفيذ إجراه
وخفت الريا والبعد والطرد خفته ... فإن الريا أخفى الخفى وجدناه
وقلت لنفسى كان إبليس عابدا ... وطاووس كان اسما لبعض أسماه
هنا القبض كان الحال عندى ملازما ... وخفت ليأس قاتل تم إنشاه
تحيرت والرحمن لاشك منقذى ... بلطف عزيز يمسح الكرب أعلاه
شفا حفرة لا شك قد كنت واقفا ... فأكثرت ذكر الله طمأننى الله
وما هى إلا لحظة قدسية ... بها غلب الإيمان ماكنت ألقاه
هنا حسن ظنى بالكريم سفينتى ... وحسن يقينى قد وقانى به الله
هنا نفحات الأنس بالله خالقى ... على الروح هبت من ثنايا عطاياه
شعرت بأنى فى الوجود هباءة ... يحركها فعل القضا وقضاياه
وليس لها إلا الرضا فيما قضى ... إلهى وتفويضا وتسليم أرضاه

(١) وهى قوله رضى الله عنه : إنى لاآمن مكر الله ولو كانت إحدى رجلى فى الجنة .

(٢) وهى قوله رضى الله عنه : ياليت أم عمر لم تلد عمرا .

وسلمت روحى والفؤاد لخالقى ... وعقلى وإحساسى وداومت ذكراه
وإن شب نار الخوف يطفئه الرجا ... كصب مياه فى أتون وقدناه
والنار والماء فى قلبى قد اجتمعا ... إن شب نار ترى للماء طفاه
وإن خاف قلبى من ظنون له بدت ... فالذكر(١) نعم الدوا والواصف الله
فإن الرجا إن زاد خفت عبادة ... كذا الخوف إن يزدد فاليأس نلقاه
وإن الرجا والخوف صنوان دائما ... وبين الرجا والخوف حدا لزمناه
وما الصبر إلا نصف إيمان مؤمن ... كلحمة ثوب والسدى قد نسجناه
وصبر الفتى يعطى القناعة والرضا ... وإيمانه يعطى لأنس وجدناه
ورفع اختيار المرء للرفع بابه ... وحسن اختيار الله يؤمن عقباه
كذا الشكر يعطى للشكور زيادة ... فلازمت شكر الله أقصد إرضاه
كذا الصدق والإخلاص شئ واحد ... مزيج كزهد والتورع ألقاه
كذا ثقة بالله ثم توكل ... يكمل هذا ذاك والباسط الله
مراقبة الرحمن تعطى استقامة ... وتعطى حياء من عظيم وتقواه
مراقبة النفس التى تعبد الهوى ... وإلزامها مالا تحب وتأباه
وتفتيشها ثم الحساب لفعلها ... لتأديبها نعم الدوا قد وصفناه
مراقبة القلب الذى فيه مضغة ... إذا صلحت تم الوصول لمولاه
مراقبة النيات قبل ابتدائها ... لفعل وقول فى الأمور قصدناه
وأحسن أخلاق الفتى حسن ظنه ... وإن شاء نصحا فى التفرد ألقاه
وحلم وعفو والتسامح شأنه ... يطيب نفسا والتحبب عقباه
ولا تعط نصحا للذى الكبر شأنه ... ومن يلقه باللطف والعطف داراه
وأعرض عن الجهال إن هم تعرضوا ... ودع أمرهم لله فالحاكم الله
ولا تتنافس مع مضل وظالم ... يدمره ربى بوقت سيلقاه
وكن داعيا لله لامتداعيا ... لتأمر بالمعروف والعرف ترضاه
فمن لم يؤدب نفسه قبل غيره ... فذلك مفتون مريد لدنياه
تواضعنا والانكسار وذلنا ... وكثرة ذكر المرء توصله مولاه

(١) قوله سبحانه وتعالى : (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) .

وحب الفتى للرحمن ثم رسوله — وآل وأصحاب وعم تخذناه
هو الأصل فى الوصل المراد نواله — لذاكر قلب واللسان علمناه
إذا ما الفتى قد كان للشرع حافظا — ونهج لمن بالشرع والسر رباه
وذلك أصلى فى الوصول لخالقى — وكل فتى ود الودود فأدناه
وأسأل مولانا الكريم تجمعى — قبولا وإعطاء لدين ودنياه
ويجعل دنياه ممرا لجنة — ويجعلنا ممن رأى وجه مولاه
بجاه رسول الله خاتم رسله — شفيع الورى لله فى يوم نلقاه
بيوم يقول الرسل سلم إلهنا — وأنت لها يامصطفى كلهم فاهوا
وقول رسول الله شكرا أنا لها — ويثنى على المولى فيكرم مثواه
وهنا الوسيلة والفضيلة واللوا — ومقام محمود به أكرم الله
فخير الورى أنتم وأكرم رسله — فكانت خصوصيات مانحها الله
صلاتى وتسليمى عليه وآله — تدوم دوام الملك والباق الله

٢١ ــ المولد النبوى

نحيي لمولد طه المصطفى فرحا — له وينفق فيه المال أقصاه
أسبوع ذكر وذكرى للرسول له — تأتى الوفود لتعبد ربنا الله
وموكب سار فيه الحفل رائده — بأمر سيدنا المختار أعطاه
وكان قبلا له يرأس مسيرته — من يأمر الشيخ أن يرأس رعاياه
من الرجال أولى التقوى لمركزهم — وحسن آدابهم ممن هدى الله
نذكر لخالقنا نمدح لقائدنا — خير البرية من رباه رباه
كأن بالملأ الأعلى نسير إلى — لقيا الرسول الذى يشفع لمولاه
كنا نسميه حجا أصغرا وكذا — عيد الطريق بهذا الجمع سماه
لكثر أعداده لكثر أمداده — لكثر إيراده فى كسب إعطاه
ويرجع الجمع تملوءا هدى وتقى — والآن صار ضريح الشيخ نهواه
لأن زائره يحظى بنظرته — وللشفاعة فى أخطار دنياه
أمام منزله ينشى لمحفله — وساحة المولد الرسمى بأباه
لما به من أمور ليس يقبلها — مثل الملاهى وأشيا تغضب الله
يقول إن حجاب الشرع يمنعنا — والشرع أول مانسعى لإعلاه

٢٢ ــ العيدين

بعيد فطر ترى للجمع مجتمعا — لكل ناحية وفدا رأيناه
والشيخ فى كرم والجمع منسجم — والشر ملتجم والحافظ الله
هنا الحديث بعهد جل سابقه — أما القديم فيكرمهم كأبناه
والكل يشرب من خمر مروقة — صفو الدنان وتسكرهم عطاياه
وعيد أضحى ترى ماقد ذكرت له — والعيد جمع أتى يرى محياه
مواسم كانت الإخوان تقصدها — بقصد نيل نوال من عطاياه
لكن أيامه والله أجمعها — كانت كعيد سعيد شاءه الله

٢٣ ــ السياحة

أما سياحته كانت إجابته — لدعوة لكثير من رعاياه
تمتد من بلد عفوا إلى بلد — كرسم أهل جهات عم أنباه
فالكل منتظر أنباء رحلته — يوما بيوم ليأتوها للقياه
لأنها كان فيها الخير أجمعه — يحظى به كل مشغول بأخراه
والفتح مظهرها والسر مخبرها — والروح فيها كمصباح وقدناه
بها امتحانات علم حل مشكلها — بصدر مرشدنا وبعض أبناه
بها الخوارق لايحصى العديد لها — فإنها سبب فى نشر دعواه
بها تحمل أمراضا تلوذ به — لأنه كان يحمل عن رعاياه
يأتيه كل الذى يشكو لعلته — يحمله عنه ونتظاره بأعضاه
بها نرى نفحات الفيض فائضة — كالنيل فى فيض قد فاض إعطاه
والبشر باشر بعد البشريات لنا — كل القلوب وكدنا الجذب نخشاه
لولا ثبات لنا برسله خالقنا — صرنا إلى خلوة والجذب نؤتاه
لكنه قال : إن العصر يلزمه — دنيا بها عمل والدين نرعاه
والانقطاع لأمر منهما عمل — يأتيه من لم يكن للشرع والاه
والشرع باشره المختار سيدنا — بنى به دولة قد عزها الله
والصحب كان لهم دنيا ودينهم — إنفاقها فى جهاد سنه الله
والكثر كان لهم دنيا بها مسحوا — دمع الفقير بصبر تم إغناه

هـذا الغنى شاكر لله نعمتـه   هـذا الفقير بصبر تم إغنـاده

كلاهما أحسن الـرحمن وجهته   كلاهما أحسن الـرحمن مثواه

كلاهما لدنانا منفق فرحـا   كلاهما خالد والخلـد مثواه

هـذا الحديث خليلى كـان ينثره   درّا يفوه به عند الهـدى فاه

من بعد غوص ببحر منه يلقطـه   ويصنع الـدر عقدا فاق معنـاه

٢٤ ـ إرهاصـات الوفاة

« إحساس عام »

وشيخنا قـد قضى العام الأخير له   سواح بالقطـر يمنحه هداياه

وعنـد آخر يوم من سيـاحته   قـد ودع الجمـع توديعا شعرناه

بكت له عين كـل السامعين له   وانهار فوراً ولم تحمله رجـلاه

قضى لشهر صيـام كـان معهده   يغص دوما بحـال ماعهـدناه

لأنه شـاء توديعـا لجمعـه   زجـوا الركاب وطارت كل أنباه

« إحساس خاص »

هنـا بدأت أدون حـال حضرته   لـمدة العـام حتى يلق مولاه

بدأت مرتجـلا والقلب لى وجل   فى وصف عام أخير قد شهدناه

فى ذات يوم دعانى الشيـخ منفردا   وقال : من بعد عام يلق مـولاه

وقال لى دامعـا .. أشياء ألزمها   من بعده مردفا «ابنى لك الله»

فصرت أرقب هذا العـام مضطربا   حتى مضى عام بؤس لست أنساه

لأن حـالته كـانت تغاير مـا   قـد كنت أعهده فى حال دنيـاه

فإنه كـان يلزم خلـوة أبـدا   من بعد وقت لحفل كان يرعـاه

وكل أقواله وعظ بمـا اشتغلت   روح له بشئون بعـد دنيـاه

وظـل هـذا يلازم حاله أبدا   لطول عام كئيب كنت أخشـاه

مربيا كـان طول العـام يشغله   بالذكر بالفـكر بالدعوى لمولاه

مربيا كان يسأل حسن خاتمـة   مع النجاة وأن يقبله مـولاه

مربيـا كان لاينسى الرحيل ولا   ينسى الممات وقبرا فيـه مثواه

مربيا كان لاينسى الـكتاب ولا   بعثا ووقفة حشر والورى شاهوا

مربيا كان لاينسى الحسـاب ولا   ينسى العتـاب وميزانا علمنـاه

مربيـا كـان لاينسى الجواز على   ظهر الصراط ويرجو حسن إنجاه

مربيـا كـان طـلاب النعـيم   وخواف الجحيم الذى تخشاه أعضاه

مربيـا كـان يرجو جنة أبـدا   لأنهـا للرضا رمز عرفنـاه

مربيـا كان يرجوهـا لمسـكنه   جار الرسول حبيب الله مـولاه

مربيا كان فى شوق وفى شغف   لرؤية الله من بالفضـل والاه

مربيـا كـان هـذا شأنه أبدا   إلى انتقـال بروح فى حمى الله

وجاء عيد لفطر بعـده انفرطت   تلك الحياة التى كانت لنا جـاه

سارت إلى الملأ الأعلى روح يشيعها   وفد الملائك حـتى حى مـولاه

٢٥ ـ الصدمة .. والرحمة

هنـا صدمنـا بحزن لامثيـل له   قـد غيب العقل إلا عن مزاياه

فـكلنا كـان يرجو حسن خاتمة   قبل الخليل الذى للجمع دنياه

وكلنـا كـان يرجو أن يموت وقد   دعا له العم أن تغفر خطاياه

وكلنـا كـان يرجو أن يكون فدآً   لو كان يقبل كنا قـد فدينـاه

فإنه بحيـاة كـان مفزعنـا   عنـد الملمـات والأحـزان نلقاه

فيرفع الله خطبـا قـد ألم بنـا   ويرجع الـكل ممنوحا عطاياه

آها على زمن قد مر فى منن   آهـا على زهـر أيام قطفنـاه

لولا بقية صبر زال أكـثره   لذاب منا الحشا لمـا فقدناه

وبعـد دفن دفنـا فيه مرشدنا   كمـا دفنـا لآمال لهـا اللـه

فـلا لحزن نجـد من بعـده أبدا   ولا لفرح نجد ذوقا عرفنـاه

ماهـان قط عليه سوء حالتنـا   فأرسل الروح تمنحنا عطايـاه

هبت من القبر تعطينـا وتؤنسنا   من أنس روح له قرت بمثـواه

بذا هـدأنا والاطمئنان يشملنـا   كمولد فيه كنـا قبـل نلقـاه

فالـروح باقيـة ليست بفـانية   فى برزخ لأوان شـاءه اللـه

والـذات فانية ليست بـباقية   إلا ذوات رجـال أكرم اللـه

كالرسل كالأنبيا كالأولياء فهم … من آل حضرته مكرمهم الله

فلم يزل سيدى بالروح يرمقنا … ولم يزل شيخنا بالروح مرآه

ولم يزل منه أمداد تهيمنا … لله للمصطفى للآل نلقاه

ولم يزل منه روح شاعرين بها … تزور ساحات ذكر قد أقمناه

ولم يزل زائر الأحياء مشرقة … بنور روح ويهدينا عطاياه

ولم يزل زائرا ليلا منازلنا … يعطى لذاكر رب ماتمناه

ويشمل النور منه البيت أجمعه … لأنه جاء يسأل عن رعاياه

فالحمد لله أنا من أحبته … والحمد لله أنا من رعاياه

والحمد لله أنا مقتدون به … فالذكر نكثره والله نخشاه

والله نقصده والله نعبده … والله نفرده والله نهواه

والله سبحانه ما زال يمطرنا … غيث الرضا والهدى من فيض إعطاه

والمصطفى القائد الروحى لمجمعنا … يمده بامتداد فاق معناه

أما أنا لو يكن لى الملك أجمعه … طوع البنان فلا أنسى محياه

لأننى أنا وحدى فى مصيبته … فيه تفوق لإخوان وأبناه

لأنه كان لى يعقوب كنت له … كيوسف وهنا كيد لمسناه

إذ خصنى بوصايا كنت أتبعها … وخصنى بامتياز دون أبناه

فعشت لا أملا كلا ولا ألما … أما الجهاد فأمر كلف الله

والله كافلنا باللطف عاملنا … والأمر يجرى على خير وجدناه

عند التزام لنهج كان يلزمه … عند السلوك طريقا قبل إنشاه

وكل ماغاير المنهاج نرفضه … فالذكر أفضل من ورد قرأناه

فالذكر أوصلنا لمن يواصلنا … بفيض أمداد نور خصه الله

من نور أمداد خير الخلق قائدنا … خير الورى وحبيب الله مولاه

الله

الحمد لله رب العالمين على … عرفاننا ذاته وأنه الله

لأن أول شيء فى الوجود لنا … معرفة الله من للعبد أنشاه

وقد أرادنا المولى لمعرفة … به فتمت لهذا قد عبدناه

بوحيه لرسول بالكتاب له … وبلغ المصطفى ماقد تلقاه

هنا عرفنا لمولانا وخالقنا … بوصف ذات وفعل قد عقلناه

قبل الوجود وجود الله كان له … بلا شريك ينازع ربنا الله

وقد عرفنا قديما باقيا أبدا … من قبل خلق حديث شاء إنشاه

صفاته وأفعاله تعالى

الواحد فى ذاته … ووصفه وفعاله

وخالق لحوادث … وليس شيء مثله

وقائم بنفسه … والكل محتاج له

وقادر بقدرة … عزت على غيره

وإن يرد شيئا … أراده يوجد له

فى لحظة أو ليلة … أو أمد حدده

حسب مشيئة له … لحكمة كبرى له

له الحياة صفة … أبدية دوما له

وهذه حقيقة … ليست تكون لغيره

هنا تكون مجازا … لكل حى بعده

فلا تحول لازول … ولا يتغير حاله

أما حياة غيره … تسير وفق أمره

بها حياة وموت … ثم حياة لعبده

وبعثه ونشره … وحسابه من ربه

وجوازه لصراط … وخوفه من كبه

وخلده بخلده … أو خلده بلهبه

وذاك حسب صحيفة … بها له ماقرره

عند سؤال ربنا … وقت الجزا والمغفره
والعلم منه شامل … لكل شئ شاءه
علم السميع والبصير … لكل شئ خلقه
بدون آلات له … ولا جهاز أعده
بحالة كاشفة … لكونه تكشف له
له الكلام صفة … بحالة تخصه
لا حرف لاصوت له … وفى القلوب وقعه
تسمعه أعضاؤنا … وتجيب عما يسأله
وعند ميزان له … تزن له أعماله
والوحى من كلامه … يعقل جبريل له
به يخاطب عبدا … شاء الإله رفعه
كمرسل ونبى … يهدى عبادا له
ومن كلام ربنا … آيات قرآنه
مكتوبة بمصحف … محفوظة رسومه
له الإله حافظ … فلن ترى تبديله
نقرأه بحروفه … وللفؤاد فهمه
فسره خير الورى … بفيض نور علمه
عم الورى أنواره … ونصر الله عبده
وعند يوم قيامة … سيكرم الله وفده

الله أكبر

الله أكبر عن إحاطة كنهه … والعجز إدراك لمن يخشاه
فالله ربى لا مثيل لذاته … كلا ولا فى فعله وهداه
الله أكبر عن إحاطة علمه … والعقل يسجد هاتفا لعلاه
الله أكبر عن إحاطة قدرة … أعيت عقول الباحثين وتاهوا
الله أكبر عن إحاطة حكمة … جلت بحسن ظهورها وبهاه
الله أكبر عن إحاطة كونه … والكون مازلنا نرى أنباه
بعد اجتهاد أجهدت مكتشفا … والغيب فيه ماله نجهل له
والله لا يزال عليما به … وكتاب ربى يحتوى أخباره
فالعرش والكرسى من نفحاته … والملك والملكوت من إيجاده
وكل ماقص لنا مولانا … نؤمن به لجلاله وجماله
كمثل خلق للسماء وأرض … بينهما أشيا مؤكدة جلاله
كالشمس كالقمر المنير وكوكب … ونجوم تعطى كونه أضواه
فانظر إلى تنسيقها وجمالها … ومدار تلزمه ولا تخطئ له
فأرضنا دورتها ليلة … والبدر فى شهر يتم دوره
والأرض تم دورتها فى سنة … من حول شمس تستمد ضياءه
والكل محمول على قدرته … بلا عماد ظاهر يحمل له
وأن يقول الغرب فى أبحاثه … بالكهربا والمغناطيس حمله
من الذى خلق الكهرباء … والمغناطيس من الذى خلقه
فالكون ليس طبيعة وصدفة … بل مولانا الإله العظيم خالقه
فهو الذى يرسل للسحب الهوا … تقود للسحاب حسب أمر له
تحيى لأرض بعد موت لها … ويظهر الزرع بأشكال له
والأرض أصل حياتها وحياتنا … وحياة أحياء كثير عديده
فاعجب لماء واحد يروى لها … مع اختلاف يذهل ذكره
فى حجم إنباتها فى لون قشرته … فى طعمه وكذا لونا رأيناه
واعجب لماء لبحر وكنوز به … كاللؤلؤ وكذا البترول نلقاه

(المربى)

والسفن تجرى به للخير حاملة — تسير مبلغة للخير أقصاه
واعجب لتغليف أرض بالهوا — وما احتوى من كيميا وسواه
واعجب لغازات به نافعة — عند الوقود لمصنع وسواه
والأرض تزخر بالكنوز جميعها — فاعجب لأرض تحتنا وثراه
واعجب لجسم قد حوى لخصائص — فوق العقول وجودها نعطاه
واعجب لروح فيك بث إلهنا — شعت وماشغلت محل تراه
واعجب لنفس فيك ظل خفاؤها — تسكن بقلبك وهى شر عداه
والقلب يحوى مضغة كقبضة — تحوى لخير جار شر نلقاه
صلاحها يصلح أجسادنا — فسادها يفسد جسدا كله
وفى دقيق صناعة لإلهنا — نرى لقدرة ربنا وبهاه
كذرة نووية مشعة — بشطرها عم الفنا وبلاه
خلقت لنفع عباده بكونه — لا لتكون أقوى مهلك لقواه
والنحل وهى نحيلة — تجمع لرزق صيفها لشتاه
وكذاك تبنى بيتها بيمينها — ولقرصها هندسة ورواه
والنمل تجمع رزقها بتعاون — قد عز عن بشر ولا نلقاه
والعنكبوت بنسجها لبيتها — تحفظ للبيت من أعداه
وإذا البعوض يؤمها لحربها — يلقى الفنا بحربه وبلاه
فاخلع لباس الكون عنك لفترة — واسبح بروحك حول كون نشاه
واقدر لربك قدره ولقدرة — واثنى عليه شاكرا لعطاه
واذكر لربك ذكر من يهوى له — يذكرك وهو متابع لرضاه
فالفضل كل الفضل فى تعريفه لعباده كى يذكروه ويشكروا نعماه
ثم الصلاة على الحبيب سفيره — وآل وصحب نائلين رضاه
وارض إلهى عن خليلى دليلى — ولمجمع نادى له لباه

أسماء الله الحسنى

الله جل جلاله وعلاه — وتقدست وتمجدت أسماه
أسماؤه الحسنى دلت على — أوصافه وفعاله وبهاه
وبالحديث ورودها (١) وعدها — وواجب العبد عرفان لمولاه
فاسمه الله أعطانا لمعرفة — لذات من ليس العيون تراه
وبعده الأسماء أوصاف له — كأنه ملك حفت به وزراه
هو أول قبل الوجود وجوده — وآخر أبدى يدوم بقاه
وربنا الباقى الوارث بعد الفنا — لساكنين أرضه وسماه
هو ظاهر فى ملكه بخلقه — فكل ماتراه قد أنشاه
وباطن لجلاله وسموه — والنور يحجبه فكيف نراه ؟
فالعين تنظر محسوسا وتدركه — وليس تدرك روحا تم معناه
وكل حس لنا يدرك وظيفته — وليس شيء كمثل الله نلقاه(٢)
واسمه الرحمن يعطى رحمة — ثم الرحيم نجد به معناه
وهو السلام مسلما لعبيده — من ظالم وجائر عاداه
ومؤمن مثل السلام لأنه — يعطى الأمان لخائف أعداه
ملك عظيم الشأن جل جلاله — ومالك الملك أدناه وأقصاه
واسمه القدوس يعنى أنه — لاعيب يلحقه كشأن سواه
وخالق وبارئ ومصور — وهو البديع باختراع مابداه
وهو العليم والخبير والحكيم — فانظر لقدرته ورفع سماه
وهو القدير وقادر مقتدر — بقدرة لا لا تكن لسواه
وهو القوى والمتين والمبين — وهو العلى والكبير الله

---

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لله تسعة وتسعين اسما . من أحصاها دخل الجنة » .

(٢) قال الله تعالى : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) . (آية ١١ — الشورى)

وهو الكبير أى الجليل جلاله   ليس الكبير بحجمه وعضاه

والله وال أى مولى خلقه   بمنافع فاسأله لا لسواه

والبر مولانا لمن يسأله   براً كبيراً لا يكن لسواه

وهو المقدم والمؤخر مايشا   وبحكمة كبرى يسير قضاه

وربنا المتعال لا تصل له   أوهامنا وليس علم حواه

فلا تسل عن كنهه وذاته   فالعجز إدراك فكن إياه

والله جبار على متجبر   متكبر يقصم لمن عاداه

منتقم وخافض لظالم   وهو المغيث من الشديد أذاه

والله قهار فلن يقهره   شئ فلا غالب إلا الله

وهو العزيز فلا نظير لذاته   ولا شبيه لفعله تلقاه

حق وثابت لا يزول   ولا يحول ولا تغير يغشاه

والواحد والماجد والواجد   والأحد الصمد العظيم بهاه

ولم يلد وماله والد   ولن تجد كفواً له سواه

الواسع المحصى لكل شئ عددا   وهو الوكيل وحاكم لسواه

الحكم العدل كذا مقسط   عن ذرة محاسبا تلقاه

وهو المعز لمن أراد لحكمة   وهو المذل ومايشاء قضاه

معط بلا سبب لتارك أمره   وعبد دنياه له أغناه

لكنما الأخرى تكون لمؤمن   وبجنة الفردوس دام بقاه

وربما كان العطاء بلية   والمنع فيه للفقير عطاه

والضار والمانع عاصيا   والنافع لمن لربه يخشاه

وهو الغنى عن غيره لغنائه   وأنه المغنى بحسب قضاه

وربنا الرزاق من فضله   وربنا الفتاح جل علاه

وهو الودود كثير ود عباده   والله وهاب بفيض عطاه

وهو الحليم والكريم والقريب   وهو المجيب السائلين عطاه

والقابض الأرزاق عن حكمة   والباسط الأرزاق فضل عطاه

يعطى لرزق الجسم منه تفضلا   والروح معطيها هدى وتقاه

وهو اللطيف أى الدقيق لصنعة   مثل الخبير مشاركا معناه

أو واضع الأشيا بقالب ضدها   كرما وتلقى الشر زال عناه

وهو العليم بعلمه وعلومه   ولكل شئ علمه حواه

فاقرأ لقرآن تجد مافيه   يغنى عن(١) سؤالك ماهو؟

وهو السميع والبصير بخلقه   بحالة يختص بها الله

وهو المهيمن والرقيب لعبده   بدون آلات وجل الله

وهو الحسيب لما يكن بصحيفة   يوم الحساب والجزاء نراه

والله مولانا الحفيظ عباده   وهو الرءوف بعبده الأواه

والله تواب لنادم راجع   مستغفر يريد صلح الله

وهو العفو والغفور لتائب   وهو الشكور لشاكر مولاه

والله ربى هو الغفار نشكره   شكر الذى صار مشغوفا بمولاه

وهو الولى والحميد والمجيد   والحى والقيوم من أسماه

فاحمد ومجد للإله معظما   فهو العظيم ولا عظيم سواه

والنور والهادى الضليل بنوره   وذو الجلال والإكرام الله

والله مولانا الرشيد لخلقه   ورشده كل الرضا نلناه

وهو الصبور وصبره عن قدرة   لكن حنان الله فوق قضاه

والمحو والإثبات شأن جنابه   والعفو فوق العدل قد(٢) نلقاه

وربنا المحيى المميت لخلقه   وكذا هو المبدى المعيد سواه

والباعث الرميم بعد البلى   والجامع الرميم جسم نراه

---

(١) قال تعالى :

(قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا) . (آية ١٠٩ — الكهف)

وقال تعالى :

(ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر مانفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم) . (آية ٢٧ — لقمان)

(٢) قد : للتحقيق .

وبنفخة الصور الأراضي دكدكت   وكذا السما والنجم بعد سراه
والجامع الناس لحشر حاشد   من بعد نفخ آخر نلقاه
لسؤالهم وحسابهم وثوابهم   أو العقاب لعابد لسواه
وجزاؤه خلد بنار دائما   وبها العصاة بقدر ماتعصاه
ويخرجون بعفو رب قد عفا   عند الأوان بجنة مأواه
والمؤمنون بخلد رب يخلدوا   وهنا يروا جلال وجه الله
كالبدر فى كبد السما ننظره (١)   فى ليلة قمراء تم بهاه
ونسأل الله سكنانا بجنته   مع الذين عليهم أنعم الله
والله رب مجيب جل قدرته   بحق أسمائه الحسنى وإسمك هو (٢)

الرسالات

أرسل ربى رسلا   وأنبياء قد دعوا
من آدم لمحمد   ماية وعشرون ألف وأربع (٣)
دعوا لرب خالق   لكل شئ صانع
ونشروا توحيده   وفقهوا وشرعوا
بما لهم من وحى   له جلال ساطع
وبعضهم بكتابنا   لهم حديث رائع
قد قص عنهم ربنا   لنقتدى ونتبع
للغيب قص إلهى   ماللعقول يقنع
وقول ربى حجة   لها العقول تركع
واقرأ لقرآن تجد   مافيه من بدائع

(١) قال تعالى: (وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة). (آية ٢١ : ٢٢ — القيامة)

(٢) اسم موضوع للإشارة ومعناها : حاضر لايغيب .

(٣) أى أربع وعشرون ومائة ألف رسوا ونبى — والرسل من ذلك العدد ثلاثمائة وثلاثة عشر رسول فقط .

ومالها من أثر   عند القلوب واقع
هنا الثبات للنبى   والآل والصحب طابع
كذا الثبوط والهبوط   حالف قوما قارعوا
وكان تأييده   للرسل أكبر رافع
وانظر لتأييد ربى   للمصطفى خير شافع
فإنه خير الورى   وخير عبد طائع
لذا له فضيلة   ووسيلة تُتابع
ومقام محمود له   واللواء رافع
والحوض ثم كوثر   هدية لاتضارع
والصحب قاموا بعده   بكل حرب رادع
وتابعوهم تابعوا   لكل فتح رائع
تم انتشار دين   والعز صار طابع
والمال صار فائضا   ولن ترى لجائع
بدا انغماس نفوس   فى غمرة الفظائع
ترف لكل طرف   واللهو شر شائع
فلا استقامة حاكم   ولا قانون رادع

ظهور الصوفية

هنا ابتدت صوفية   إلى الإله قد دعوا
رافعة شعارا   يشعر به المتواضع
من شغفه حب بدا   وللديانة خاضع
وللوا قد حملت   خفاق عال ناصع
جوهرها تصفية   للنفس من نوازع
بذكر رب واحد   من المراقب واقع
بذا تكن تنقية   عن كل شوب تردع
هنا لها تزكية   للشك والريب تقطع
على أساس سنة   لها الكتاب منبع

فأثمرت دعوتهم ... وازدهرت تتابع
فاقوا لكل مصالح ... ومرشد مذ بايعوا
والفتح صار فيهم ... من ربنا يتابع
إلى تعدى آية ... لمن لهم يبايع
هنا تراهم سكتوا ... والغير صار ذائع
هنا ترى تلفزة ... فالسر للسر وادع

رجال

والله ربى قادر ... لمن يشاء رافع
ومن يشاء رفعه ... يعطيه حفظا رائع
ويعطيه رعاية ... ويمنع الموانع
يمده بهمة ... لمؤمن وضالع
يعطيه نورا وهدى ... وشرح صدر رائع
يعطيه أخلاقا بها ... يكون عبدا طائع
يعطيه توفيقا لما ... له يريد واقع
يمده بقوة ... وفى التحلى رائع
كأهل عزم سبقوا ... تدفعهم دوافع
حب وذكر ورضا ... شكر وحمد واقع
لما لهم من شغف ... أن يصلوا للرافع
ذوقهم شوقهم ... والكل صار هالع
بجذبة أغرقهم ... والعقل صار تابع
هاموا على وجوههم ... ليست لهم نوازع
لأنهم ليسوا هنا ... بل بالجلال يرتعوا
والله كل همهم ... والهم لا يوزع
وانظر لما قالوا له ... تجده شيئا مفزع
مافى الوجود غيره ... حقيقة للواقع
والكون هذا مجازا ... له الزوال يقطع
فالكون شئ شاءه ... وما قضاه واقع
دلالة واضحة ... أن الإله صانع

بكن يكن لصنعه ... بدون ما مصانع
صنع بدون آلة ... ولايد لضانع
بل قدرة وإرادة ... ومشيئة وواقع
من أكبر الأشيا إلى ... أصغر شىء صانع
فالعرش أكبر خلقه ... وللتجلى موضع
للسبحات صامد ... وثابت لا يصدع
فانظر لطور سينا ... ودكه المروع
من قدر سم خياط ... عند التجلى واقع
والملك من نفحاته ... والملكوت أبدع
وأصغر الأشيا هنا ... لها فعال تفزع
كذرة ضئيلة ... لها شعاع ينبع
يعلم جزئياتها ... علم خبير واسع
وإن تراها انفلقت ... منها الهلاك واقع
فاعجب لقدر هباءة ... تدكدك المدافع
هنا بدا استطراد ... وللكلام نرجع
لما به قد فاهوا ... قوم بجذب يرتعوا
فالعذر منهم واضح ... وبعد صحو يرجعوا
كقولهم فى شطحهم ... عن كوننا المرصع
لكننا هو كوننا ... وكونكم عنه قاطع
والبعض ظل هكذا ... والمحو حال واقع
والبعض منهم قد صحا ... وصار بالأمر راجع
إلى مقر أول ... قد كان عنه نازع
وقاطعا سياحة ... قد كان فيها هالع
لكى يكون علما ... وللواء رافع
يهدى به لمن يشا ... وما يشاء واقع
من هؤلاء شيخنا ... من صار للنفس بايع
وبعد هذى لمعة ... لوصف شيخى تجمع
عنوانها (حب عبد) ... فالعبد أول طائع

حب عبد

عبد أحب ربه   ومصطفاه الشافع
جبان حلا قلبه   فذا لهذا يدفع
أحب آل المصطفى   فهم لجد يشفعوا
أحب أصحاب طه   من عن حماه دافعوا
أحب تابعيهم   من للفتوح تابعوا
وقد أحب الأوليا   من للإله قد دعوا
وقد أحب شيخه   باب الوصول الواسع
فقد رأى فى شيخه   همزة وصل تجمع
غدا به مستمسكا   حيث الشريعة يتبع
مقتنعا بنهجه   والأمر منه يسمع
فلن يطيع داعيا   فيما الشريعة تمنع
ولم يكن مؤولا   فى بدعة أو يقنع
فالدين دين واضح   له الكتاب منبع
فسره خير الورى   قولا وفعلا ناصع
هنا المربى نافر   عن شين فعل يقطع
هنا ترى بوصفه   مجموعة الروائع
عبد أحب ربه   والعشق منه موضع
متيما وهائما   والوجد منه ينبع
حتى فنى فى ربه   والجذب كان واقع
ظل اثنتا عشر عام   بها هبات تودع
وبعد جذب قد صحا   فكان رأس من دعوا
بدا بشعر بدوى   شعر لقلب يولع
والشعر تعبير لما   ما بالقلوب يزرع
والناس سكرى حوله   لحسن شعر تسمع

لما به من روعة   فى كل علم نافع
وما به من قوة   روحية تتابع
وما به من نشوة   تذيب قلب سامع
نعم هنا لوامح   أو قل هى لوامع
تطورت أحواله   والعلم كان وادع
والنثر والشعر هنا   قد أصبحا تتابع
والفتح منه تعدى   إلى مريد نافع
هنا تراه ساكنا   والقلب منه خاضع
فمن أحب ربه   لغيره لا يخضع
ومن أراد وجهه   قواه لا تضعضع
لم يرض نفعا بالورى   لأن ربى النافع
لم يرض جاها منهمو   فإن ربى الرافع
وما أراد قوة   فالله ربى المانع
ولا أحب عزة   فإن ربى الجامع
وعارف بربه   والقلب منه خاشع
وقد بدا إيمانه   بأن ربى يدفع
ولم يقارع خصمه   بل للخصيم يقنع
برقة ونعومة   لها العيون تدمع
يقول طلاب حق   وطالب الحق يهلع
لما به من شغف   أن يهتدى وينفع
وواجب إكرامه   والصبر والحلم أنجع
هنا ترى معاندا   عن العناد يرجع
حتى يرى رفيقا   وللمربى يتبع
فالسر منه ظاهر   والنور منه يلمع
والعلم فيه سمة   بحر عظيم واسع
والعلم منه باهر   كناثر أو ساجع
والعلم فيه هبة   والله ربى وادع

ونـاثـرا لآلئـا   غواص بحر بـارع
حلـو الحديث آخـذ   بلب صب سامـع
مـذكر بربـه   جل البـديع الصـانع
معـرف بفضلـه   بحسن لفظ بـارع
كبحـر علم زاخـر   أمـواجه تتـدافـع
له جليـل خـاطر   للـكل منـه موقع
كـأنه مخـاطب   لـكل حب سامـع
له جليـل فـكرة   لـكل خـير تجمع
فـإن بـدت فإنهـا   لهـا السـماء موقع
فوق الثريا نورهـا   كالشمس حين تطلع
لقيمـة روحيـة   لهـا العقـول تخضع
نبهنـا لديننـا   فالقلب منـا راجـع
أولى لنـا سرائـرا   أسـدى لنـا صنائع
ونافـذا لقلبنـا   ومـا يبث واقـع
لاحظنـا بنظـرة   لقلبنـا تسـارع
معـالج قلوبنـا   وماعـلاها مبضـع
داوى لـداء نفسنـا   صارت لشر تصـرع
بعـد نوال مـدد   لـكل شـر قالـع
ومـذ تعـدى فتحه   كانت لنـا طوالـع
كـان لنـا لوامـح   أدت إلى لوامـع
كـان لنـا التفسير والشعر صار شائع
حـتى بلغنـا حالة   أغرت لـكل طـامع
كالـكشف والطى وما   فيه لنـا كـان دافع
وكـل ماكـان فيـه   كان بنـا حال واقع
بأمر رب واهب   لتـابعيه بدائـع
ومُعْجَبٌ بنتحـه   له المـربى يـردع
بسلبـه وقلبـه   إلى مـريد خـاضع

هنـا تراه يرتجـي   رضـا ولا يمـانع
ومن توقف فتحـه   قبـل الممات يرجـع
وبعد نقـل المـربى   فـورا لمسنـا لـواقع
أن المـربى بيننـا   لنـا بروح يسـارع
من رفـرف علـوى   لـكى يزور المجامـع
كالمصطفى وآلـه   والأوليـاء الـروائع
وأهل كشف كاشفوا   وما رأوا صـار شائع
وأشهـد اللـه أنى   لست لهـذا أمانـع
ولست أفشـى سرى   بغـير إذن واقـع

حال شيخنـا واخلاقه

فانظر إلى أحـواله   تجـده أول طائـع
وانظر إلى أخـلاقه   تجـده بأدب رائـع
وانظر إلى جهـاده   تجـد الفتـوة طابع
لمـا به من شغـف   بالـذكر كان والـع
لم ينس ربى لحظـة   والحب للـه دافـع
نهـاره وليلـه   فى جنة الـذكر قابع
فـلا تراه نائمـا   أو ساجيـا أو هاجع
وسابحـا مستغرقـا   والأنس منـه المنبـع
وروحـه فى سبحها   فوق السماء السـابع
سلطـان ذكر للورى   وللـواء رافـع
ملـتزم لشرعـه   كالطـود لايزعـزع
وراغب فى ربـه   وغـيره مقاطـع
مـراده إلهـه   كالمرسلين إذا دعوا
وكـاتم لسـره   ومـا عليـه يطلـع
مجـدد لدينـه   مجـاهد لا يقبـع
صفت لـه أوقاتـه   فالجمـع حـال رافع

وحافظ لقلبه — وحارس لا يهلع
محصن بذكره — وربنا مدافع
فلا يحوم حوله — شيطانه فيصرع
وواثق بربه — منه اليقين ينبع
ومخلص فى نية — والقصد منه ناصع
وصادق فى قوله — والنقل منه أوقع
وصادق فى عهده — والود منه واقع
وحافظ لعهده — كالأولياء إذا رعوا
زكى قلب نابه — يرى بنور لامع
شهم أشم إنه — لله روح بايع
فى عفة لأنه — غنى قلب قانع
وصابر مصابر — وثابت لا يجزع
رضاؤه بربه — بغيره لا يقنع
مفوض لأمره — فلا تراه جازع
ولا تراه شاكيا — لدهرنا المخادع
معتمد فى سيره — والقلب منه ضارع
ومؤمن فى ثقة — إيمان حب ناصع
حياؤه رداؤه — فلا تراه خالع
بهاؤه كأنه — شمس السما تطالع
وقاره شعاره — والفضل منه رائع
فى خلعة قدسية — والله ربى الخالع
نداؤه يارب فيه — ما للقلوب يفزع
ثناؤه فى عطره — كجنة تضوع
والحمد منه حالة — والشكر شكر المورع
نداؤه للمصطفى — كخائف مروع
أخلاقه علوية — للروح منا ترفع
فأذنه صماء عن — ذوى وشاة إذ سعوا

والعفو منه شيمة — لمن أذوا واوسعوا
سماحه سلاحه — به العدو يقمع
وحلمه سجية — من حيث لا ترفع
وثغره مبتسم — لكل ضيف وتابع
عاش كريما منفقا — له السخاء طابع
وعلماء عصره — صاروا له توابع
من فرط ما هز لهم — من فيض فيض نابع
بانعمهم علماء — بالله لله دعوا
وقاوموا للحد — للفلسفات يزرع
بها دهاتنا فئة — من بعثات رجعوا
تحت اسم علم اجتماع — به اليهود برعوا
سم بدسم قاتل — من منشئين تنطعوا
فيالها من فتنة — لها القلوب تهلع
لبثها نزعات — لكل دين تقلع
ليملكوا أقطارا — بحكمها يتمتعوا
مثقفون عصره — إلى حماه هرعوا
ليكشفوا لأمره — وبعد كشف بايعوا
وراجعوا أمثالهم — وناظروا وأقنعوا
والله يهدى من يشا — لذا تراهم أقلعوا
وصار كل ذاكرا — لله ربى الصانع
وليس هذى صدفة — بل المشيئة موضع
ومن يقل بصدفة — لعقل عاقل ينزع
لكى يسيروا خلفه — كحيوان جائع
وأولياء عصره — زاروا له فانتفعوا
وسلموا قيادهم — له لكى يرتفعوا
كذا دعاة عصره — كصوفيين قد دعوا
منهم دعاة سالموا — واستسلموا ماقارعوا

وبادلوه حبا ولحماه أسرعوا
وبعضهم قاطعه والخوف فيه شائع
مذ وجدوه داعيا للنفس والمال بائع
خافوا اكتساحا وكسحا والهم صار راتع
وبادروا لحربه والله نعم الدافع
لكبرهم وأشيا لها يشيب الرضع
وبعد خذلان لهم ظلوا بوضع أوضع
أرادوا طفء نوره صار كشمس تلمع
ووجهاء عصره في فضله مانازعوا
بل بادروا بتوبة وأنفقوا ووسعوا
وخدموا واستخدموا لكل أمر ينفع
بيوتهم أضحت هنا كقبلة لمن دعوا
فذى بيوت أذنت مشيئة أن ترفع
فاتسعت لمجمع يذكر فيها الرافع
فلا الرجال سئموا ولا الحريم تزعزعوا
فالمدن والريف بها إخوان صدق قد دعوا
هنا الألوف عاهدوا وللعهود قد دعوا
ووصف إخواني هنا له حديث ينفع
قوم صفت قلوبهم والفضل لله راجع
قوم حلت أحوالهم في كل أمر يصنعوا
قد صدقوا ماعاهدوا عليه ربا رافع
وأخلصوا نيتهم والفضل كان ذائع
يمثلون إماما للسر بالسر وادع
بنظرة خاطفة بها جليل منافع
لا واعظا لا خطيبا ولا لدرس قابع
بل بفعال تبدو والرشد منها نابع
أو بخصال أكدت رشدا لكل تابع

فكان فتحا ومنحا كما قرأت متابع
في أربعين عاما كان المربي رائع
بانعمة قد تمت في حسن سير نافع
قد انتهت بسلام والنور كان شايع
هنا انتهت مرحلة فيها الخليل متابع
وليلة القدر ولت بما بها من بدائع
صار هنا ملكوتي بالملكوت راتع
وروحه قائمة مقام جسم راجع
يولي لنا نظرات للروح منا ترفع
فالأوليا ما ماتوا والبعث فورا واقع
هنا يساوي ملاكا بالأمر يوصل نافع
وأصل هذا كله حب وذكر النافع
يكفي خليلي أنه هو شافع للشافع
صلى عليه ربنا قدر صلاة من دعوا

* * *

يقولون لي :

كيف اتصلت بربّنا؟

مقدمة لأصول تسعة وهى (١) :

بسم الله الرحمن الرحيم . الودود الوهاب الباسط الكريم . الذى جعل ثواب الأعمال الحسية والقلبية على قدر سلامة القلب وطهارة النية (٢)، ونقاء الطوية . شارح الصدور، بقذف النور ، وتيسير الأمور ، والمتفضل بالهداية والتوفيق كرما منه لمن رضى عنه . وشرح الله صدره للإسلام ، بعد وصول الإيمان والتصديق إلى قلبه وهداه إلى منهاج الأئمة المتقين . والنظر فى آداب المسترشدين . فعمل برعاية حدود الشريعة . من كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ، وما اجتمع عليه المهتدون من الأئمة وهذا هو الصراط المستقيم ، الذى دعا الله تعالى إليه عباده فقال عز وجل: (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) . (الآية ١٥٣ : الأنعام)

وقوله تعالى : (اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) . (٦-٧ : الفاتحة)

وقوله تعالى إخباراً عن سيدنا إبراهيم عليه السلام : (إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين) .
حنيفا : طاهرا من الأغيار . (الآية ٧٩ : الأنعام)

وقوله تعالى: (قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين . قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) .
(١٦١-١٦٣ : الأنعام) .

وقوله تعالى: (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام . ومن يرد أن

---

١ — وهى مقدمة تحتوى على شرح الصدر والنية والإخلاص والصدق والإسلام والإيمان والقضاء والقدر والإحسان .
٢ — وهى قصد الشيء فى فعله أو تركه .

يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء . كذلك يجعل الله الرجس على الذين لايؤمنون) . (الآية ١٢٥ : الأنعام)

وقوله تعالى : (أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك فى ضلال مبين). (الآية٢٢: الزمر)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ مانوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها،أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ماهاجر إليه » وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى : (أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه) ماهذا الشرح . ؟ فقال :

هو التوسعة . إن النور إذا قذف به فى القلب ، اتسع له الصدر وانشرح . وقال عليه الصلاة والسلام : « إن من أمتى محدثين ومعلمين ومكلمين وإن عمر منهم » . (١)

والإخلاص : هو ماأشار إليه الله تعالى بالآيات القرآنية ومنها قوله تعالى : (وماأمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) . وقوله تعالى : (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) . وقوله تعالى : (قل إن تخفوا مافى صدوركم أو تبدوه يعلمه الله) . وقوله تعالى: « إنا أنزلنا إليك

---

(١) المحدث هو الملهم . والملهم هو الذى انكشف له الحق فى باطن قلبه من جهة الداخل، لامن جهة المحسوسات الخارجية . والقرآن مصرح بأن التقوى مفتاح الهداية والكشف : (واتقوا الله ويعلمكم الله) . ولم يكن علم الخضر عليه السلام ، علما حسيا أو عقليا . وإنما هو ، العلم الربانى . وإليه الإشارة بقوله: (وعلمناه من لدنا علما) . وإذا تولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة . وأشرق النور فى القلب . وانشرح الصدر . وانكشف له سر الملكوت وانقشع عن وجه القلب حجاب العزة بلطف الرحمة . وتلألأت فيه حقائق الأمور الإلهية كما قررت رجال الصوفية . ورأينا أثره فى شيخنا وأتباعه .

الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص) . وقوله تعالى : (قل إنى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين) .

والصدق : هو ماأشار إليه الله تعالى بالآيات القرآنية ومنها قوله تعالى: (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) . وقوله تعالى : (والصادقين والصادقات) . وقوله تعالى: (فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم) .

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الصدق يهدى إلى البر . وإن البر يهدى إلى الجنة . وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وإن الكذب يهدى إلى الفجور . وإن الفجور يهدى إلى النار . وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا » .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « دع ماريبك إلى مالايريبك . فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة » . ومعناه اترك ماتشك فى حله وتوجه إلى مالاتشك فيه أو توق الشبهات واترك المعاصى .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « من سأل الله تعالى الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء ، وإن مات على فراشه » .

وهنا تظهر فضيلتا الإخلاص والصدق وأنهما أساس صلاح كل الأعمال ابتداء بشهادة ألا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان والحج لمن استطاع إليه سبيلا ، وهذه هى قواعد الدين الخمس ... (إن الدين عند الله الاسلام) .

أما الإيمان فإنه يكون بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله . لا نفرق بين أحد منهم ؛ فالكل حمل راية التوحيد خفاقا عاليا ولله داعيا ، وكذلك الإيمان بالسمعيات مما علم وذكر بالكتاب والسنة من أخبار غيبية ، كسؤال القبر ، ونعيم القبر وعذابه ، والبعث والحشر وأخذ صحائف الأعمال باليمين أوالشمال ، والميزان ، والحساب ، وشفاعة سيدنا الرسول والوسيلة والفضيلة والمقام المحمود . والحوض والكوثر والميزان وشفاعة الرسل فى أممهم وشفاعة

الأولياء والملائكة والعلماء وشفاعة الله سبحانه وتعالى إن شاء لمن لم يجد شفاعة من العصاة ، وجواز الصراط . والجنة وقصورها ونعيمها وحورها وولدانها ، ورؤية الله تعالى بها بغير انحصار ولا كيف ولا مكان ولا زمان ، ولا كل مايقاس بفعل الملائكة والجن والإنسان . فالله لن يصل إليه أحد كنها « أى كيفية » . فلا فهم ولا وهم ولا تخيل . فكل ماخطر ببالك فالله خلاف ذلك . والعجز عن إدراكه تعالى إدراك ، والتعمق فى فهم كنه ذاته تعالى طريق مختصر إلى الوقوع فى الإشراك . وكذلك الإيمان بالنار وعذابها لمن أشرك بالله تعالى ومن نافق فى إخفاء كفره ومن تزندق كمثيله القائل : بأن الكون صدفة ، هروبا من كل الأديان وتكاليفها وآدابها وفضائلها بما شرعت عن الله تعالى العليم الخبير والقيوم بكل ماتحتاجه البلاد والعباد معتزا بتمام الحرية ولو أدت إلى الاستهتار والفوضوية . وهذا عذر أقبح من ذنب من فاقد العقل واللب . والآخرة ميعاد محقق للوعد والإيعاد، من شقاء إبعاد وطرد للبعض ممن على بنانه سيعض . والسعادة لأهل الإيمان . وما الإيمان إلا إقرار باللسان . « بالشهادتين » وتصديق بالجنان « أى القلب » . وعمل بالأركان الخمس « السابقة بهذا الباب » . وذلك سبب نجاح المؤمنين أولى الألباب الذين لله يذكرون . وفى جلال جمال كونه وعظمته وتنسيقه وروائه وبهائه وإحكام بنائه مع اتساع أرجائه بأرضه وسمائه من ملك وملكوت كملكنا المسكون والملكوت وهو ماشمل السموات ومافوقها مما لاتصل إليه الظنون — يتفكرون ...

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال :

بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لايرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه . وقال : يامحمد .. أخبرنى عن الإسلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الإسلام — أن تشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله . وتقيم الصلاة . وتؤتى الزكاة . وتصوم رمضان

وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا . — قال : صدقت . فعجبنا له . يسأله ويصدقه . . قال : فأخبرنى عن الإيمان . قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . وتؤمن بالقدر خيره وشره . قال : صدقت . قال : فأخبرنى عن الإحسان . قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك . قال : فأخبرنى عن الساعة . قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل . قال : فأخبرنى عن أماراتها (١) . قال : أن تلد الأمة ربتها (٢) وأن ترى الحفاة (٣) العراة (٤) العالة (٥) رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان . . . ثم انطلق . فلبث مليا (٦) ثم قال : ياعمر .. أتدرى من السائل ؟ . قلت : الله ورسوله أعلم . قال : إنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم (٧) .

فنسأل الله النجاة والسلامة . والفوز يوم القيامة . ومصاحبة من أنعمت عليهم ممتدا لنا إحسانك . وما تعطفت بكل خير وجهته إليهم بمحض الفضل.. وما علمناه من أن رحمتك يامولاى فوق العدل . فأنت يارب أهل التقوى والمغفرة . فى الدنيا والآخرة . ويطمعنا فى ذلك يامولاى قولك الكريم : (ورحمتى وسعت كل شئ) . وقولك مخاطبا لسيدنا الرسول : (قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا) . وقولك الكريم : (إنه هو الغفور الرحيم) .

فنسألك اللهم يامولانا ستر العيوب . وغفران الذنوب . وهداية القلوب . واللطف بالقضاء . والتفضل بالرضاء .. ربنا هب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب . . .

---

(١) علاماتها . (٢) سيدتها . (٣) جمع حاف من لانعل برجليه .
(٤) من لاشئ على جسده . (٥) جمع عائل فقير . كناية عن إسناد الأمر إلى غير أهله وصيرورة الأسافل سادة كالملوك . وهدم أركان الدين بعدم العمل به وقيام الإلحاد بين المتعلمين المثقفين .
(٦) زمنا كثيرا . (٧) قواعده .

شرح القصيدة

في ليلة مباركة اجتمع بعض إخوان الطريق عندي وأخذنا نتدارس حياة الشيخ رضوان الله عليه وكراماته وما أنعم الله به عليه . فطلب مني أخ عزيز على أثير عندي أن أكتب لهم بالمنظومة في سؤال يرد عليه سيدنا الشيخ في كيفية وصوله رضي الله عنه إلى الله .

وما إن أبدى الأخ هذه الفكرة حتى تبادرها الإخوان بالتحبيذ والإلحاح ووعدتهم خيرا .. وواصلنا جلستنا فيما كنا فيه .

وأخذ الجماعة أنس الجلسة ، ورفرف عليهم صفاء المحبة ، ووجدتني أمسك القلم وأنتحي جانبا وأجيب عن سؤال الأحبة بما أجعله مسك الختام لهذه المنظومة المباركة . والجواب :

يقولون لي كيف اتصلت بربنـا   نهاية أمر قد وصلت إلى حـبي

ثم ذكر المائة أمر .

وما قصدت إلا وجه الله والتماس الثواب منه جـل وعـلا . وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

أسأله سبحانه أن يهدينا وإخواننا سواء السبيل . وأن يمن على كل قارئ لهذا الكتاب بخير الدارين .

إنه نعم المولى ونعم المجيب .

وهنا وجدنا أنه من المفيد أن نقوم بشرح تلك القصيدة حتى يتم بها النفع ، وهو ما أوردناه في الصفحات التالية .

كيف اتصلت بربنا

يقولون لي كيف اتصلت بربنا
أقول لهم : هيا اسمعوا لي يا صحبي
بماية أمر قد وصلت لخالقي
كماية نور كل نور له صب
١ — بتفكير عقلي في ذنوبي وضيعتي
وإيجاد حل للوصول إلى ربي

* * *

فتحت عيني على الكون عند بلوغي . فوجدت سماء مرفوعة . وأرضا موضوعة . واتساعا رائعاً يحوى أعجب الصنائع . من شمس وقمر ، وكواكب ونجوم ، تنير ذاك الكون . وأرض مبسوطة ، وجبال شامخات ، وحدائق وجنات معروشات وغير معروشات . وسحابا يزجي الغيث لإحياء موات الأرض ، وعلمت أن هناك محيطات وبحيرات وأنهاراً وغير ذلك من المخلوقات ، فوجدت أن عدم البحث عن الخالق البارئ المصور البديع المستحق للمعرفة لذاته وصفاته وأفعاله وقدرته — حيث رأيت ما كا ثابت الأركان . محكم البنيان . صنع عليم حكيم وإله عظيم لايعجزه شئ فيكون ليس كمثله شئ . فهو جدير بالعبودية . والانحناء تضرعا لتلك الربوبية — فوجدت أن تأخيري في ذلك البحث ذنبا مني وضياعاً ، وبحثت في الحل فكان الإلهام للقلب وتفكير العقل في الرب . فابتدأت بذكر باقي ماسيقرؤه القارئ من مقامات وإقامات ، وهي ماكانت لتوفيق الله علامات.

* * *

٢ — بقصدي بعهدي بالمربي برجعتي
بحسن امتثال سرت فورا على الدرب

بقصدي : «يوجد تفسيرها بالمقدمة التي تشمل النية والإخلاص والصدق»

بعهدي : أخذ شيخنا رضي الله عنه العهد بعد ماكان يذكر الله ليلا ونهارا بدون اتخاذ شيخ وذلك حسبما يمليه قلبه وعقله ، وبذلك كان يذكر

أسماء الله الحسنى كلها بترتيب كل اسم ماية ألف مرة ، ثم ينتقل إلى الثانى حتى يتم ذكرها ماية اسم . لأنه كان يعتبر اسم « هو » منها ، إلهاما من الله تعالى له أنها من الأسماء حيث « هـــو » اسم يشير إلى ذات الله تعالى . بل ويكون بالقرآن الـــكريم بدل من اسم الله كقوله تعالى : هو الله . هو الحى . هو الرحمن . . وهـــكذا . .

بالمربى : أى اتخاذ الشيخ العارف الممد عند مشيئة الله تعالى أن ينخرط بالصوفية ليجد أمامه الطريق سهلا . ممهدا . مرتبا . بترتيب تصاعدى أوله الذكر ومنتهاه المعرفة بالله تعالى والرضا .

برجعتى : أى إلى الله تعالى وسلوكى الطريق المستقيم .

بحسن امتثال : لله تعالى بامتثال أوامره والانتهاء عن المعاصى وامتثال أوامر سيدنا الرسول إمامى وقدوتى .

* * *

٣ — بتـــوبى بعزمى بالندامة بالبكا
بذكرى بفـــكرى بالتشكر للـــرب

بتـــوبى : بالتوبة التى هى أول تعهد بالعهد وهى أول الدخول فى حضرة القدوس بلا نفوس .

بالندامة : وهى الندامة على سابق المعاصى أو الندامة على التقصير فى الواجبات أو الندامة على قلة العبادات والشغل عن الله تعـــالى بواجبات الحياة عن التفكر والذكر لخالق الأرض والسموات ، والاشتغال بالدنيا عن الآخرة وهى دار القرار . ومنزل الأبرار .

بالبـــكا : نعم كيف لايبكى عنـــد سماع قوله تعالى : (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) . والبيعة مع الأستاذ إنما هى بيعة لمرب ، نائبا عن سيدنا الرسول . وبيعة سيدنا الرسول هى بيعة لله تعالى بدليل : (يدالله فوق أيديهم) ، التى تنبه الطالب أن الله موجود بعلمه لهم وقدرته عليهم . وتشير كذلك إلى الطالب بالوفاء بالعهد ودوام الود للودود . والخضوع كما هو معهود بالسجود (رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه) . وكيف لايبكى

عندما تهتف الآية الشريفة . (فمن نكث فإنما ينكث على نفسه) ولولا الرجاء بعد ذلك الخوف لبكى الباكى إلى مالا نهاية ، ولولا قوله تعالى : (ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيما) لذاب فؤاد الطلاب ، مماسبق من خطاب .

بذكرى : بدوام ذكرى الـــكثير . وماله فى الروح من تأثير مشـــير . به من حضور قلب وترديد لسان ، وإجلال وتبجيل للرحمن . كيف وقد حوى صفات الجلال وما فيها من موجبات الخوف والهيبة والخشوع والخضوع وما بها من صفات الجمال المهدئة للروع بما فيها من موجبات الطمأنينة ، وهبوب نسيم الاستقرار والسكينة . وهما نعم الدواء : (ألا بذكر الله تطمئن القلـــوب) . ونهاية الخوف والهلوع بهدوء الروع بالإنابة لله أى الاستسلام والرجوع وهنا شذا عطر الرحمة يضوع (١) . هنا نشوة وأى نشوة . بوهب تلك الهدية القدسية والنفحة السماوية . لذلك قال شيخنا : (الذكر وصال) . نعم وصـــال لمعرفة الله تعالى ورضا ذى الجـــلال . فجـــد واجتهد ، وجاهـــد فيما عليه عاهد ، وكانت الوسيلة إليه تعالى بكل أنواع مايقرب إليه حاصل ، ولـــكنه وجـــد أن الذكر طريق مختصر للمعرفة والوصول والتواصل . فجعله أصلا وما عداه فرع . وداوم على لزوم الباب مع أولى الألباب ، وما تحول عنه برهة أو غاب ، فكانت نتيجة المجاهدة مشاهدة وتمام رضا ولـــكنه مارجع . ومع الحجاب بالباب ركع وبهذه الوقفة اقتنع . ولولا أمر سيدنا الرسول له بالرجوع والدعوة وتعطير أنفاس الـــكون بالذكر مافارق جنة القرب ، فقد وقف نفسه على مانال ولم تؤثر عليه الآمال ، فقد ترك الصديق والأهـــل والمال ، هائما بهذا الجـــلال ، فـــكان ماكان ، من دعوة معروفة ، وبهذا الكتاب موصوفة .

بفكرى : بتجول روحى فى ملك الله الذى نحن فيه ، وملـــكوت الله الذى هـــو بالسماء من ملائكة وكرسى وعرش يتحمل التجلى الأتم عنـــد

(١) بظهر رائحته الزكية .

ظهور النور والعظمة والبهاء . فإنه يرى بعينيه هنا ملكا ظاهراً ، وسلطاناً قاهراً، ووضعاً باهراً ، وبهاء سافرا ، وأن لهذا العالم خالق مبدع قادر ذو خير وافر ، ولعباده آمر وزاجر ، والرسل والأنبياء للحق سفراء للعبيد، وهو لما يفعل ويشاء مريد . . .

نعم . وتفكر فى جليل جميل صنع البارى وما عليه من بهجة وحسن تنسيق يشمل الجليل من الأشياء كما يشمل الرقيق منها والدقيق . ويتعجب فى أدب . كيف كان ذلك كله بدون مهمات وعمال وآلات . (صنع الله الذى أتقن كل شئ) . وهو على كل شئ قدير . ويعجب لحسن الإدارة ودقيق التدبير مما يعجز عنه الغير . لأنه عزيز ليس له نظير .. فلا ند ولا شريك ولا معين..بل هو صمد ..إليه يقصد كل طالب .. وهو المجيب لكل راغب (ليس كمثله شئ) . . سبحانه تنزه عن كل شئ وعلا .. وهو لما يشاء فاعلا . (يأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد) .

تفكر فى تنظيم الجهات .. وكيف تحمل قدرة الله للأرض والسموات بلا أعمدة ترى.. ولا أساس عليه ذلك البناء قائم.. وبلا سنادات لتلك الشامخات تلازم.. إلى غير ذلك من أسباب.. نعم تفكر ولله تعالى خشى وهاب وأناب.. وآمن وما ارتاب .. وأجل وقدر الوهاب..كما تفكر فى الجسد والروح والقلب والنفس.. وهنا بتلك العظمة لله أحس ولمس .. وعند ذلك فتش.. ولربه الهداية التمس .

بشكرى : نعم التمس فيما ذكرته كل موجبات الشكر لما كان أثرا للذكر ، وحفظه من الانتكاس والنكث ، والوهم والوسوسة ، ودس الشيطان والمكر .

كيف لا يشكر بكل جوارحه الحسية ، ولطائفه المعنوية الروحية والقلبية والعقلية ، وفى كل ذلك؛ مقتديا بمن تورمت من القيام قدماه .. متأسيا سيد الخلق رسول الله ، وماهمه مركز تركز فيه كأول داع . لله ساع وللشرع واع ، ولحق الله تعالى محافظ ولجلاله مراع ، فقد كان أهم المهم عنده أن لا

بنبى الله ومصطفاه لحظة.. شاكراً ماحظى به من ملاحظة وعناية ، ووصول إلى الغاية ، وهكذا دلت بدايته على جلال النهاية، التى أولها صيحة طفل يقول: أحب الله .. مرة، وأخرى يقول: أحب النبى . صيحة كان يفرح بها المؤمنون ، قائلين : إن الله لذلك الطفل سيكرم ويجتبى . ولذلك كان إذا سئل عن أمره يقول : بالنبى ، وعند ذكره لمولاه ترى الرعب نولاد ، وانبثق الدم من جبينه حبيبات ، من المسام بائتات لما به من خوف وخشية وهيبة وإجلال وشوق لله المتعال، ولنبينا همزة وصل الاتصال ، وهنا يبتدى بذكر الوسيلة لبلوغ تلك الغايات بالذات ، ويذكر الوسائل إجابة للسائل فيقول :

٤ — بتطهير قلبى ثم تطهير وجهتى
وتطهير كسبى ثم لى القصد يا حب

بتطهير قلبى : نعم بتطهيره حتى يكون قلبا سليما (إلا من أتى الله بقلب سليم) سالما من الشوائب . خاليا من المعايب . سليم النية فى القصد والفعل والقول .متحليا بالفضائل .خاليا من الرذائل . «ستذكر فى محلها من القصيدة» .

ثم تطهير وجهتى : أى العمل على سلامة نيتى ، وتطهير طويتى . فيكون العمل لله . لا لسواه طريقتى ووجهتى . وهنا تفهم قوله رضى الله عنه : « إننا نذكر الله لله » : وقوله: « من ذكر الله رغبة فى الدرجات فهو محجوب عن الذات » . وقوله : « إن الذكر أجل عطاء من الله . وما الفتح والدرجات إلا مظهر من مظاهر إكرام الله تعالى » . وقال : « الفتح الحقيقى بطريقنا هو : التوفيق للذكر الكثير » .

وتطهير كسبى : بالعمل والكسب الحلال . وعدم الاحتياج للرجال ، للنفقة فى سبيل الله وتربية العيال . وإكرام الضيف ، وإغاثة الملهوف والتعاون على البر والتقوى ، ولا يكون بالانقطاع إلى الله تعالى والتواكل الذى ضد التوكل تماما . إلا أن يكون من الله على ذلك مجبور . فالمجبور معذور ، فيكون كذلك فلا تسأل عن مشيئة الله وإرادته، فإنه يكون مجذوبا

جرفه تيار المـد الذى ينتهى بالجزر(١) . حيث يصير صاحب هذا الحال ، مكلفا بالنهى والأمر ، وإما أن يصير مجذوبا مستديما . ذلك النفع فيه معدوم ، ولا تصح له قيادة ، فلا به نقتدى ، ولا عليه نعتدى ، ونترك أمره لله .

* * *

٥ — بتفريغ قلبى بالتفـرغ باختـلا

بجهـدى وجـدى قـد تقربت للرب

بتفريغ قلبى : هنا نراه يوالى حديثه بتفريغ قلبه عما سوى الله . ولـكنه كالسلف من الرعيل الأول من الصحابة والتابعين ، لأنهم مع تفريغ قلوبهم مما سوى الله تعالى كانوا قسمين قسم فارغ القلب عما سوى الله كأهل الصفة ، وانكبابهم على العمل للآخرة ، ولـكنهم لم يستديموا على ذلك لاشتغالهم بالجهاد فى الحرب ، وعند انتهاء المعارك رجعوا لذلك ، وأما أكثر الصحابة فـكانت لهم أعمال الدنيا موازية لأعمال الآخرة متكسبين من تجارة وزراعة وحرف وما منهم عن الأمرين انحرف أو انصرف . فإنه رضى الله عنه كان كذلك للأمرين مواصل .

بالتفرغ : حيث صار يوالى ذكره بالليل . مصروفا دون وعى عن عمل النهار وعن الحضرات والجماعات والاجتماعات مشغولا بذكر الذات .

باختـلا : هنا بعد واقعة حال بينه وبين إخوانه وطلب عزله ، وماكان من واقعة المسبحة المعروفة . حيث أمره شيخه بالخلوة لتمام التفرغ ، ذلك دون مدة معلومة . فـكانت الخلوة الصغرى . إلى خمس سنوات ، ثم الخلوة ، بالمقابر مدة ثلاث سنوات ، ثم الهيام الذى شغله عن ترتيب عبادته بخلوته . هنا فر إلى الله ممن سواه ، وغاب غيابا مطلقا ، وصار للدنيا ومن فيها وما فيها مطلقا ، فـكان لايحضره العقـل إلا عنـد الصلوات المكتوبات ، والنقل الذى يتابعه بقراءة القرآن ، فى حنان ووله وخشوع للرحمن ، إلى أن يصير فى سبوحه بروحه وسروحه . فلا يكون إلا الـذكر الصافى بالأسماء . أو الصلاة

(١) الجزر : المقصود بالجزر رجوع الموج بعد المد

على سيد ساكنى الأرض والسماء . صاحب المعراج بعد الإسراء : : : ويمكث أياما لايتذكر الطعام طعام الجسم . مكتفيا بطعام الروح ، وإمداده من الله بالقوة دون قوت ، ولم يضعف من ذلك أو يدهمه الموت .

بجهدى : بجهدى الذى رزقنى به الله تعالى وهو الكسب الذى أراده الله للعبد . بل أنا الرامى والموصل الرمى الله (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) :

بجـدى : بل هو الجد . فمن جد وجد ، وبهـذا الجهد وهذا الجـد وربما كان الجد يعنى بها : الجد الذى يناقض للهزل . فـكل ماكان لسوى الله فهو فى نظره هزل : (إنما الحياة الدنيا لعب ولهو . .)

* * *

٦ — بتركى لبيتى والعيـال ومسكنى

وعنـد قبـور الحى لازمت يا صحبى

بتركى لبيتى : بدأ رضى الله عنه يتكلم عما كان مجبورا عليه . اعتذارا لمن يقول فيه شيئا يشم منه رائحة العتاب . إنه نسى بأنسه بالله بيته وما يلزمه وتجارته وما يلزم للقيام بها لتنمية المال .

والعيـال : ومالهم عليه من حقوق مستحقة والقيام بواجباته لهم من : غـذاء وكساء وتعليم ودواء .

ومسكنى : الذى يأوينى من الحر والشمس والبرد يقينى . وسكناى بجوار القبور التى لاتمنع من تقلبات الجو ، ولا من هبوب الهواء والنو . . مع أنها ليس بها أثاث ولا رياش ولا مايصلح أن يكون محل معاش .

* * *

٧ — بحبى بشوقى بالهيـام بجذبتى

بفـرط غـرامى والفنـا قبـل الرب

بحبى : وهنـا بحبى . أى بسبب حبى الذى استولى على روحى وقلبى وعقلى . حتى جذبنى بمغناطيس الجذب . فجذبنى إليه جذبا لاأقوى على دفعه أو منعه : بل العجيب أن أكون بهذه الحالة قرير العين ولا أعـد هـذا

بــلاء من الله أو مين « إهانة » بل أعده من الله تعالى تكريم؛ حيث بالله تعالى لاسواه أهيم ، ولا عجب أن أرى كل الراحة فى ذلك فلا شعور بأى ألم جسمانى أو روحانى . بل أشعر بأن الله تعالى على عاطف وحانى . وحافظ ومعتنى بما به من فضل منه به يخصنى ، وأشعر أنى إلى كرم أعلى من ذلك أسير

بشوقى : وهنا لمــا صار الشوق بعد الحب حال . صار زيادة الحب هذا ابتداء تجليات ذى الجــلال .

بالهيــام : وهنا انتقلت إلى مقــام ابتدأت فيــه أشعر بالجذب نحــو المحبوب ، وعرفت أنى لبعد ذلك من مقامات مطلوب . فلم أكن بهــذا الشعور مكروب ولا مرهوب .

بجذبتى : ابتدأت أحس ببعدى عن الخلق وغربتى ، وهروبى منهم كان بغيتى حيث كان ذكر الله وحده فى الغربة الغريبة سلوتى .

بفرط غرامى : صرت غريبا وعدوا ومجاهدا ومعاندا لــكل شئ يبعدنى او يلهينى عن الله تعالى . حتى الحديث النفسى . والخاطر القلبى ، والتفكر والتدبر .

والفنــا : حتى دهمنى الفنا . وما الفنا لو وصفته إلا هو كبنج الطبيب ، والمقصود به التخدير حيث الحس يغيب ، وهنا الفعل يكون للروح فقط فــلا إبصار ولا سمع ولا شم ولا لمس ولا إيلام للقلب أو النفس لزوال الأوصاف الإنسانية حتى ولو كان صاحب الفناء مع الناس . فإنه لايقيس لفعلهم ولا فعله بفعلهم يقاس . « نحن فى سعادة لو علمها الملوك لحاربونا عليها بالسيوف » .

* * *

٨ ــ بلــزومى توحيــــد ذات إلهى
فى صــــفات والعقـــل نور قلــبى

بلزومى توحيد ذات إلهى : هنا يرجع بنا شيخنا لأيامه السالفة وأسباب هذا العطاء الفائض فيقول : بلزومى التوحيد لذات ربى فى ذاته وصفاته

وأفعاله . وأنه الله الذى أخبرنا عنه ، ذاتا وصفات وأفعالا ، سيدنا الرسول . حتى أنبأنا بأسماء الله الحسنى التى شملت لاسمه الله وهو الاسم الجامع لأسمائه والعلم عليها ، أى الجامع للصفات والأفعال ، وما كنت عليه من عقائد سليمة وإيمان شامل كامل بين العلماء أنواعه عند ذكر الواجب والجائز والمستحيل مما كنت ملهما من الله تعالى عرفانه وبيانه ومقصده ومعانى الأسماء الحسنى السنية . فضلا عن رب البرية ، وما ألهمنى الله تعالى من تفسير آيات القرآن الــكريم ، ومعانى أحاديث النبى العظيم ، وفضلا عن ذلك علم لدنى ألهمنى به الله تعالى شمل تعقل التنزيه لله تعالى عما لايليق بذاته وصفاته وأفعاله . فكنت عبدا لله موقنا حق اليقين وعينه .

* * *

٩ ــ ولزومى حــد الشريعــة للــــه وحسن اقتــدا بطه حبى

وحسن اقتدا : (لقد كان لــكم فى رسول الله أسوة حسنة) . فالأسوة الحسنة هى الاقتداء البعيد عن التأويل والرخص والأهواء ، الخالى من الرياء والأغراض ، وطلب الأعراض الزائلة ، والإقبال على الله تعالى والعمــل للآخرة ، والاقتــداء بالسلف الصالح من الصحابة والتابعين ، والعلماء العاملين ، وأولياء الله الصالحين ، الداعين القائمين بالدعوة إلى الله تعالى مخلصين له الدين حنفاء قد صدقوا ما عاهدوا الله عليه من الوفاء للعهــد ودوام الحب له تعالى والود .

* * *

١٠ ــ ويحبى القرآن حبــا عميقــا
وكـــذا ســـنة أهــاجت قلــبى

ويحــبى القرآن : لأنه كتاب الرحمن . وللتوحيد والشريعة ترجمان . ولــكلام الله تعالى بيان . فقد حوى كل ماهو للبشرية من تعاليم تفضى إلى السعادتين للمؤمنين فى حاضرهم بدنياهم الفانية . وأخراهم الباقية . وأرشد إلى الإسلام والإيمــان والجهــاد لإعــلاء كلمة لا إله إلا الله واتباع

سيدنا محمــــد رسول الله . (**فاتبعونى يحببكم الله**) . **تلك الكلمة التى بها** عـــلا الدين واعتلت بها العــــروش المسلمون ، بعد النصر المبين . **تلك** الــكلمة التى بسبب هجرها ، تملــكتنا الأمم الغربية وخسرنا قضيتى الدنيا والدين ، ومازلنا غافلين .

وبسنة أهاجت قلبى : أهاجت القلب الصافى الطهور الممتلئ بالإســـلام والإيمـــان والنور ، وشرح الصدر الممتلئ بالحب والطاعة . المؤدية إلى الفناء فى العمل . دون التواكل والكلال . وعدم انتهاز الفرصة وبسط الآمال ، وليس هـــذا شأن الرجال . بل هو تمن وأمان زائغة زائفة . لقلوب ليست لربها راغبة راهبة خائفة . فالسنة لسيدنا الرسول فى القول والعمل ثانى دليل بعـــد القرآن • فهى للقرآن مذكرة تفسيرية وأداة تعبيرية لحقائقه ودقائقه ومقاصده وعبادات سيدنا الرسول كانت كلها تطبيق ، ولأقواله صلى الله عليه وسلم تحقيق ، ومن استرشد بها رشد . ومن بها اهتدى ماضل . بل وصل إلى الحسنى وزيادة ؛ والحسنى : الجنة والنعيم . والزيادة : رؤيته تعالى وتمام التنعيم لتمام الرضا والتــكريم .

* * *

١١ — ولزومى إقبال قلبى على الله
تم منــه القبـــــول ســـــبحان ربى

ولزومى إقبال قلبى على الله : هذا القلب الــكبير الذى كان يحمله طفلا صغيرا يتحرك صائحا بكلمته الحبيبة : أحب الله . أو كلمته : أحب النبى . فكانتا للناس تذكيرا ، وعما بفؤاده وعقله المبكر تعبيرا . فـــكانت كالأذان للصـــلاة منبهة للسامع ، الله أكبر . أن يتذكر ويذكر . متوجها شطر المسجد ليتعبد .

هـــذا الإقبال الذى لازمه مراهقا وعند البلوغ ، وفى الشباب وفى تمام الرجولة وفى الشيخوخة . كل ذلك الدأب والعبادة والتدرج فى مراتب السعادة . ثم القيام بالدعوة إلى الله الذى تولاه وولاه . وأعطاه . فاهتدت

به مئات الألوف . دون أن يصيبه كــبر ولا عجب . بل ظل خاضعا خاشعا للرب . سائلا الله دوام الود والقرب .

* * *

ويؤكد ذلك قوله الآتى :

١٢ — ولزومى الوقوف بالباب عبـــدا
لم أحـــول وجــهى أعتـــنى بى ربى

ولزومى الوقوف بالبـــاب عبدا : هذا هو تشبيه لمـــا هو عليه من التزام العبودية الصادقة والتزام الذكر والعبادات التى شغلته بــكل الأوقات وتطور أحواله وعـــدم نسيانه الله . مـــع عـــدد اللحظات . بما تسبب فى الجذب والخلوة والسياحة بالبلاد هائم ، وبما فوق الطاقــــة ملازم .

فـــكان عبدا فى بدايته . عبدا فى نهايته. لم يتحول إلى غيره تعـــالى ، وما طلب ملذات جسمانية ، ولا مطالب روحانية ، ولا أفعال غير رحمانية مع حفظ الله تعالى له من الرذائل الإنسانية ، والأخلاق النفسية الشيطانية . وهـــذا هـــو مقـــام الحفظ للولى المجتبى . يقابل مقام العصمة للنبى .

* * *

١٣ — بانتهائى عن المحرم يا قـــــوم وفعل الطاعات هيمت لبى

بانتهائى عن المحرم : كأنه يذكر فضل الله تعالى عليه قائلا : لو أنى لم أكن منتهيا عن المحرم ماتم لى ذلك الفضل الإلهى العميم . من العظيم الكريم فالمعلوم أن الطعام الحرام لاينبت منه لآكله إلا عمل الحرام . وكذا الحلال من الرزق ينبت معه لآكله عمل الحـــلال ، وكأنه يقول : إن الواجب الأول الانتهاء عن المحرم . ثم الامتثال لأوامر الله ورسوله تكون ثانى الأعمال.

فإن العبادة لاتقرب لقلب العصاة . الذين يهملون أوامر الدين وآدابه ، ويتظاهرون رياء لعباد الله ، بل ويدعون الخلق إلى الله فلاحول ولا قوة إلا بالله.

* * *

١٤ — بالتحلي بالفضل بعـد التخلي
عن ذميـــم الفعـــال عــاينت دربي

بالتحلي بالفضل بعد التخلي عن ذميم الفعال : — أي الرذائل .

التخلي عن ذميم الفعال . أذكرها قبل التحلي . حيث يكون طـرد الرذائل قبل العمل بالفضل . أي الفضائل .

فواجب على المؤمن أن يتجنب : الحقد والحسد والغيرة وسوء الظن بالناس . متهما لنفسه غير مرتاب فى غيره ولا يكن ضغينة لأحـد . ولا يحقر لمخلوق ، بعيدا عن البخل والشح والريا . وحب الجاه والرياسة . والعمل بالتدبير السئ والسياسة ، والتفاخر وكثرة الكلام الموجب للغيبة والنميمة خاليا من الميل للدنيا وزهرتها إلى حـد النسيان للرحمن . كما يتخلى عن العقيدة الفاسدة ، وارتكاب المعاصى . وترك التوبة والمكر . والحيلة والخيانة والحرص والطمع والميل مع الهوى عند كل شهوة من المحرمات وسمع الملاهى وشهود المنكرات ، واللعن والقذف والسب والزور والسخرية والتحقير والغيظ والجدال والجزع . والأثرة والبطر والظلم والإسراف والمزاح . والتزين وحب الفواحش والتسويف للتوبة والتمنى وقلة الحياء . والجبن وعـدم الغيرة والغش . .

كما يجب وجوبا مؤكدا على المسلم . العاقل العصرى المثقف المتحضر تجنب فساد العقيدة . ويحرص على الإيمان بالله تعالى والإيمان بصفاته وأفعاله المبينة بأسمائه الحسنى . فما أجلها وأجلاها نورا أسنى . والإيمان بالرسالات والكتب والملائكة . وغير ذلك مما ورد به الشرع من الله رب العالمين . وأن لا يتأثر بالأقوال المغرضة والمذاهب الهدامة المستوردة . فإنها ترهات واختراعات جماعة همها هـدم الأديان والإيمان بالرحمن . وذلك أنها سد منيع بينهم وبين الوصول إلى سئ رغباتهم فى اعتقاد مؤلفاتهم واتباع جهالاتهم ورواج بضاعتهم الفاسدة الكاسدة . التى ترمى إلى لغو التقـول وترك المعقول ؛ فإنها تدعو أولا إلى الكفر والإلحاد والفوضى ، وعـدم

الالتزام بشرائع الله تعالى وقوانينه السماوية . وتريد فوضى شاملة كاملة : فى الأخلاق . وأنواع المعاملة . وهنا تسود أمة اليهود . فانظر إلى علم الإجتماع ترى المقصود به وهو حكم وتسلط الصعاليك والرعاع من الأشياع . والتنصل من الفضائل الروحية بإشباع الشهوات النفسية وهذه هى روح القضية التى يريدون كسبها عنوة . بالترهيب أو الخدع بما يقوموا به من ترغيب عجيب . وانظر إلى مافيه العالم الآن فى كل مكان تجد مايشيب منه الطفـل الصغير . من فساد منقطع النظير . واقرأ أخبار العالم المتحضر . الذى أصبح لا يدرك ولا يسمع ولا يبصر . وإن قلت إن الشباب جنـون . أقول : وما الـذى أصاب الرجـال والـكهول . فما تقول فى أناس لفوا العقول. وخالفوا كل معقول . حتى أصبحت كل الأشياء والألفاظ تعبر عن الضد . وأصبح بالعالم معنى الحكم التحكم . . وويل للمتألم . وأصبح كل حرام حلال ، وأصبح التسيب فى المال صيانة ، وطلب الإصلاح خيانة . وأخذ العمولات لا ينافى الأمانة، وأصبحت التجارة شطارة، ولو كانت تجارة فى الرقيق والدعارة، وعنـد بوليس الآداب الخبر اليقين . وأصبح الموقف الأخلاقى للشبان والشابات والشيوخ المتخومة بالمال لا يسر . وأصبح حال العظماء الجدد المعاونة للشر ، والقيام بأعمال يندى لهـا الجبين ، وهناك أشياء أنزه القلم عن كتابتها ، وأسئلة أنزه نفسى عن إجابتها .

أليس هـذا حـال ماعليه العالم الآن . . بكـل مكان ؟ ؟ وذلك كله أثر لمـا نشره علماء اليهود المزعومين بالـكتب والمجلات والصحف والإذاعات والمحاضرات . فقد ساعد اليهود وفرة المال وشراء كبار رجال الأعمال . فحققوا بذلك بوادر الآمال. وأصبح لهم صوت مسموع . وشأن بالباطل الذى اخترعوه مرفوع . فقد ذلت وذلت. وحكمت وتحكمت وملـكت واستحكمت . فهى الحاكمة للعالم من وراء حجاب تعمل على رفعه وإقامة شر يفسحون بالعلم المزيف والمال لتثبيت وضعه . وإذا استمر الحال على ذلك الوضع الشائن . سنراهم الحكام لـكل شعب كائن . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ويكفيك على ما مر دليل . أن شعب اليهود اعتبر نفسه لفلسطين والعرب غازى . وفعل بهم أكثر مما وقع عليهم من النازى . .

أما التحلى بالفضائل : أى الأوصاف الحميدة . فهى تشمل أشياء كثيرة منها : العقيدة الصحيحة والتوبة والإعراض عن المعصية والندم على فعلها والحياء من الله والطاعة والصبر والورع . والزهد والقناعة . والرضا والشكر ، والثناء . وصدق الحديث . والوفاء . وأداء الأمانة . وترك الخيانة وحفظ الجوار . وبذل الطعام . وإفشاء السلام . وحسن العمل . وحب الآخرة . وبغض الدنيا . والجزع من الحساب . وخفض الجناح . وكف الأذى واحتمال البلاء . ومراقبة الحق . والإعراض عن الخلق . وطمأنينة القلب وكسر النفس عن هواها وقواها . وحجزها عن لذاتها . والخوف والرجاء . والجود والصفح . والمودة . والغيرة . والمواساة . والمداراة . والإيثار والنصيحة . والعفة . والتسليم . والتوكل . والشجاعة . والمروءة . ومحبة الله تعالى . ورجاء الوصول إليه . وخوف الفراق منه . والأدب والتأمل والتأنى ومحاسبة النفس . والإنصاف . وحسن الظن . والمجاهدة . وترك المراء والجدال . وذكر الموت . وقصر الأمل . والتفقه فى القرآن . ونفى الخواطر وترك السوى . ودوام الافتقار . والالتجاء إلى الله عز وجل . والإخلاص فى كل حال ، والمتخلق بهذه الأخلاق يحصل على السعادة بالدارين بمشيئة الله .

* * *

١٥ — بحربى لنفسى واحتقارى لشأنها
وحسن افتقار واستتار رضى حبى

بحربى لنفسى : بالمراقبة لها والمحاسبة . وتفتيشها دائما . وقمعها عن مباشرة شهواتها . وإلجامها عن مألوفها وتأديبها وتهذيبها ومخالفتها ورفض نصحها . وإلزامها ما ينفعها بعد ترويضها وتدريبها . وتعويدها فعل الخير . بعد حبسها عن الشر واتباع الشيطان وغوايته وتنفيذ إرادته التى تنحصر فى حب الدنيا والفعل لكل الرذائل والانغماس فى الملذات ، وعدم الخضوع

لأوامر الشرع واتباع القرآن الذى يأمر بكل الفضائل وبه صفو تعاليم الإسلام . الحب لله ورسوله والإيمان . والعقائد والآداب المفروضة على الإنسان . وعلى العموم فإن النفس عدو العمر المنافق الكذاب . والصديق الصدوق لكل شيطان وكافر وملحد منكر لكل ماجاء بالكتب السماوية . وسنن الرسل الهادية المهدية . ولكل عاص لمولاه عابد الشيطان وهواه وهمته دنياه . فالمحتقر لشأن النفس يذللها له الله . ومن افتقر إلى الله تعالى هداه . ولكل ماسأل أعطاه . ومن استتر ولم يظهر أحدا على حسن أعماله التى بينه وبين الله أرضاه الله بالزيادة . فى متنوع أنواع العبادة . لأنه اكتفى بأن يرى محاسن أعماله مولاه . فهذا سليم القلب والنية والقصد ، المخلص فى أعماله ، المريد وجه الله . (إلا من أتى الله بقلب سليم) . وهو المتوجه بعباداته لله طلبا لرضاه . حيث هو يعبده تمجيدا له . وتفريداً لذاته . وتنزيها لها عن مماثلة الحوادث (ليس كمثله شئ) فإنه واحد فى ذاته . وأفعاله وصفاته . حيث تعالى سبحانه عن مشابهة سواه ، منزها عن الشريك وعما سواه وهو الفعال لما يريد - عندما يريد . لأنه المالك الوحيد والكل عبيد . فحكمه تعالى عدل ، وعطاؤه فضل ، وهو للمغفرة أهل . .

وهنا يسأل العم سائل : كيف ملكت للنفس قيادها وهى من طبعها الهروب والشرود والزوغان . ؟

ويقول : إن الله تعالى ألهمنى باعتقالها وحبسها وحرمانها من غذائها وهى الشهوات لفعل الشر ، كما ألهمنى أن أضطرها لاستعمال دوائها وهو طلب الخير . . أقول : إن الله تعالى يوفق ويعين . فإنه مطلع على حسن النية للمجاهدين . — فإن لها درجات تتدرج فيها تدرجا تصاعديا ، فهى أمارة بالسوء وتسمى « الأمارة » . . (إن النفس لأمارة بالسوء) ، وبالترقى تكون لوامة . (والنفس اللوامة) . لأنها أصبحت تلوم نفسها على القبيح فتسمى اللوامة . فيكون لتوبتها وندمها ورجعتها علامة . ثم تسمى (راضية). لأنها أصبحت إلى الخيرات مفضية . ثم تسمى (مرضية) بما نالته من رضا رب البرية وهنا تمتزج بالروح امتزاجا فى عبادتها وسبوحها بروحها ومعراجها وبكفيها

ربها شر الامتحان والاستدراج : وهنا تسمى (مطمئنة) . وما الاطمئنان إلا تمام الإيمان واليقين والثقة بالله تعالى . فقد سبق ذلك انشراح الصدر ويسر الأمر . وصفاء النية بالإخلاص والصدق والفضائل يكون حال . ولذا ابتدأت به فى هذا الشرح المختصر للقصيدة التى كانت تحتاج فى شرحها إلى من هو أكثر منى إلهاما ، ممن نالوا مدداً أكثر منى وإكراما .

أنا فى دولة الخليل لسان   وكثير فيها لســان فصيــح

فــلا يظن ابن الطريق أن المعركة هنا انتهت . حيث هنا سيظهر ثلاثة أعــداء هى : الدنيا ، والشيطان ، والهوى . وهنا تكون حربا ضروساً وصراعا دائما مع هؤلاء الثلاثة الذين يأملون الاحتفاظ بمهماتهم.. فالشيطان يهتم بالخنس والوسواس (قل أعوذ برب الناس . ملك الناس . إله النــاس . من شر الوسواس الخناس . .) ويطفو حب الدنيا وزهرتهــا بما يجر إلى حب الشهوات والذات واللذات بالذات . . ويظهر سلطان الهوى . ظنــا بأنه على عرش القلب والفؤاد استوى . فلا غرو أن يحافظ على تلك المحلة المحتلة . فإن الخلقة البشرية بها ميل للخــير يقابله ميل شديد للشر ، وهذه الطباع للمرء فى انطباع ، إلا من شاء الله هــداه ، فينصره نصرا كاملا . فهو الذى يكون للرسول لعصمته ، والولى لحفظه ورعايته .

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهــم   إن التشبــه بالــرجال فــلاح

فما زال الله سبحانه وتعالى للمستغفر مجيب . وللتائب حبيب . وعلى قلبه رقيب حفيظ . هنا ينكمش العــدو انكماش المقهور . ويختفى بالظــلام صاغرا بركن ضيق بالقلوب والصدور . حيث قد ضيق عليه عظيم النور . إذن فتكون تلك المعركة انتهت إلى إسقاط مراكز القوى ، التى تعمــل فى خفاء الظلام . إرادة رجوع الحكم والانسجام .

فلنكن دائما متذرعين بالحذر . ومتوقعين وقوع الضرر والخطر : فاللئيم ، لم يزل بمكانه رابض . ولرجوعه فارض . لأنه لمــا وقع لايزال

بعارض . والله للحذر لمن يحذر كافى (أليس الله بكاف عبده) . بلى . . كافيه ومعافيه ، إلى أن يلاقيه مؤمنا فائزا بإذن الله .

* * *

١٦ — بحربى للدنيــا وإبليس والهوى
أتانى نصر اللــه وانجــذب القــلب

بحربى للدنيا وإبليس والهوى :

وأحب أن نعلم أن الأولياء الأتقياء الذين فضلوا الانحياز إلى جانب الله تعالى . يعدون أن كل ماسوى الله تعالى باطل . فهو دنيا وهم لها محاربون باعتبارهم أن الدنيا بما فيها من مشاغل ومطالب عن الله حجاب . وهنا صار لهم التوجه لله هو الغالب . فكانت الخلوة وترك العباد . بل والجذب فى الله تعالى والهيام والسياحة دون شعور منهم بالبلاد ، حتى يرزقهم الله تعالى بالصحو بعد المحو وبالحضور بعد الغيبة ، والسماح لهم بالرجوع للوطن والأوبة . فإما يكونوا ملتزمين ماهم عليه من انحياز . وإما يكونوا داعين لله بالله عباد الله بالاستقامة ، ولهم يؤيد الله تعالى بالــكرامة . وهى خوارق العادات . كما المعجزات لأصحاب الرسالات ، عند تحديهم للرسول . وطلب العلامات . أما الولى فإن الــكرامة له هى لدوام تعاليم الرسالة . بعد انتقال الرسول إلى حى مولاه وهى واقعة بغير تحدى . فهى سبب مباشر فى هداية الخلق ورجوعهم للحق فلابد أن يكون أعز طبع فى الداعى إلى الله ، عدم الإكتراث بجمع المال والرجال . وأن لا يكون له طلب للدنيا وإقبال . ويكون للدنيا والمال والأغنياء والرجال وأرباب المناصب مجانب . ولله وحده راغب . زاهدا فيها ، بل متورعا عن حلالها . فــلا يحب الغنى والــكثرة . عفيفا مكتفيا بالــكفاف ، منفقا مما وجد ، غير عابئ بما فقد .

وواجب أن يكون الداعى إلى الله زكى السيرة . مشهورا بالدفاع عن الشرع والغيرة ، ونقاء السريرة . تدل بدايته الطاهرة على نهايته الفاخرة .

* * *

١٧ — بثبات من بعد إخبات قلبى
وبحسن الظنون أرضيت ربى

مشيرا بذلك إلى قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا والآخرة) ، حيث ذلك الثبات قد رزقه الله تعالى بعد إخبات قلبه وروحه وبدنه لله تعالى . ومعنى الإخبات : الخضوع والخشوع والخنوع والذل والانكسار والمسكنة . « مما سيذكر بمحله ». وأكثر معانى التعبد فيه ، فهو اسم جامع لأكثر أحوال السالك إلى الله تعالى من مبدأ سلوكه ، حتى النهاية ، وبلوغ الغاية . ويشير إلى أن هذا الثبات والإخبات ناتج عن حسن الظن فى الله . فحسن الظن يكون من أثر التوكل على الله والثقة بالله ، والخوف والرجاء فيه ، والتفويض والتسليم لله تعالى والرضا والشكر .

وهنا ترى أن من أعطاه الله حسن الظن فى الله تعالى ، علامة ، لما به يتفضل عليه بما به من العطاء ، وسيواليه . وفى هذا توجيه لنا إلى التنبيه إلى كل ما بهذه القصيدة ، يحكيه عن نفسه . كما كانت عادته فى حياته ، أنه كان يحكى حكايات عادية ، ولكن تجد كل سامع عند سرد الحكاية يبكى ، فكل واحد من الجميع له فى تلك الحكاية شيء يخصه . ويعلم أن الأستاذ على شئ مخصوص فى قلبه ، يتكلم عنه له خاصة . ومع ذلك فعند استئذان الإخوان للسفر يعطى كل منهم كلمة فيها تمام الاطمئنان ، فسبحان ربنا المنان .

* * *

١٨ — باعتمادى بعد التوكل لاقيت
لرزق يفيض من حل كسبى

يقول باعتمادى على الله وحده . حيث توكلت عليه لأنه الودود الوهاب الباسط الرزق الحلال لحبيبه ، والحرام لأعاديه . فقد رزقنى سبحانه وتعالى نعمة رزق تامة ، جعلتنى أقوم بواجبى الخاص والعام . وأخدم الطريق فى وسعة ، وأغيث الملهوف ، وأعاون للجميع دون تهاون ، وأنفق فى سبيل الله تعالى غير هياب ولا مرتاب . تقديراً لفضل وعطاء أجل جناب . وذلك ما كان من دوام التعبد والدعوة إليه من أهم الأسباب .

١٩ — باغتنائى عن خلقه واقتنائى
ليقينى وقيت فقرا وكرب

يقول باغتنائى وعدم التطلع إلى ما فى يد الناس . أو فرض الإتاوات . أى العادات . والطلب من الذوات ، الذى لا يكون بعده إلا تكريم الغنى لغناه . واحترامه دون سواه . غير عالم أن احترام الغنى لغناه ، يذهب بثلث دينه . والتقرب للحكام يذهب بباقيه . (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار) وأن من شاركهم أعمالهم كان قلبه لهم ساكن . والمرء على دين خليله — أى صديقه — ومن رضى بشئ صار للراضى عنه شريك . بل الواجب نصيحة الأصدقاء . فإن لم يتمكن فليتباعد قدر ما يمكن . ويزيل المنكر باليد . فلو لم يمكن كان باللسان . فلو لم يمكن ، كان منكرا بقلبه . وهذا أضعف الإيمان . أى الإيمان الذى لا يثمر ... وكل ذلك نتج عن يقينى بالله تعالى يقين مؤمن بالله أنه يكفيه . أى يحفظه من كل شر وضير . وأنه بالخير موافيه من كل خير وأنه وحده الذى بيده مقاليد السموات والأرض . أى الحاكم بهما . وهو المليك المقتدر . الفعال لما يريد . الرءوف الرحيم بالعبيد . الذى من توكل عليه أرضاه ، ومن تيقن بنصره والاه . ومن استغفره ورجع لحماه تولاه. ومن افتقر إليه دون غيره أغناه . ومن لاذ بعبادته نجاه . ومن دعا إليه رقاه وأعلاه . ومن ذكره تعالى جعله الواصل إلى الله ، أى العارف به تعالى والحائز لرضاه . وأنه فى الجنة سيراه . وكل ذلك لمن خشيه واتقاه.

وهنا لك من نسى نفسه وجنسه ودنياه . وغلب عليه جذبه فلم ير إلا الله ، وتفوه بما يوجب الملام عندما قال فى حال سكره « ما فى الكون إلا الله » . لأنه عازف عن سواه . . وربما كان المجبور فى جذبه وسكرته لما يقول معذور ، لأنه مقهور .

ولكن قال شيخنا رضى الله عنه عند سؤاله كيف نعامل المجاذيب ؟ قال : إنه يجب عدم انتقادهم . كما يجب عدم اعتقادهم . لأن المجذوب لا يصلح أن يكون قدوة يقتدى به . لما حل به من غيبة . وإن كانت متقطعة ، فلنكرمهم وندع أمرهم لله تعالى . واجتنابهم أفضل من القرب لهم.

* * *

٢٠ ــ بايمان قلبى والفعــال لقالبى
ونطق لســانى لا إله ســـوى ربى

يقول شيخنا : إن الإسلام والإيمان هو : نطق للشهادتين باللسان وعمل بالأركان . وتصديق بالجنان أى القلب . وهــذا تأكيد لمــا سبق بمحل آخر من القصيدة .

* * *

٢١ ــ باتبــاعى للحق ثم ارتــداعى
لا ابتــداعى هنــا حبــانى بوهب

يشير شيخنا أنه ملتزم بالــكتاب والسنة والسلف من الصحابة والتابعين . والتزام فعــل المتقين من الأولياء الأوفياء الأصفياء . العلماء الربانيين والعلماء المتفقهين الخاشين ، ولله الراجين ، وما أمرنى به سيد المرسلين . وعنه صلى الله عليه وسلم أخذت . وليس ذلك إلا تفضــلا لداع بالقرن الثالث عشر . وياويله من عصيان قد اشتهر واستقر بــكل مقر ، فإن لم يكن مدعما من الله عن طريق رسول الله . ليكون قدوة لمن دعاه ، وممدا للروح مما مده الله ، بواسطة مصطفاه رسول الله . وأن يكون مؤيدا بآيات ظاهرة . يكون بها الــب يقتنع ، فيتبع هنا بالحق البعيد عن الابتداع الباطل (فماذا بعد الحق إلا الضلال . فالزيادة عن المأمور به الداعى إلى الله طغيان وظلم وه الشر يعم . فهو أمر لا يراد به وجه الله . من فاعل فقد تقواه .

* * *

٢٢ ــ بتركى كدوراتى بأنسى بخــالقى
ونيــــل لنعمــــاء له صرت صب

يشير شيخنا هنا إلى حقيقة عجيبة . وهى وإن كان عاصى الله تعالى المنغمس فى شهواته وملذاته وطيباته الدنيوية ، والذى يملك للمال الفائض وهو طبعا ليس حلالا ، ويملك للسكن المستوفى الكماليات ، فضــلا عن الضرورات ، والمقتنى مختلف السيارات ، وصاحب العمارات . والتاجر أو المناصب والعمولات . وخذ وهات من المال السايب عند احتــلال

أرفع تلك المناصب والمقامات . كتاجر المخدرات ، فرحا بالمال بل هو أيضا خائف من الزوال بعد تغير الحال . خوفا يكدر عليه حياته ، خوف الفقر . مع أن خوف الفقر كان هو السبب فى كل ماارتكب . فخوف الفقر يجر إلى طلب الحرام وإلى كل الرذائل من الصفات . ويدعو إلى ارتكاب كل أسباب التعجيل فى الغنى ، ولو كان طريقاً غير شريف . وهنا يكون للخيانة أليف . فهو وإن اغتنى تراه مشغول البال . دائم البلبال . غير مستقر الحال يخاف الانتكاس . وشماتة الناس . فتراه عابس الوجه دائما . وللأحزان وخوف الهبوط ملازما . وفيما يكدر صفو حياته قائما . ولهذا اتبع شيطانه وهواه ، ونفسه وحب دنياه . ستكمل حظوظ النفس المنغصات لروحه ولعقله المعتقل بكدورات ، وخوفه من قصر الحياة وفجأة الممات ، ليتمتع من بعده بالثروات أصحاب الرعونات . بعد موته مما يكدر للخاطر ، ويثير مؤلم الخواطر ، وكل ذلك لمن كان لله عاصيا وهاجر ... وكأنه يقول إن من أنس بالخالق وإعطاه ، ونوال نعمه الظاهرة والباطنة بفضل رضاه ، فلا شئ يكدر صفوحياته الدنيوية . ولا يوقف مسيرته إلى الله . بل هو يزداد معه لله الحب الذى يتدرج تدرجا صعوديا فيكون صاحب صب . فالصبابة أعلى درجات من الحب . وكيف لا يكون ذلك لمن قال : كلما واجهتنى الدنيا بوجهها وليتها ظهرى ، ولو وليتها وجهى لسكنت من صفوة الأغنيــاء . . كيف لا يكون هذا لمن يعلم أن أهم صفات رسول الله ، عزوفه عن دنياه . وأن أهم مايهمه العمل لأخراه . لأنه يعتبر الدنيا ممر ، والآخرة هى المقر . وبها كل مايهواه وأجله وأرفعه ، وهو التمتع برؤياه مولاه .

لــذا كانت معيشته صلى الله عليه وسلم دون الــكفاف وهو عنها معتصم بالعفاف . وكان ذلك حتى جاءت الأنفال « مــكاسب الحرب » . تأتى أثقال بعد أثقال . فلم يكن اهتمام باقتناء المال . الذى يوزعه كلــه ولا يرجع إلى منزله بشئ منه . حيث هو متورع عنه وإن كان حــلال . إذ يدخل بيته ليس معه من ذلك شئ . فــلا يقدم لــه غــذاء غير غذائه المعروف ، وهو التمر والماء ، ويسأله عن نصيبه الأزواج . فيقول : لله ذهب .

الفضة والذهب . لأنه لــكل صاحب حق بل لــكل سائل أعطى ووهب :
فيسألن متعجبات : وأين حقنا الذى هــو لك . ؟ يقول : إلى جيوب الفقراء
سلك : . فيتألمن تألم المحروم المــكلوم « المجروح » . والزوجة ياسيدى لها
قاذع اللوم « موجع » . وهنا يدفع اللوم باللوم فيقول : هــلا ذكرتمونى ؟
« أرسلتم إلى من يذكرنى أى بما أنتم فيه من الفقر والاحتياج أعلمتمونى »
وهنا يقف الجــدل فيقدم له الغــذاء المعهود . فيأكله شاكرا ، ولجناب
الله مثنيا ذاكرا. ذلك كان يحصل بالبيت الذى كان لايوقد موقداً بالشهر
أو الشهرين وما هو إلا التمر والماء وخبز الشعير .

وهــذا الرسول الذى عرضت عليه الجبال أن تكون ذهبا ، فأبى :
هــذا الرسول الذى ربط على بطنه الحجر ثلاثة أيام من الجوع دون أن يفطن
لذلك أحد . حيث أصحابه تظن أنه بالبيت غذاه ، ونساؤه تظن أنه تغذى مع
أصحابه وأحباه . وأن طلب الطعام كان من طبعه ألا يأباه . فهو يأكل الطعام
إن يقدم له ولا يعيبه عند تقديمه بل يتعاطاه شاكرا .

* هذا الرسول الذى كان يعطى الأغنياء من الأعداء المال ، بل يعطى
المائة بعير بعد المائة لمن يرجو إسلامهم من القوم . ولا يرضى ممن شاء أن
يلومه على ذلك السخاء والــكرم . فإنه يريد بذلك لين القلوب للإسلام
بفرط هذا الإكرام ، وما يعد من الهدية التى وصلت رغبة التحبيب فى
الإيمان : فتكون الهدية موجبة لتبديل العدواة والجفاء . وبذلك تم المحبة
والإيمان والوفاء ، لصاحب مــكارم الأخلاق رسول الخــلاق. وتعظيم هذا
الرسول المنزل عليه : (وإنك لعلى خلق عظيم) صلى الله عليه وسلم .

* هذا الرسول الذى لم يطلب جاها ولا مالا ولا رئاسة رجال . بل
الإيمان بالله المتعال ، ويأمر بالمعروف وكريم الخصال .

* هذا الرسول الذى قال عندما أذاه قومه : «اللهم اغفر لقومى فإنهم لايعلمون»
الذى شرح الله صدره ، فلم يتكدر أبدا لأنه يحسن فى ربنا الظنون .

* هذا الرسول الذى فتحت جيوشه لفارس والروم .

* هذا الرسول الذى كان ، مع عزة الإسلام ومع مقامه الذى كان فوق
كل مقام ، تراه أول متواضع وأول من كان لله تعالى منكسرا ذليلا خاضع .

* هذا الرسول الذى يقف للمرأة العجوز ويقضى لها الحاجة ولم يتأفف
من طول الــكلام واللجاجة .

* هــذا الرسول الذى كان مع جلاله ، يقم بيته « أى يكنسه » ويساعد
أهله فى الخدمة ويحلب شاته ويخصف نعله ويركب الحمار والبعير والبغلة
ويردف وراءه من لايجد مايركب .

* هذا الرسول الذى كان ينام على الحصير ، فيؤثر فى جنبه .

* هــذا الرسول يجيب دعوة من دعاه ولو على الخــل والرطب .

* هــذا الرسول الذى كان يلقى رداءه على الأرض ليجلس عليه زائره
تكريما له .

* * *

٢٣ ـ بامتحانى باستــكانى بامتــكانى
بارتــكانى عليـــه زال الــكرب

يشير شيخنا إلى ماضيه كله ، ونجاحه فى كل قصد من أول أمره حــتى
نهايته . فقد امتحن الله إيمانه فى ماتدرج به من درجات ، وما وهبه الله فيه
من جليل هبات . وكيف كان فى صغره يحافظ على الذكر الــكثير بتلك
الصيحات : أحب الله . أو أحب النبى . وكيف حافظ فى هــذه السن على
مداومة الذكر الــكثير والصلوات . وكيف حافظ على درس القــرآن
تلقى . وكيف كان له من الــكسب بالقرآن توق . وكيف زرع وحافظ على
الحار وماجار . وكيف لم يسخر لخدمته عاملا بليل أو نهار. وكيف تاجر ملتزما
الصدق والأمانة والصيانة لدينه بالتزام الحلال من الرزق . وكيف كشف
عن زيف من غش . وكيف هو لمن يلاقى بالابتسام ، ويتلقى الزائر وقــد
هش وبش . وكيف كان ينفق فى سبيل الله الــكثير مما أعطــاه . وكيف
كان يلتزم المساجد ليــلا إلى الصباح . وكيف كان عندما اتصل بالسادة

الصوفية حبا فى تطهير النية والطوية . طالبا الهداية فى المسير . باتخاذ من بوصله إلى الله تعالى . وكيف لم يتبع النهج الأسهل . بل بخدمته تسع سنين لإخوانه . من خادم نعال . إلى خادم يقدم التحيات للرجال . ثم إلى ماطلبه الإخوان أن يكون قائما مقام المربى لهم بالطريق . وكيف انتقل إلى الخلوة خمس سنين للعبادة . وكيف لم تسعه القبور فهام على وجه أربع سنوات ؛ لا مسكن أيضا ولا رياش ولا أثاث . وكيف ختم تلك السنين بحج وزيارة طعامه بمكة ماء زمزم . وبالمدينة تاجر ولنفسه من السؤال أكرم . وكيف تصدق بما نال من مال . وذلك بعد ماكان يريد العمل والـكسب دون إذن فآذته امرأة ولـكن عند الإذن بالتكسب لم يتعب . وكيف زاول مكة إلى المدينه . وكيف انتهى الإمتحان باصطفاه وتعيينه . وكيف كان عند رجوعه خالى الوفاض وأن الله رزق ووهب وأفاض . وكيف ابتدأ الدعوة واستجاب صفوة الطلاب . وكيف تعدت الدعوة إلى البلاد المجاورة . وكيف كان عند محاربته وإرادة التعدى بعد التحدى . ثم وكيف انتصر وصفا له العصر . والانتقال إلى مختلف البـلاد للهداية والإرشاد . وكيف كان معهده يضج بالوفود من الرواد . وكيف ينفق عن سعة نادرة . وكيف كان يحيى بمعهده مولد الرسول الأكرم . منزله بالمهمات وقضاءها يكرم . وكيف كان العيدان للطريق أعيـاد . .

نعم . . كان فى كل مامر من أمر امتحان ، والنجاح والثبات . فقد كان فى كل ذلك مسكينا لله خاضعا مرتكنا . وعلى فضل الله الذى جنبه السوء ووقاه . ولذلك أعطاه تمكينا وتأمينا . وكان بالارتكان على الله يزول مايلاقى من التوقفات فى المسير . وما الارتكان إلا التوكل الذى يتفرع منه الرضا والتسليم والاستسلام . والتفويض التام . وبذا تم الإنعام والإكرام . حتى ارتحـل إلى ذى الجلال والإكرام . .

* * *

٢٤ — وببـذلى للمـال من دون من
حيـث أن المنـان والمعـط ربى

نعم كيف يكون منه من على من ساعده بمال الله الذى آتاه وهو لديه

أمانة ووديعة لله . وهو يحفظ كتاب الله . ويفهم مؤداه . وهو القائل تعالى : (وآتوهم من مال الله الذى آتاكم) . والقائل : (وما أنفقتم من خير فلأنفسكم وما تنفقون إلا ابتغـاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لاتظلمون) . والقائل : (وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم) . والقائل : (وما أنفقتم من خير فهو يخلفه) . والقائل : (فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيرا لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) ، والقائل : (إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لـكم ويغفر لـكم والله شكور حليم) . والقائل : (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون) . . .

وهذا ماخاطب الله به من أعطاهم المال .

قال تعالى : (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن يوم يصبح العباد فيه إلا ملـكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم اعط منفقا خلفا . ويقول الآخر : اللهم اعط ممسكا تلفا » .

وعنه — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قال الله تعالى : أنفق ياابن آدم ينفق عليك » .

وعن أنس رضى الله عنه قال : «ماسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام شيئا إلا أعطاه . ولقـد جاءه رجل فأعطاه غنما بين جبلين فرجع إلى قومه فقال : ياقوم أسلموا . فإن محمداً يعطى عطاء من لايخشى الفقر . وإن كان الرجل ليسلم مايريد إلا الدنيا . فما يلبث إلا يسيراً حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها » . رواه مسلم .

وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى) .

وقال تعالى : (والذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لايتبعون ماأنفقوا منا ولا أذى) .

وعن أبى ذر رضى الله عنه . عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «ثلاثة

لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم قال : فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات . قال أبو ذر : خابوا وخسروا . من هم يارسول الله ؟ . قال : المسبل (١) . والمنان (٢) . والمنفق سلعته (٣) بالحلف الكاذب » . (رواه مسلم)

وخاطب البخلاء الأشحاء بقوله تعالى : (وأما من بخل واستغنى . وكذب بالحسنى . فسنيسره للعسرى. وما يغنى عنه ماله إذا تردى). وقال تعالى : (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) .

وعن جابر رضى الله عنه . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «اتقوا الظلم ، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة . واتقوا الشح ، فإن الشح أهلك من كان قبلكم (٤) . حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم» . (رواه مسلم)

وكذلك كان توجيه سيدنا رسول الله .

فكيف لمن علم هذا أن يكون إلا مرضيا لمولاه . ؟

* * *

٢٥ — بخوفى بتقوى بالحياء بهيبتى
رأيت صفاء لا يكيفه قلبى

بخوفى : خوف الإيمان ، وعلامته : مفارقة المعاصى والذنوب . وهو خوف المريدين . وخوف السلف ، وعلامته : الخشية والإشفاق والورع . وهو خوف العلماء . وخوف الفوت ، وعلامته : بذل الجهد فى طلب رضا الله ، لوجود المهبة والإجلال لله عز وجل . وهو خوف الصديقين ومقام الملائكة .

نعم كنت خائفا لله عندما كنت أقرأ من الآيات ماهو مخوف لى . كقوله تعالى : (وإياى فارهبون) . وقوله تعالى : (إن بطش ربك لشديد) : وقوله

(١) المرخى ثوبه خيلاء .
(١) من أنعم واصطنع الجميل ومن على من عمل معه الجميل .
(٣) بضاعته ومتاعه . (٤) من بنى إسرائيل .

تعالى : (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد . إن فى ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود . ومانؤخره إلا لأجل معدود . يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقى وسعيد . فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق) . وقوله تعالى : (ويحذركم الله نفسه). وقوله تعالى :(يوم يفر المرء من أخيه . وأمه وأبيه. وصاحبته وبنيه . لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) . وقوله تعالى : (ياأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم . يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) . وقال تعالى : (ولمن خاف مقام ربه جنتان) .

ونكتفى بالمذكور الموجود بالمقدمة فى شرح الخوف .

بتقوى : قال تعالى : (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) . وقال تعالى : (فاتقوا الله مااستطعتم) . وقال تعالى : (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه . قال : قيل يارسول الله من أكرم الناس؟ قال « أتقاهم » . فقالوا ليس عن هذا نسألك . قال : « يوسف نبى الله ابن نبى الله ابن خليل الله » . قالوا : ليس عن هذا نسألك . قال : « فعن معادن العرب تسألونى ؟ — خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام . إذا فقهوا » . أى فهموا فصاروا عالمين بالأحكام متفقهين . أصحاب مروءات ومكارم أخلاق . ثمرة تعليم دين الله .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن الدنيا حلوة خضرة . وإن الله مستخلفكم فيها . فينظر كيف تعملون . فاتقوا الدنيا واتقوا النساء . فإن أول فتنة بنى اسرائيل كانت بالنساء » .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه . أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول : « اللهم إنى أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى » . (رواه مسلم)

بالحيـــاء : قال العلماء : حقيقة الحياء ، خلق يبعث على ترك القبيح ، ويمنع من التقصير فى حق ذى الحق .

عن ابن عمر رضى الله عنهما . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مـــر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه فى الحياء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « دعه فإن الحياء من الإيمان » (متفق عليـــه)

وعن عمران بن حصين رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحياء لايأتى إلا بخير » (متفق عليه) . وفى رواية لمسلم : « الحياء خير كله » أو قال : « الحياء كله خير » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة . فأفضلها قول لاإله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق . والحياء شعبة من الإيمان » .

(متفق عليه)

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء فى خدرها.. «البكر حال اختلائها بالزوج الذى لاتعرفه من قبل تستحى منه». فإذا رأى شيئا يكرهه عرفناه فى وجهه»... لذلك ، استحى شيخنا أن يراه مولاه مقصرا فى الدعوة إليه . إلى غيره مطمئنا ، ولغيره ناظرا . أو يراه بنعمته كافرا . أو يراه عاصيا . بالرذائل متصف . أو يراه غافلا عن الفضائل غير عامل بها ومتبع . أو يراه خمولا كسولا . أو يراه مبتغ عن الحق بديلا . أو يراه شحيحا بخيلا . أو يراه فى أى شئ نهى عنه مولاه . بل يجب أن يراه فى كل مايشرفه يوم يلقاه حتى يفوز بالتجاه . شافعا فى أبناه . يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم . ليلاقى هو ووفده من الله تعالى الإكرام الإلهى العميم . وهذه نهاية المستقيم .

هيبتى : التى هى أشد من الخوف فإن الخوف قد يكون من ســـوء الجزاء على الأوزار . أو الطرد وغيره مما يسبب دخول النار . أو خوف سقوط المنزلة عند العباد : وغير ذلك . مما يصيب العابد . ولـــكن الهيبة هى مهابة ذات الله إجلالا لله لأنه الله المعبود بحق . وعبادة غيره باطلة كل

البطلان . فليس هناك كفء ولا مثيل للرحمن . المنزه عن الوالد والشريك والولد . وهو الغنى والـــكل مفتقر إليه . متوكل عليه . مفوض أمره إليه. فـــكل حى غيره فان . وإليه يأتى مسرعا يوم البعث غير متوان . مقرا بما فعل ومحاسبا عليه راجى النجاة : وهذا هو الله الذى يهابه إجلالا لجنابه فلا حول ولا قوة . أى تحول عن شئ إلا بأمره . ولا قوة على فعـــل شئ إلا إذا أراده وشاءه . وإنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون لأنه مبدع الـــكون ومافيه ومن فيه ، له العـــزة والـــكبرياء والملك والملكوت فسبحان الحى الباقى الدائم الذى لايموت . والـــذى بصفات الجلال والجمال موصوف منعوت .

* * *

٢٦ — باعتصامى باللـــه بعد انفصامى
عن ســـواه تـــم الوثوق بربى

باعتصامى : هذا يكون باعتصامه بالله تعالى امتثالا لأمر الله تعالى القائل: (واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير) . والقائل تعالى : (ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم) .

والإعتصام به تعالى لأنه الذى بيده مقاليد السموات والأرض . المدبر لأمرها والحاكم المالك لها . فلنرجع للاعتصام به تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) . أى مخرجا من كل أمر محرج فى الدنيا والآخرة ومعنى ذلك أن لانسأل إلا هو ولا نطلب الحاجات والنصر إلا منه . ولا ملجأ فى المهمات إلا له : ولا نخاف إلا منه . ولا نتق إلا إياه ولا نتوكل إلا عليه . وله تعالى نسلم ونفوض ونستسلم ونرضى .

وهنا يكون الإعتصام بالله هو طريق الفلاح وباب النجاح . كما يقول القائل : اعتصمت بالمنزل هذا اليوم اتقاء الرياح والبرد والأمطار أى لزمته .

بعد انفصامى عن سواه : أى انفصالى وتركى لـــكل ملة ودين لسواه : فـــكل ماسواه فى نظره قاطع عن الله . لذلك كانت الخلوات والهيـــام

بالفلوات والانقطاع والتفرغ . وليس هناك إلا ذكر الله والتضرع . فليس فى دنياه مايشغله عن الله ويمنع .

تم الوثوق بربى : أى تم سكون القلب إلى الثقة بالله . والانقياد التام لأمره تعالى والرضا بماقضاه. بل وأكثر من ذلك فإنه القائل : «كل مايأتى من المحبوب محبوب» . وبذلك كان رضى الله عنه يعامل مولاه علام الغيوب . وكان يقول عند الشدائد : المهم أن يكون الله راضيا عنى . ويقول وهو فرح ومغن : «وكل ماجاء من محبوبى يعجبنى» بلهجة بدوية موسيقية . تجعل السامع لها فى طرب . مما لهـذه المقالة بهذه النغمة من حنين المحبين للرب . وبهذا كان زوال الكرب . بشعور القلب برضا الرب . ولشعور منهم كيف يكون الله حنانا منانا ، للإنسان . وعلى كل ساكنى الأكوان .

* * *

٢٧ — بانكسارى بذلتى بخضوعى

بخشوعى بانقطاعى لربى

يقول هـذا البيت . الذى هو تمام للمقامات والإقامات السابقة كنتائج لاحقة . وكأنه يقول : إنه لم يصب من العطيات بداء العجب والكبر . والتعالى والتفاخر . معتزا عن الخلق بما حباه به مولاه .

ويعلم من البيت الآتى الأسباب التى حفظه بها من أعطاه ووالاه :

* * *

٢٨ — بصدق بقولى والفعال ونيتى

وودى ووعدى والتوجه للرب

أى بصدقى فيما أقول . وهو ضد الكذب لطالب المنفعة الطامع المتذرع للإفساد بين الناس . الساعى بالغيبة والنميمة والتجسس ، وصدقى فيما أفعل من إنفاق فى سبيل الله . والنفقة على المسكين واليتيم والفقراء والمحتاجين من معونات .

وصدقى فى نيتى . أى قصدى الطاهر الخالى من التعللات النفسية . وصدقى فى الود لله بصفاء العبادة لله . والفضل فى ذلك للودود المبتدى عبده بالود والجود .

وصدقى فيما أعد به . بتحقيق ماوعدت وأنا مستريح البال .

وصدقى فى وجهتى فى العمل ، إرادة وجه الله . لأنه يعلم أن الرياء لايقبله الله . وصدقى فى الوفاء بالعهد (رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه) .

* * *

٢٩ — بصبرى بتفويضى بتسليم بالرضا

بتسكين قلبى ثم نفسى بلا عتب

بصبرى عن محارم الله والشهوات . والصبر على اتباع أمر الله والطاعات. والصبر عند المصائب والعلل والصدمات احتسابا لوجه الله . والصبر على الإيذاء من الجاهلين والإعراض عنهم . لأنه لابد من التعرض للداعى إلى الله بالقول والتجريح بالصراحة أو التلويح . والصبر بالعمل على الإيذاء للنفس والتعدى . كما حصل لسيدنا رسول الله ومن والاه . ولذا كانت الهجرة له وفراره ببدنه ودينه إلى مهجره ومأواه .

ومن الصبر يتشعب التفويض والتسليم والرضا واليقين . الذى به تحصل الطمأنينة للقلب والتسكين . أى السكون للصابر . دون شكوى تحتوى على عتاب . فلا يكون العتاب مقبولا عند أرفع جناب .

فقد يقول قائل : مافعلت يا رب حتى أبتلى بهذا المصاب . ؟ فى ذلك القول أخطأ وما أصاب . فالله لايسأل . لأن فى فعله عين الصواب . . (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لـكم) . حيث تكون الجراحة للجريح حسن حال لما كان من التطهير لسبب العلة واقتلاع هذا السبب عظيم نوال . والمعهود أن يكون بعد العسر يسر ، وبعد كل شر يكون لطف من الله وإقبال كل خير . فالحرب عادة أن يكون مكروه ضار . ولـكن الحرب كانت سببا للدفاع عن النفس. ووجود الاستقرار . وماكان حرب الرسول والشهادة للشهيد إلا علو منزلة عند الله تعالى وعند العبيد . وجزاء الشهادة أن ينتقل الشهيد من حياة دنيوية تافهة إلى حياة تكون بها روحه ناعمة مترفهة . والشهادة هنا تكون لإعلاء كلمة الله سبب . وهنا يتخلص الشهيد مما يلاقيه غيره فى الدنيا والآخرة من تعب ونصب . بما هو فيه من إكرام ينصب . وذلك

رضا له ممن للخير وهب . ولذا يجب ألا يكون شكوى . ولا عتاب ولاتألم للمؤمن يكون . مكتفيا بعلم الله راضيا بقضاه. متأكدا أنه تعالى حكيم فى عطائه والمنع . وربما كانت المنحة محنة . والمحنة منحة . **فالله تعالى دائما يتكرم بالأنفع** . وهو عن الضر لغير مصلحة أرفع . فالإمتحان لنوال النجاح باب لأولى الألباب . فهو مهر السعادة الروحية . دنيوية كانت أم أخروية . ورضا الله مهره غال . وعلى قدر تمام النيات تكون المجاهدات . وانظر قول الله (والصابرين والصابرات) . ونهاية الآية بقوله تعالى: (أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيما) . وذلك لمن تشملهم تلك الآية تكريما .

* * *

ولذلك ورد بعد ذلك قوله : بصفائى ...

٣٠ — بصفائى بسخائى بالتجائى
بدعائى برجائى بالحمد قد تم قربى

أى بصفائه الروحى الذى لازمه فى كل تطوراته فى إقامته التعبدية والمسيرة الصافية عن ملاحظة الأغيار وملازمة العبادات واصلا الليل بالنهار والجمع على الله محفوظا من الأغيار والفرح برضاه وأنه تعالى بكل فضل والاه . لذلك غار عليه مولاه . فلم يكن لشئ عنده منزلة غير تقواه وحبه الله والهيام الذى به تدرج لأعلى غايات بالمقامات . وكذا حبه لكل من أحب ومايحب الله :

بسخائى بالتجائى : أى بسخائى فى بيعى نفسى ومالى لله « والجود بالنفس أقصى غاية الجود». (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) ووقفت عمرى فى الجهاد فى سبيل الله . والنفس والمال كانا مما تركت من العيال والآل والصحب والدنيا وكل ماأحببت ؛ لأجل الله تعالى ابتعدت وعنه افترقت . وإلى خالقى التجأت . مسلما إليه تعالى روحى وقلبى وجسمى وعقلى ونفسى وعيانى وحسى . فكل هؤلاء كان ملكا لله دون سواه . فروحى وفت بما تعهدت بيوم (ألست بربكم) . وكان وفاؤها فى كل ماتعهدت متعهدة . والقلب كان يتفكر فى الملك والملكوت

مذهول . وبإجلال الله وتسبيحه أى تنزيهه تعالى مشغول . فهو (ليس كمثله شئ) وهو خالق كل شئ . وأنه له واجب وجائز ومستحيل.. بمحله ذكرناه .

كذلك الجسم بأعماله كان متمما ومطبقا للوازم الإيمان . وحب الرحمن. وكلاهما الله تعالى صان عما يتنافى عن صافى الإيمان أو التهاون فى شئ من الأركان . وهو قول العبد سبحان الله أى : أنزه الله تعالى عن كل ماسواه .

بل ليس هناك إلا عبد ومعبود وفقراء لله الصمد الذى لما يطلب كل طالب مقصود . لأنه الغنى . والكل فقير . وإليه ينتهى فعل كل شئ .

وهو على مايشاء قدير . وإن من شئ إلا يسبح بحمده .

بدعائى برجائى : نعم . . فلولا الرجاء ولزوم الدعاء لحقه الخوف الذى إن زاد جر إلى اليأس قطعا ، وبلا مراء . فالخوف شاغل للنفس والقلب بمخافة الإنقلاب إلى سابق العهد بالمعاصى . ولتوجسه من عدم الوفاء بالعهد مما يكون بعده الرد من الله والصد . أو الطرد . وسبب ذلك أن يرى ، أن فتحه تأخر ، وأنه لم يلمس الترقى وزيادة الإيمان، ولايشعر بما يطمئن أن التوبة منه مقبولة . وكيف تكون مقبولة وهو لايزال بحديث النفس والوسوسة وخنس الشيطان وعدم زوال الوهم وفقد الأنس يتناوب ويتجاذب مع شرح القلب . وكذا تتجاذبه الظنون النقية ، كما تتجاذبه الظنون النفسية . ولا يفرق بين ماينتابه من تدافع الظنون . وتخالف الفكرتين. كل ذلك لأنه مازال يفكر فى ماضيه. ، وتركه طول هذه المدة لربه بل وتجافيه ، وكيف يزول كل ذلك بالتوبة العارضة التى لها النفس لاتزال معارضة .

لذلك تراه فى بحر الأوهام هائم . وعلى مياهه المالحة عائم . وهى مياه لاتنبت زرعا ولاتسقى إنساناولاحيوانا ولا ضرعا . فقد شبه الله تعالى القلب بالأرض الصالحة للإنبات والغيث بما يحيى بمائه تلك الروضات بعد موتها . وكذلك فإن الله تعالى جعل نوره إحياء للقلوب بعد موتها . فكيف ينسى ذلك الظان بالله الظنون. وإن الله ليس مستكرهاً على شئ أبدا. فإن ود للعبد ترى العبد لله ود ، وإن تخلف ذلك الود كان من العبد صد ، والتوبة علامة لما حصل من التائب من القيام بالتوبة ، والتوبة ماهى إلا استدعاء . والمتاب إلا إجابة

لما دعا الله إليه ، فأجاب النداء . وإن كانت التوبة فى حقيقتها إلا تعهد . والله تعالى يشهد ويعاين . إذ هى أيضا انتهاء جفاء وابتداء وصال . ورجعة للمتعال . إرادة الذى لما يشاء فعال . لأنه أراد القبول للتائب . وإحلال حسن الأخلاق محل مباشرة المعايب . وليست هى دخول ملهى ولا سينما ورؤية مسرحية . بل حقائق ثابتة من الله تعالى مرعية . لأنها مقضية وحكما عدلا يقضيه . ونفاذ مشيئته وإرادته ،وزوالا لما اتخذه الإنسان مماصار عادة ، وثورة روحية وانقلابا على المفاسد ومن فسد . وخيرا لمن إلى الله التجأ وتبصر واستند . وعطاء لمن جد ليجد ماالله وعد(١) . ويقظة قلوب بعد غفلة ونسيان . وذكرا وذكرى بنعم الرحمن . وهنا يتم بالحمد . إجابة المرفوع من الداعى الذى يرفعه العمل الصالح . ويرفعه أى يدفعه كما يقول البعض ، ويرفع قيمته كما قرر البعض. فكل كلام على قدر متكلمه تقديره يتم . فليس كلام الملهم والمحدث كسيدنا عمر . ككلام أبى جهل وهو سميه . ففرق كبير بين الكلامين . فهذا من معين وذاك من معين . فكلام الأول من أعمر قلب عامر بالإيمان. وذلك من قلب مملوء بالكفران .

فكلام الفاروق زين . وكلام سميه شين .

وكذلك تنبه أيها الخائف الراجى . إن كلام الله بقلبك موجود بعدما بالقبول والمتاب جاد . فلا تقبل شنشنة حديث النفس ووسوسة الشيطان والخنس . فكلا الأمرين رجس . من اثنين أصابهما وكس وارتكاس ؛ وكلما دهمك منهما من وسواس فتذكر الله . وقل : أعوذ برب الناس . قال الله تعالى : (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك » وهنا من البدهى أن للوسوسة وحديث النفس لاتتبع نصح . ولا تلق لهما سمع . بل الواجب أن يكون لهما طرد وقمع . والحمد لله الذى رد كيده إلى الوسوسة علامة على أنه

(١) وهو قوله تعالى : (أولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) .

وصل إلى سوء الحال وأتعسه (إن كيد الشيطان كان ضعيفا) حتى صار أضعف من كيد النساء الذى قال الله مشيرا إليه بقوله : (إن كيدكن عظيم) فليتوكل المؤمنون على الله تعالى القائل : (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان) وهى أمان أى أمان .

* * *

٣١ — بعفافى بالاكتفا بكفافى بانتصافى للروح والعدل ينبى

بعفافى : بتعففه عما فى أيدى الناس فلا استشراف ولا نظر إلى مال من الأغنياء أو متيسرى الحال . فضلا عن أنه لم يطلب من الناس شيئاً وأنه كان لايقبل منهم شيئاً . فلا إتاوات فرض ، ولا مالا من غنى اقترض. ولم يلمح بطلب مساعدة . ولاقبول هدية شخصية . ولم يكن له بالطريق نظام مادى . ولافرض سنوى أو شهرى . كمن جعلوا الطريق مصلحة ضرائب . مما جر إلى الدعوة إلى الله المصائب والمعايب . إذ كان مخلصا لله قلبه خالصا . سائرا إلى المعالى والعلو بالطريق ليس بأحد متربصا .مدفوعا إلى العلو غير ناكصا. فضلا عما كان له من طهارة النية وسلامة الطوية والسيرة المرضية . ومناقب معروفة وأخلاق مألوفة (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) . وكما قال سيدنا رسول الله :

« أحسن الحسن الخلق الحسن » .

فلهذا كنا نرى أن المعاملة لجميع الإخوان متساوية فى كل ناحية : لما جعل لكبيرهم أن يرحم الصغير ولصغيرهم أن يوقر الكبير . وكان حب البعض للبعض ليس له نظير . أما الإخوان فكان لهم فى شيخنا مقال يقال . إن الشيخ هو كل شئ . وإن الجميع على مائدة كرمه الروحى عيال ؛ . فلا توجد معاملة خاصة . لأنه لم يتخذ خاصة ،حيث الجميع له عنده من المكانة ماتجعله يظن أنه أقرب محبيه إليه . لما يلاقى من تكريم عظيم ؛ وبسط وجه لوالد كريم . ولا تسأل عما كان عليه الإخوان من حب البعض للبعض . حيث المعاملة كانت دائما معاملة الند للند . مما أوجب حسن الالتئام

وجميل الخدمة والالتزام، والتعاون فى الدعوة فى جمال من السر والنجوى . ولا تنتظر من الوارث المحمدى إلا أن يكون هكذا مع محبيه . وبهذا كان عصره على الإسلام بركة وسلام . وحسن انسجام .

وهنا تجد فضل من رضى بالاكتفا بالكفاف والاتصاف بالعفاف . .

بانتصافى للروح والعدل ينبى : هنا يشير أنه كان معتدلا وبتلك الكلمة على الاعتدال يدل . فإنه كان عدل . والعدل أساس الملك . حيث أنه كان منتصفا للروح محكما للعقل . ومنفذا لما جاء به الشرع والنقل ، ولم يعمل بهواه وما كان الانتصار للنفس بهواه . وذلك من آثار حفظ الله . والحفظ الإلهى للولى معروف أنه يقابل العصمة للنبي . لأننا كنا نرى أن شيخنا عدل ومعتدل فى كل أحواله بأعماله وأقواله . وتعاليمه وعبادته . محسنا فى قيادته ، فضلا عن عفوه والسماح لمن أذى . إذ كان حلمه لروحه غذا . وماقولك فى رجل كانت لله دعوته . حاملا راية الدعوة خفاقة لإعلاء كلمة الله لارغبة فى دنياه . بل تباعدا عما عداه . وهذا شأن من أراد وجه الله . . . .

* * *

٣٢ — بمعراج روحى فى سبوحى بكونه
تدبرت تدبيرا لفاطره ربى

٣٣ — وبيحثى فى الكون والروح والجسم
ونفسى قدرت قدرة ربى

أى بتجول فكرى وقلبى وروحى التى هى سابحة كما يسبح السابح على ماء البحر فيما عليه ذلك الكون . وكذلك الروح يمكنها التجول بالفكر والتفكر . ويمكن للروح والعقل حسن التدبر . وبهذا نفسر قول الله : (إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض . .)

هنا يتم الإيمان . ويعلو الاستيقان . بمانظرت العينان، وما علمناه بالغيبيات المذكورة بالقرآن . وأن القدرة التى أنشأت من جليل عظيم ماراه لخير

دليل على ماالغيب احتواه . وأوحى به إلى رسله وأنبياه . فإن الظن لايغنى عن الحق شيئا . فالظن من إنشاء العقل . والعقل على قدر نور قلب أضاءه فيه الله . إنما العقل ينتفع فيما يكون نتيجة لتجارب علمية للعين العالمة بالحس لكل محسوس . أما الروحانيات فالحس عنها متوقف ومحبوس . (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) .

أما عقائدهم فى الإلهيات التى بنوها على معقولاتهم ، فهى ظن مرفوض . فهل كل يوم سنغير عقيدتنا عند ظهور عقيدة جديدة ؟ . أو نتبع عقيدة مبنية على سوء أغراض لمغرض . وللباطل المعلوم له ولغيره من المفكرين يفرض . . . ؟ ولهذا الباطل تقرر مقررات تدرس لتثقيف عقول الطلبة والطالبات . ماشتملت عليه كذلك من صريح ظن وترهات . كانت للفوضى بابا دخله العمال مدفوعين بالأمل . كذلك دخله الزراع وأرباب الصناعات . فابتدأت الصراعات عند عدم تحقيق المنافع . وصار كل فريق عن كيانه يدافع . ولمطلبه الغير ممانع . وظهرت حقائق الواقع ووجدت فئات إلى المعالى لاتزال مترقية . وفئات عمها الفقر وسوء الحال لاتزال متهاوية . هنا المرتفع لايحب انخفاضاً . كما وجدت فئات أمامها دون الإرتفاع سداً منيعاً . فلاحول ولا قوة إلا بالله . وهنا يترقى المستغل بالاستمرار . والضعيف لايجد هدوء ولا استقرار . وسبحان من يرسل بعد ظلام الليل ضوء النهار ؛ لأنه وحده القهار .

والروح والجسم : هنا اتجهت إلى روحى فألزمتها الفهم للدين . والعمل به فى حسن يقين .

واتجهت إلى جسمى الذى كلفته الجهاد والاجتهاد . وبذل غاية الجهد والجد .

وإذا كانت النفوس كبارا   تعبت فى مرادها الأجسام

وبحثى فى نفسى : التى وجهتها إلى فضائل الأعمال لتزكيتها وإصلاحها وتنقيتها . ورسمت لها الطريق التى ستسلكه مستعملا معها الترهيب بما أرهبتها والترغيب بما رغبتها .

وهنا التزمت الطريق المستقيم وماضلت ، وعن مطالبها تخلت ، وبالطاعات تحلت . والتزمت بالحق وماتولت .

وهنا تصالحت مع الروح والعقل والقلب فى محاربة الشيطان والهوى ، ومابقى فى النفس من بواقى وطلبا للسوى .

وهنا اتفقنا على شرطين . وهما : الإيمان بالقضاء . حتى يتم لها الرضا بالقدر وعدم الشكوى للغير . اعتقادا أن ماصدر من الله خير . تصديقا لقوله تعالى : (قل لا أملك لنفسى ضرا ولا نفعا إلا ماشاء الله . لــكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) . وقوله تعالى : (وإن يمسسك الله بضر فــلا كاشف له إلا هو . وإن يردك بخير فــلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم) . وقوله تعالى : (مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم) . وقوله تعالى : (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) . وقوله تعالى : (ماأصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه . والله بكل شئ عليم) . وقوله تعالى : (وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين) .

والشرط الثانى : أنها تلتزم مقام الإحسان . فإنه المفضى إلى تمام الإيمان حيث أن الله تعالى رقيب وعليم . قال تعالى : (الذى يراك حين تقوم . وتقلبك فى الساجدين) . وقال تعالى : (وهو معكم أينما كنتم) . وقال تعالى : (إن الله لا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء) . وقال تعالى : (إن ربك لبالمرصاد) . وقال تعالى : (يعلم خائنة الأعين وماتخفى الصدور) .

فقبلت كلاهما عن رضا وفرح . وسألت الله تعالى التوفيق والإعانة والصيانة والثبات والحفظ من الزلات . وهنا طلبت منى أن أراقبها وأحاسبها وأنبهها إلى السير على الصراط المستقيم ليحفظ الله تعالى . وفى هذين الشرطين لى لأكون لمراده تعالى مقيم . وهنا قبلت ذلك عن حب . يفضى إلى مارجوته لها ولى من قرب .

هنا كان للشيطان والهوى هوان . فلا خواطر خطيرة تخطر . إذ كانت كالبروقات السريعة تمر . غير مكترثة لذلك المرور السريع أثر ؛ لأن الله لأولئك الأعداء قهر . وهنا انسل الجميع انسلال الهارب من المعمعة وهو وأعوانه خاسر للموقعة . وظل بجانب مظلم بالقلب : لاحول له ولاقوة . متحققا فيه قول الرحمن : (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان)

* * *

٣٤ ـ فانتهزت الشباب والوقت والعمر
وحب الالــه والذكــر حسبى

نعم . إنه يعرف تمام المعرفة أنه سيقف أمام الله . ويسأل عما قدمت يداه . فإن الإنسان مسئول عن شبابه وعمره ووقته . كيف كان فيهم مسراه ، وعن ماله فيما استعمله وهل هو كان من حــلال أو حرام اجتناه . وهــل هو عمره فى عبادة الله قضاه . . وهو مسئول عن كل عمل تولاه ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاتزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه . وعن عمله فيم فعــل فيه . وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه . وعن جسمه فيم أبلاه) .

وهنا الجزاء للمحسنين والنجاة للمتقين . وشر الجزاء للجاحدين . فالأول ثواب . والثانى عقاب . وهناك حاكم يحاكم على وزن الذرة :

(فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) .

وهنا يكون إما حسن نجاة للبعض ، وسكنى الجنة ورضا الرب . أو سوء حال لمن يكون عاقبته الاستقرار بالنار مع غضب الجبار . (ياعباد لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون . الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين . ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون . يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ماتشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون . وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون) .

(وأما الذين فسقوا فمأواهم النار . كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون) .

(المــربى)

به المعبود المقصود . صاحب الجود . ويؤكد ذلك اقرار علماء عصره . بعد مناظرتهم له ونصره . مما جعلهم له يذعنون ولطريقته يتبعون . ولها يدعون.

منه فضلا بلا تطلع قلبي : نعم . . كيف يتطلع إلى المقامات . ويتسرع في طلب الجزاءات ويعاني في طلب جليل الهبات . وكيف يكون له اتجاه لحب الظهور . ربما يؤدي للرياء بما نال من عطاء . وهو الدليل المنكسر الخاشع المستحي من رب الأرض والسماء . المفطور على العبادة . والذي هاجمه حب الله تعالى ورسوله وهو طفل حتى سلب ذلك الحب له لبه والعقل .

كيف وهو القائل منها لمن يطلب الدرجات : من ذكر الله تعالى طلبا للدرجات فهو محجوب عن الذات .

والقائل : إنا نذكر الله لله — يعني بذلك : أننا نذكر الله تعالى حبا فيه وتوحيدا له وتمجيدا لذاته وإجلالا وتقديرا لصفاته ، والأفعال . وعرفانا وتقديرا للمتعال . وما المقامات إلا لصاحبها امتحان . لما سيجرى به القضاء . إثر ذلك العطاء . فإما إلى وضع يستديم به هذا الرفع والنفع . وإما أن يكون استدراجا وامتحانا للإيمان ربما رسب فيه صاحب الظهور . الذي يقصم الظهور ويطفئ النور ويوصل للغرور . وهنا يكون من حفظه الله تعـالى ناجح . والمنحرف عن الله جانح . وهنا المرضى عنه يكون قـدوة ونبراسا للناس . بينما المستدرج في هبوط وانتكاس . حيث أخذته العزة بالإثم فهو رجيم. بينما الحافظ الصائن لعطائه يكون بتلك المقامات مقيم ... لذلك كان شيخنا رضي الله عنه دائم العبرة من الإعتبار خوفا. وإجلالا لمن يفعل مايشاء ويختار. هنا كانت المذلة رداء والانكسار إزار . لأنه الذاكر اسميه المهيمن والقهار . .

* * *

٣٦ — وتلقنت منهجي من حبيبي فدعوت المراد لله ربي

وتلقنت منهجي من حبيبي : نعم. فإن للواصلين من الأولياء تخطي رجال السند والوصول إلى سيدنا الرسول والمبايعة له . حيث يكون استلام المـدد لإعطاء من رشد . ممن دعوا إلى الله ولزموا المنهاج . وكان لهم للمـدد احتياج . ويخافون الاستدراج . المتأكدين أن الحساب يكون على النية وما تكون عليه

السريرة والطوية . والعالمين بأن الله تعالى يعلم السر وأخفى . أي وأخفى من السر . كحديث النفس ووسوسة الشيطان والخنس . والسميع البصير لما يدور في القلوب والنفس . .

هنا يكون التصرف في المـدد على قدر من له الداعي استعد . . (هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب) . .

وهنا تكون الزلفى للمربي وحسن المآب بنوال الرضا من الوهاب .

فدعوت المراد لله ربي : هنا ، كأن شيخنا رضي الله عنه يقول : إن الله أراد له أن يستعد فاستعد . وبذا وصل واتصل . وهنا كان مأمورا بما أمره به سيدنا الرسول . لذلك كان السير في الدعوة موصول . من القلوب مقبول . وبهذا صارت الدعوة جاذبة للناس . وكان حب الله والذكر أساس حيث قال شيخنا رضي الله عنه : إن الفتح الحقيقي في طريقي هو تيسير الله تعالى للذاكر أن يذكر الله كثيرا . وما كان من الفتوحات غير كثرة الذكر فهو مظاهر إنعام ،وموارد إكرام . ففي ذلك تنبيه إلى أن لا يكون شيء من الالتفات لنوال الدرجات . وأن يكون لمن نالها صيانة للأمانة باستعمالها للضرورة في نجاح المسيرة والتدرع بالكتمان قدر الإمكان هو باب الأمان . .

* * *

٣٧ — وذلك بتـوفيـق وحسن عنـاية
وحسن قضاء سابق معـه يا حبي

نعم كأن شيخنا رضي الله عنه يقول منها لذوي العقول : أن يداوموا على سؤال الله تعالى التوفيق . فالتوفيق لرغبة الداعي لله وسائله به يكون حسن التحقيق . وإن هـذا التوفيق له أمور بها تجاب الطلبات وتنقضي المهمات . وتزول المساءات . وبها يتم اليقين ويكون ملتزمها من المتقين . وما هذه الأمور إلا حسن التوكل على الله والرضا بقضاه والالتجاء إليه والتفويض له . والتسليم للعليم ، والتذلل والانكسار للكريم . وحسن الاستقامة للنجاح علامة . وهنا نزول اليأس وينتهي اليأس . (يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الـكتاب)

فالله سبحانه وتعالى تواب على من تاب. ولله تعالى رجع وأناب. وما التوبة إلا عفو من الله يتم به محو الحوبة لمستغفر بالله مستنصر (وما النصر إلا من

عند الله) الموفق لطالب التوفيق للعمل بما يحبه الله . وما فيه رضاه . فعند الرضا يكون اللطف بالقضا ومحو مامضى (وما تشاءون إلا أن يشاء الله) .

* * *

٣٨ — هنـا لم آلاق للغــرور وشره
وأسجد شكرا واضع الوجه بالترب

هنا كان شيخنا رضى الله عنه يقول : إن مانالـه من عطايا غالية ودرجات عالية مما جعله يتصدر الداعين . حتى صار ينافس السابقين ؛ فقد مهد الله له سبل النجاح . ونوال تمام الفلاح . حتى وازن طريقه مختلف الطرق الصوفية ، بل تعدى عددها لكمال طريقته وقوة فتحها ، وكان هذا كله لم يورثه الغرور . حيث هو متأس بالقرآن وسنة الرسول . المسمى بكتاب الله نور . (لقد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) . وموقنا بأن ماهو فيه من حال بلغ الذروة فى غاية من القوة ليس إلا تفضلا من الله الكريم . وهدية من الله العظيم . الذى جعله يحبه طفلا بهم . متأكدا أنه لاعن عبادة ، وسهر وترك النعيم والوسادة ، معتقدا أن العطاء من الله وهب لا يجر إلى جلبه كسب ، وأن الولاية للولى كما قال سابقا : إنها تقابل الاختيار للنبى . وذلك بوهب مقام الحفظ الإلهى لوارث النبى والفضل لله الذى جعله للدعوة خادما وبها قائما . وبذلك فضله على كثير من الناس ويحس بذلك كل الإحساس . ويشكر الله تعالى . واضعا خده بالتراب ساجدا . أن حفظه من أكبر نكبة كان لها هجوم على العقل ووثبة . فإنه إذا أراد الله أمرا سلب من ذوى العقول عقولهم . وهنا ترى من كبار الملائكة والناس ماسلم العظيم منه للياس دون شعور وإحساس . حيث القضا مضى ، بأن يكون للمسلوب بغير علمه عامل وبعلمه متجاهل أو جاهل . وهنا يعترض على الله فيما قدره وقضاه . ويدافع عن نفسه متهما لمولاه ، غير عابئ بما يأمر به الله . وكان أول من وقع فى هـــذا الخطأ البئيس إبليس ، الذى جادل مولاه ونسى أنه على الملائكة رئيس ، وجادل بما لم يجادل به أجهل خسيس ، وهذه جرأة على الله . تم بها أمر طرده بسحب وده ، لما نكث من عهد . والعجيب أن يسأل ذلك المجترىء الوغد من الله مسائل تؤهله إلى إفساد العقول بالذات . وبحبها للدنيا والشهوات والمعاصى ودنىء النزوات ، فيجيبه الله تعالى لما سأل من مسائل و قال الله تعالى : (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان . .)

الجزء الثاني

● القسم الأول

معرفة الله تعالى

معـرفة اللـه تعـالى

عقيـدة المؤمن

يجب على كل مكلف أن يعرف الواجب والمستحيل والجائز فى حق مولانا تعالى . والمكلف هو البالغ العاقل السليم الحواس ولو السمع أو البصر ؛ الذى بلغته دعوة النبي صلى الله عليه وسلم . ذكرا كان أو أنثى . حراً أو عبدا أو إنسيا أو جنيا .

والمعرفة هى الجزم المطابق للواقع عن دليل إجمالا وتفصيلا . فالإجمال أن نعتقد أن الله تعالى متصف بكل كمال . ومنزه عن كل نقص « وجائز عليه فعـل كل ممكن أو تركه » . والتفصيل أن نعرف من ذلك مادل عليه دليل بعينه .

فالواجب لله تعالى عشرون صفة وهى بالجدول التالى والشامل للمستحيل أيضا :

الواجب	المستحيل	الواجب	المستحيل
١ — الوجـود	العـدم	١٠ — الحياة	الموت
٢ — القـدم	الحـدوث	١١ — السمع	الصمم
٣ — البقـاء	الفنـاء	١٢ — البصر	العمى
٤ — مخالفته للحوادث	المماثلة لشئ من الحوادث	١٣ — الـكلام	البكم
		١٤ — وكونه تعالى قادرا	كونه تعالى عاجزا
٥ — قيامه بنفسه	الاحتياج للغير للزمان والمكان	١٥ — وكونه تعالى مريدا	كونه تعالى كارها
		١٦ — وكونه تعالى عالما	كونه تعالى جاهلا
٦ — الوحدانية فى الذات والصفات والأفعال	التعدد	١٧ — وكونه تعالى حيا	كونه تعالى ميتا
		١٨ — وكونه تعالى سميعا	كونه تعالى أصم
٧ — القدرة	العجز عن ممكن	١٩ — وكونه تعالى بصيرا	كونه تعالى أعمى
٨ — الإرادة	الـكراهة	٢٠ — وكونه تعالى متكلما	كونه تعالى أبكم
٩ — العلم	الجهل		

وسنذكر الدليل من القرآن الكريم أو سنة خاتم المرسلين العظيم :

١ – والدليل على الوجود له تعالى ؛ قوله تعالى : (إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض) . وقوله تعالى : (أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون)

٢ – وأما القدم .. فدليله ، قوله تعالى : (هو الأول والآخر) . وقوله تعالى : (ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شئ فاعبدوه) .

٣ – وأما البقاء .. قوله تعالى : (هو الأول والآخر) . وقوله تعالى : (كل شئ هالك إلا وجهه) .

٤ – وأما المخالفة للحوادث .. قوله تعالى : (ليس كمثله شئ وهو السميع البصير) .

٥ – وأما قيامه بنفسه .. قوله تعالى : (إن الله لغنى عن العالمين) . وقوله تعالى : (يأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد) .

٦ – وأما الوحدانية .. قوله تعالى : (والله خلقكم وماتعملون) . وقوله تعالى : (وإلهكم إله واحد) . وقوله تعالى : (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا). وقوله تعالى : (مااتخذ الله من ولد وماكان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) .

وقد أجمعت الرسل والكتب الإلهية جميعا على وجوب وحدانيته تعالى قال تعالى : (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) . وقال تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) .

٧ – أما القدرة .. قوله تعالى : (إن الله على كل شئ قدير) . وقوله تعالى : (وما كان الله ليعجزه من شئ فى السموات ولا فى الأرض إنه كان عليما قديرا) . وقوله تعالى : (هل من خالق غير الله) . وقوله تعالى : (إنا كل شئ خلقناه بقدر) .

٨ – أما الإرادة .. قوله تعالى : (ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا) . وقوله تعالى : (إنما قولنا لشئ إذا أردناه أن نقول له كن فيكون)

٩ – وأما العلم .. قوله تعالى : (إن الله بكل شئ عليم) . وقوله تعالى : (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) . وقوله تعالى : (يعلم مافى السموات والأرض ويعلم ماتسرون وماتعلنون والله عليم بذات الصدور) . وقوله تعالى : (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم ، قالوا لاعلم لنا إنك أنت علام الغيوب) .

١٠ – وأما الحياة الواجبة له تعالى .. قوله تعالى : (لا إله إلا هو الحى القيوم لاتأخذه سنة ولا نوم) . وقوله تعالى : (هو الحى لا إله إلا هو) . وقوله تعالى : (وتوكل على الحى الذى لايموت) .

١١ – وأما السمع .. قوله تعالى : (وهو السميع البصير) . وقوله تعالى : (إننى معكما أسمع وأرى) . وقوله تعالى : (لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر) .. ونحو ذلك . وقوله صلى الله عليه وسلم فى الصحيح : « اربعوا على أنفسكم فإنكم لاتدعون أصم ولا غائبا . وإنما تدعون سميعا بصيرا » . رواه البخارى .

١٢ – وأما البصر .. دليله « نقلا» ماتقدم فى السمع . فلا حاجة إلى إعادته .

١٣ – وأما الكلام .. قوله تعالى : (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) . وقوله تعالى : (ولا تقربوا الزنا) . وقوله تعالى : (ولايغتب بعضكم بعضا) . وقوله تعالى : (وكلم الله موسى تكليما) .

١٤ : ٢٠ – وأما كونه تعالى : قادرا ومريدا وعالما وحيا وسميعا وبصيرا ومتكلما : فهى صفات معنوية . أى منسوبة إلى المعانى من حيث كون الاتصاف بها فرع الاتصاف بالمعانى فى العقل لافى نفس الأمر فإن اتصاف الذات بكونه عالما لايصح إلا إذا قام به العلم وهكذا .

وإن الصفة المعنوية هى كل صفة ثبوتية اعتبارية لازمة للمعنى .

* * *

وأما الجائز فى حقه تعالى .. قوله تعالى : (وربك يخلق مايشاء ويختار) وقوله تعالى : (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون. فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ وإليه ترجعون) . « وغير ذلك مما ورد بالقرآن الكريم » فيكون الجائز فى حقه تعالى فعل كل ممكن أو تركه . كخلق

الذوات والصفات والأفعال الاضطرارية والاختيارية والرزق والإحياء والإماتة والهداية والإضلال . والعقاب والإثابة وغير ذلك ، فالعقاب بمحض عدله والثواب بمحض فضله تعالى وترتيب الإثابة على الإيمان والطاعة . والعقاب على الكفر والعصيان بمحض اختياره تعالى . ولو عكس ذلك لكان صوابا وحسنا منه تعالى . فلا يجب عليه سبحانه وتعالى فعل شئ من الممكنات ولا يستحيل عليه تعالى شئ منها .

والدليل على ذلك « عقــلا » أنه لو وجب عليه تعالى فعل شئ من الممكنات لصار الممكن واجبا . ولو استحال عليه شئ منها لصار الممكن مستحيلا . وهذا باطل كما لايخفى .

وإلى هنا قد انتهى ماأردنا إيراده فى هذا الباب من الأحكام . وقد اتضح لك منه أن الله سبحانه وتعالى واجب له الوجود أزلا وأبدا . وأنه غنى عن كل ماسواه . مفتقر إليه كل ماعداه . ولا شريك له ولا تأثير لغيره من الإنس والجن والملائكة ولا لغيرهم فى شئ ما . منزه عن كل ماأشعر بنقص من مرض أو سقم أوعى أو ذهول أو نعاس أو فتور . أو احتياج لمعين أو مدبر أو صاحبة أو ولد . أو عرش أو كرسى أو قلم أو دفتر أو جند أو كاتب أو حاسب . بل كل المخلوقات قهر عظمته ممسكة بقدرته . يدبر كل شئ. ويعلم كل شئ ولا يشغله شئ عن شئ . كان الله ولا شئ معه . ولا يزال على ماهو عليه لا يتحول ولا يتبدل ولا يتغير بحال (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون . فسبحان الذى بيده ملــكوت كل شئ وإليه ترجعون) .

فعليك ياأخى أن تعرف كل ماذكرناه وقررناه لتكون من المفلحين الفائزين بالسعادة الأبدية . وإياك والمخالفة فى شئ من ذلك وإلا كنت من الهالــكين الضالين المضلين .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يهدينا سبيل الرشاد . وأن يوفقنا لما فيه رضاه لنكون من الفائزين يوم التناد . وأن يدخلنا الجنة فى زمرة عباده المقربين الذين (دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن

الحمد لله رب العالمين) . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

يفهم مما ذكر بهذا الباب أن لله تعالى واجبا فى حقه تعالى لايكون أبدا حقا لغيره . ومستحيلا يجب تنزيه الله تعالى عنه بالــكلية . وجائزا يجوز لله تعالى فعله أو تركه . حسب إرادته تعالى ومشيئته . وأن أوجب واجب على الإنسان أن يعرف الله تعالى بإيمان ثابت ويقين لايتزعزع . (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) .

* * *

الرسل عليهم السلام

إن الرسول هو إنسان ذكر حر . بعثه الله سبحانه وتعالى إلى عبيده لتبليغهم عنه أحكامه التكليفية والوضعية .

والنبي هو من أوحى إليه بشرع يعمل به . سواء أمر بتبليغه أو لم يؤمر . وإن رسالة الرسول لطف ورحمة من الله . يختص بها من يشاء من عباده . وليست النبوة مكتسبة برياضات ولا مجاهدات ولا غير ذلك . بل هى فضل منه وهبة تتضمن حكما ومصالح . «وطريق» ثبوت الرسالة هى المعجزة . وهى أمر خارق للعادة . قصد به إظهار صدق من ادعى النبوة على وفق الداعى كانفجار الماء من بين الأصابع . وعدم إحراق النار . وغير ذلك .

وإذا علمت أن إيماننا لايتم إلا بمعرفة الرسل عليهم الصلاة والسلام ولايحصل لنا الإيمان بهم إلا بمعرفة مايجب وما يستحيل ومايجوز فى حقهم عليهم الصلاة والسلام . .

فيجب فى حقهم عليهم الصلاة والسلام :

(الصدق) : فى كل مايبلغونه عن المولى تبارك وتعالى . ويستحيل عليهم ضده وهو « الكذب » فى شئ من ذلك . قال تعالى : (وصدق الله ورسوله) وقوله تعالى : (وصدق المرسلون) .

ويجب فى حقهم عليهم الصلاة والسلام :

(الأمانة) : ويستحيل عليهم ضدها الخيانة ..فأما الأمانة فهى حفظ جميع الجوارح الظاهرة والباطنة من التلبس بمنهى عنه نهى تحريم أو كراهة ولو خفيفة . وأما الخيانة فهى عكسها . قال الله تعالى : (إنى لكم رسول أمين) . وقوله تعالى : (إن الله لايحب الخائنين) . وقد علمت أنهم محبوبو الله تعالى . فوجب ألا يكونوا خائنين .

ويجب فى حقهم عليهم الصلاة والسلام : تبليغ ماأمروا بتبليغه للناس . وأنهم لم يخفوا على الناس شيئا من ذلك لا عمدا ولا نسيانا على الوجه الذى أمروا به من كونه لعموم الناس أولبعضهم ، قال الله تعالى : (الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا) . وقد

صرح القرآن العزيز بكمال التبليغ فى حق نبينا صلى الله عليه وسلم . قال تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا) .

ويجب فى حقهم عليهم الصلاة والسلام : « الفطانة » . أى التيقظ . ويستحيل عليهم ضدها وهى الغفلة والبلادة . قال تعالى : (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه) . وقال تعالى : (وجادلهم بالتى هى أحسن) . أى بالطريقة التى هى أحسن . . بحيث تشمل على نوع رفق بهم . »

فجملة الواجبات فى حقهم أربعة :

الصدق . والأمانة . والتبليغ . والفطانة . ويستحيل فى حقهم أضدادها وهى أربعة أيضا : الكذب . والخيانة . والكتمان . والبلادة .

وأما الجائز فى حقهم عليهم الصلاة والسلام . فالأعراض البشرية التى لا تنافى رتبتهم العلية مع الغنى عنها بالله تعالى . . كالمرض والجوع والفقر والأكل والشراب والنوم . إلا أنهم تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم . قال تعالى : (وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق) يعنى : وأنت مثلهم فى ذلك ونحوه . . فإن قيل : ما الفائدة فى اتصافهم بهذه الأعراض ؟ — يقال : زيادة قدرهم وعلو مرتبتهم وتعظيم أجورهم ويشهد بهذا قوله عليه الصلاة والسلام « أشدكم بلاء الأنبياء . ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل » . وقال : « وإذا أحب الله عبدا ابتلاه ليسمع تضرعه » . وكذلك حصول التسلى بأحوالهم إذا نزل بنا مانزل بهم ، والتنبه على حقارة الدنيا وخسة قدرها . فإذا نظر العاقل فى أحوالهم عليهم الصلاة والسلام من أمراض وأسقام وقلة مال وأذية الخلق لهم ؛ علم أنها لاقدر لها عند الله تعالى فأعرض عنها بقلبه وقالبه وعلق قلبه بربه . والإرشاد من الله تعالى إلى أنهم عليهم الصلاة والسلام عبيده حتى لايفتتنوا الضعفاء بما يظهر على أيديهم من باهر المعجزات .

والذين يجب علينا معرفتهم تفصيلا خمسة وعشرون :

آدم . وإدريس . ونوح . وهود . وصالح . وإبراهيم . ولوط . وإسماعيل .

وإسحق . ويعقوب . ويوسف . وأيوب . وشعيب . وموسى . وهارون . وذو الكفل . وداود . وسليمان . وإلياس . واليسع . ويونس . وزكريا . ويحيي . وعيسى . وسيد الكائنات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين .

وأما أولو العزم . أى زيادة الصبر وتحمل المشاق عن غيرهم فخمسة :

محمد إبراهيم موسى كليمه فعيسى فنوح هم أولو العزم فاعلم

وهم فى الفضل على هذا الترتيب .

ذلك وإن رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ثابتة بما وقع على يديه من المعجزات الثابتة ببعض آيات القرآن . وأعظمها القرآن الشريف نفسه وذلك لأن النبى عليه الصلاة والسلام تحدى العرب بأقصر سورة منه فعجزوا جميعا . قال تعالى : (وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) ولن يفعلوا ذلك التحدى من الرسول الذى وافقه الله تعالى عليه . ولو كان فى قدرتهم ذلك لفعلوا حين تحداهم بذلك . وقدكانوا فى عددكثير .. فصحاء بلغاء .. أعداء للنبى صلى الله عليه وسلم . وحيث إن ذلك ليس فى قدرتهم فيكون القرآن معجزة . ومما يجب علينا ، أن نعتقد أن الله تعالى أرسل نبينا رحمة للعالمين . قال تعالى : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) .

ومما يجب اعتقاده أن نبينا صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق أجمعين ، إنسا وجنا وملكا ، وأن أمته أفضل الأمم . قال عليه الصلاة والسلام : « أنا أكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر » فهو إنسان عين الوجود . والسبب فى كل موجود ، وكل الأنبياء نوابه وخلفاؤه . ويلى حضرته فى الفضل الخلفاء الراشدون ، ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة ، وهم ستة بالبيت الآتى :

سعد سعيد ابن عوف طلحة وكذا عبيدة وزبير سادة غـرر

ثم أهل غزوة بدر . كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر على القول الأشهر .

وأهل بيعة الرضوان ، وكانوا ألفا وأربعمائة على القول الأشهر . وقيل لها بيعة الرضوان لقوله تعالى : (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) .

ثم سائر الصحابة . رضى الله عنهم أجمعين .

وأفضل النساء : مريم بنت عمران . ثم فاطمة . ثم خديجة . ثم عائشة .

وأن أفضل القرون : القرن الذى اجتمعوا فيه بالنبى صلى الله عليه وسلم وآمنوا به . والقرن الثانى : التابعون ، حتى ينقرضوا . والقرن الثالث : تابعوا التابعين حتى ينقرضوا .

ويجب اتباع السلف الصالح فى أقوالهم وأفعالهم . ويجب الإيمان بالأولياء ، فمن أنكر وجودهم كفر لمصادمته القرآن . قال تعالى : (ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون) . وكذا يجب اعتقاد كراماتهم فى حياتهم وبعد وفاتهم . والكرامة أمر خارق للعادة يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح غير مقرون بدعوة النبوة . وكل ذلك ورد به الكتاب والسنة . وأجمعت عليه الأمة . قبل ظهور المخالفين . .

كما يجب اعتقاد أن أئمة الدين كلهم عدول . ومن قلد واحدا منهم نجا . والمشهور منهم أبو حنيفة ومالك والشافعى وأحمد ، رضى الله عنهم . لقول سيدنا الرسول : « اختلاف أمتى رحمة » .

وقسم اعتنوا بأصول الدين . كالأشعرى والماتريدى . وأثبتوا أدلتها من العقل والنقل . وردوا شبهة أهل الضلال .

وقسم اعتنوا بتطهير النفوس من الخبائث الباطنة ومن أمراض القلوب كالكبر والحسد ، وأوجبوا على المكلف حفظ قلبه وجوارحه لقوله تعالى : (يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) . وقوله تعالى : (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) . وأمثالهم : كالجنيد . والغزالى . والسهروردى . ومعروف الكرخى . وعبد القادر الجيلانى والفجدوانى . والنقشبندى . وأحمد البدوى . وإبراهيم الدسوقى . والرفاعى .

والبيومى . وشيخنا أبى خليل . وهم الصوفية ؛ واتباعهم فيما دعوا إليه من أن تقوى الله سرا وجهرا فرض . والـكل على هدى من الله كالأئمة اهـ .

ويجب اعتقاد أن سيدنا الرسول بعث للنـاس كافة . لقوله صلى الله عليه وسلم : « بعثت إلى الناس كافة» . وقوله تعالى :(وما أرسلناك إلا كافة للناس) . وأنه ختم به النبوة . قال تعالى : (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولـكن رسول الله وخاتم النبيين) .

ومما يجب اعتقاده أن الله تعالى أسرى به ليلا من المسجد الحرام ؛ إلى المسجد الأقصى لقوله تعالى : (سبحان الذى أسرى بعبده ليـلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى) . وأن ذلك كان بالجسد والروح ؛

ومما ينبغى أن نعرف أولاده الـكرام عليه وعليهم الصلاة والسلام . أما بناته صلى الله عليه وسلم فأربع : زينب . ورقية . وأم كلثوم . وفاطمة الزهراء . وأما أبناؤه فثلاثة : القاسم . وعبدالله . وهو الملقب « بالطيب والطاهر » . وإبراهيم . وكلهم من سيدتنا خديجة رضى الله عنها . إلا إبراهيم فإنه من مارية القبطية .

وآل بيته وهم : آل أبى طالب . والزبير . وحمزة . والعباس . وأخصهم سيدنا على بن أبى طالب وأولاده . وأخصهم أولاد السيدة فاطمة . وهم : مولانا الحسن . ومولانا الحسين . وسيدتنا السيدة زينب . وإخوتهم وبنو السيدة فاطمة إلى يوم الدين . وعلى العموم فهم الجماعة الذين لم يحل لهم أخذ الصدقات من بيت مال المسلمين تكريما لهم ورفعا لشأنهم ؛

قال تعالى :

(إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) .

* * *

وجوب الدعوة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر [1]

قال تعالى :

(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ؛ ولو آمن أهل الكتاب لـكان خيرا لهم ؛ منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون) . (الآية ١١٠ — آل عمران)

(ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين؛ ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم) . (الآية ٣٣ ، ٣٤ — فصلت)

(ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنـكر وأولئك هم المفلحون) . (الآية ١٠٤ — آل عمران)

(ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) .
(الآية ١٢٥ — النحـل)

(خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)
(الآية ١١٩ — الأعراف)

(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم) . (الآية ٧١ — التوبة)

(التائبون العابدون الحامدون السـائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين)
(الآية ١١٢ — التوبة)

(ليسوا سواء ؛ من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون . يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر

(١) أجمع دعاة الصوفية على أن طريق القوم بنيت على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين . ومايفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين) . (الآيات ١١٣ : ١١٥ — آل عمران)

وقال تعالى :

(لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ماكانوا يفعلون) . (الآية ٧٨ : ٧٩ — المائدة)

(فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد فى الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ماأترفوا فيه وكانوا مجرمين) .
(الآية ١١٦ — هود)

(فلما نسوا ماذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون . فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) . (الآية ١٦٥ : ١٦٦ — الأعراف)

الاصـــلاح بين الناس

قال تعالى :

(إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلـــكم ترحمون) . (الآية ١٠ — الحجرات)

(واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا ؛واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعـــداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لـــكم آياته لعلـــكم تهتدون) .
(الآية ١٠٣ — آل عمران)

(لاخير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ، ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما) .
(الآية ١١٤ — النساء)

(وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب) . (الآية ٢ — المائدة)

(قال ياقوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربى ورزقنى منه رزقا حسنا

وما أريد أن أخالفـــكم إلى ماأنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح مااستطعت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب) . (١) (الآية ٨٨ ـ هود)

أحاديث الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله فى أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه » .

وقال صلى الله عليه وسلم :

« من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » .

وقال صلى الله عليه وسلم :

« الخطيئة إذا خفيت لاتضر إلا صاحبها . وإذا ظهرت فلم تغير ضرت العامة » .

« لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم » .

وقال صلى الله عليه وسلم :

« إن القوم إذا رأوا المنكر فلم يغيروه عمهم الله بعقاب » .

« عن ابن عباس رضى الله عنهما قيل : يارسول الله أتهلك القرية وفيها الصالحون ؟ قال : نعم . قيل : بم يارسول الله ؟ قال : « بتهاونهم وسكوتهم على معاصى الله » .

---

(١) هذا من قول سيدنا « شعيب » . وهو نفس ماأحب أن أقوله لعائلتى : من أولاد والدى وأحفاده . ولو أن الحكمة فى ذلك هو قوله سبحانه وتعالى : (ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حىّ عن بينة) . (الآية ٤٢ ـ الأنفـــال). ونسأل الله السلامة والهداية لى ولهم إنه على ما يشاء قدير .

وقال صلى الله عليه وسلم :

« كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر .. أو ذكرا لله » .

موعظة :

أوحى الله تعالى إلى عيسى بن مريم : « عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس وإلا فاستح منى » .

وواجب الداعى إلى الله تعالى أن يأمر نفسه بالمعروف قبل أن يأمر الناس . . وينهى نفسه عن المنكر قبل أن ينهى الناس . ليكون قدوة حسنة متأسيا بسيدنا الرسول . وانظر إلى قوله تعالى : (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) . (الآية ٢١ — الأحزاب)

متعظا بقوله تعالى : (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) . (الآية ٤٤ — البقرة)

وقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى . عضوا عليها بالنواجذ » .

وقوله صلى الله عليه وسلم :

« من وعظ ولم يتعظ وزجر ولم ينزجر ونهى ولم ينته ؛ فهو عند الله من الخائبين » .

ونسأل الله السلامة والحفظ لكل داع إلى الله تعالى مخلصا عمله لله خالصا . وأن يكثر الله من الدعاة الدالين عليه والمرشدين إليه وأن يجزيهم خير الجزاء ويكثر من أمثالهم ويهدينا سبله كما وعدنا . . :

(والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وإن الله لمع المحسنين) . (١)

« وصدق الله العظيم »

(١) الآية ٦٩ — العنكبوت .

القيام بالدعوة إلى الله تعالى

خلق الله سبحانه وتعالى أبانا آدم عليه السلام . وأسكنه الجنة . وخلق له أنيسا من جنسه لتكون زوجا له . وصارا يعبدان الله تعالى مع الملائكة الكرام ، ويتمتعان بالخلد سكنا ومطعما وعبادة . إلى أن كانت الحوبة « الأكل من الشجرة » ونوال التوبة . فكانت إرادة الله تقضى بهبوطه الأرض بعد البعد للشيطان والطرد . وقضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يرجع الجد الأكبر إلى الجنة بعد الحساب والعرض بملايين الموحدين . ويرجع الشيطان لعنه الله بملايين الملحدين . ويعود الأول للجنة بمن معه . والثانى إلى النار بمن يتبعه .

بعثة الرسل

وبعد استقرار آدم بالأرض . أخذ الله عليه العهد بتوحيده وعبادته والإقرار له تعالى بالربوبية . وتبليغ ذلك لذريته . فكان أول رسول . فلما طال عليهم العهد ونسوا ماذكروا به ، أرسل الله سبحانه وتعالى رسلا تتابع لتجديد ذلك العهد على ألسنة الرسل . لتكون حجة على الناس . فمن أنكرها كان معاندا ناقضا وجزاؤه جهنم وبئس المصير . ومن عرفه تعالى وآمن به متيقنا فإن مصيره إلى الجنة . (ألم أعهد إليكم يابنى آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين) . (١) وقال تعالى : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) . (٢)

فالله سبحانه وتعالى موصوف بالألوهية معروف بالربوبية :

(شهد الله أنه لاإله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لاإله إلا هو العزيز الحكيم . إن الدين عند الله الإسلام) . (٣) .

وقال تعالى :(وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من

(١) الآية ٦٠ : يس .

(٢) الآية ٥٦ : الذاريات .

(٣) الآية ١٨ : ١٩ : آل عمران .

تشاء إن ربك حكيم عليم . ووهبنا له إسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزى المحسنين. وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين. وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين. ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم. ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون. أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين . أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) . (١)

وكان الأنبياء والمرسلون يأتون فى الأوقات المناسبة لظهورهم عند تناسى هذا العهد ورضاء الناس بالحياة الدنيا والاطمئنان إليها . وغواية الشيطان وضلالهم عن معرفة الله . فكانوا يؤدون الرسالة ويأمرون أقوامهم بعبادة الله كما أمروا .

فكانت دعوة الرسالة لها سطوة تفزع القلوب . لأن الله أيدهم بروح منه ، وقوة تسوق القلوب ، وتنقذها من الغفلة — فتنقاد مقهورة طائعة بإذن الله تعالى .

(وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله) . (٢)
واستمرت تلك الدعوة وما أعقبها من إرسال رسل وأنبياء .

ظهور سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

ظهر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم المرسلين وإمام النبيين وقائد المتقين إلى طريق الخير ، فكان مبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه تعالى وسراجا منيرا . فأدى الأمانة التى بها سطع نور الإسلام وأشرقت الأرض بنور ربها ، بعد أن نزل إليه الوحى والكتاب المبين . وبه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، اللذان هما أساس الدعوة ومنهجها القويم : (قل ياأيها

(١) الآيات ٨٣ : ٩٠ ـ الأنعام .
(٢) آية ٦٤ ـ النساء .

الناس إنى رسول الله إليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون) . (١) . وأخذ على الناس العهد بتوحيد الله وعبادته . وأقام الشريعة . ودعا بالحكمة . وقوبل من الكافرين بما هو معروف من الأذى وتحمله بصدر رحب وصبر جميل . وذلك ماأدى إلى الحرب حتى تكون كلمة الله هى العليا . وذلك بعد نقضهم العهود والمواثيق المأخوذة عليهم وخيانتهم بمساعدةالأعداء ، (الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لايتقون . فإما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون) . (٢)

حتى إذا ماازدهرت الدعوة وظهر الحق وأعز الله جنده ونصر عبده ونزل قوله تعالى : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم . فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) . (٣) وقال تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا) . (٤)

فكانت هذه الآية من الله تعالى تفيد انقضاء أجل سيدنا الرسول . ونقله إلى الرفيق الأعلى . ثم كان نقله صلى الله عليه وسلم .

دعوة الخلفاء

فلما انتقل صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى . خلفه سيدنا أبو بكر رضى الله عنه . فدعى إلى الله تعالى بدعوته وجاهد فى سبيل الله تعالى مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأمده الله تعالى بمدده . وكان فيهم نور النبوة والإيمان الصادق والجهاد الصحيح فى سبيل الله تعالى . وقام بعده

(١) الآية : ١٥٨ — الأعراف .
(٢) الآية ٥٦ : ٥٧ — الأنفال .
(٣) الآية ١٢٨ : ١٢٩ — التوبة .
(٤) الآية ٣ — المائدة .

سيدنا عمر رضى الله عنه . ثم سيدنا عثمان رضى الله عنه . ثم سيدنا على كرم الله وجهه .وقام بعدهم التابعون . ثم تابعو التابعين . والعلماء العاملون والأولياء الصالحون . إلى أن جاء القرن الثالث وكثرت الفتن . وأصبح الحكم على الناس ملكياً . لا ينظر إلى الدين . وكثرت الأقاويل فى الدين والفتاوى والشبه فى التوحيد . ولا يرجعون إلى العلماء إلا فى المهمات وكذا اشتغال العلماء فى النظر والاستدلال . وكثرت الفرق . وظهر اختلاف الآراء . والميل إلى البدع والأهواء . وفى الحديث : « خير القرون قرنى . ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » . وظهر التدوين لكل فروع الدين فى كيفية العمل ومايصح اعتقاده ، وما لايصح ليستفيد منها من يريد العمل . وأصبح العلم رسما والعمل قليلا .

ظهور السادة الصوفيـــة

ظهرت هذه الطائفة المشهورة بالسادة الصوفية . وكانت فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم . ومنهم سيدنا أبو هريرة رضى الله عنه . كانوا يعبدون الله سبحانه وتعالى قائمين على توحيده وحبه والإكثار من ذكره . وكان النبى صلى الله عليه وسلم يلاحظهم فى مسجده . فجاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم من المهاجرين يدعوه لتقسيم الخمس من الغنيمة . وقال له : دع هؤلاء . فنزلت هذه الآية — وهى قوله تعالى :(واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولاتعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ، ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هـــواه وكان أمره فرطا) . (١)

وانتظم عقد هذه الطائفة برجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه . كالحسن البصرى . والمحاسبى . وداود الطائى . وشقيق البلخى . وقام بالتعهد للصوفية ، والقيام بأمرها الشيخ الجنيد . رضى الله عنه . وظهر بها رجال أبطال بكل جهة من البلاد الإسلامية كسيدى أحمد الرفاعى ، وسيدى عبد القادر الجيلانى

(١) الآية ٢٨ — الــكهف .

وسيدى أحمد البدوى ،وسيدى إبراهيم الدسوقى ، وسيدى على البيومى . رضى الله عنهم أجمعين .

ظهور شيخنا أبى خليل رضى الله عنه

ظهر شيخنا أبو خليل رضى الله عنه . فــكان إمام العصر . حيث قام بالدعوة مخلصا خالصا دعوته من الشوائب متبعا الــكتاب والسنة وما عليه السلف الصالح ومن صالحى الصوفية ، مازجا الشريعة بالحقيقة ، وهى دقيقة الدقيقة . حيث لا إفراط يعقبه الجمود المؤدى إلى الخمود . فــكانت دعوته مقبولة عند العلماء العاملين ، كما كانت كذلك عند المتعلمين . خاصة طبقة المثقفين . وماكان فيها من جلال وصل إلى قلوب الأعيان المترفين والعمال والمزارعين . فــكانت دعوة مباركة انتفع بها أهــل عصره الذهبى . كما انتفع بها من اتصل بالطريق بعده ممن سار على نهجه . ولم يغير من وضعه . إذ المعروف أن شيخنا رضى الله عنه قال :

الشيخ مأمور بما يأمر به . . عندما طلب إليه من يريد أخذ إذن بتلاوة ورد يؤلفه مولانا الشيخ . أو أحد الملهمين . فــكان الرد كما ذكرت قبلا — وقال الحديث الشريف « من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ماأعطى السائلين » .

ويتبين من ذلك أن الزيادة على ماأمر به شيخنا رضى الله عنه هى بغى وطغيان ، وتحويل عن المقصود لشئ بالنفس مقصود . ولا حول ولاقوة إلا بالله الكفيل بحفظ الطريق ، والآخرة ميعاد ، والله أحكم الحاكمين . فما كان يحق للأولاد أو الأحفاد أن يختاروا غير مااختاره الله تعالى ورسوله لشيخنا منهجا للوصول وما أمر به سيدنا الرسول . . (قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين). (١).

(١) الآية ١٠٨ — يوسف .

شيخنا أبو خليــل

وقد ورد فى تعريف كتاب « المناقب الخليلية » (١) توضيحا عن سيرة شيخنا الجليل سيدى الحاج محمد أبى خليل مايلى :

« إن هذا الـكتاب وإن كان يتحدث عن السيرة الخليلية العطرة والمآثر الفاخرة لشيخنا وإمامنا الجليل . العارف الربانى والقطب الصمدانى . سيدنا وأستاذنا الحاج محمد أبى خليل رضى الله عنه . فإنه فى الواقع إنما يتحدث عن الفضل الإلهى العظيم . الذى اختص الله تعـالى به أحد الأئمة من أوليائه والخلص من أصفيائه ومن سبقت له العناية الأزلية . فـكان مؤيدا بالتوفيق التام وعظيم الإكرام . فسار على النهج النبوى بعيدا عن التعنت والتنطع وعن التراخى والتفريط . فكان منارة للهداية لاتزال تضيء إلى يوم الدين » .

ولقد وقف شيخنا نفسه وجهده وماله على الدعوة إلى الله تعالى . وجمع القلوب عليه . فعكف على شفاء النفوس من العلل والأغيار . وإحياء القلوب التى هيمها فى ذكر الله العزيز الغفار . ولم يك اعتماده فى ذلك إلا على توجيه إلهى صادق . ونظر محمدى نفاذ خاطف . وهكذا كان . والله خير شاهد . للخلق رحمة أكبر رحمة . وللأئمة نعمة لا تعادلها نعمة . فقوى الله به الهمة . وكشف وأزاح الغمة . وجلا الران والظلمة.حيث كان للضال هداية وللمهتدى الطائع ولاية ورعاية . وعلى فضل المنعم الوهاب خير آية تنطق عن الجود الإلهى الذى تضل العقول وتقصر عن بلوغ مداه . كما تنطق كذلك بأنه تعالى يكرم بالفرد الواحد من المقربين منه وأهل الدلال عليه — كشيخنا — الألوف الـكثيرة العـدد . ولا حرج على هذا الجود الذى لايحد .

وكان رضى الله عنه . المثل الأعلى فى مكارم الأخلاق . شديد المحبة للرسول عليه الصلاة والسلام . حبا تغلغل فى كيانه . وسرى فى دمه وطبع كل تصرفاته . إنه الحب الغلاب القاهر اليقظان الساهر .لاتهدأ ثورته ولاتنطفئ

(١) كتاب المناقب الخليلية لمؤلفه الأستاذ محمد لطفى خشبة .

شعلته . ولا عجب فى ذلك وهو ثمرة الحب النبوى السابق لشيخنا أبى خليل : هذا الحب الذى تلاحقت نظراته وتجددت نفحاته وإمداداته . فوصلت بشيخنا إلى مقام الحب الإلهى العزيز المنال والذى لايبلغه إلا قلة من فحول الرجال . وهذا الحب فى وضعه الجليلين المفردين ؛ لايكون إلا عن اتباع حق واقتداء تام . . (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) . ولهذا نعت قلم الإلهام شيخنا بأنه « حبيب رسول الله » وهو صادق بعيد عن التشيع والمغالاة .

كما كان رضى الله عنه . كالبحر الذى لايدرك قراره . ولـكن كان مورده العذب مباحا لـكل قاصد . حتى من غير أتباعه ومريديه . وكان هذا البحر يزخر بنفائس الأسرار الربانية ولآلئ الفيوضات والمواهب الإلهية. التى منح الشيخ جانبا منها بعض تلاميذه . فـكان ذلك فتحا فى طريق القوم لم يسمع به من قبل.أما الباقى فقد ظل محجبا مستورا لم تذع أسراره أو تعرف أخباره . وهو قلما يمنح إلا لفرد واحد . وهذا كله إنما نشير إليه إشارة عابرة تاركين التفصيل والتوضيح فيما بعد .

وإلى جانب ماتقدم يجب ألا ننسى قط هـذه الحقائق وأن تكون نبراس كل مالك :

أولا : لقد أسست الطريقة الخليلية المباركة على تقوى من الله ورضوان فهى لذلك قوية البنيان وطيدة الأركان .

ثانيا : ولن تنال تقوى الله ورضوانه إلا باتباع الـكتاب الـكريم وسنة الرسول عليه الصلاة والتسليم . كما كان عليه حال شيخنا العظيم .

ثالثا : قبل أن تدعو الطريقة إلى ذكره تعالى والعبادة والتنسك . تأمر بالتزام الشرع الحنيف والتمسك به كل التمسك .

رابعا : والطريق لذلك طريق صدق واقتداء واتباع لاتعرف قط سيئ الابتداع .

خامسا : ولم يكن غريبا . والأمر كما أوضحنا . أن يؤثر عن شيخنا قوله « الشرع حجاب » وهى جملة قصيرة . ولـكنها جمعت فأوعت .

ونستطيع أن نشرحها فى غاية الإيجاز بأن الشرع عاصم من الوقوع فيما يغضبه تعالى . وهاد إلى الطريق المستقيم وجنة النعيم .

ولا عذر لسالك إذا انحرف عن هـذا الطريق . ومعالمه واضحة والتقوى زاد كل سائر فيه . وهى هى التجارة الرابحة .

* * *

سلسلة رجال الطريق

من عهده رضى الله عنه إلى عهد سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام

كان شيخنا رضى الله عنه يتعبد على مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه وقد سلك طريق السادة الصوفية على طريق سيدى على البيومى رضى الله عنه فقد أخذ العهد والتلقين عن سيدى الشيخ شناوى يوسف السابق ذكره . وهو أخذ عن سيدى الشيخ سيد السنباوى وهو أخذ عن سيدى الشيخ على أبو كيلة وهو أخذ عن سيدى الشيخ عبده الصغير . وهو أخذ عن سيدى الشيخ محمد الصغير . وهو أخذ عن سيدى الشيخ يوسف الوقاد . وهو أخذ عن سيدى الشيخ بدوى المنجد . وهـو أخـذ عن صاحب المدد العالى العالم العلامـة مربى المريدين ومرشد السالكين شيخ الشريعة والطريقة ومعدن السلوك والحقيقة فريد عصره ووحيد دهره ذى الكرامات الظاهرة وأسرار العلوم الباهرة سيدى الشيخ على نور الدين البيومى . الشافعى مذهبا . الأحمدى طريقة الخلبى الشناوى الدمرداشى الخلوتى النقشبندى الشاذلى طريقة المتوفى . سنة ١١٨٣ هجرية وهو أخذ العهد الموصول لسيدى أحمد البدوى عن الشيخ عبد الرحمن الحلبى عن والده الشيخ عبد الرحمن . عن الشيخ شهاب الدين أحمد السبعى عن العلامة الشيخ شحاذة بن على العراقى عن الشيخ أحمد الشرمحى عن الشيخ إبراهيم الجبال عن الشيخ أحمد المنير عن الشيخ محمد الشناوى عن الشيخ إبراهيم الجبرتى عن الشيخ شمس الدين الخـدرى عن الشيخ عبد الله السنجيدى المقيم بالمقام الأحمدى . عن الشيخ عبد الله الشناوى عن الشيخ عمر المناوى . عن الشيخ جمال الدين السيوطى عن سيدى عبد الوهاب الجوهرى عن شيخنا وقدوتنا إلى الله تعالى شيخ مصر والشام والروم والعراق وسائر الممالك الإسلامية سيدى « أحمد البدوى » القطب النبوى الشريف العلوى عن شيخ مشايخ العرب الشيخ عبد الجليل بواسطة أخيه ، بدر الدين حسن الأنور . عن الشيخ عبد الجليل . عن الشيخ عبد الحميد عن الشيخ نور الدين عن الشيخ أبى الحسن . عن الشيخ زين الدين عن الشيخ نور الدين عن الشيخ عبد الرازق الأندلسى . عن

الشيخ عبد القدوس . عن الشيخ شمس الدين المغربى الفاسى عن الشيخ أحمد النواوى عن الشيخ حبيب العجمى . عن الإمام الحسن البصرى . عن الشيخ عمران بن حصين . عن الإمام ربيعة خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أنس بن مالك رضى الله عنه . عن سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو سيد المرسلين وإمام المتقين . . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين . . .

* * *

تخطى الشيخ رجال السند (١)

وإذا كنت قد ذكرت رجال السند الأجلاء . تبركا بذكرهم العاطر وتقريرا للتاريخ والواقع . فإن هذا الواقع نفسه يدعونى أن أثبت حقيقة أخرى يكون من التقصير فى حق الشيخ رضى الله عنه أن أغفل ذكرها . أو أتردد هيابا من تدوينها تلك هى : « تخطى الشيخ رجال السند » . ولست أعنى بذلك تخطى المقامات؛ فالأدب مع الله تعالى يجعلنا نمسك عن الخوض فيها ، ولكنى أعنى أن شيخنا قد تخطى الأخذ عن رجال السلسلة المباركة . حيث وصل إلى حيث يستمدون ويستمد غيرهم من الوصلة العظمى والمورد الأصفى المصطفى المجتبى عليه الصلاة والسلام . ولست فى ذلك بمتغال أو مندفع بريد تعظيم شيخه ويدعوه الحب القوى إلى المبالغة فى التقدير . ولكنها الحقيقة التى دلت عليها الشواهد وأثبتتها آيات الشيخ البينات . .

فنحن إذا تركنا جانبا — الفتوحات الخليلية — التى أشرنا إليها من قبل فى أتباع الشيخ — وهى بلا مراء لم تعهد فى المريدين من فحول العارفين السابقين ؛ ثم نظرنا إلى أثر الشيخ رضى الله عنه فى أتباعه عامة لوجدنا الأدب القوى ، والسلوك الصحيح، والمراقبة الحقة ، والذكر الدائب .

وباختصار وجدنا أن الإخوان الخليلية المباركين قد انطبعوا انطباعا بسر شيخهم واقتفوا الأثر فى صدق وإخلاص وتوفيق . وإن من بينهم — تحدثا بفضل الله الوهاب — غير واحد من الرجال أولى العزم والهمم والسائرين على أجل قدم وهذا كله لايتأتى إلا لأخذهم عن شيخنا ومن صح له التلقى رأسا وبلا وساطة من أشرف الخلق عليه السلام (٢) . .

---

(١) نقلا : عن كتاب المناقب الخليلية لمؤلفه الأخ المبارك السيد لطفى خشبة بصحيفة ٦٤ — باب : تخطى الشيخ رجال السند .

(٢) لقد تعارف القوم على أن المريد يأخذ المدد عن شيخه وهو يتلقاه عن شيخه فمشايخه . حتى ينتهى التلقى إليه عليه السلام . عدا بعض أفراد من

(المربى)

وإنا لنعلم من أحوال شيخنا العظيم وما منحه الفتاح الكريم ماكتمه ولا نذيعه حرصا على القلوب الضعيفة أن يتطرق إليها الشك والاضطراب

ولقد كان رضى الله عنه يمسك بيده « سبحته » ثم هو يقبض منها على الربع أو الخمس . ويقول فى غير زهو أو عجب بل فى ذل الحامد وإقرار المعترف بنعم مولاه عليه . يقول :

« إن إخوانى أو أولادى لايعلمون عنى إلا هذا المقدار من السبحة أما الباقى فلا يعلمون عنه شيئا . . » وهو صادق فيما يقول ويخبر . .

وكان عليه الرضوان الدائم ، شديد التعلق برسول الله عليه السلام ، قد سرى حبه الشريف فى كل كيانه وامتلأت به كل جارحة من جوارحه ، ونطقت به كل نبضة من نبضات قلبه . كان يرجع كل فضل إليه عليه السلام .

وكان قوله : « بالنبى » التى ذكرناها من قبل يكاد يكون شعاره لكثرة ما يردد هذا اللفظ العذب الجميل ويكرره من وقت لآخر . .

وكانت أعماله وتصرفاته إنما تصدر وفقا لهذا الهدى النبوى الكريم ومستقاة منه ودالة عليه . . فهو حب عن اقتداء موفق صادق وعمل طيب صالح مقبول .

❋ ❋ ❋

الممتازين ينتهى بهم الأمر إلى التلقى مباشرة عن الحضرة المحمدية كسيدى أحمد البدوى وشيخنا أبى خليل رضى الله عنهما . كما يتلقى البعض الآخر من المشايخ من هؤلاء الممتازين رأسا متخطين باقى مشايخهم . .

العهد واتخاذ العارف المـــد

وما العهد إلا بيعة مع عارف … عليه من الرحمن نور شهدناه
يهاب لمولاه ويخشاه دائما … ويذكره ذكرا كثيرا بمعناه
ويعمل بالقرآن مقتديا به … وسنة خير الخلق تكمل تقواه
وأن يأخذ الأسرار دون وساطة … من المصطفى المختار حيث تولاه
وأن يبقى محفوظا بحفظ إلهنا … دواما ولا يعصى أوامر مولاه
له الفيض فياضا على من حوله … ويظهر فتح الله فى صفو أبناه
كما قد رأينا كل هذا بشيخنا … فإن عطاء الله عم رعاياه
وما زال سر العم من بعد نقله … له أثر فينا عظيما وجدناه
يحوم حوالى ذاكر الله مخلصا … بغير فتور أو ركود تولاه
وذلك أن يفرض على النفس قيمة … من الذكر جزءاً ثابتا ليس ينساه
وإن زاد زاد الخير فى إمداده … وربك يعطى من تعود ذكراه
كذا العهد ميثاق وعقد معاهد … وحلف التزام من مبايع مولاه
وما بيعة إلا يد الله فوقها … ومن بايع الأستاذ قد بايع الله
وإن شئت فاقرأ آية قدسية (١) … تلاها الذى يعطى العهود لأبناه
لها يقشعر الجسم خوفا ورهبة … وفيها جزاء للوفاء حمدناه
وما العهد إلا توبة بعد رجعة … لنادم فيه العزم يترك خطاياه
وأوله الإقرار بالله ربنا … ونفيا لشرك بعد إيمان نلناه
وإقرارنا أن رسول الله سفيره … وخاتم رسل الله والله والاه
وفيه امتثال للرسول محمد … كذا واجتناب للمحارم نلقاه
ومن بعد أخذ العهد يلزم عبادة … بنهج قويم شيخنا قد تلقاه

(١) وهى قوله تعالى : (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه) . . . (آية ١٠ ـ الفتح)

وما هو إلا الذكر لله ربنا … بليل فإن الليل (١) فيه عطاياه

وعند نهار فالصلاة على الذى … له بليلة المعراج تمت لعلياه

وبعد صلاة الفرض نتلو صلاتنا … عليه ثلاثا مثل أمر أخذناه

بصيغتنا الكبرى الذى عم نورها … فتعدادها فوق العقول رأيناه

وهاهى أسماء لذكرى نعدها … غذاء لروح الذاكر الله مولاه

ثلاثة عشر اسما بها اندرجت لنا … لأسمائه الحسنى بقصد وجدناه

حوت اسم ذات الله جل جلاله … وأسما صفات والفعال علمناه

كذاك هنا صيغ (٢) الصلاة على الذى … دعا الناس للمولى ودامت دعواه

كذا الأمر باستغفارنا لإلهنا … بصيغة كان الأكثرون(٣) تلقاه

فقد أخذ العهد المربى لروحنا … على عارف بالله والله والاه

وما العهد شيئا قد بدعناه يافتى … فإن عهود الله قبلا عرفناه

---

(١) * (إن ناشئة الليل هى أشد وطئا وأقوم قيلا). (آية ٦ – المزمل)

* (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك) ... (آية ٢٠ – المزمل)

* (كانوا قليلا من الليل مايهجعون . وبالأسحار هم يستغفرون).
(آية ١٧ : ١٨ – الذاريات)

* (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون). (آية ١٦ – السجدة)

« وهذه أربع مقامات تصاعدية » :

(٢) اللهم صل على سيدنا محمد عدد مافى علم الله؛ صلاة دائمة بدوام ملك الله .

(٣) أستغفر الله العظيم التواب الرحيم .

فعهد على الأرواح قبل ظهورها(١) … وعهد أبينا آدم قد عهدناه (٢)

وعهد أبينا آدم كان صادرا(٣) … لأبنائه وهو الرسول علمناه

وعهداً لرسل الله جمعا بنصرة (٤) … لسيد خلق الله قد أمر الله

وعهد رسول الله طه محمد (٥) … مع الأصفيا أهل المدينة نلقاه

وعهد الصحاب الغر للتابعين(٦) انتهى … لتابع أتباع كرام فهمناه

وعهدهم من بعد للصفوة انتهى … إلى عصرنا عصرا فعصرا شهدناه

وهذا هو النسب المعروف من يومنا إلى … جناب رسول الله فعلا كتبناه

وفى دار مشيخة الطريق وجوده … سأذكر منه نسبة العم نلقاه

سأذكره نثرا بباب آتيا … لتوضيحه خير الوضوح وأجلاه

* * *

---

(١) * (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى) أى شهدنا الخ . . (آية ١٧٢ – الأعراف)

(٢) * (ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما) :
(آية ١١٦ – طه)

(٣) * (ألم أعهد إليكم يابنى آدم ألا تعبدوا الشيطان..).(آية ٦٠ – يس)

(٤) * (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه . .) . (آية ٨١ – آل عمران)

(٥) * (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم ...) :
(آية ١٠ – الفتح)

(٦) * (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم مافى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا) :

(آية ١٨ – الفتح)

صيغـــة العهـــد

كان شيخنا رضى الله عنه يجلس وأمامه المريدون ويضع يده فى يدهم ويقول لهم : الـــكل منا يقول :لا إله إلا الله . فيقولها الجميع ويكررها ثلاث مرات . ثم يقول :أستغفر الله العظيم . ويكررها الجميع ثلاث مرات. ثم يقول وهم يتابعونه : تبت إلى الله، ورجعت إلى الله، وندمت على ما فعلت، وعزمت على ألا أعود إلى المعاصى أبدا ، وبرئت من كل دين يخالف دين الإسلام ؛ أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله . أشهد (١) بالله أنى تائب إلى الله من جميع الخطايا راغبا فى امتثال أوامر رسوله مجتنبا محارمه مجتهدا فى طاعته منيبا إليه مواظبا على خدمة الفقراء والمساكين على قدر الطاقة ،وأن سيدنا وقدوتنا إلى الله تعالى سيدى على البيومى. شيخنا فى الدنيا والآخرة . العهد(٢) عهد الله، واليد يد الله، ويد شيخنا وقدوتنا إلى الله تعالى سيدى على البيومى . شيخنا فى الدنيا والآخرة . . . والله على ما نقول وكيل .

وكان الجميع يقولون معه ذلك — وكان المأذون من قبله بإعطاء العهد يقول : العهد عهد الله واليد يد الله ويد شيخنا سيدى وأستاذى الحاج محمد أبى خليل شيخنا فى الدنيا والآخرة والله على ما نقول وكيل .

ومعنى اليد يد الله : أى أن يد الشيخ مدت للمبايعة بأمر الله فأضيفت لله تشريفا وتعظيما لشأن المبايعة . وتنبيها للمريد أنه بمبايعته هذه كأنه أخذ على نفسه عهدا أمام الله بالقيام بمقتضاه فيراقب ربه دائما ويخشاه وذكر اليد فى قوله تعالى : (يد الله فوق أيديهم) — أى قدرته عليهم تشعر بذلك وتنبه المريد إلى معاملة الخالق وخشيته لأنه صاحب القدرة والسيطرة عليهم .

(١) معنى أشهد بالله أى أقسم .

(٢) ومعنى العهد عهد الله : هو أن العهد الذى يأخذه الشيخ على المريد هو عهد الله الذى أخذه على الخلق بعبادته واتباع شريعته .

منهج العبادة فى الطريق

وهذه صورة ورقة الأسماء وتعاليم شيخنا رضى الله عنه

بسم اللـــه الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، سبحانه وتعالى تفرد بذاته وعلاه . والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الهداة ، وعلى آله وصحبه وأهل ولايته ومن والاه — وبعد :

فاعلم أن ذكر الله سبحانه وتعالى هو باب الوصول إليه ، بل هو الطريق القويم لمن أراد القرب فى الدارين . بل هو سعى المؤمن لحياة روحه . بل هو سر العمل الحقيق . وقد حث الله سبحانه وتعالى وأمر به فى جميع الـــكتب . فما وصل نبى ولا تقرب ولى إلا به .

قال سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز :

(يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا .وسبحوه بكرة وأصيلا). وقال سبحانه وتعالى : (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلـــكم تفلحون) . وقال سبحـــانه وتعالى : (فاذكرونى أذكركم) :

وقال الحبيب صلى الله عليه وسلم :

« ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لـــكم من إنفاق الذهب والورق وخير لـــكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم . قالوا بلى . قال : ذكر الله . »

ولهذا أمرنا شيخنا وقدوتنا إلى الله سبحانه وتعالى سيدنا الشيخ الحاج محمد أبو خليل وخليفته من بعده بذكر الله سبحانه وتعالى بالأسماء المذكورة بعد ، بحيث لا يحصر العدد إلا ليلا لأنه وقت التجليات وخلوة الأحباب ، فيذكر كل اسم مائة ألف مرة بمعنى أن يتلى الاسم كل ليلة على قدر الطاقة فإذا أتم هذا العدد يتلى الاسم الثانى وهـــكذا حتى تتم جميعها فتعـــادمن أولها .

ويشترط عند الذكر أن يلاحظ الذاكر معنى الاسم الذى يذكره ليكتسب سر الذكر وتظهر عليه أنواره . وأن يقرأ عند البدء الفاتحة لحضرة النبى صلى الله عليه وسلم . ثم لسيدى أحمد البدوى . ثم لسيدى على البيومى . ثم لشيخنا الحاج محمد أبى خليل وخليفته . عمنا السيد الحاج محمد محمد أبى خليل . ثم للإخوان .

وهاهى الأسماء :

الاسم	المعنى
١ — لا إله إلا الله	لا معبود بحق إلا الله
٢ — الله	علم على الذات العلية
٣ — هـــو	حاضر لايغيب
٤ — حى	دائم الحياة
٥ — واحد	لا ثانى له
٦ — عزيز	لا نظير له
٧ — ودود	كثير الود لعباده
٨ — حق	ثابت لا يتغير
٩ — قهار	يقهر ولا يقهر
١٠ — قيوم	قائم بأسباب مخلوقاته
١١ — وهاب	كثير العطاء
١٢ — مهيمن	مطلع على أفعال مخلوقاته
١٣ — باسط	يبسط الرزق لمن يشاء من عباده

ويطلب الاستغفار نهارا . وكذا الصلاة على حضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم بهذه الصيغة :

«اللهم صل على سيدنا محمد عدد مافى علم الله؛ صلاة دائمة بدوام ملك الله »

ويتأكد الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عقب كل صلاة مكتوبة ثلاث مرات بهذه الصيغة :

«اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه عدد حروف القرآن حرفا حرفا ، وعدد كل حرف ألفا ألفا ، وعدد صفوف الملائكة صفا صفا ، وعدد كل صف ألفا ألفا ، وعدد الرمال ذرة ذرة ؛ وعدد كل ذرة ألف ألف مرة.. عدد ماأحاط به علمك وجرى به قلمك ونفذ به حكمك فى برك وبحرك وسائر خلقك.. عدد ماأحاط به علمك القديم من الواجب والجائز والمستحيل . اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه مثل ذلك . . »

الحضـــرات

كان شيخنا رضى الله عنه يحض باستمرار على حضور الحضرات فى الليالى المقررة لها . والاجتماع مع الإخوان على ذكر الله تعالى . فإن الشيطان لعنه الله يفر من كل جمع على الله . ومجتمع على ذكر الله . وينفرد بالمنفرد . فيحدث الـــكسل ويوسوس له . ويوقعه فى الزلل .

وكان شيخنا رضى الله عنه يقول : لو يعلم الإخوان مافى حضورهم للحضرات من منفعة لأتوها حبوا « أى كما يحبو الطفل قبل إمكانه الوقوف والسير » . وذلك لأنها فى كل خطوة يخطوها إليها رفع وزر ونوال أجر .. فهى كالسير للجمعة والجماعات لتأدية الصلوات .

وقال ذلك لأنه بها تدرج . ومنها تخرج بعد خدمته للإخوان تسع سنوات متواليات . بها تربت روحه وروحانياته حتى تسلم بوادر إشرقاته الربانية

وأخذه العطية . تلك العطية التى جعلته يترك الدنيا وما فيها ومن فيها . ويخاصمها ويجافيها . ملتزما خلوته وجلوته بمنزله مدة خمس سنوات بعدها انتقل إلى الخلوة بالقبور . ثم إلى القفار والفلوات ، سائحا إلى تمام السبع سنوات .

كلتا الخلوتين الذى كان الذكر فيهما على المسبحة مسرحه . لأنها آلة التسبيح . ومنبهته عند سروح الروح . كل ذلك كان ليلا . أما نهاره كان به الاستغفار والقرآن ، والابتهال حتى إذا أقبل الليل كان للذكر فى استقبال . حيث يسهر للفجر . ويودع الليل آسفا لإدباره . حيث الليل هو نهار المحبين . وستار العاشقين . وهو للهمة جامع . وعن المشاغل مانع . وللعبادة دافع . وفيه بركة زيادة العـــدد ، ونفحات المدد . ولذة القرب ونهل الوصول إلى الرب.

* * *

أسماء الذكر — ترتيبها وخواصها (١)

نظرة عامة :

إن الناظر فى الأسماء الـ « ١٣ » يجدها : وقد كادت تجمع أغلب الصفات الإلهية . وأوشكت أن تضم كذلك باقى معانى أسمائه تعالى الحسنى . فترى فيها الأسماء الدالة على الجمال والإحسان والبسط ممثلة فى (ودود ، ووهاب وباسط) . كما ترى الأسماء الدالة على الجلال والقبض والجبروت ممثلة فى : (عزيز ، وقهار ، ومهيمن) . ويطالعك من باقى الأسماء ماينطق بالوحدانية المطلقة والديمومية المحققة الثابتة : الخ .

وإن الذاكر كلما أوغل فى الذكر . تراءت له من تجليات الأسماء معان جديدة ، ومشاهد غير معهودة . ويتذوق فى انطلاقه مايتذوق ، ويتعرف على مالم يكن عليه تعرف . وكنت أحب أن أدع الذاكر حتى يشهد بنفسه هذه التجليات ، ويقف على تلك الأسرار العجيبات : ولـــكن ذلك قد لا يتيسر إلا مع المداومة الحادة والاستغراق الطويل : والسالك قد يتعجل المعرفة . كما يتطلع غيره أن يدرك السر فى ترتيب الأسماء ومالها من خواص . . مما حفزنى إلى أن ألم بهذا الموضوع ، فى نطاق محدود : لأن المجال فيه فسيح والمدى بعيد .. فأقول وبالله التوفيق :

---

(١) من كتاب المناقب الخليلية بقلم الأستاذ ـ محمد لطفى خشبة . وهو أحد الأعلام فى الطريقة الخليلية المفتوح عليهم وواحد من الرعيل الأول فى الطريق . أثابه الله وأمثاله الـــكثيرين بطريقنا الموصل لله تعالى بإذنه ؛ فهو مبنى على الـــكتاب والسنة والجماعة من السلف الصالح من أصحاب وتابعين وعلماء عاملين وداعين صالحين من الأولياء المتقين المتجردين للدعوة ، مخلصين فى الدعوة لرب العالمين .

١ — لا إله إلا الله

إنها كلمة الشهادة . وهى بذلك ليست من أسماء الله الحسنى . ولـكنها الركن الأول فى الإسلام . والأسماء كلها مبنية عليها ومستمدة منها . وكلمة لا إله إلا الله هى كما ورد فى الحديث النبوى ، أفضل ماقاله الرسول والنبيون قبله ؛ ولا غرو بذلك أن تكون أول مايبدأ به الذاكر ليتثبت من التوحيد ويتمكن . ويستعد بعد ذلك لتلقى أسرار الأسماء ويتحقق . وهى وإن كانت دالة على الربوبية المطلقة والوحدانية والألوهية الحقة . ومايقابل ذلك من عبودية ذليلة صادقة . فإنها تحمل مع ذلك فى طياتها كل مايجب لرب العزة من كمال ، ومايجب له عز وجل من تنزيه وتقديس وإجلال .

وذاكر لا إله إلا الله، يستشعر عظمة خالقه ومعبوده . فيعنو(١)بوجهه وكله إلى مولاه ومقصوده . ولا يزال يذكر حتى يرى أن الـكون وما فيه ومن فيه ذرة حقيرة ونقطة ضئيلة . يحركها المبدع الأعظم ، ويتصرف فيها الخالق الأكبر ، وأنه أمام هذه العظمة والجبروت يتلاشى الـكون بعوالمه ومعالمه . يتلاشى من كل مظاهره اللهم إلا من الإعلان بلسان غير متعلثم .. وتسبيح صادق قوى متتابع منسجم.. يقر بأنه هو وحده سبحانه فى الوجود وقبل الوجود ، الواحد الأحد .الفرد الصمد الذى (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) . وكلما كرر الذاكر لا إله إلا الله قوى يقينه فى الله . وعمق الإيمان وتخلص . فـلا تشبيه ولا أشباه ، ولا مشيئة ولا قدرة غير قدرة الله . وتنقشع عن القلب الغياهب . وتتبدد الغير وتذوب الرواسب (ولاإله إلا الله) هى بحق الركن الركين . والحصن الحصين. والأمان يوم الدين . وهى شارة الموحدين وعقيدة العابدين الصادقين .

ويطول بنا المقام ، لو أردنا أن نستقصى أسرارها ، أو أن نحصر مزاياها وآثارها . وإذا أخذ الذاكر من (لا إله إلا الله) بما أخذ ، وانطبع القلب بجلالها واستوثق . كان أنسب أسمائه تعالى التى ينتقل إليها الذاكر (الله)

(١) يعنو : أى يتوجه

٢ — اللـــه

وهو الاسم الجامع لـكل الصفات ، المنفرد بماله من باهر الآيات . ولذا كان المشار إليه فى كلمة الشهادة . والذى يغلب ترديده بين الأسماء الحسنى وتعم به الاستفادة . لأنه جامع الصفات . ومتنزل الرحمات . فـلا غرو أن يأخذ منه المريد جوامع التجليات والإفاضات . فتارة يحس الجمال الـذى فيه يهيم . وأخرى يشعر بالجلال الذى يخشع أمامه ولايريم . وهـكذا يتردد الذاكر فى ملـكوت الشهود متنقلا من مقام إلى مقام . لائذا إلى حضرة الفضل والإكرام . متصاغرا أمام ربه الحى الذى لاينام . متمسكا بعرى الوحدانية دائم الاستسلام. تعوده فى البسط لحظات. وتصهره فى القبض حالات. ولا يزال يتقلب بين خوف ورجاء وبين رهبة واستحياء . حتى يتخلص من غفلته ويستعلى على غيرته . وإذا هو فى حضرة الإنابة حائر مشدوه (١) . فقد آن له أن يستقبل اسمه تعالى (هو) .

٣ — هـو

وإذا كان معنى الاسم (حاضر لايغيب) أدركت ما للحضور من رهبة جبارة ومالها من آثار وهزات وإثارة . وإنه لينقل المريد إلى معية المراقبة الصحيحة . وينتزعه من أحضان الغفلة وظلماتها القبيحة . ومن الغيبة حيث قلبه تحيط به المشاغل؛ إلى الحضور والتوجه وإلى الخضوع الـكامل . وإنه ليحلو لى أن أطلق على هذا الاسم الجليل اسم (المعية) أخذا بقوله تعالى : (وهو معكم أينما كنتم). وهذه المعية كما لايخفى تستلزم أدب العبد مع مولاه وتستدعى أن يتذكر ويتدبر أخراه قبل أولاه . وأن يقبل بالصدق ذاكرا من أوجده وسواه . وأن يتصاغر ويتضاءل أمام من يراه . ومن يطلع على ظاهره وعلى سره ونجواه .

وقد اعترض على هذا الاسم وذكره ، لأنه من الضمائر وليس من الأسماء

(١) مدهوش .

والاعتراض يسقط ؛ إذا علمنا أن (هو) إنما يعاق بخاطر الذاكر مقترنا بصفة من الصفات الإلهية . فهو الله وهو الحى وهو الواحد وهو الرحمن وهو الرحيم . وهو . . هو الله الذى لا إله إلا هو .

وإذا كان موضع الاسم كذلك .. فإن تجلياته لاتحصر ولا تحيط بها المدارك .

وللاسم روحانيته الشديدة الآخذة . ونورانيته الساطعة المشرقة . وفيه يشعر الذاكر بانطلاق روحه لتكون فى المعية السنية ، وتنبه قلبه ورجوعه إلى الحضرة الربانية .

ولقوة روحانية هذا الاسم وعظيم جلاله . كثيرا مايصادف المريد فيه أول بذور الشكوك فى الحق تعالى. وفى صحة ماهو فيه من سلوك . مما سنعرض له ولغيره فيما بعد .

والآن آن للذاكر بعد هذا النور المحرق أن يجد الرى . وهاهو يناديه المنادى إلى حضرة الحى .

٤ ــ حى

اسم جليل جمع الكثير من المدد الدائم الغزير . وقد رأيت أن الذاكر فيما سبق قد أوشك أن تحرقه أنوار اسمه تعالى (هو) حتى يكاد يذوب . ومن اسمه (حى) صح له أن يحيا ويؤوب ؛ بعد أن طال جهاده مع تلك الشكوك والخطوب . ولا يخفى أن هذا الاسم يتصل بباقى الأسماء السنية . ويرتبط بها بصلة غير خفية . فلا إله إلا الله . مندمجة معه كل الاندماج . ولفظ الذات العلية (الله) ممتزج به كل الامتزاج . وهكذا بقية الأسماء . يثبت لها الحياة الدائمة والبقاء . وإذا أخذ المريد من حياة (الحى) مايحيا به باطنه المتجه إلى عالم الملكوت . ومايحيا به وجدانه وشعوره إلى حضرة الحق الذى لايموت . بعد أن تحيا رغبته فى التطهر من أدرانه الكثيفة ، وتموت أو تكاد النزعة إلى الشهوات ومطالبها الأثيمة . ينتقل الذاكر بعد أن قوى وتساند إلى اسمه تعالى عن غيره . (الواحد) .

٥ ــ واحد

وإذا تلقى الذاكر من الأسماء السابقة ماتلقى.واستقى من مصدرها الصافى ما استقى . وإذا كانت الوحدانية هى الأساس الذى يقوم عليه الدين . وعليه دون غيره تبنى عقيدة الموحدين ؛ فإن الذاكر حرى أن يستقبل اسمه تعالى (واحد) ليتم له اليقين .

وهذا الاسم لايدل على وحدانية الذات العلية وحدها . ولكنه يدل إلى جانب ذلك على وحدانية فى الصفات القدسية كلها . فهى وحدانية فى الحياة التى أشرنا إليها فى اسمه (الحى) . ووحدانية فى العزة وفى الود . وفى الحقية والقهرية والقيومية والوهبية والهيمنة والبسط .. الخ. وهكذا نرى هذه الوحدانية مرتبطة بباقى الأسماء الجليلة . ولا يمكن أن يماثلها على أى صورة صفات البشر الحقيرة . حيث امتنعت كل الامتناع المشاكلة والمشابهة. وانعدم كل الانعدام التناسب والمقارنة . ولا غرو إذن ــ أن نجد الذاكر يستمد من هذا الاسم الواحد . فيض الأسماء كلها . وقد طابت الموارد . وخليق به أن يسمو إلى حظيرة الشهود غير غافل ولا متقاعد . وأن يرى مافى الكون آية على أن ربه تعالى هو (الواحد) . فلا يركن إذ ذاك إلى الأسباب والمسببات ؛ بعد أن نطقت أمامه الشواهد البينات . على أنه سبحانه وحده مبدع الكائنات وأنه الفعال المتحكم فيما مضى وما هو آت ؛ وإذا لم يكن فى الملك والملكوت إلا من تنزه وعلا ؛ وإلا من تفرد وجل جلاله وسما . فإن النعم من جنابه وحده . وليس لسواه من فضل . ولذا وجب الشكر وحق له الحمد . ومرتبة الحمد أول مراتب من يريد الوصول . وأول بشائر الرضا لأهل القبول .

ووحدانيته تعالى . ليست من قلة ؛ ولكنها تفرد القوة والعزة الربانية وأحدية القدير الجبار وماله من جبروت وثناء فى القدسية . ولما كانت هذه الوحدانية من مظاهر صفاتها المتعددة . تدل فى انفرادها أول ماتدل على العزة ومالها من آيات غير مقيدة . كان الارتباط بين اسميه تعالى (واحد) و(عزيز) واضح ظاهر . والالتئام بين الاسمين له جلاله الغامر . وفى ذلك

مافيه من بعث للفؤاد وتعزيز ، حتى يقوى الذاكر على مطالعة النورانية الخاطفة فى اسمه تعالى (عزيز) .

٦ — عـزيز

وهذا الاسم الجليل . عزيز فى لفظه وعزيز فى معناه . عزيز فى إشراق حروفه كما هو عزيز فى جـلال مبناه . وإذا كانت العزة توحى بالسلطان والجـلال . وتدل على التفرد المطلق بالـكمال الذى لا يماثله كمال . فإنها عزة كذلك فى الصفات لاتماثلها عزة فى الوجود . ولا نظير لها قط . وأين الخالق الموجد من الحادث الموجود ؟ .

إنما العزة التى ارتبطت مع الوحدانية فى الصفات التى ذكرناها . والتى سمت والـكون بأسره قد خضع وعنا لسماها . وهى عزة فى العطاء والإحسان وعزة فى (الود) والامتنان . وكما أنها عزة فى البطش والقدرة . فهى عزة فى العفو الشامل وعظيم المغفرة .

ولهذا الاسم نورانية شديدة جبارة . تتنزل بها ملائكة خاصة بهذا الاسم ونحو ذاكريه سيارة . ونزول الملائكة له على القلب رهبة . وهو يوجهه إلى ربه المطلع فى شغف ورغبة . ويفتح للسالك آفاقا فى الشهود . ويجرده التجريد الحق للاتصال بالعزيز المعبود . وهو يبعث المريد من الغفلة والجمود . ويصهر الفؤاد ليتخلص مما أسره من قيود . ويذيقه معنى العبودية . وعلى نفسه الأمارة يسود .

وإن اسمه تعالى (دو) أقرب الأسماء إلى (عزيز) فى جلاله وأنواره . وفى روحانيته الأخاذة وباهر أسراره . وإن كان (لعزيز) خواص فى التجليات عديدة . وفى مجال من القرب عزيزة وفريدة . وماكان للمقصر مثلى إلا أن يستجلى من هذا الاسم (العزة) فى التقوى . وأن يمن بها عليه العزيز المتفضل حتى يعتز بها ويقوى . إذ ليس بعد العزة بالله وتقواه من خير يرتجى إلا (وده) السابغ فهو عنوان رضاه .

ولهذا كان المريد بعد أن تمكن من تجليات ربه ال (عزيز) وإفاضاته . وبعد أن تعرض لأنواره الشديدة وعظيم إشراقاته . فى أشد الحاجة إلى الالتجاء إلى (الودود) ليطفىء جمرة لوعاته ويروى ظمأه وينهل من عذب شرابه . ولتنشر عليه أعلام (الحب) ويلج قدسى بابه .

٧ — ودود

إن المتطلع المتأمل لتأخذه الدهشة إذا تدبر فى سر تسلسل الأسماء . ويجزم بعد طول ذكره السنين الـكثيرة أن هـذا التسلسل لم يوضع عن اجتهاد وإمعان وتفكير وإنما وضع — كما قررت فيما سبق — عن توفيق وإلهام صادق مستنير . وعن تلق سام له أجل التقدير . وها نحن نرى كيف وضع اسمه تعالى (ودود) يتوسط عقد الأسماء . وكأنه بينها الدرة اليتيمة الباهرة الضياء. فإن الذاكر وقد مر بالأسماء الستة السابقة . وأخذ من أسرارها ماصح له من الامتداد . وصهرته أنوارها حتى تم له بعض الاستعداد. وطالعه من اسمه (عزيز) ماطالع من أنوار وجلال . حتى تحرك شوقه وحن للوصال . إن الذاكر وهذا حاله بعد أن قطع نصف المرحلة . خليق أن يتمهل ويستريح لينال بعض ماأمله . وهو إنما يستريح من عناء الشك والريب لا من طول الذكر .. فإنه الميدان الذى لايعرف فيه التعب .

واسمه (الودود) هو أشبه بالمحطة التى يتوقف عندها السائر ليتزود . ويأخذ كفايته ويطفىء ظمأه ويطيل التأمل ويتردد. ليبلغ باقى الرحلة مستعينا بربه الكريم .. منفوحا من شيخه الذى لاحظه وولاه . ودفعه إلى السير بعد أن تجددت قواه . فـكل ذاكر تطالعه من هذا الاسم مهابط رحمات . ومظلات وقايات . وجنات إحسانات ، وأزهار باقات ، وأنهار إفاضات . فهو يقف لاليلهو ويغفل . ولـكن ، ليستظل ويستريح ويتبتل . ولينشق عبير الود الإلهى الأكمل . وإذ به قد أشرف وطرب وتواجد وتهلل . وارتوى ، ووجد أنه لنسمات القبول استقبل .

ولـكن بربك . دعنى أحدثك عن هذا الود ومعناه . وعن حقيقة الأمر

فيه وعن السر الذى طواه . وإذا كان معنى الود (١) هو الحب ، فما أعظم الشأن . خصوصا إذا علمنا – أن مصدره الرحيم الرحمن . ومتى كان الحب مرجعه إلى رب العالمين . فما أكرم الذاكر أن يتيه على المحبين . بعد أن اجتمع له الفضل الذى يعجز الواصفين . واقرأ إن شئت قوله تعالى : (يحبهم (٢) ويحبونه) لتكون من الواثقين .

أم هو الحب الذى يقذفه الودود فى القلوب لمن أحبه وارتضاه . والذى تشير إليه الآية الكريمة : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً) . (٣) لأن هذا الوداد أو الحب متى ثبت من المولى الكريم . أعلن عنه فى عالمى الملك والملكوت . كما ورد عن رسول الله عليه الصلاة والسلام . صاحب الخلق العظيم . حيث يقول : « إذا أحب الله عبدا ، يقول لجبريل : إنى أحب فلانا فأحبه . فيحبه جبريل . ثم ينادى جبريل فى أهل السماء : إن الله قد أحب فلانا فأحبوه . فيحبه أهل السماء . ثم توضع له المحبة فى الأرض » . أو كما ورد . ومحبة الملائكة يا أخى حرية (٤) أن يصحبها منهم الاستغفار لمن أحبوه . والدعاء الصالح لمن أمروا أن يصطفوه. وإن كان لا يعنينا من هذا الحب وإشاعته فى أهل السماء والأرض . إلا أنه يزهو ويسمو بمحبته جل وعز . ولست أدعى أن المريد الذاكر سينال مرتبة هذا الحب من أول دورة للأسماء . ولكنه متى كررها المرة بعد المرة . وبعد أن يداوم على الذكر الكثير فى تواضع ورغبة فإنه سيصل بإحسانه تعالى ؛ « لا بعمله » إلى مقام هذا الوداد . فإنه بعد أن طال وقوفه بباب مولاه (الودود) يستنظر نداه . لا يمكن ، فى عرف الكريم ، أن يرجع صفر اليد بعد طول وقوفه وكثرة المناجاة . والأمر أيها الذاكر قبل كل شئ وهب

(١) الود فى اللغة هو الحب .

(٢) أى أن الحب يكون أولا تفضلا منه تعالى ثم تكون محبة العبد. ويؤكده قوله تعالى : (رضى الله عنهم ورضوا عنه) .

(٣) آية ٩٦ – مريم .

(٤) أى جدير بها ومستحقة .

وعطاء . ومحض إحسان . لا ينال بالعمل . وإن كان هو السبيل إلى ساحة الرحمن . وإن الرسول عليه السلام يقول : «اعطوا السائل ولو على فرس». فكيف برب العزة يعرض عمن ذكره وإلى وده أنس؟. وحن إلى جوده الفياض الذى منه الكل قبس.؟ إن الذاكر لاسمه (ودود) سينال هذا الود ولو يوم العرض فيكون ذخره الأنفس . وليسبح بالحمد والشكر وإذا نال النجاة تنفس .

وحديث الود يطول ولا ينتهى . وكم لهذا الاسم الحبيب من سر جلى . وكم اجتذب إلى حظيرة إحسانه الذاكرين . فتفيأوا (١) رحابه الظليلة ناعمين راضين . وكم ود بعضهم لو أتيح له أن يستغرق فى ذكره حتى يلقى رب العالمين .. إذ ليس بعد الود الإلهى من مطمع للطامعين .

فإن من آثاره الأمان من السلب بعد العطاء . وإذا رضى الودود وفق من ضل أو أساء . فهو وحده القادر على مايشاء . والمحبوب فى حضرة الأمان لن يلحقه بفضل من أحبه ذل أو خزى أو هوان . والمحب الصادق خائف يقظان .. ليكون ممن عنتهم الآية : (ولمن خاف مقام ربه جنتان) .

قصة عن الود القديم وأثره :

ولعلى وسط هذه الذكريات وتلك المشاهدات . وفى ملتقى الود وآياته البينات. أقص عليك أيها الأخ هذه القصة . فكم فيها من عبرة ورحمة . وقد ذكرتها بعض القوم كما تحدث بها شيخنا الأكبر أبو خليل حبيب رسول الله إلى بعض السادة من الإخوان .

والقصة تشير إلى أن أحد العارفين الواصلين وكان فى رحلة مع بعض أتباعه الصادقين فمر بقرية من قرى النصارى بأرض الشام . ونزل ومن معه للراحة والاستجمام . وحدث أن مرت بهم بعض الفتيات يحملن الجرار ، إلى مورد الماء . وكان القدر لصاحبنا العارف بالمرصاد . فوقع نظره على إحدى الفتيات ؛ فسلبته لبه . ولما آن أوان الانصراف ومواصلة السير ،

(١) استظلوا .

طلب الرفاق من شيخهم ذلك فلم يأذن ؛ لعله من الفتاة يتزود بنظرة قبل أن يرحل . ولكن السهم كان قد نفذ ، حتى اضطر القوم إلى الرحيل تاركين شيخهم ليستقبل قضاءه المحتوم . وما لبث الشيخ بعد ذلك أن سأل عن الفتاة حتى علم أنها بنت قسيس القرية . فسعى إلى والدها يطلب الزواج . فرفض إلا أن يتبع ملتهم ويترك التوحيد إلى التثليث . وأن يمتحنه الوالد قبل ذلك ليطمئن على صحة اعتقاده ، فوافق الشيخ المغلوب على أمره . وقام يرعى الخنازير ولبس الزنار ، حتى اطمأن القس لصدقه وإقباله على الدين الجديد . فزوجه ابنته . وهكذا أقام بجوارها يحضر مع أبيها فى الكنيسة الصلوات . ويقرأ ما علموه من ترتيلات .

وكان الشيخ إذا خلا لنفسه بكى واستعبر . وإذا ذكر ماضيه مع مولاه تمزق فؤاده أسى وتحسر . ولكن الحب لزوجته كان يغلبه . فلا يستطيع أن يتخلص منه ومنها . واستمر على هذه الحال زمناً طال أو قصر ، بين قلب من الحب يتفطر . ومن الحنين إلى ربه تهيجه العبر . وفى إحدى الليالى ترك مضجعه بجوار زوجته يدعو ربه فى ذلة وخشوع وندم . ويبتهل إلى الغفور التواب أن ينقذه مما به ألم . ثم هو أخيراً يقسم على ربه الكريم (بوده) السابق القديم . وإنه لقسم ياصاح عظيم . فإذا الحال قد تبدلت . والحجب الكثيفة قد تقشعت . وبهواه الحاكم الذى استذله يزول . وبنور الإيمان يشرق بعد أنظن أنه اعتراه الأفول . فأسرع وتشهد وتطهر . وإلى المحراب أقبل يصلى بعد أن تاب واستغفر . عند ذلك أفاقت الزوجة من منامها لتشهد هذا المنظر الغريب . وإذ أتم الصلاة أقبل عليها يخبرها بتوبة ربه وفرجه القريب . وليخبرها أنه قد عاد إلى دينه وسيكفر عما فات . وأنه راحل إلى بلده ليحضر الجمعة والجماعات . وما كان أشد دهشته أن أقبلت عليه الزوجة معلنة اعتناق الإسلام . وأنها مهاجرة إلى الواحد الأحد الذى لاينام .

وهكذا انتهت محنة هذا العارف ولم يخيب الكريم له رجاء . بعد أن أقسم عليه (بالود) القديم وبعد أن تيب عليه فتاب . وسبحان المنعم الغفار الوهاب الذى يقبل من رجع إليه وأناب .

ولعلى أعذر إذا تمنيت أن أعيش فى رحاب الود حتى الوفاة . وأن يكون لى فى قبرى خير مشكاة . وإذا تذوق السالك الذاكر من الود ما تذوق فقد حق له أن يتحقق باسمه (الحق) .

٨ ـ حـــق

وهنا يتوقف القلم الخليلى . لا لأن المدد قد توقف . ولكن ليعود إلى الحكمة فى وضع الأسماء عظيمة الشرف ، فقد أمضى هذا العاجز فى ذكر اسمه (ودود) أعواماً بعد أعوام ، وهو مأخوذ بهذا الاسم وما فيه من جزيل الإكرام . وكنت أتمنى لو أن الاسم دل على ثبات الود بدل كثرته . وإذا بى وقد انكشف لى أخيراً أن فى اسمه (الحق) تحقيق ما أريد . فهو يدل على الثبات التام الذى لايعتريه تغيير أو تبديل . هنا أدركت السر بين الاسمين الجليلين . ولماذا جاء (الحق) عقب الودود ليكمل السر بين الاثنين . ويتم الغرضين الساميين .

ولا عجب إذا انطلق الذاكر من حضرة الود إلى حضرة الثبات . وأن يتم له اليقين الصحيح والإخبات . وأن يتمكن ويتثبت من نورانية الأسماء السابقة . ويستعد لاستقبال ما بقى من أسماء لاحقة . وليقوى على ذكر اسمه (القهـــار) وما له من جلال الرهبة وماحق الأنوار .

والحق كما نعلم ضد الباطل . وذاكر هذا الاسم مدفوع على التحلى بالصدق والتخلص من الرياء والكبرياء . والكف عن متابعة عيوب الناس . والاستعانة على الخناس الوسواس . وهو طبع الذاكر على صدق المعاملة مع ربه تعالى ومع نفسه والمخلوقات . مع إيصال الحقوق لأربابها والتحرز من الموبقات .

وهنا يكون الذاكر قد قوى جنانه ولزم الاستقرار فاستعد بالانكسار ليدخل حضرة القدير (القهـــار) .

٩ ـ قهـــار

ما أجل هذا الاسم وأعظم رهبته . وما أشد تجليه وأوسع دائرته . ففيه يشهد السالك جلال الربوبية التى تذل لها الأعناق . ويخضع الكون كله مقراً

طلب الرفاق من شيخهم ذلك فلم يأذن ؛ لعله من الفتاة يتزود بنظرة قبل أن يرحل . ولكن السهم كان قد نفذ ، حتى اضطر القوم إلى الرحيل تاركين شيخهم ليستقبل قضاءه المحتوم . وما لبث الشيخ بعد ذلك أن سأل عن الفتاة حتى علم أنها بنت قسيس القرية . فسعى إلى والدها يطلب الزواج . فرفض إلا أن يتبع ملتهم ويترك التوحيد إلى التثليث . وأن يمتحنه الوالد قبل ذلك ليطمئن على صحة اعتقاده ، فوافق الشيخ المغلوب على أمره . وقام يرعى الخنازير ولبس الزنار ، حتى اطمأن القس لصدقه وإقباله على الدين الجديد . فزوجه ابنته . وهكذا أقام بجوارها يحضر مع أبيها فى الكنيسة الصلوات . ويقرأ ما علموه من ترتيلات .

وكان الشيخ إذا خلا لنفسه بكى واستعبر . وإذا ذكر ماضيه مع مولاه تمزق فؤاده أسى وتحسر . ولكن الحب لزوجته كان يغلبه . فلا يستطيع أن يتخلص منه ومنها . واستمر على هذه الحال زمناً طال أو قصر ، بين قلب من الحب يتفطر . ومن الحنين إلى ربه تهيجه العبر . وفى إحدى الليالى ترك مضجعه بجوار زوجته يدعو ربه فى ذلة وخشوع وندم . ويبتهل إلى الغفور التواب أن ينقذه مما به ألم . ثم هو أخيراً يقسم على ربه الكريم (بوده) السابق القديم . وإنه لقسم ياصاح عظيم . فإذا الحال قد تبدلت . والحجب الكثيفة قد تقشعت . وبهواه الحاكم الذى استذله يزول . وبنور الإيمان يشرق بعد أنظن أنه اعتراه الأفول . فأسرع وتشهد وتطهر . وإلى المحراب أقبل يصلى بعد أن تاب واستغفر . عند ذلك أفاقت الزوجة من منامها لتشهد هذا المنظر الغريب . وإذ أتم الصلاة أقبل عليها يخبرها بتوبة ربه وفرجه القريب . وليخبرها أنه قد عاد إلى دينه وسيكفر عما فات . وأنه راحل إلى بلده ليحضر الجمعة والجماعات . وما كان أشد دهشته أن أقبلت عليه الزوجة معلنة اعتناق الإسلام . وأنها مهاجرة إلى الواحد الأحد الذى لاينام .

وهكذا انتهت محنة هذا العارف ولم يخيب الكريم له رجاء . بعد أن أقسم عليه (بالود) القديم وبعد أن تيب عليه فتاب . وسبحان المنعم الغفار الوهاب الذى يقبل من رجع إليه وأناب .

ولعلى أعذر إذا تمنيت أن أعيش فى رحاب الود حتى الوفاة . وأن يكون لى فى قبرى خير مشكاة . وإذا تذوق السالك الذاكر من الود ما تذوق فقد حق له أن يتحقق باسمه (الحق) .

٨ – حـــق

وهنا يتوقف القلم الخليلى . لا لأن المدد قد توقف . ولكن ليعود إلى الحكمة فى وضع الأسماء عظيمة الشرف ، فقد أمضى هذا العاجز فى ذكر اسمه (ودود) أعواماً بعد أعوام ، وهو مأخوذ بهذا الاسم وما فيه من جزيل الإكرام . وكنت أتمنى لو أن الاسم دل على ثبات الود بدل كثرته . وإذا بى وقد انكشف لى أخيراً أن فى اسمه (الحق) تحقيق ما أريد . فهو يدل على الثبات التام الذى لايعتريه تغيير أو تبديل . هنا أدركت السر بين الاسمين الجليلين . ولماذا جاء (الحق) عقب الودود ليكمل السر بين الاثنين . ويتم الغرضين الساميين .

ولا عجب إذا انطلق الذاكر من حضرة الود إلى حضرة الثبات . وأن يتم له اليقين الصحيح والإخبات . وأن يتمكن ويتثبت من نورانية الأسماء السابقة . ويستعد لاستقبال ما بقى من أسماء لاحقة . وليقوى على ذكر اسمه (القهـــار) وما له من جلال الرهبة وماحق الأنوار .

والحق كما نعلم ضد الباطل . وذاكر هذا الاسم مدفوع على التحلى بالصدق والتخلص من الرياء والكبرياء . والكف عن متابعة عيوب الناس . والاستعانة على الخناس الوسواس . وهو طبع الذاكر على صدق المعاملة مع ربه تعالى ومع نفسه والمخلوقات . مع إيصال الحقوق لأربابها والتحرز من الموبقات .

وهنا يكون الذاكر قد قوى جنانه ولزم الاستقرار فاستعد بالانكسار ليدخل حضرة القدير (القهـــار) .

٩ – قهـــار

ما أجل هذا الاسم وأعظم رهبته . وما أشد تجليه وأوسع دائرته . ففيه يشهد السالك جلال الربوبية التى تذل لها الأعناق . ويخضع الكون كله مقراً

بوحدانية الذات . وهو جلال لمن صح له التأمل رهيب ساحق . ولمن استغرق فيه أخاذ ماحق . يجد المرء نفسه إزاءه لاوجود له ولاكيان . ولاشيء يذكر أمام جبروت ذى العزة والسلطان . بل يرى الكون علويه وسفليه كالهباء المتناثر يتصرف مالك الملك فيه . والكل على قدم العبودية الذليلة يسبح بحمده ويسترضيه . ويعنو إلى ذى العرش المجيد ويستهديه .

وإذا كانت طريقة القوم إنما تقوم على التجرد الصرف والانكسار . فليس أدعى من التخلق بها لمن يذكر القدير القهار . ففى ذكر هذا الاسم محو دائم للذنوب والأوزار . وتوجيه للمراقبة وكشف لما خفى من أستار . هنا يا صاح تتلاشى الغير ويحصل الاعتبار . ويهزم الغرور والظهور ويوليان الفرار . وكيف يكون ذلك وقد أخذت النزوات فى الانصهار . وانمحت الإحـــن وانتهى الإصرار .

واعلم أيها المتطلع إلى فضل الكريم . أن هناك فرقاً بين الانتقام والبطش وبين قهر الله العظيم . فالانتقام لايكون للمؤمن الذى سلك الطريق المستقيم ومن يرجع بالذل إلى ربه الرحمن الرحيم . أما القهر فإنه قهر الجبروت ليصلح العبد وتصلح العبودية . ويتبدى جلال الحق وعظمة الربوبية . فهو قهر إصلاح وتهذيب ، لا قهر بطش وغضب وتعذيب . وما أصدق الشاعر إذ قال فى هذا ما نذكره للتقريب : — وإن تصح المقارنة بين العبد وبين الخالق الحميد المجيد — :

يقول الشاعر :

وقسا ليزدجروا ومن يك راحما   فليقس أحياناً على من يرحـــم

فالقهار جل وعلا يقهر ليحيا فؤاد العبد ويزدجر . وينطلق إلى حضرة القدير الفعال ويعتبر . وفى الازدجار والعبرة صفاء السالكين . وفيهما التوجيه والانسلاخ عن الغرض والمين . وخلق المراقبة القوية والتأدب ومخافة أحكم الحاكمين . وهذه المراقبة تسلح المريد بسلاح الحذر والتوكل . حيث يرى

أنه لاحول له ولاقوة ولاعمل . وأنه فى حضرة القوى القهار الذى يراه ولاتخفى عليه خافية. فيدع الركون والفتون ويقبل على ربه تعالى بنفس صافية.

والقهر يعصم من الكبر والخيلاء . ويحفظ من الرياء القاتل وباطل الادعاء . ومن النظر إلى الغير نظرة ترفع واستعلاء . وهو ينتزع التمرد والآثام . ويهدى إلى البر والسلام . ويدعو إلى الرحمة والرضا والاستسلام . وهو يقود إلى الحذر الدائم فى غير يأس من الله السلام . وكلما فنى الذاكر فى جبروت القهر وتصاغر . وتبدى له جلال الحق فانكمش وتضاءل . كان له من تصاغره قوة على الانطلاق والهداية . ودفعة يقطع المراحل بها آمناً من الغواية .

ومتى انصهر الذاكر من القهر كل الانصهار . وحرقته نيران المراقبة وهدته أنوارها إلى التبصر والاعتبار . امتلأ القلب من الخشية وأقبل على العزيز الغفـــار .

وإلى هنا تكون سفينة المريد تجرى ماخرة فى بحر القهر بفؤاد لم يغايره الرجاء فى مولاه . حيث أقام بالعجز شراعها المستندة إلى قوة الله . وقد سهر على إدارة دفتها شيخه الربان المعتصم بلا حول ولاقوة إلا بالله. نقول إلى هنا يكون المريد قد أخذ من جـــلال القهر نصيبه المقسوم . وقد آن له أن يأوى إلى ساحة (القيوم) .

١٠ — قيـــوم

ومن لطائف ترتيب أسماء الذكر . توسط اسمه القيوم بين القهار والوهاب أو بعبارة أخرى إن (وهاب) لم يأت مباشرة بعد (قهار) ذلك أن القيومية أشمل وأعم من الوهبانية . ففى الأولى القيام بشئون العباد وما ينالهم من الكريم من جزيل العطاء . ولذا بدىء بقيوم ثم ثنى بوهاب .

وقيوم إلى جانب ذلك يدل على قيامه عز وجل بذاته دون أحد من خلقه : كيف وبه عز وجل قامت الكائنات . ومنه وحـــده تستمد وجودها وتنتظم المخلوقات : وهو قيام القدرة التامة والإرادة المطلقة . والعلم والسمع والبصر والإحاطة الشاملة . وهو قيام يستلزم تصريفا وتدبيرا . وسموا وتنزها وتحكما

وتسخيرا . قيام بطش وعظمة وجبروت . كما هو قيام رحمة وسعت عالمى الملك والملكوت . قيام من بسط الأرض ورفع السماء . ومن سخر الكواكب والنجوم وأقامها ناطقة بأنه القادر على ما يشاء . قيام من ربط بين هذه الكائنات ونفحها من خفى الأسرار . ومن وضع فيها ما لايزال يتكشف دالا على أنه المبدع الفعال .

وإذا كان الحق جل وعلا هو القائم على كل شىء ؛ فما أحوج العبد أن يلتزم بابه وأن يتأدب . وأن يستعين به وحده وإليه يرغب . وأن يحفظ الجوارح والخواطر موقناً أن القيوم إليه ناظر .

وإذا كان الذاكر قد أخذته أنوار (القهار) فاندكت من الرهبة عوالمه وتلاشت من الجبروت والجلال إرادته ودوافعه . فإنه هنا فى حظيرة القيومية تطالعه نسمات الإحسان . وتهدىء من روعه وتبعث فى نفسه ما تبعث من اطمئنان . هنا يشعر الذاكر بمعنى التوكل الصادق وخالص التجريد . ويحس بعدم وقوفه مع الأسباب من قريب أو بعيد . هنا تحلو المناجاة لمن هو أقرب إليه من حبل الوريد . هنا تنسكب أنوار الإقبال وتنكشف عوالم الجمال . وتتوارى العوائق الحاجبة . وتختفى الظلمات القاتمة . ويتحرر الذاكر من المشاغل والأثقال . بعد أن عرف أن ربه هو القائم عليه وإليه وحده المرجع والمآل .. فإذا استروح فؤاد الذاكر بنسمات القيومية . وانتعشت روحه فى إفاضاتها السنية .. وولج إلى مقام الرضا. وآمن بالقدر والقضا . فقد عرف أن الله وحده المستعان . وله وحده الأمر النافذ والسلطان . هنا يتهيأ المريد لتلقى العطاء من ربه . وليغترف من فيض وده وكرمه . وهاهو يمتطى مطية العجز والذلول . ويقبل على حضرة الإحسان لينال المأمول . ويقف مع الذل والطمع أمام مالك الرقاب . ليناديه فى لهفة ذاكرا اسمه (الوهاب) .

١١ — وهـــاب

وها هو قد قومت نفسه وعلى الخير أقيمت ؛ يتوجه مستغرقاً فى الذكر يلتمس خير الدنيا والدين. ويرجو النصر والعزة والفتح المبين . ثم إذا تقدم فى الذكر ورق حجابه . واستنار الفؤاد وانقطعت فى الله أسبابه . فهو لايطلب

ما تصلح به أخراه . يطلب لقلبه أن يصفو ويتطهر . ولروحه أن تنطلق وتعبر المجاز مع من عبر . ويرجو من (الوهاب) أن يحفظ منه السمع والبصر . وأن يعصم الجوارح فلا تقارف المنكر . وأن يشمله الحفظ من الذنب وألا يتعثر .

وقد يترقى الذاكر فهو يقف فانياً فى حضرة (الوهاب) لايسأل ولايدعو ويكفيه أنه على الأعتاب . وهو مشغول بربه فانياً عن الأسباب بمالك الرقاب . إليه يتوجه ، إذ إليه وحده المرجع والمآب . وهو إذ وصل إلى هذا المقام الأمين . أعطاه ربه خير ما يعطى السائلين . إذ أصبح فى ولاية أرحم الراحمين . واعلم أيها السائر الحذر ، أن خير العطاء حفظ الإيمان . فيبقى لا تغيره أحداث الزمان . قد تدعمت بفضل الله أركانه . وأشرقت على قلب الذاكر أنواره وثبت على الحق وبالحق كيانه . وقوى بالصدق على الصدق بنيانه . وليس لمثلى لدى الوهاب الكريم من رجاء إلا حفظ الإيمان فلا تزعزعه الفتن الهوجاء.وإلا التوبة النصوح قبل أن يحل الأجل . وإلا العمل الصالح وإلا الوجل مصحوباً بخالص الأمل . ولايحزنك يا أخى أن العطاء فى هذه الدار قد يتأخر فقد يكون ذلك مدخراً ليوم المحشر . وأعظم به من عطاء يكون به الفوز والنجاة وتم به غدا مرضاة الله . ولاشك أن كل عطاء غيره قليل . وكل إحسان لايقاس إلى هذا الإحسان الجزيل .

وأن أسمى مقامات الوهب الجديرة بالتدوين الحفظ الإلهى . . فهو النور المبين وهو درجات ومقامات . ولكل خصائص ومميزات . أجلها لايناله إلا أفراد ممتازون . وقلة من الأصفياء منذ الأزل مختارون . منهم — كما أشرنا من قبل — شيخنا الأكبر الإمام الذى حظى ببلوغ هذا المقام . فثبت له من ربه الإكرام التـــام .

ولعلك أيها السالك القانع . تعفينى من الحديث عن منح (الوهاب) لأهل الشهود . وعن نفحاته العالية التى بها عليهم يجود . وعن الحجب التى تكشفت لهم فتخطوا القيود وصح لهم الفناء كل الفناء فى الله المعبود . وعما هناك من جلوات وتجليات . ومن انتفاضات وإفاضات . ومن دنو وإقبال . ومن

نجوى خالصة وكريم وصال . وما يحير العقول ويذهب بألباب الرجال ؛ نعم أرجو أن تعفيني من الحديث عن ذلك وغيره . ولندعه للسابق الموعود . ومن صح له الفضل أن ينال هذا العطاء ، فالوهاب هو الذى يجود ؛

ويكفيني ومثلى من (الوهاب) عبودية قد صلحت . واستدامة على الاعتصام بحبله قد صحت . وخشية فيه تعالى ثبتت . ومراقبة له تمكنت ؛ وبعض الحب له ولرسوله بالاتباع كملت . ثم موت على الكتاب والسنة إن شاء الله كتبت .

ومما زادنى شرفاً وتيهاً — وكدت بأخمصى أطأ الثريا
دخولى تحت قولك يا عبادى — وأن صيرت أحمد لى نبيا

وإن الذاكر المحد قد أمل من عطاء الوهاب ما أمل . وبعد أن لاح له من فضله ما حير وأذهل . فى حاجة قبل أن يخطو إلى حضرة (الباسط) أن يتمهل . وأن يقرع أبواب (المهيمن) ليراقب ما منحه إياه وعليه تفضل . والمراقبة تورث الحمد الخالص الذى به السالك يتكمل .

١٢ — مهيمن

وإذا كان المهيمن هو المطلع على أفعال المخلوقات ، وهو ليس محض اطلاع بل مع المقدرة الحاكمة وإشراف المتصرف فى كل الموجودات ؛ فإن هذا أدعى لتقوية المراقبة فى نفس الذاكر . وأن ينتشله من الغفلة ويبعده عن المظاهر . وأن يتنبه فؤاده ويستشعر عظمة من يراه . ومن يطلع عليه ويعلم سره ونجواه . فتزداد فى الله خشيته وتقواه . ويقبل بالصدق والندم على مولاه . بعد أن علم أنه (أينما تولوا فثم وجه الله). وأنه مع ربه أينما سار أو ذهب. وأنى توجه وحيثما تقلب. الله معه فى خلوته ومع صحابته . وهو معه فى عمله وفى تجارته . وهو معه إن سكت أو صمت . أو تكلم وخاطب أو أمسك وأنصت . غلبته من جلال هذا الاسم مراقبة قوية غلبته ونبهته ؛ وبعثته من الغفلة وزجرته. وقومته حتى أصبحت المراقبة ميزانه فى كل تصرفاته. والمسيطرة عليه فى تأملاته ومعاملاته . بل وفى الخفى من أعماله والعابر

من خطواته . وغنى عن الذكر أن المراقبة هى خير ما يصل إليه المريد . فنها بعد توفيق الله يستزيد ويستفيد . ويذهب فى الطريق قدماً لا ينكص ولا يحيد .

وقد تمر على الذاكر إذ ذاك لحظات يالها من لحظات . يمسك فيها اللسان عن الكلام مأخوذاً برهبة ربه . فهو فى خوف بين إقدام وإحجام لا يرى إلا (المهيمن) تطالعه جبروت عظمته الأزلية . وتواجهه تجليات القرب من حضرته العلية . هناك ذكر ولا ذاكر . وفناء مطلق ولا فكر . هناك تسبيح العبودية . بمدامع الإقرار والتسليم للربوبية . هناك تمحق العوالم وتتلاشى المعالم . إذ ليس إلا الحى الدائم . هناك يترجم الوجود بلسان الإفصاح العميق من حضرة الحق وعن عجز التحقيق . فإذا رد الذاكر وأفاق . بعد أن فنى فى ربه الخلاق . رجع إلى المراقبة فاستظهر من ضعفه القوة . واستخلص من عجزه وتسليمه غاية الفتوة .

وإلى هنا يكون الذاكر قد أوشك أن يتم دورة الأسماء ولم يبق إلا الاسم الأخير ؛ (باسط) الرزق لمن يشاء ويكون قد تحصن من (المهيمن) بالمراقبة الدائمة ؛ واستغرق فى المشاهدة ومدت له أكرم مائدة . فلم يبق إلا أن يدلف إلى (الباسط) لينال الخير الوفير العميم .

١٣ — باسط

إن هذا الاسم الكريم يدل على أنه تعالى يبسط الرزق لمن يشاء . وأن أول ما يتجه إليه الخاطر أن هذا الرزق دنيوى . ولكنه فى الواقع يشمل كذلك الرزق الأخروى . فهو يجمع بين المعنيين ويشمل الحالتين .

فرزق الدنيا بما فيه من عقار وجاه ومن بنين ومال . أكرم بها ما كان من الخالص الحلال . وما أدينا به حق المتفضل ذى الجلال . وما عاد به النفع على المحتاج والمسكين . وما فرجنا به الكرب عن المكروبين . وما حصل به النفع للمسلمين . وما اقترن بالحمد الدائم لرب العالمين . أما البسط فى الرزق الأخروى فإن أجله فى نظرى وأعلاه ؛ اتباع الشرع وملازمة تقوى الله .

وهذا الاسم إنما وضع ليكون ختام الأسماء استجلاء لأسرارها العظيمة ، وبسطاً لمعانيها الجليلة . ونفحاتها الكثيرة . وتجلياتها المشرقة المنيرة ؛ لأن الذاكر قد لايستوفى حظه من بعض الأسماء السابقة . فيجد فى (باسط) ما يكمل به ما فات من إفاضات متدفقة . وهكذا نجد فى هذا الاسم الجامع البسط فىالعزة والوداد . وفى الثبات والاستقرار . والبسط فى القهر الذى ينقى القلب ويقوى الجهاد . والبسط فى الوهب وما يرضى رب العباد : وبسط فيما بقى من مظاهر الأسماء يصقل المريد ليصدق فى عبوديته . ويتحقق من تقديس مولاه . وتنزيهه فى وحدانيته . ويلطف من أنوار الجلال وشدته : ويجدد الأمل فى الله الكريم ومغفرته .

والبسط مقام الأنس النفيس . ومجال انشراح الصدر من غير تدنيس . لأن الذاكر وقد انتهى من ذكر الأسماء واشتدت به المراقبة ، وأطال الجهاد والحساب مع نفسه المترددة . فقد آن له أن يجد فى ساحة البسط ما يذهب الكرب والضيق . وما يجلو صدأ القلب ويحيي الأمل الوثيق . هنا يأنس إلى حضرة الإحسان ويفيق . هنا تحلو المناجاة ويدار عذب الرحيق . هنا يكون الانتعاش والاستبشار . والتقرب الخالص بعد طول الاصطبار . هنا جزاء الجهاد وعقبى الصابرين . هنا ثمرة المراقبة . هنا جنة المقربين . هنا تتنزل الملائكة هاتفين مبشرين . هنا تطرح الأحمال وتحط الأثقال . هنا مرتع أهل اليمين . هنا رياض أنس الذاكرين . هنا الأنس والإيناس . هنا الغنى بالله عن الناس ، هنا تخلع الخلع السنية . وتصفو القلوب النقية . هنا الرضا والرضوان . هنا الأمن والأمان . وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان .

وإذا انتهى الذاكر من اسمه (باسط) بعد أن بسطت أمامه موائد الإكرام وأنس إلى حضرة ربه المنعم الذى لاينام . فهو انتهاء يرده إلى البداية . وختام يرجع به إلى أحسن غاية . يرجع به مداومة ذكر مولاه . لردد من جديد

(لا إله إلا الله) فليس عندنا فى الطريقة الخليلية ما يقف عنده الذاكر . بل هو مجد مثابر ، وذاكر ساهر . حتى يلحق إلى جوار ربه الكريم عاكفاً على ذكره لينال الخير العميم . وهو لم يقطع الأسماء لكى يستريح . كما يقول ويفخر بعض الصوفية . ولكنه أتم الدورة ليعيدها دورات متتاليات وحلقات متصلات . حتى يلقى بارىء النسمات .

لم يهدأ يوماً لسانه . ولم يفتر عن ذكر مولاه . لأن فى الذكر حياته . والتوفيق من الله حتى على خير حال يلقاه .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

آيات الحض على الذكر من الذكر الحكيم

قال تعالى :

(١) فاذكرونى أذكركم واشكرولى ولا تكفرون . (١٥٢ — البقرة)

(٢) فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين . (١٩٨ — البقرة)

(٣) فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا . (٢٠٠ — البقرة)

(٤) واذكروا الله فى أيام معدودات . (٢٠٣ — البقرة)

(٥) فإذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم مالم تكونوا تعلمون . (٢٣٩ — البقرة)

(٦) واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والإبكار . (٤١ — آل عمران)

(٧) فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا .

(١٠٣ — النساء)

(٨) واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهرمن القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين . إن الذين عند ربك لايستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون . (٢٠٥ : ٢٠٦ — الأعراف)

(٩) يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون . (٤٥ — الأنفال)

(١٠) إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى (١) وأقم الصلاة لذكرى .

(١٤ — طه)

(١١) اذهب أنت وأخوك (٢) بآياتى ولا تنيا فى ذكرى .

(٤٢ — طه)

---

(١) موجهة إلى سيدنا موسى عليه السلام .

(٢) موجهة إلى سيدنا موسى وأخيه سيدنا هارون عليهما السلام .

وقال تعالى :

(١٢) ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على مارزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير .

(٢٨ — الحج)

(١٣) وتوكل على الحى الذى لايموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا . (٥٨ — الفرقان)

(١٤) اتل ماأوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ماتصنعون .

(٤٥ — العنكبوت)

(١٥) ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا .

(٢٤ — الكهف)

(١٦) وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب.ومن الليل فسبحه وأدبار السجود . (٣٩ : ٤٠ — ق)

(١٧) وسبح بحمد ربك حين تقوم . ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم .

(٤٨ : ٤٩ — الطور)

(١٨) سبح لله مافى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم .

(أول الحديد)

(١٩) يأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا . وسبحوه بكرة وأصيلا .

(٤١ : ٤٢ — الأحزاب)

(٢٠) فلولا أنه كان من المسبحين . للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون .

(١٤٣ : ١٤٤ — الصافات)

(٢١) فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشى والإبكار . (٥٥ — غافر)

(٢٢) يأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون.فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون .

(٩ : ١٠ — الجمعة)

(٢٣) فسبح باسم ربك العظيم . (٥٢ — الحاقة)

(٢٤) واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا . (٨ — المزمل)

(٢٥) واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا . ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا.
(٢٥ : ٢٦ — الإنسان)

(٢٦) قد أفلح من تزكى . وذكر اسم ربه فصلى . بل تؤثرون الحياة الدنيا . والآخرة خير وأبقى . (١٤ : ١٧ — الأعلى)

(٢٧) ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه ...
(١٨٠ — الأعراف)

(٢٨) سبح اسم ربك الأعلى .

(١ — الأعلى)

* * *

ما ورد فى الذاكرين

قال تعالى :

(١) إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار .

(١٩٠ : ١٩١ — آل عمران)

(٢) إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم .

(٢ : ٤ — الأنفال)

(٣) الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب.الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب

(٢٨ : ٢٩ — الرعد)

(٤) فاصبر على مايقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى .

(١٣٠ — طه)

(٥) وبشر المخبتين.(١) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ماأصابهم والمقيمى الصلاة ومما رزقناهم ينفقون .

(٣٤ : ٣٥ — الحج)

(٦) الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد

---

(١) الخاشعين .

يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز .

(٤٠ — الحج)

(٧) فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال. رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار .

(٣٦ : ٣٧ — النور)

(٨) والشعراء يتبعهم الغاوون . ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون.وأنهم يقولون مالا يفعلون . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ماظلموا وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون.

(٢٢٤ : ٢٢٧ — الشعراء)

(٩) لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا .

(٢١ — الأحزاب)

(١٠) واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا .

(٢٨ — الكهف)

(١١) . . والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما .

(٣٥ — الأحزاب)

(١٢) والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون . . .

(١٣٥ — آل عمران)

***

التحذير من الغفلة

قال تعالى :

(١) ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ومانزل من الحق ولايكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون .

(١٦ — الحديد)

(٢) ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين :

(٣٦ — الزخرف)

(٣) أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك فى ضلال مبين .

(٢٢ — الزمر)

(٤) ياأيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون .

(٩ — المنافقون)

(٥) ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون . .

(١٩ — الحشر)

(٦) ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى.

(١٢٤ — طه)

(٧) إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا .

(١٤٢ — النساء)

(٨) ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا .

(١٧ — الجن)

(٩) ويحسبون أنهم على شىء ألا إنهم هم الكاذبون. استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون .

(١٨ : ١٩ — المجادلة)

***

الذكر من حديث خير الخلق
صلى الله عليه وسلم

(١) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن لله ملائكة يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر . فإذا وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل تنادوا هلموا إلى حاجتكم ، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا . فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم : مايقول عبادى ؟ قال : يقولون : يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك . فيقول : هل رأونى ؟ فيقولون : لا والله ما رأوك . فيقول : كيف لو رأونى ؟ . قال : يقولون : لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيدا وأكثر لك تسبيحا . فيقول : فماذا يسألون ؟ قال : يقولون : يسألونك الجنة . قال : يقول : وهل رأوها؟ قال : يقولون : لا والله يارب مارأوها . قال : يقول : فكيف لو رأوها ؟ قال : يقولون : لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا وأشد لها طلبا وأعظم فيها رغبة . قال : فمم يتعوذون ؟ قال : يقولون : يتعوذون من النار . قال : فيقول : وهل رأوها ؟ قال : يقولون : لا والله ما رأوها . فيقول : كيف لو رأوها ؟ قال : يقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشدلها مخافة . قال : فيقول : فأشهدكم أنى قد غفرت لهم : قال يقول ملك من الملائكة : فيهم فلان عبد خطاء ليس منهم إنما جاء لحاجة فجلس . قال : فيقول : هم الجلساء لايشقى بهم جليسهم »

(متفق عليه)

(٢) عن أبي موسى الأشعرى رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : مثل البيت الذى يذكر الله فيه والبيت الذى لايذكر الله فيه مثل الحى والميت .

(أخرجه الشيخان)

(٣) عن أبي مسلم الأغر . قال : أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد الخدرى رضى الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : لايقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده .

(أخرجه مسلم والترمذى)

(٤) وفى رواية عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه إذا ذكرنى . فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى . وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه . وإن تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا . وإن تقرب إلى ذراعا تقربت إليه باعا . وإن أتانى يمشى أتيته هرولة .

(أخرجه الشيخان والترمذى)

وفى رواية أخرى : لايزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه . فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها .

(٢٥) عن أبى أمامة رضى الله عنه . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من آوى إلى فراشه طاهرا يذكر الله تعالى حتى يدركه النعاس لم يتقلب ساعة من الليل يسأل الله تعالى من خير الدنيا والآخرة إلا أعطاه الله تعالى إياه . (أخرجه الترمذى)

(٦) عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : ماعمل العبد عملا أنجى له من عذاب الله من ذكر الله تعالى . (أخرجه مالك)

(٧) عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا : بلى . قال : ذكر الله تعالى . .

(رواه الترمذى قال الحاكم أبو عبد الله : إسناده صحيح)

(٨) عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول الله عز وجل : أخرجوا من النار من ذكرنى يوما أو خافنى فى مقام

(أخرجه الترمذى)

(٩) عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس أحب إلى من أن أعتق أربعة من ولد اسماعيل . ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله

تعالى من صلاة العصر حتى تغرب الشمس أحب إلى من أن أعتق أربعة .
(أخرجه أبو داود)

(١٠) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الدنيا ملعونة ملعون مافيها إلا ذكر الله تعالى وماوالاه وعالم ومتعلم
(أخرجه الترمذى)

(١١) عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا دخل الرجل بيته أو آوى إلى فراشه ابتدره ملك وشيطان يقول الملك : افتح بخير ويقول الشيطان : افتح بشر . فإن ذكر الله تعالى طرد الملك الشيطان وظل يكلؤه . وإذا انتبه من منامه قال ذلك . فإن هو قال : الحمد لله الذى رد نفسى إلى بعد موتها ولم يمتها فى منامها ، الحمد لله الذى يمسك السموات السبع أن تقع على الأرض إلا بإذنه . فإن خر من فراشه فمات كان شهيدا . وإن قام وصلى . صلى فى فضائل . (أخرجه رزين)

(١٢) وعن ثوبان رضى الله عنه قال : لما نزلت (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله .) — كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره . فقال بعض أصحابه : نزلت فى الذهب والفضة . ولو علمنا أى المال خيرا ، اتخذناه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفضله لسان ذاكر ، وقلب شاكر ، وزوجة صالحة تعين المؤمن على إيمانه .
(أخرجه الترمذى)

(١٣) عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما جعل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ورمى الجمار لإقامة ذكر الله تعالى . (أخرجه أبو داود والترمذى)

(١٤) عن نبيشة رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : إنا كنا نهيناكم عن لحومها « لحم الجمال » أن تأكلوها فوق ثلاث لكى تسعكم فقد جاء الله تعالى بالسعة فكلوا وادخروا وائتجروا . ألا وإن هذه الأيام أيام أكل وشرب وذكر الله تعالى . « ذلك كان أيام عيد وحج » .
(أخرجه أبو داود)

(١٥) وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا ذكر الله تعالى خنس . وإذا غفل وسوس .

(أخرجه الترمذى)

(١٦) عن رباح بن عبد الرحمن بن أبي سفيان بن حويطب عن حدية عن أبيها قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لاوضوء لمن لم يذكر الله عليه .

(أخرجه الترمذى)

(١٧) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاصلاة لمن لا وضوء له . ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه .
(أخرجه أبو داود)

(١٨) عن حذيفة رضى الله عنه . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الشيطان ليستحل الطعام أن لا يذكر اسم الله عليه .

(١٩) وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا أكل أحدكم طعاما فليقل : بسم الله . فإن نسى فى الأول فليقل فى الآخر بسم الله فى أوله وآخره .

(أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى)

(٢٠) وعن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا دخل الرجل منزله فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان : لا مبيت لكم ولا عشاء . وإن ذكر الله عند دخوله ولم يذكره عند عشائه يقول : أدركتم العشاء ولا مبيت لكم . وإن لم يذكره عند دخوله ولا عند عشائه قال : أدركتم المبيت والعشاء .

(أخرجه مسلم وأبو داود)

(٢١) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لاظل إلا ظله ؛ إمام عادل . وشاب نشأ فى عبادة الله تعالى . ورجل قلبه معلق بالمسجد حتى يعود إليه . ورجلان

تحابا فى الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه . ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إنى أخاف الله . ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لاتعلم شماله ماتنفق يمينه . ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه .

(رواه الستة إلاأبو داود)

(٢٢) عن أبي بن كعب رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ثلثا الليل قال : « ياأيها الناس اذكروا الله . اذكروا الله . جاءت الراجفة تتبعها الرادفة . جاء الموت بما فيه » ... وتفسير ذلك :

(الراجفة) : النفخة الأولى التى يموت بها الخلائق . (والرادفة) : النفخة الثانية التى يحيون بها يوم القيامة .

(٢٣) عن أبي المليح عن رجل قال : كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم . فعثرت بى الدابة فقلت : تعس الشيطان . فقال : لاتقل ذلك فإنك إذا قلته تعاظم حتى يكون مثل البيت ويقول : صرعته بقوتى . ولكن قل : بسم الله . فإنك إذا قلت ذلك تصاغر حتى يكون مثل الذباب .

(أخرجه أبو داود)

(٢٤) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من ذكر الله تعالى أول وضوئه طهر جسده كله . وإذا لم يذكر الله لم يطهر منه إلا موضع الوضوء .

(أخرجه رزين)

(٢٥) عن دحية بن حرب عن أبيه عن جده وحشى بن حرب الحبشى . أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : يارسول الله إنا نأكل ولا نشبع . قال : فلعلكم تفترقون ؟ قالوا نعم . قال : فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه .

(أخرجه أبو داود)

(٢٦) عن عمر بن أبي سلمة قال : كنت غلاما فى حجر النبى صلى الله عليه وسلم وكانت يدى تطيش فى الصحفة . فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياغلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك . فمازالت طعمتى بعد.

(أخرجه الخمسة)

(٢٧) عن عمرو بن عبسة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من بنى مسجدا ليذكر الله فيه ، بنى الله له بيتا فى الجنة .

(أخرجه النسائى)

(٢٨) عن أبي هريرة رضى الله عنه . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمرنى ربى بتسع : خشية فى السر والعلانية ، وكلمة العدل فى الغضب والرضا ، والقصد فى الفقر والغنى ، وأن أصل من قطعنى . وأعطى من حرمنى . وأعفو عمن ظلمنى . وأن يكون صمتى فكرا . ونطقى ذكرا . ونظرى عبرة .

(أخرجه رزين)

(٢٩) عن أم حبيبة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو ذكر الله تعالى .

(أخرجه الترمذى)

(٣٠) عن ابن عمر رضى الله عنهما . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتكثروا الكلام بغير ذكر الله تعالى فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله تعالى قسوة للقلب . وإن أبعد الناس من الله تعالى القاسى القلب.

(أخرجه الترمذى)

(٣١) وقال عليه الصلاة والسلام : لكل شئ مصقلة ومصقلة القلوب ذكر الله .

(٣٢) عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال سبحانه وتعالى : من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين .

(٣٣) قال رجل : يارسول الله كثرت على شعائر الإسلام فأوصنى بأمر أدرك به مافاتنى وأوجز . فقال : لا يزال لسانك رطبا بذكر الله .

(٣٤) وفى الترمذى : عن عبد الله بن بشر : أن رجلا قال : يارسول الله إن أبواب الخير كثيرة . ولا أستطيع القيام بكلها . فأخبرنى بماشئت أتشبث

به ولا تكثر على فأنسى . وفى رواية : إن شرائع الإسلام قد كثرت على وأنا قد كبرت ، فأخبرنى بشيء أتشبث به قال : لا يزال لسانك رطبا بذكر الله تعالى.

(٣٥) وقال عليه الصلاة والسلام : لو أن رجلا فى حجره دراهم يقسمها وآخر يذكر الله لـكان الذاكر لله أفضل .

(٣٦) عن أبى سعيد الخدرى وعن معاوية رضى الله عنهما : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على حلقة من أصحابه . فقال : ماأجلسكم ؟ قالوا : جلسنا نذكر الله ونحمده على ماهدانا للإسلام ومن به علينا . قال : والله ماأجلسكم إلا ذلك ؟ قالوا : والله ماأجلسنا إلا ذلك . قال : أما إنى لا أستحلفكم تهمة لـكم ولـكنه جاءنى جبريل فأخبرنى أن الله يباهى بكم الملائكة .

(٣٧) وقال عليه الصلاة والسلام : مامن قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل لا يريدون بذلك إلا وجهه ؛ إلا ناداهم مناد من السماء أن قوموا مغفورا لـكم قد بدلت سيئاتكم حسنات .

(٣٨) قال عليه الصلاة والسلام : إن لله سرايا من الملائكة تجول وتقف على مجالس الذكر فى الأرض . فارتعوا فى رياض الجنة . قالوا : وأين رياض الجنة ؟ قال : مجالس الذكر . فاغدوا وروحوا فى ذكر الله تعالى وذكروا أنفسكم .

(٣٩) قال عليه الصلاة والسلام : خير الذكر الخفى وخير الرزق مايكفى

(٤٠) وقال عليه الصلاة والسلام : مامن يوم إلا ولله فيه نعم ينعم الله بها على عباده . وما أنعم الله أفضل من يلهمه ذكره .

(٤١) عن أبى سعيد ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أى العباد أفضل وأرفع درجة عند الله يوم القيامة ؟ . قال : الذاكرون الله كثيرا . قيل يارسول الله .. ومن الغازى فى سبيل الله ؟ قال : لو ضرب بسيفه فى الـكفار والمشركين حتى يتكسر ويختضب دما لـكان الذاكر لله تعالى أفضل منه درجة . (الترمذى)

(٤٢) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا مررتم

برياض الجنة فارتعوا . قالوا : يارسول الله وما رياض الجنة ؟ قال : حلق الذكر .

(٤٣) عن النبى صلى الله عليه وسلم ؛ عن الله عز وجل أنه يقول : إن عبدى كل عبدى الذى يذكرنى ، وهو ملاق قرنه (قرينه فى الجهاد) .

(٤٤) ذكر البيهقى مرفوعا من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما . عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول : لـكل شيء صقالة وإن صقالة القلوب ذكر الله عز وجل . قالوا : ولا الجهاد فى سبيل الله عز وجل؟ . قال : ولو أن يضرب بسيفه حتى ينقطع . (صقاله : جلاؤه) .

(٤٥) وقال عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه تعالى : أنا مع عبدى ماذكرنى وتحركت بى شفتاه .

(رواه البخارى عن أبى هريرة)

(٤٦) وقال عليه الصلاة والسلام لمعاذ : والله يامعاذ إنى لأحبك . فلا تنس أن تقول دبر كل صلاة : اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

(رواه أبو داود والنسائى)

(٤٧) وقد ذكر ابن أبى الدنيا حديثا مرسلا . أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل : أى أهل المسجد خير ؟ قال : أكثرهم ذكرا لله عز وجل ؟ قيل : أى أهل الجنازة خير؟ قال : أكثرهم ذكرا لله عز وجل. قيل : فأى الحجاج خير ؟ . قال : أكثرهم ذكرا لله عز وجل : قيل فأى العباد خير .؟ قال : أكثرهم ذكرا لله عز وجل .

(٤٨) وفى حديث عبد الله بن يس قال : جاء إعرابى . فقال : يارسول الله كثرت على خلال الإسلام وشرائعه . فأخبرنى بأمر جامع يكفينى . قال : عليك بذكر الله تعالى . قال : ويكفينى يارسول الله ؟ فقال : نعم ويفضل عنك .

(٤٩) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قلت : من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال : لقد ظننت أن لا يسألنى عن هذا أولى منك لما رأيت من

حرصك على الحديث .. أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال : لا إله إلا الله .: خالصا من قلبه .

(أخرجه البخارى)

(٥٠) عن معاذ رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه : مامن مسلم يبيت على طهر ذاكرا لله تعالى فيتعار من الليل فسأل الله تعالى خيرا من الدنيا والآخرة إلا أعطاه الله إياه . (قوله فيتعار . أى ينتبه)

(أخرجه أبو داود)

(٥١) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سبق المفردون . قالوا : وما المفردون يارسول الله ؟ قال : الذاكرون الله كثيرا والذاكرات .

(رواه مسلم)

(٥٢) وقال صلى الله عليه وسلم : يقول الله تعالى : (لا إله إلا الله حصنى . فمن دخل حصنى أمن عذابى) . رواه ابن عساكر عن السيدة عائشة رضى الله عنها فى الجامع الكبير .

(٥٣) وقال صلى الله عليه وسلم : والذى نفسى بيده إن القرآن والذكر ينبتان الإيمان فى القلب كما ينبت الماء العشب .

(رواه الديلمى)

(٥٤) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماجلس قوم مجلسا يذكرون الله فيه إلا غشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده . .

(٥٥) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه عز وجل :

إذا كان الغالب على عبدى الانشغال بى ؛ جعلت همته ولذته فى ذكرى فإذا جعلت همته ولذته فى ذكرى ؛ عشقنى وعشقته ورفعت الحجاب فيما بينى وبينه : لايسهو إذا سها الناس . أولئك كلامهم كلام الأنبياء . . أولئك الأبطال حقا . أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض عقوبة أو عذابا ذكرتهم فصرفته بهم عنهم .

* * *

التحذير من الغفلة

من حديث خير الخلق صلى الله عليه وسلم

(١) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قعد مقعدا لم يذكر الله تعالى فيه كانت عليه من الله تره . ومن اضطجع مضجعا لا يذكر الله فيه كانت عليه من الله تره . وما مشى أحد ممشى لايذكر الله فيه كانت عليه من الله تره (الترة هنا : التبعة) .

(أخرجه أبو داود والترمذى)

(٢) عن أبى موسى . عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : مثل الذى يذكر ربه والذى لايذكر ربه كمثل الحى والميت .

(صحيح البخارى)

(٣) قال عليه الصلاة والسلام : لاتأتى على العبد ساعة لايذكر الله فيها إلا كانت عليه حسرة يوم القيامة .

(٤) قال عليه الصلاة والسلام : ماجلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم تره . فإن شاء عذبهم وإن شاء غفرلهم .

(رواه الترمذى)

(٥) ذكر البيهقى عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : مامن ساعة تمر بابن آدم لايذكر الله تعالى فيها إلا تحسر عليها يوم القيامة .

(٦) عن معاذ بن جبل يرفعه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم : ليس بتحسر أهـل الجنة إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله عز وجل فيها . . .

* * *

أقوال شيخنا رضى الله عنـــه

(ذكر الله تعالى) :

* الذكر وصال .
* أنا ابنى الذاكر .
* أكره الذى لايذكر ولو كان أبى .
* من ذكر الله للدرجات فهو محجوب عن الذات .
* إنا نذكر الله لله .
* اذكروا الله ذكرا خالصا لوجه الله الـكريم لاتقصدوا منه ولاية ولا درجة من الدرجات . ولا عطية من العطيات . بل اذكروه عبادة محضة .
* وسئل عن حكمة ذكر الثلاثة عشر اسما فقال : الشيخ مأمور بما يأمر به .
* وسئل عن الإلهام . فقال : معان ترد على القلب يترجمها اللسان .
* وقال : لايأتى من الذكر غير الحق . لأن القلب الصافى المشغول بالله يذكر الحق ولا يقول إلا الحق .
* أولادى كلهم فيهم نور . ومن لانور له . فأنا نوره .
* وسئل شيخنا عن القدر الذى يحقق قول الله تعالى : (اذكروا الله ذكرا كثيرا) فقال : ذلك يوازى ترديد الاسم عشرين ألف مرة .
* وسئل عن حكمة العدد . فقال : للتنشيط .
* وسئل عن حكمة الذكر ليلا .. فقال : لفراغ القلب .
* وسئل عن قدر مايذكره حضرته ليلا فقال : مائة وثلاثة عشر ألفا الليلة . فقيل له : لماذا تزيد على المائة ألف أثناء الجذب وكذلك الآن ؟ . فقال : ربما سقط منى شئ من العدد .
* وسئل عن ابن الطريق الذاكر تماما.. فقال : من يذكر مائة ألف بالليلة. والنصف رجل خمسين ألفا . والربع رجل خمسة وعشرين ألفا .
* وقال لى الأخ الحاج ـ محمود الشامى : أعطيت سبحتى لسيدنا الشيخ ،

ليذكر عليها قليلا للبركة . فذكر بها مدة قليلة وأعطانى إياها قائلا : « هذه السبحة ربع ذاكرة» . فسألت المذكور عن عدد ذكره فى ذلك الوقت، فقال : كان خمسا وعشرين ألفا . بعدها بارك الله وزاد العـــدد كثيرا .

وأكد شيخنا رضى الله عنه أن يكون الذكر بانتظام . فلا يترك الذاكر ذكرا لله قط فى أى ليلة بالقدر الذى يمكنه .

* وسئل عن أقل قدر للعدد فقال : يذكر ولو ألفين . أو ثلاثة لمن كان له عذر أو كان به مرض ليكتب فى الذاكرين .
* وسئل رضى الله عنه عن الاستغفار . هل هو ذكر ؟ . فقال : نعم هو ذكر .
* وسئل عن الصلاة على سيدنا الرسول . هل هى ذكر ؟ فقال : نعم هى ذكر .
* وسئل عن بردة المديح وأمثالها؛ تدخل فى الذكر ؟ فقال : نعم هى ذكر .
* وسئل عن التوسل هل هو ذكر ؟ فسكت . . فاعتبرنا السكوت رضا. حيث لم يمنعه ولم يقره . وكنا نردده فى حضرته فلم يمانع .

وجمهرة رجال التصوف مجمعة على أن كل ماذكرك بالله فهو ذكر . إلا أن أمثال شيخنا رضى الله عنه ، القائمين بالدعوة الصحيحة ، كانوا يفضلون أن يعملوا بالحديث القدسى « من شغله ذكرى عن مســـألتى أعطيته أفضل ماأعطى السائلين » . ولذا كان شيخنا ينهج منهج الذكر ليلا ، والصلاة على سيدنا الرسول والاستغفار نهارا .

* وسئل رضى الله عنه عن الأوراد فقال : إن الذكر أفضل من كل الأوراد المنسوبة لـكثير من الأولياء . وقال : إنهم لم يصلوا إلا بالذكر ، وبعد وصولهم عملوا هذه الأوراد . فعلينا أن نسلك السبيل الذى وصلوا به : وهو الذكر المحض . لا أن نأخذ من فضلاتهم .وذكر الحديث القدسى : من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ماأعطى السائلين .

* وقال شيخنا رضى الله عنه : المدد على قدر العــدد *

* وكنت أنا وخادمه معه بمحل استراحته نذكر الله تعالى على مسمع من شيخنا . حيث كان يذكر أحدنا اسمه تعالى (عزيز) وآخر يذكر اسمه تعالى (ودود) بسرعة فائقة لعلمنا أن المدد على قدر العــدد ، وهنا تنبه حضرته لذكرنا بهذه الحالة ، فنظر إلينا غاضبا متعجبا وقال : « ماهذه السرعة التى أوجبت تحريف الاسم؟ » . وفسر لنا ذلك قائلا : إن أحدكم يقول عند ذكر اسمه تعالى (عزيز) : زيز .. زيز . والآخر يقول فى ذكر اسمه تعالى (ودود) : دود . . دود . وبذلك يترك الأول (العين) من عزيز والثانى يترك (الواو) من اسمه ودود . وهذا تحريف ولحن . . واستطرد قائلا : ذكر الله تعالى يكون هكذا . . وذكر الله تعالى بتؤدة وتأن ليس فيهما وصل آخر الاسم بأول الذى يليه . ثم رجع يذكر الاسم الذى كان يذكره ، حتى تواجد وأخذ وصار يقول : أين الرجال ؟ . أين العابدين . ؟ أين الذاكرين . ؟ أين فرسان الليل السابقين ؟ . . وأمثال هذه العبارات . حتى سالت دموعه وهدأ تواجده ورجع إلى حالته الأولى يواصل ذكره إلى الفجر . ثم ودع ليله بكلمات الأسف على نفاد الليل . ثم جلس بعد صلاة الفجر إلى طلــوع الشمس متعبدا بالقرآن . ثم صلى الضحى واستراح ساعة . ثم نهض ليتوضأ ويستقبل الإخوان صباحا كعادته . فيستأذنه المسافر ويتمتع بأنواره القادم

* وسئل رضى الله عنه عن اسم الله الأعظم . فقال : كل أسماء الله عظيمة واسمه الأعظم هو الذى يفتح عليك فيه .

تعاليمه رضى الله عنه فى كيفية مجلس الذكر

* كنت حاضرا عندما سمع والدى ذاكرا بمجلس الذكر يشهق آخر الاسم . فقال : امنعوه عن هذه الشهقة الملحقة بالاسم فهذا تحريف وحرام

وآخر له شبه صفير يخرج من حلقه . فأمر بمنعه . وآخر له قلقلة فأمر بمنعه . وآخر له ارتفاع صوت بآخر الاسم . فأمر بمنعه . وآخر ينطق اسمه تعالى (هو) : عــو .. فأمر بمنعه . وقال : ينطق آخر كل اسم بالسكون وعدم الوصل الذى يجعل نطق اسم الله .. الله : هــلا . . هــلا . .

* وقال رضى الله عنه عند ذكر : لا إله إلا الله — أن تحقق الهمزة من كلمة (إله) فلا تجعلها (ياء) وتفتح الهاء من الــكلمة فتحة خفيفة . ولابد من مد حرف (لا) مدا متوسطا فى ذكر (لا إلاه إلا الله) . ولابد من الخشية لله تعالى حين الذكر فلا تمايل (١) مخرج عن الأدب . ولاترقص . ولاضجعة للخلف (وهو ميل الذاكر إلى الوراء عند نهاية اللفظ بالاسم) . فإن ذلك ينافى الذل . . ولابد من هدوء التصفيق من القائم بقيادة المجلس . حيث إن ارتفاع التصفيق يؤذى الحاضرين من الملائكة . وبالتالى يجعلهم ينصرفون . فينصرف نورهم معهم كذلك .

ولا يصفق بالمجلس اثنان . بل شخص واحد . حيث الذكر بطريقنا بالنفس .. لأن المذكور سميع بصير .

* وقال : إن القائد للمجلس إمامه وما جعل الإمام إلا ليؤتم به . فلابد لمن شاءت نفسه أن يصفق مع القائد أن يجاهد نفسه التى تدفعه . لأن حقيقة الحال دفع نفسه للظهور دون أن يدرى . وكل ظهور يقصم الظهور . ظنا منه أنه متواجد ولا شئ عليه أو يظن أنه بذلك التصفيق يزيد من هيام الذاكرين .

* وقال رضى الله عنه : يفتح مجلس الذكر بقراءة الفاتحة جهرا . ثم بقوله تعالى : (إن الله وملائكته يصلون على النبى ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) .. ثم تقرأ الصلاة الآتية على سيدنا الرسول وهى :

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد فى الأولين . وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد فى الآخرين . وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد فى كل وقت وحين . وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد فى الملأ الأعلى إلى يوم

---

(١) روى عن الفضيل بن عياض ، رضى الله عنه قال : إنه كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذكروا الله تعالى تمايلوا يمينا وشمالا ، كما تتمايل الشجرة فى الريح العاصف إلى قدام ، ثم ترجع إلى الوراء .

الدين . وصل وسلم وبارك على جميع الأنبياء والمرسلين. والصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . واحشرنا وارحمنا معهم ياأرحم الراحمين . .

ثم يقول من يبدأ المجلس : « أفضل ماقلته أنا والنبيون من قبلى لا إله إلاالله » وبهذا يبتدأ الذكر. وعند نهايته والجلوس تقرأ الفواتح ويختم المجلس بالدعاء الآتى :

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم واغفر لنا وارحمنا إنك أنت الغفور الرحيم . ونجنا من الهم والغم والـكرب العظيم . (ثلاثا) وشفع فينا سيد المرسلين . ومتعنا بالنظر إلى وجهك الكريم . واجعلنـا من الذين تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم؛ دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام . وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين .

ملحوظة :

هذا . وقد رأيت حضرات الإخوان باسكندرية يقدمون بعد الذكر والإخوان لاتزال وقوفا من يقوم بالدعاء للمؤمنين عامة بتفريج الـكروب وغفر الذنوب بقبول التوبة من الله تعالى والرجوع إليه والإنابة وصلاح أحوال المسلمين والهداية لهم والرحمة بهم وأمثال ذلك من الدعوات المباركات . فكنت منشرح الصدر بذلك . شاعرا بفضل الله ورحمته وعددت هذا من قبيل البدع الحسنة . ورأيت الإخوان بالقاهرة انشرحت لذلك .

* ونبه شيخنا رضى الله عنه أن يكون النطق بالاسم عند ابتداء الذكر يصحبه الميل بجهة اليمين (١) ثم الانتهاء من نطقه بجهة اليسار . فالميل الأول للقلب تنبيه وإخبار والثانى استقبال واستقرار لنور الاسم .

وكان رضى الله عنه يأمر أنه عند الذكر جلوسا يكون الجلوس هو

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مثل المؤمن كخامة الزرع تفيؤها الريح مرة هنا ومرة هنا » . (رواه البخارى)

الجلوس العادى ولا يكون كالجلوس عند التشهد وذلك حسبما كان يجلس الصحابة عند الذكر .. والأسبقون من الصوفية وعنهم أخذناها .

* وسئل عن السماع بالإنشاد فقال : مباح على شرط : ألا يكون للتغنى والطرب؛ وأن يكون وقلب المنشد معلق بالذكر وكلامه لايخرج عن التوحيد ومدح النبى صلى الله عليه وسلم . والنصائح . والإنشاد بطريقتنا إلهام . فلا يكون المنشد هيابا . ولا مرتابا . متأكدا ستر الطريق . وعلى قدر شرح صدره يصدر له المـــدد .

* قال رضى الله عنه : الحمد لله الذى أقدرنى على تخليص الطريق من الشوائب.

* قال رضى الله عنه : لايدخل فى حضرة القدوس أحد من أرباب النفوس .

* قال رضى الله عنه : لو يعلم الإخوان مافى الحضرات من خير لأتوها حبوا .

* قال رضى الله عنه : عليكم بالجماعة فإن الذئب يأكل من الغنم القاصية .

* قال رضى الله عنه : الرجل كل الرجل من يخلص هذه من النار . (كان رضى الله عنه يقول ذلك وهو يشير إلى عنقه) .

* وكان يقول : إن أولادنا حالهم حال السلوك . وقلوبهم مع الله .

❋ ❋ ❋

القسم الثانى

الكرامات

الكرامات

اعتذار وكمال واستجابة :

قال العارف بالله السيد ـ عبد السلام الحلوانى :. فى كتابه :(السيرة الخليلية) :. مانصه :

قد كنت أريد ألا أذكر شيئا من كرامات سيدى الأستاذ اكتفاء بأعماله وصدقه مع الله تعالى وجهاده وإكرام الله له سبحانه وتعالى وهداية الناس على يده حتى أصبح يقدر من تاب على يديه بمئات الألوف ، ولا تزال دعوته تنتشر وطريقه زاهر بالعمل،واكتفاء بما يظهر على أولاده وأتباعه من الفتح والعلوم والاستقامة والحب العظيم لله ورسوله والتحاب فى الله من غير علة ، والقيام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . ولـكن أشار على بعض إخوانى أن أذكر شيئا مما أعرفه من كرامات سيدى الأستاذ ، دلالة على عطاء الله سبحانه وتعالى وشكرا للمنعم سبحانه وتعالى :

فأجبت الأمر وأذكر طرفا قليلا جدا مما كنا نراه — فلا تحصر له الـكرامات الظاهرة ولا الباطنة — على أن سيدى الأستاذ رضى الله عنه كان من أكبر الأقطاب فى الولاية ، وكان له قدرة كبيرة على تكتم حاله . فكان لا يظهر ولا يتظاهر بالـكرامات .

كما قد قال السيد ـ لطفى خشبة :. فى كتابه :(المناقب الخليلية) مانصه :

وكراماتالعارفين والأولياء ، وهى فىالواقع أكثر مايتطلع إليه الناس وتشوقهم معرفته ؛ لأنها تقع خارقة للعادة وعلى غير المألوف : والطبقات التى وضعت عن هؤلاء السادة تفيض بذكر هذه الـكرامات ، وهى الطابع الغالب عليها لأن عددا غير قليل من أصحاب هذه السير لم يشتهروا ويعرفوا إلا بها حيث لا أثر لهم فى التصوف أو فى تربية المريدين يصح أن ينقل عنهم ويدون ، فى حين أن الأمر بعكس ذلك بالنسبة لشيخنا .

والمتعرض لـكرامات شيخنا وأستاذنا أبى خليل « رضى الله عنه » — حبيب رسول الله — يجد الكثير من الحرج لأن هذه الـكرامات كثيرة جدا .

وليس من بين مئات الألوف من أتباعه من لم تصادفه كرامة من كرامات الشيخ، بل إن كلا منهم فى نفسه بأدبه وسلوكه الصحيح، وعـكوفه على الذكر الـكثير والمراقبة الحقة لله تعالى ، وصفاء قلبه ورقة حسه ووجدانه وما يبعثه ذلك من الإلهام الصادق والخشية والحذر والحضور مع المولى عزوجل والوقوف على قدم الذل والانكسار وطول الرجعى ودوام الاعتبار ...

أقول إن كل واحد منهم — وهذا حاله — يعتبر فى الواقع إحدى كرامات الشيخ الناطقة . وآية من آيات الفضل الإلهى الصادقة . . .

❊ ❊ ❊

الباب الأول — مع العلماء

فى زيارة لى لفضيلة السيد ـ عبد الله الشيمى (١) . . قلت لفضيلته :
إن أراد الله محبا أن يكتب شيئا عن مناقب والدى وشيخى رضى الله عنه فماذا يقول فيه .. ؟

قال فضيلته .. يقول :

«كان شيخنا مربيا روحيا لعلماء عصره . وأرجو أن أكون منهم كأقلهم بل أقل من مريد من أتباع والدك . فهو العالم الربانى محب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وآل بيته الغر الميامين ، وغوث زمانه . ويكفى أن نذكر آية واحدة من كراماته وهى : هداية مئات الألوف على يديه . وهو أمر لم يسمع به من قبل، فنحن إن تكلمنا عنه بما نعلمه ؛ قامت علينا قيامة المثقفين وسيقولون عنا : أحبوا فتغالوا . وإن تكلمنا عنه بأقل مما هو عليه فقد غمطناه حقه وحوسبنا من الله تعالى . فالأسلم الصمت . وربما كان صمتنا رغبته هو ، حيث كان رضى الله عنه متحفظا فى إظهار الآيات رهبة من الله تعالى ، وسكونا له . فقد كان لايبدو منه إلا مايفلت من الحريص الصائن للسر الخائف على العطاء . ولو أنه أفشى سره لسمعت عنه مايشغل مجلدات عديدة وإن ماظهر منه قليل بجانب فتحه ومنحه » .

وقد أملانى فضيلته فى هذه الزيارة بعضا من أسماء السادة علماء عصره والذين كانوا من أتباع شيخنا رضى الله عنه بعد وقائع حال مشهورة مع غالبيتهم وهم :

---

(١) كان فضيلته من كبار العلماء ، واشتغل إماما للخديوى توفيق إلى أن اشتعلت الثورة العرابية ضد الاحتلال البريطانى فانضم لصفوفها ففصل من عمله . وقد عاش عمره الطويل — ١٣٠ عاما إلى أن دفن بمسجد سيدى على البيومى عام ١٩٧١ — قائما على الدعوة لله تعالى .

١ — مولانا الشيخ ـ بكر الصدفى : مفتى الديار المصرية
٢ — مولانا الشيخ ـ محمد بخيت المطيعى « الحنفى » : مفتى الديار المصرية
٣ — مولانا الشيخ ـ حسونة النواوى : شيخ الجامع الأزهر ومفتى الديار المصرية .
٤ — مولانا الشيخ ـ الإمام .. محمد عبده : مفتى الديار المصرية .
٥ — مولانا الشيخ ـ طنطاوى جوهرى : الفيلسوف وحجة الإسلام .
٦ — مولانا الشيخ ـ إبراهيم لطفى المنفلوطى : نقيب السادة الأشراف بالوجه القبلى .
٧ — مولانا الشيخ ـ محمد الحداد : شيخ المقارئ المصرية .
٨ — مولانا الشيخ ـ العلامة .. محمد النجدى : المعروف بالشافعى الصغير .
٩ — مولانا الشيخ العلامة ـ رافع الطحاوى : من كبار العلماء .
١٠ — مولانا الشيخ العلامة ـ محمد أبو ريا الطحاوى : من كبار العلماء.
١١ — مولانا الشيخ ـ أبو الفضل (١) الجيزاوى : شيخ الجامع الأزهر الشريف .
١٢ — مولانا الشيخ ـ عبد الرحمن القطب النواوى : شيخ الجامع الأزهر الشريف .
١٣ — مولانا الشيخ ـ أحمد مكى : شيخ معهد الزقازيق .
١٤ — مولانا الشيخ ـ عبد الحكيم عطا : شيخ معهد الزقازيق .
١٥ — مولانا الشيخ ـ محمد النشوى « الشافعى » : المدرس بالأزهر الشريف .
١٦ — مولانا الشيخ ـ أحمد الدهشورى « الشافعى » : المدرس بالأزهر الشريف .
١٧ — مولانا الشيخ ـ محمد ماضى الرخاوى «الشافعى» : المدرس بالأزهر الشريف .

(١) له واقعة حال مع سيدنا الشيخ . وقد بشره بمشيخة الأزهر .

١٨ — مولانا الشيخ ـ عليان المرزوقى « الشافعى » : المدرس بالأزهر الشريف .
١٩ — مولانا الشيخ ـ محمد أبو قنديل الهلالى «الشافعى» : المدرس بالأزهر الشريف .
٢٠ — مولانا الشيخ ـ يوسف البطاح « الشافعى » : المدرس بالأزهر الشريف .
٢١ — مولانا الشيخ ـ مصطفى الهيهاوى « الشافعى » : المدرس بالأزهر الشريف .
٢٢ — مولانا الشيخ ـ محمد أبو النجا « الشافعى » : المدرس بالأزهر الشريف .
٢٣ — مولانا الشيخ ـ مصطفى نقادى «الشافعى » : المدرس بالأزهر الشريف .
٢٤ — مولانا الشيخ ـ محمد عامر الشرقاوى « الشافعى » : المدرس بالأزهر الشريف .
٢٥ — مولانا الشيخ ـ محمد طعم « المالكى » : المدرس بالأزهر الشريف .
٢٦ — مولانا الشيخ ـ أحمد الشاجورى « الحنبلى » : المدرس بالأزهر الشريف .
٢٧ — مولانا الشيخ ـ إبراهيم سليمان الشرقاوى : المدرس بالأزهر الشريف .
٢٨ — مولانا الشيخ ـ محمد الخشاوى : المدرس بالأزهر الشريف .
٢٩ — مولانا الشيخ ـ محمد الغريبى : المدرس بالأزهر الشريف .
٣٠ — مولانا الشيخ ـ أحمد السجينى : المدرس بالأزهر الشريف .
٣١ — مولانا الشيخ ـ محمد أبو النجا الشرقاوى : المدرس بالأزهر الشريف .
٣٢ — مولانا الشيخ ـ على البخشونجى : المدرس بالأزهر الشريف .

٣٣ — مولانا الشيخ ـ محمد الدرى : المدرس بالأزهر الشريف ؛

٣٤ — مولانا الشيخ ـ محمد محمد الدلبشانى « الحنفى » ؛

٣٥ — مولانا الشيخ الواصل .. بسيونى عسل : من هيئة كبار العلماء .

٣٦ — مولانا الشيخ ـ محمد محمد مخيمر « الشافعى » : المدرس بالأزهر الشريف .

٣٧ — مولانا الشيخ ـ عبد المعطى الشرشيمى « الشافعى » : المدرس بالأزهر الشريف .

٣٨ — مولانا الشيخ ـ الأحمدى الظواهرى (١) : شيخ الجامع الأزهر الشريف .

٣٩ — مولانا الشيخ ـ محمد الطلاوى « الشافعى » : شيخ الجامع الأزهر الشريف .

٤٠ — مولانا الشيخ ـ عبد الرحمن الحضرى : شيخ معهد دمياط .

وكل هؤلاء على سبيل المثال ، لا الحصر . وأما أتباع شيخنا من العلماء الجدد ، فهذا مالا يقع تحت حصر وعدد .

الأمر الذى يدعونا إلى أن نورد فى هذا المقام بعضا من وقائع الحال التى قد تكون تبيانا لبعض جوانب هذه الدراسة عن سيدنا الشيخ أبى خليل رضى الله عنه . وسنورد أمثلة لبعض وقائع الحال التى حصلت مع بعض سادتنا علماء عصره مما سبب إذعانهم له والاتصال به ، والنهل من مشربه ، ويدعم ذلك خضوع أولياء عصره ومشايخ الطرق الصوفية فى ذلك الحين وكل من أسعده الحظ بلقائه من العامة على العموم .

(١) كان خليفة عقادى شاذلى . ثم رأى الفيض فانتقل لطريقنا بعد امتحان بعض أتباع شيخنا فى تفسير القرآن . كما فعل الشيخ محمد عبده والعلامة الشيخ طنطاوى الجوهرى . والمفسر السيد ـ محمد فريد وجدى وغيرهم من العلماء الذين كانوا يجتمعون فى شكل لجنة تقريبا ويمتحنون الملهمين فى التفسير وقرض الشعر وغيره .

(١) ومن ذلك ماوقع مع الشيخ ـ بسيونى عسل « من هيئة كبار العلماء» : وكان قبل أن يسلك الطريقة الخليلية ، يسلك الطريقة الخلوتية . ولما توفى شيخه عزم ألا يدخل الطريق إلا على يد الشيخ الذى يدله عليه جده صلوات الله وسلامه عليه . لأنه كان شريفا حسنيا . وقد رآه ، صلى الله عليه وسلم ، فى المنام يأمره أن يتتلمذ على شيخنا أبى خليل رضى الله عنه . ورغبة من الشيخ بسيونى عسل فى الإسراع بتنفيذ ماأمر به عليه الصلاة والسلام سأل عما إذا كان بالقاهرة أحد خلفاء شيخنا — فأرشدوه عن السيد رضوان عثمان . وكان ممن أمدهم الله بعظيم مدده ، وباهر فتوحاته . فأخذ عنه القبضة .

ثم سافر الشيخ بسيونى إلى الزقازيق لزيارة شيخنا الخليل وليقف على مبلغ مانقل إليه عنه وعما أفيض عليه من المعارف اللدنية .

وهناك سأل الشيخ عن تفسير أحد الأحاديث النبوية ؛ فشرع الشيخ يذكر له آراء العلماء التى يعرفها الشيخ بسيونى .

ثم انتقل إلى ذكر أوجه أخرى فى تفسير الحديث لم ترد بالكتب حتى أدهش الشيخ بسيونى . وتملكته الحيرة . . فرجا سيدنا الشيخ أن يكف عن الاسترسال فى التفسير لأن ذهنه لم يتسع لأكثر مما سمع . .

وقبلا أراد أن يعرف شيخنا بنفسه فبادره سيدنا الشيخ بقوله :

« إن الذى أرشدك عنا قد دلنا عليك قبل أن يرسلك إلينا . . »

يشير إلى ماكان من رؤية الشيخ بسيونى للرسول عليه الصلاة والسلام وأمره إياه أن يسلك الطريق على يد شيخنا .

(٢) وهذه واقعة أخرى مع الشيخ بسيونى عسل :

فقد حدث أن ذهب الشيخ بسيونى لزيارة سيدنا الشيخ مع بعض العلماء. وكان شيخنا رضى الله عنه فى القاهرة بمنزل المرحوم السيد ـ محمد خليل ؛ من أعيان مصر ، وكانوا وهم بالطريق يتباحثون فى تفسير قوله تعالى : (فاستبقوا الخيرات .) الخ الآية . وبعد أن قبلوا يد سيدنا الشيخ واستقر بهم المقام

إذا به يسأل الشيخ بسيونى عن تفسير الآية سالفة الذكر ، فيندهش العلماء من ذلك . ويجيب الشيخ بسيونى فى أدب تام كعادته مع شيخنا ، ويطلب من سيدنا الشيخ الاستفادة منه رضى الله عنه . فأخذ إمامنا الجليل يفيض من لدنياته الربانية . يشرح وينتقل من وجهة إلى أخرى . ومن نقطة إلى غيرها متدفقا كالبحر الذى لاينضب حتى أخذ العلماء والحاضرون . ولم يسع الشيخ بسيونى إلا أن يقوم ويقبل يد الشيخ. مكتفيا بما نثره من درر الإلهام الغالية والتى لم يقرأها لاهو ولا من معه أو سمعوا بها من قبل . . .

(٣) وواقعة غيرها مع الشيخ ـ بسيونى عسل :

وتتلخص فيما قاله لى السيد ـ محمد أمين عليوة :

كنا فى زيارة سيدنا الشيخ بالزقازيق وحضرت الصلاة فقدم سيدنا الشيخ فضيلة الشيخ ـ بسيونى عسل للإمامة . وكان من عادته أن يطيل القراءة جدا بعد الفاتحة ولـكنه فى هذه المرة قرأ بسورتى الـكوثر والإخلاص فى الركعتين . وعند انتهاء الصلاة قال سيدنا الشيخ :

إن الشيخ بسيونى قد خفف الصلاة رغبة منه فى راحتى . . فرد الشيخ بسيونى : إنها كرامة لحضرتكم .. حيث لم أجد بقلبى غيرهما ، بدليل أننى كنت أسكت طويلا بعد الفاتحة . وصار كلاهما ينسب الآية للآخر . .

(٤) ومن ذلك ماوقع من فضيلة الشيخ ـ عبد الحكيم عطا ، شيخ معهد الزقازيق الدينى .. ووقع لى : أنه عند إحدى زياراتى لفضيلة المرحوم الشيخ ـ عبد الحكيم عطا ـ شيخ معهد الزقازيق الدينى وقتئذ — أن وجدته يذكر بالأسماء التى يذكر بها أتباع الطريقة الخليلية . فسألته عن سبب أخذه العهد عن شيخنا — فقال :

إن سبب ذلك : أنه قد حدث عندما علم جمهرة العلماء بأن فضيلة العلامة مولانا الشيخ ـ بسيونى عسل قد أخذ العهد على سيدنا الشيخ .. قامت قيامة العلماء بالأزهر وأنا منهم ، بل ربما كنت قائدا للمعترضين على ذلك ، وهنا توجهنا إلى فضيلته وأنكرنا عليه بشدة أن يتتلمذ — مع ماهو عليه من

المكانة العلمية والولاية المجمع عليها — أن يتتلمذ لرجل أمى .. وبعد مفاتحته فى الأمر قال :

إنه قد قام بذلك فعلا . ولما اعترضنا على ذلك قال : (ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) . ولم يذكر لنا — كما عرفنا بعد ذلك — أنه مأمور بذلك من حضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم .. ولو بين لنا ذلك وقتها لكان فيه الـكفاية ، ولـكنه قال : إن سيدنا الشيخ سيحضر إلى القاهرة قريبا فاجتمعوا به واسألوه ماشئتم وتحققوا بأنفسكم حاله وحال معهوديه الملهمين ثم احكموا . . فسكتنا على مضض .

ثم حضر سيدنا الشيخ إلى القاهرة ودعانا فضيلته لمقابلة سيدنا الشيخ ، فذهبنا إليه فى جمع من العلماء . فوجدنا حفلا حافلا ، وجمعا من كل الطبقات شاملا . حيث يقام مجلس ذكر بين يدى الشيخ ، والملهمون ينشدون على المجلس. وسأل بعض الموجودين تفسير آية من القرآن الـكريم ، فابتدأت أتأفف . وكنت أود أن يمتنع الشيخ عن الأمر بذلك . فنظر إلى سيدنا الشيخ وقال :

هذا إلهام من الله ، وقائله لم يطلع على أى مؤلف . . فسكت سكوت المضطر . فما كاد يطرق سمعى أول التفسير ، حتى تنبهت أنه برق لامع بعده المطر .. وأن الأمر جد ذو خطر .. إلى أن انتهى التفسير وأنا فى المتاهات أسير ، وجلست كالأسير . . ولكنى ابتدأت أسأل الشيخ عن مشكلات . . فيجيب عليها باختصار يحل نكاتها ويفض استشكالاتها كما يشير أكابر العلماء إلى لب اللب فى غاية من البلاغة النادرة ، وفى ثبات وتحقيق لاتؤخذ عليه بادرة . . حتى كان الحق للعينين عيان . .

وهنا نطق عفوا منى اللسان : سبحان المعطى المنان . وذلك بعد ماتحققت ودققت ومارفقت . وفى ذلك ضاع الوقت . . فنبهنى سيدنا الشيخ إلى وعدى بسرعة الرجوع لأهلى . . فأوقف بذلك نهلى . وقال لى : ألم تقل لحرمك إنك سترجع إليها عند الساعة العاشرة . . ؟ وهانحن عند منتصف الليل . . فأسرع بالذهاب إليها . حيث هى الآن بالمنزل وراء الباب تريد الخروج بغير حجاب

لما أصابها من الروع . . وإننى ممسكها وهى حائرة وراء الباب . . وهناتقدم بعض الأعيان برجاء توصيلى بعرباتهم . . وقبلت شاكرا . . ووصلت المنزل لأجد أن ماقاله والدك رضى الله عنه متحققا . .

وفى الليلة التالية أودعت أهلى عند أهلها وذهبت مع العلماء للحفل فتلقانا شيخنا مرحبا . . ومافارقناه إلا عند نهاية الحفل وقد أخذنا العهد . .

وهنا قال رضى الله عنه : اذكروا الله للترقى فى درجات الكمال . فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان له ارتقاء فى كل لحظة وعلو حال .

ونرجو أن نكون قد نفذنا أوامره . . .

(٥) ومن ذلك ماوقع مع الفيلسوف المعروف الشيخ ـ طنطاوى جوهرى : فقد روى السيد ـ لطفى خشبة ، وهو أحد أطراف هذه الواقعة ، أن سيدنا الشيخ رضى الله عنه كان بالقاهرة فى السياحة ، وكان ممن يقصد مجلسه من العلماء الفيلسوف المعروف الشيخ طنطاوى جوهرى . وكان قد سمع تفسير القرآن الكريم من الشيخ ـ على عقل ؛ ارتجالا . وجال بخاطره أنه قد يكون فلتة من الفلتات . . وفاتح سيدنا الشيخ فى ذلك متسائلا : ألا يوجد من يفسر خلاف الشيخ على عقل ؟ . فاستدعانى رضى الله عنه ؛ وكنت إذ ذاك صغير السن وتعليمى لم يتجاوز السنة الثانية الثانوية بالمدارس . وطلب من الشيخ طنطاوى أن يكلفنى بما يريد من تفسير . وأردفت : على أن أدون ما أفسره كتابة لصغرسنى . فسر الشيخ طنطاوى لأن هذا ما كان يقصده . فطلب منى أن أفسر قوله تعالى :

(والسماء رفعها ووضع الميزان) . فذهبت إلى آخر السرادق . وطلبت ورقا وقلما ، وأخذت فى تفسير الآية . . وانصرفت إلى ذلك دون أن أسمع أو أرى مايدور بين الشيخ طنطاوى وبين سيدنا الشيخ . . وبعد فترة ولم أكن قد أتممت تفسير الآية إذ بى أقف فجأة دون تفكير . . وسطرت فى نهاية ماكتبت : « وأكتفى بهذا حيث أمسك المدد عن مدده » . ثم توجهت إلى حيث يجلس سيدنا الشيخ . وقرأت ماكتبت . ولم أنته إلى العبارة سالفة الذكر حتى ذهل الشيخ طنطاوى وأخذ يقبل يد شيخنا وهو فى غاية العجب . .

وعلمت بعد ذلك سبب تعجبه . فقد كان يظن أن تفسير الآية لن يستغرق إلا القليل من الكتابة . ولهذا فقد كان يسأل شيخنا من حين لآخر متعجلا إتمام التفسير ،وهو يرد عليه إنه فى مبدأ الآية..حتى إذا تكرر تعجله قال رضى الله عنه : « طيب كفى » . . عندها أمسكت عن الكتابة . . وأنا لم أسمع ذلك لبعدى . . واشتملت هذه الواقعة كرامتين :

الأولى : التفسير الذى أعجب به الشيخ طنطاوى لقوة الأسلوب والمعنى معا ، وصدوره من تلميذ صغير . وإن كان آسفا لتعجله ؛ مما دعا إلى عدم إتمام التفسير .

والثانية : هذا السر العجيب . حيث أنه بمجرد قول الشيخ : « كفى » . امسكت عن الكتابة ودونت ذلك وسببه وأنا بعيد جدا لا أسمع ماقاله رضى الله عنه . . وليس هذا بكثير على من سخر الله له الريح والهواء ؛ فكان يتصرف فيهما كيف شاء . وفى هاتين الكرامتين دلالة واضحة على أن سيدنا الشيخ رضى الله عنه هو صاحب العطاء والمدد .

(٦) وواقعة أخرى مع فضيلة الفيلسوف : الشيخ ـ طنطاوى جوهرى :

قال لى الأخ الشيخ ـ على عقل : كنا بطنطا بمنزل السيد ـ مصطفى المحلاوى وحضر علماء المعهد الدينى صحبة فضيلة السيد ـ طنطاوى جوهرى . فسألنى أن أتكلم عن المقولات العشر . . ولما كنت لم أسمع بها ، ولا أدرى إلى أى العلوم تنتسب ؛ أخذتنى رجفة فسكت خوفا من أن لا يفتح الله على ويفتضح الطريق . . وأفقت على أمر سيدنا الشيخ لى بالكلام عن المقولات العشر . فابتدأت كعادتى فى خطبة افتتاح. جاء بها مايكفى فى الجواب ثم طرقت الموضوع . وكنت أقول مايرد على صدرى بسرعة خوفا من تفلته وأنا شبه مأخوذ. وكلما وصلت فاصلا يثنى العلماء أشد الثناء على ماجاء من الفتح . ويقولون : استمر .. بعد أمر سيدنا الشيخ.. وهكذا كنت أستمر فى بلاغة بلغة عالية . وعندما انتهيت ، أثنى العلماء على الفتح للغاية . فقال سيدنا الشيخ : لو كان قلب الشيخ على سليما لكان قال أعلى من ذلك وأوسع . . ولكنه كان خائفا . فأتى الفتح على قدر شرح الصدر . فتوقعت التأديب . .

(المربى)

وقال : إن العلماء طلبوا من سيدنا الشيخ تفسير قوله تعالى :

(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون). فقال :يفسر الشيخ على لنسمع الفتح ،ولأنى أقول كلمة ونصف وهو يلقى خطبة تعين على فهم غرضه واتجاهه ثم يدخل فى التفسير وحل مشكلة الآية . . فقال سيدنا الشيخ : الاستثناء منقطع واللام للصيرورة . . وهنا اكتفى العلماء شاكرين.وقال سيدنا الشيخ : فسرها ياشيخ على . . ففسرها . وكان التفسير عاليا للغاية .فقال سيدنا الشيخ: الفتح يأتى على قدر قيمة الحضور من أهل العلم . لأنه قيل : إنما يعرف الفضل من الناس ذووه . .

فكان ذلك تكريما وتحية للعلماء الذين أخذ العهد أكثرهم على سيدنا الشيخ رضى الله عنه . . وكانوا من أعز أبنائه عليه وأكرمهم لديه . .

بقى أن تعرف أنى عند مثولى بعد الحفل بين يدى سيدنا الشيخ منفردا ، بعد انصراف العلماء ، قابلنى بفتور وقال لى: إن الله الذى أعطانى أن أقول للجاهل تكلم فى علوم لم يسمع بها فيتكلم ، لهو يقادرنى أن أسحب من صدرك القرآن الذى تعلمته بالمكتب . . فقلت : أرجو سماحك ياعم . فقال : على أن لا تعود . . فقلت :نعم . . فعفا عنى . ونجوت مما كان يحصل لكثير من المتعلمين. إذ كان رضى الله عنه يسأل بعضهم فلا يجيب لنسيانه معلوماته حيث سحب العلم من صدره . .

(٧) ومن ذلك ماوقع مع فضيلة الشيخ ـ أبو الفضل الجيزاوى :

ومنها ماسمعته من السيد ـ عبد السلام الحلوانى ؛ وهو أنه حضر فضيلة الشيخ أبو الفضل الجيزاوى لزيارة سيدنا الشيخ بمنزلى بالإسكندرية فتلقاه الشيخ بترحاب عظيم قائلا : تفضل ياشيخ الإسلام .. فقال الإخوان : شيخ معهد الإسكندرية ياعم . . فرد عليهم سيدنا الشيخ : بل شيخ الإسلام إن شاء الله تعالى . . فهنأه الحضور على هذه البشرى العظيمة .. ومكث فى حضرة الشيخ مدة طويلة . حضر أثناءها الأخ على البطاطة من طنطا لزيارة سيدنا الشيخ. فأمره بكتابة طالع لفضيلة السيد ـ أبو الفضل . فبشره بمشيخة الأزهر . وحدد لذلك أياما قليلة كانت شهرين . . فكان ذلك بيانا للبشرى .

وعند انصراف فضيلته قال له سيدنا الشيخ : اتوصى بى بعد وفاتى ياشيخ أبو الفضل . . فتعجب الشيخ أبو الفضل . . وقال : ماتأويل ذلك ياعم . ؟ فقال له الشيخ : ستعلم تأويله بعد حين . .

وفى الميعاد المحدد بالطالع . نال الشيخ الجيزاوى مشيخة الأزهر بعد وفاة شيخه . فضيلة الشيخ البشرى . .

أما تأويل الوصية .

فذلك أنه عند وفاة سيدنا الشيخ رضى الله عنه ، فإنه قد تم دفنه فى مكانه الحالى قبل استحضار موافقة وزارة الصحة والتى اشترطت فى تثبيت الشيخ بمكانه إما أن يكون عالما ، أو فاعلا لخيرات كبيرة موقوف لها فيستحق ذلك التكريم؛ الأمر الذى يستلزم صدور شهادة من الأزهر بأن سيدنا الشيخ من العلماء . وعلم بذلك فضيلة الشيخ ـ أبو الفضل الجيزاوى . فجمع بعض رجال هيئة كبار العلماء وسألهم رأيهم فى سيدنا الشيخ . . فأجمعوا على أنه كان عالما راسخا فى العلم .. عارفا بربه . ووليا لله داعيا له . فقال لهم :أتشهدون بذلك كتابة ؟ قالوا : نعم . قال : وأنا أصدق على شهادتكم إجابة لرغبته فى حياته . . وأخبرهم بما كان من بشراه بالمشيخة . وقول سيدنا الشيخ له « اتوصى بى بعد وفاتى » .

وقال : وهذا تأويله الذى منعت فهمه إلى أن آن أوانه . .

(٨) ومن ذلك ماوقع مع شيخ معهد دسوق الدينى :

وكان سيدنا الشيخ رضوان الله عليه . يزور أتباعه بدسوق . فحضر شيخ معهدها الدينى فى رفقة من صحبه ، معتزا بمركزه ، مزهوا بنفسه ، لزيارة سيدنا الشيخ . أو بالأحرى لاستطلاع أحواله . فسلم عليه سلام المتعاظم وجلس ومن معه . ولم يعرهم الشيخ أى التفات . وأقبل على أحد الإخوان من الفقراء يوليه كل اهتمامه ويتحدث إليه طويلا . حتى بدا التبرم على شيخ المعهد من إهمال سيدنا الشيخ له . مع أنه قدم إليه مع التعريف بمركزه الدينى . وأخيرا التفت إليه سيدنا الشيخ معتذرا بأن الذى يتحدث إليه قد حضر خصيصا من الصعيد لزيارته ، وأنه لذلك يجب تحيته وإكرامه .

ثم بدأ شيخ المعهد يسأل سيدنا الشيخ فى إحدى المسائل الدينية ؛ فاذا به رضى الله عنه ، وقد تغير وجهه وأخذه حال شديد ، يرد بما فيه الكفاية والإقناع . ثم بدأ إمامنا الجليل يسأل بدوره شيخ المعهد سؤالا بعد آخر وهو صامت لايحير أى جواب . حتى أفحم تماما . . واشتد به الحرج أمام الزائرين. عندها أخذ شيخنا الذى علمه العليم مالم يكن يعلم ؛ يفيض من لدنياته الغيبية . ويجيب عن الأسئلة التى وجهها إلى شيخ المعهد سؤالا سؤالا . . ولما انتهى أسرع شيخ المعهد يلثم يدى سيدنا الشيخ مأخوذا مبهوتا من هذا العلم الوهبى الغزير ويسأله الدعوات . .

(٩) ومن ذلك ماوقع للشيخ ـ رضوان عثمان :

قال الشيخ ـ رضوان عثمان : إنه بعد أن تعودت اللقاء يوميا بسيدنا الشيخ لا أصبر عنه أبدا .. فوجدتنى أستقيل من عملى وألازم سيدنا الشيخ كخادم ، وانقطعت لتلك الخدمة والإقبال على العبادة . وتركت الدنيا وزينتها إلى ماهو عندى أجل . وألح على سيدنا الشيخ أن أرجع عن عزمى . فاستمحته العذر. فتركنى مع الإخوان . وعند ذلك جاء والدى ومعه نخبة من أعيان ومتعلمى الزقازيق ، ورجوا سيدنا الشيخ أن يسمح لى بالعودة للعمل وألتزم منزل والدى . فقال سيدنا الشيخ : خيروه فى ذلك . . فاخترت بقائى مع سيدنا الشيخ ورحبه الرحيب . فتألم والدى . وقال لى القاضى الشرعى — وكان ممن حضروا مع والدى : ماذا حصلت بوجودك مع الشيخ ؟ . فقلت : حصلت على الدرجات والعلوم اللدنية . . فتعجب ورد قائلا : إما أن تسألنى وإما أن أسألك ؟ — فقلت : اسأل ماتشاء ووجه سؤالك لسيدنا الشيخ وهو بدوره يوجه لى الإذن . . فسألنى أن أفسر سورة الإخلاص . . ففسرتها تفسيرا شغل كراسة بأكملها . وقدمتها له . فقال : إننى مؤمن بكل ماكتبت قبل قراءته ؛ حيث إنك قمت بكتابة هذا كله بدون كشط ولاتفكير ولاتوقف وبسرعة خاطفة . . فكفى ذلك من آيات . .

فقال له سيدناالشيخ : اقرأه لتحكم.. هل يحق له الوجود معنا أو الانصراف فقال القاضى الشرعى : سأقرأ مقدمة التفسير لئلا أضيع وقتا آنس بسيدنا

الشيخ ، وقرأها . ثم التفت إلى والدى وقال : ليت ولدى الذى فعل ذلك . . فهنيئا لك به . وأرى أن تتركه يخدم سيدنا الشيخ وفى ذلك شرف عظيم . .

وهنا تركنى والدى مقرا بوضعى الذى ارتضاه وأقره . .

(١٠) وواقعة أخرى مع الشيخ : رضوان عثمان :

قال لى الشيخ أحمد جاد ، من الإخوان : كنا بمنزلنا ومعنا الشيخ رضوان، وكنا على أهبة الغداء . وفجأة قام الشيخ رضوان يهرول نحو البـــاب ثم إلى الشارع حافيا مسرعا وهو يقول بصوت مرتفع : نعم ياعم . . ولايزال يجرى وأنا وبعض الإخوان نجرى وراءه إلى أن وصلنا منزل سيدنا الشيخ فقال له : هل سمعت النداء ؟ . فرد قائلا : نعم ياعم ، وحضرت مسرعا ملبيا النداء . فقال سيدنا الشيخ : هذين العالمين من مصر . وأريد منك أن تجيب عن أسئلتهم . فالتفت الشيخ رضوان إلى أولهما وقال له : أنت اسمك كذا ، وبلدك كذا ، وتعلمت القرآن بمكتب فلان . وجودته على يد فلان . والتحقت بالأزهر . ودرست على فلان . . وامتحنت بلجنة كذا — وأخبره بأسماء أعضاء اللجنة — ثم إنك سمعت عن سيدنا الشيخ واعترضت عليه وتكلمت فيه . . هذا وكنت تريد أن تسأل سيدنا الشيخ فى كذا وكذا ، متصورا أنه يمكنك فضحه . منكرا نعمة الله عليه . وسيدنا الشيخ يكره الكشف المكشوف ولا يؤاخذ بالنية . وجواب السؤال الأول الذى كنت تنويه كذا . ورد على السؤال الثانى بكذا . . ثم قال للعالم الثانى مثل ماقال للأول . وأجاب عن كل ماكان ينتويه من أسئلة فى صدره . .

وعند ذلك ذهل العالمان . .

وقالا : إن كل ماقررته حق . ولــكنك على مايبدو مجرد محطة استقبال. وإنك تقول مايدفعه الشيخ بسره إلى صدرك المنير .. فرد عليهما الشيخ رضوان: هذا حق لأن كل ماذكرته من مدد شيخنا . وتوجها بطلب العفو لسيدنا الشيخ وجعلا قبوله إعطاء العهد لهما علامة الرضا منه . . فكان . .

فسبحان من أعطى الشيخ . .

(١١) وواقعة أخرى مع بعض العلماء :

اتفق ثلاثة من العلماء — وكان أحدهم يعرف سيدنا الشيخ وكراماته أما الآخران فينكران هذه الكرامات — اتفقا على أن يقدمهما إلى سيدنا الشيخ العالم الذى يعرفه قائلين له : إننا سنظهر الشيخ أمامك بمظهر العاجز. فقال لهما : كيف ذلك ؟ . فقال أحدهما : سأطلب من الشيخ أن يأمر أحد أتباعه بتفسير الآية : (ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين) . وسيطلب زميلى بعدها تفسير سورة : (ألم نشرح لك صدرك .. الخ السورة) . وعند حدوث أى خطأ فى التفسير سنقف فى وسط السرادق ونتكلم بما يحلو لنا . واتفقوا وأقسموا أن يظل الأمر سراً ... وذهبوا إلى سيدنا الشيخ فبادرهم الشيخ قائلا : أهلا . أهلا برجال العلم .. أهلا برجال الدين . وفى الحال أمر سيدنا الشيخ أحد أتباعه بتفسير الآية الأولى . وقال لأحدهم لك أن تختار أى شخص فى السرادق للتفسير . فقام العالم واختار شخصاً .. فأمره سيدنا الشيخ بالتفسير .. ولقد استمر هذا الشخص فى التفسير حوالى ساعة.. فأذهل الجمع كله . وبعد انتهاء التفسير ، نظر سيدنا الشيخ إلى العالم الثانى قائلا :أيكفيك هذا ..؟ أم نأمر أحد أتباعنا بتفسير : (ألم نشرح لك صدرك .) . فذهلوا وطلبوا الصفح والعهد .. فتم لهم ما أرادوا ..

(١٢) وواقعة أخرى مع أحد العلماء :

أخبرنى من لا أشك فى صدق روايته من إخواننا ، أنه ذهب للزقازيق لزيارة شيخنا أبى خليل . رضى الله عنه . وهناك فاجأته الحمى . ولما حضر سيدنا الشيخ نهض متثاقلا ، يستند على أحد الإخوان . حتى انتهى إلى مجلس سيدنا الشيخ . فقبل يديه . وقال له . : إن شاء الله تسافر معنا إلى بلدة دعى سيدنا الشيخ لزيارتها — فرد رفيقه بأن صاحبنا مريض . فقال رضى الله عنه : لقد شفى .. فأحس صاحبنا بالمرض قد تسرب وانتهى عهده به .. ثم رافق صاحبنا ركب سيدنا الشيخ المبارك . وكان به السيد ـ رضوان عثمان . من كبار تلاميذ الشيخ الذين أمدهم وأفاض عليهم . فكان يفسر القرآن الكريم . ولما حل الركب الميمون بالبلدة توجهوا إلى السرادق المقام . وهناك

خف لاستقبالهم جمع حاشد بينهم أحد العلماء . وكان مكفوف البصر . فطلب تفسير آية من كتاب الله . وأمر الشيخ السيد ـ رضوان بتفسيرها .. ففسرها تفسيراً لدنيا لا يجارى فى علو عباراته ، ودقة معناه . فكان العالم بين مصدق ومكذب . فأمر الشيخ السيد ـ رضوان أن يفسر الآية مرة أخرى . . ففسرها بأسلوب جديد وفى ثوب رفيع من الإبداع . فسكت العالم بعد أن أفحمته هذه الآيات البينات ..

وبعد ذلك أحضر الداعون رجلا عربياً هو كبيرهم . وقد حملوه لأن الشلل أقعده عن الحركة — ووضعوه بين يدى سيدنا الشيخ وهم يستحلفونه بالله ورسوله عليه الصلاة والسلام أن يتوسل إلى الله تعالى فى شفائه .. فسأل سيدنا الشيخ : كم من الزمن مرض . ؟ فقالوا : كذا من السنين مرض .. فقال لهم سيدنا الشيخ : كلا ..بل كذا من السنين . فراجع بعضهم بعضاً ثم أقروا الشيخ على ما قال ..وعندها أعطاهم ورقة وقال : اذهبوا وبخروه بها على بركة الله والنبى ..

فحملوه وخرجوا .. وتوجه محدثى وبعض الإخوان لصلاة العصر فى المسجد وما كادوا ينتهون منها ويعودون أدراجهم إلى السرادق الذى به شيخنا الجليل وإذا بنساء الحى يخرجن وقد أطلقن الزغاريد والفرح يعم القرية بأسرها .. فقد شفى المريض . وعاد إلى السرادق ساعياً يمشى على قدميه . بعد أن تم له الشفاء .. وتوجه إلى الشيخ يقبل يديه ويدعو ويتبرك ..

عندها قال له سيدنا الشيخ : إذهب إلى فلان العالم الضرير . . فذهب إليه ، فأخذ يتحسسه وهو مذهول .. مأخوذ .. ولم يسعه إلا أن يسعى إلى سيدنا الشيخ ليسلك الطريق على يديه . .

(١٣) وواقعة أخرى مع أحد العلماء :

قال لى الشيخ ـ عليوه حسنين « من كفر نفرة . غربية » :

كنت مع الشيخ سالم محمد . الكاتب القضائى بالمحكمة الشرعية . الشيخ ـ محمود خضر . من الأعيان . وعلمنا بوجود سيدنا الشيخ ببلدتنا

وأنه ساعتها بالحفل العام للذكر . فتوجهنا إليه . فقال سيدنا الشيخ مخاطبا الشيخ سالم : أهلا بفضيلة القاضى . وقال للشيخ محمود : أهلا بخليفة البلد .. واستطرد قائلا لى : أهلا بمنشد الحضرة الغير مقيد بالإلهام لتكون على طبيعة قارئ المولد ساعة جد وساعة غزل . . ولتكون مشهورا ، وتحيى الليالى :

فتعجبنا لأقواله لأن هذه كانت أول مرة نرى سيدنا الشيخ ونقابله . فمن أين له ذلك . . ؟ ؟

وطلب الشيخ سالم تخميس بيت شعر . فقال سيدنا الشيخ : خمسه ياشيخ على واعلم أن اللام للصيرورة . . فدهش الشيخ سالم . حيث مظهر سيدنا الشيخ لايدل على هذه المعرفة . . ثم إننا وجدنا أنفسنا نطلب من حضرته أخذ العهد عليه .. خاصة بعد ظهور كثير من الآيات الخوارق بتلك الليلة .

وقد حدث مابشرنا به سيدنا الشيخ . . فتعين الشيخ سالم قاضيا شرعيا وأصبح الشيخ محمود خليفة ببلدتنا . وكنت أنا منشدها كما أخبرنا قبل أخذ العهـد . .

(١٤) ومن ذلك ماحدث لفضيلة الشيخ ـ على عمر :

قال المرحوم الشيخ على عمر . أحد علماء الأزهر ومن الإخوان : إنه جلس مع سيدنا الشيخ رضى الله عنه . وكان معه محفظة الدروس بداخلها دروس العلم التى يقوم بدرسها . فخطر له خاطر فى نفسه . هل سيدنا الشيخ يعلم هذه العلوم التى نتعلمها مثل : البلاغة والمنطق والنحو والصرف؟

فما تم هذا الخاطر فى نفسه حتى فتح سيدنا الشيخ عليه باب الأسئلة فى هذه العلوم نفسها . وما زال يسأله فيها حتى استغاث . .

وقام وقبل يده قائلا : لا . . لا . . ياعم أنا عارف . .

فضحك سيدنا الشيخ وصرف الموضوع إلى كلام آخر . .

(١٥) ومن ذلك ماحدث لفضيلة الشيخ ـ عبد البارى الشرقاوى :

قال فضيلة السيد ـ عبد البارى الشرقاوى : من علماء الأزهر :

وقع لى ذات مرة مع سيدنا الشيخ رضى الله عنه . أن ذهبت إليه وهو عصر فلما سلمت عليه واستقر بى المجلس قال لى : أين كنت . ؟ فقلت له : كنت درسى . قال : ومادرسك . ؟ فقلت : درس تفسير البيضاوى — أول سورة الأنعام . قال : اقعد . فجلست بين يديه . فصار يسألنى أسئلة كثيرة الآيات الثلاث الأولى . . فإذا الأسئلة التى سألها هى التى عندى فى الدرس : « لم قال فى الأول خلق .. وفى الثانى جعل .. ولماذا قال : الظلمات والنور » . يعنى الجمع والإفراد : حتى إذا وصلت إلى قوله تعالى : (تكسبون) قال : من خير وشر وهى كلمة التفسير نفسها . .

(١٦) ومن ذلك ماوقع لفضيلة الشيخ ـ سيد عامر .

سمعنا فضيلة الشيخ سيد عامر يقول :

كنت فى زيارة سيدنا الشيخ بالزقازيق مع مجموعة من كبار العلماء ووجهاء جهاتنا . فجلست حيث كنت بركن الغرفة لعلمى بدرجتى . ثم ورد فى خاطرى أننى لو كنت عالما أو عظيما ، لـكنت إلى مجلس سيدنا الشيخ أقرب . وقلت فى نفسى : إن سيدنا الشيخ مهتم بهم لقدرهم .

وعلى الفور وجدت سيدنا الشيخ يقول لى : لماذا أنت مبتعد ياشيخ سيد ؟ .. تعال هنا . . وتحدث معى سائلا عن أحوال عائلتى فردا فردا .. وسأل عن والدى المريض .. فقلت له : لقد أحضرناه من مستشفى هرمل بمنوف . ولا تزال حالته خطيرة . فقال لى : إدهنه عسل . قلت : مرة . قال : مرتين . . فقلت : يوما . . فقال : يومين . .

وعند هذا الحد من الحديث أخذنى الأخ « محمد بك الفقى » من بين يدى سيدنا الشيخ قائلا لى : كان يكفيك أول كلمة من سيدنا الشيخ كعادته مع الإخوان . .

ولـكننى كنت حديث عهد بالطريق . وعند رجوعى إلى بلدى دهنت والدى بالعسل . . وكان ينادى على قائلا : والله يابنى لو لمستنى بأصبعك عسل ولم تراجع سيدنا الشيخ لـكنت شفيت من أول لمسة .

وقد ذكر الشيخ سيد عامر — أنه عند قيامه من بين يدى سيدنا الشيخ تقدم إليه أحد العلماء وقال : ياعم أنا مريض « بروماتيزم حاد » . وعملت مايمكن عمله على الرغم من أننى فقير ومحتاج لما أصرفه فى العلاج . . وأرجو أن يدعو لى سيدنا الشيخ ، أو يصف لى شيئا يكون فيه شفائى . . فقال له سيدنا الشيخ : كل ربطة فجل تشفى بإذن الله . قال : ربطة واحدة . فقال له : اثنين . فقال : اثنين : فقال له سيدنا الشيخ : ثلاثة . . فقال : ثلاثة ياعم . . فرد عليه سيدناالشيخ : تشفى على « حق عنبر » بجنيه ونصف . . وهنا جذبه « محمد بك الفقى » قائلا له : هل معك جنيه ونصف ؟ . فقال : لا والله . فقال له : إن سيدنا الشيخ سمع منك ووصف لك مالا يكلفك شيئا وأنت كبنى إسرائيل . . شددت فشدد الله عليك . وأعطاه المبلغ بعد إبعاده عن سيدنا الشيخ . . وهو يضحك . .

(١٧) ومن ذلك ماحدث للسيد ـ محمد أمين عليوه :

وكان السيد ـ محمد أمين عليوه .. من النجوم اللامعة فى الطريقة الخليلية.. وكان صهرا لوالدى رضى الله عنه . وكان يعمل مدرسا بالحكومة . وحين حلت الأجازة الصيفية — وكان شهر رمضان يقع أثناءها — أرسل والدى يستدعيه وزوجته لقضاء شهر الصيام لديه بالزقازيق . فلبى السيد ـ محمد أمين عليوه الدعوة، وحضر مع زوجته « السيدة ـ أختى » ونزلا فى ضيافته . وكان الزوار لاينقطعون عن التردد على شيخهم العظيم . حيث يجدون كل ترحيب . وحيث موائد الطعام لا تنقطع .

فأخذت الشفقة بقلب السيد ـ محمد أمين . وقدر أنه لو أمضى أجازته بعيدا عن منزل والدى . لما أنفق أقل من عشرة جنيهات . وحدثته نفسه أن يقدمها لوالدى على سبيل المساعدة . . ولم يخبر أحدا .

وفى الصباح نزل إلى حيث يجلس والدى يستقبل زواره . وبينما هو كذلك ، حضر أحد التجار يعرض على والدى شراء كمية كبيرة من الفول . فوافق رضى الله عنه على شرائها ، ودفع للبائع عربونا بعد أن اطلع على

العينة . وعندئذ أراد التاجر أن ينصرف بعد أن تمت الصفقة وحدد موعد التسليم ، فقال له أستاذنا الخليل : لاداعى للتعجل فى الانصراف ، ونحن فى رمضان، فابق قليلا معنا. فوافق . ولم تمض إلا دقائق حتى حضر أحد أتباع والدى من مديرية الدقهلية باحثا عن كمية من الفول للدائرة التى يشتغل بها . فقال له والدى: إن طلبك موجود ، وأراه العينة . وتفاوضا على السعر . وإذا بأخينا يعرض ربحا فى الأردب كبيرا . . فوافق والدى وتسلم ربحه الحلال من الصفقة ويبلغ حوالى مائة جنيه أو أكثر . . وعندها التفت إلى السيد ـ محمد أمين وقال له :

أليس هذا المبلغ أفضل من العشرة جنيهات . . ؟ . فأكب على يديه يقبلها ويعتذر . فقال له والدى : يابنى لاتهتم بأمرى ومعيشتى . . فقد عودنى الله سبحانه وتعالى أن يرزقنى بما فيه كفايتى وكفاية أهلى وزوارى وأنه لن يخلف ماوعدنى كرما منه وفضلا . .

(١٨) ومن ذلك ماوقع مع فضيلة الشيخ ـ محمد البكرى :

كان بعض الإخوان يزور سيدنا الشيخ بمنزله بكفر النحال فى أحد أيام العيد وكان من بينهم فضيلة الشيخ محمد البكرى من علماء سمنود . وبعد قليل. التفت والدى إليه وقال له : ماذا تقول لمن يقول عظم الله أجرك ؟ فأجابه : أقول له : شكر الله سعيك .

وبعد قليل وصلت إلى الشيخ محمد البكرى برقية بوفاة والدته . . وتحقق ماتحدث والدى به إليه . .

(١٩) ومن ذلك ماوقع مع الشيخ ـ رجب .. من العلماء :

كان الأخ المرحوم الشيخ رجب من علماء الأزهر . قد مكث فترة دون أن يجد وظيفة . وكان فى عسر شديد لم يمنعه من السفر إلى الإسكندرية لزيارة والدى هناك . بعد أن ألح عليه أحد الإخوان فى دفع أجرة السفر ؛ وقد انتهز الفرصة فتوجه لزيارة سيدى أبى العباس المرسى . وهناك شكا إليه ماهو فيه من عسر وأنه لايملك شيئا البته . ثم عاد إلى المنزل الذى به والدى ؛؛

رضى الله عنه. وبعد أن تفرق الموجودون ولم يبق سوى سيدنا الشيخ والشيخ رجب ؛ عرض عليه والدى بعض المال . فاعتذر الشيخ رجب بأن عنده مايكفى . . وتكرر العرض والاعتذار . . فالتفت إليه والدى قائلا له :

ولماذا إذن كانت شكواك لأبى العباس المرسى . . ؟

فأخذ الشيخ رجب مانفحه به والدى من المال . . بعد أن اعتذر . . وكانت هذه المنحة فاتحة خير وبركة . حيث توظف بعدها إماما وخطيبا بأحد مساجد الأوقاف . .

❋ ❋ ❋

الباب الثانى ـ المكاشفات

الكشف القلبى

(١) قال لى السيد ـ عبد السلام الحلوانى :

ترامت إلى أخبار السيد ـ رضوان عثمان أحد خلفاء سيدنا الشيخ عند وجوده بجهاتنا وذكر لى ماعليه من فتح ومايفتح الله به عليه من جمع الناس عليه وانكبابهم على أخذ العهد الخليلى منه . وما يظهر عليه من نور وولاية وماحصل منه من خوارق العادات . وقد علمت أنه يأمر معهود به بالسفر إلى الزقازيق لتجديد العهد على شيخه . والتعرف به والتماس بركته . ووجدت أن من سافر إلى الزقازيق رجع مذهولا من حال الشيخ . وعلم أنه الأصل والممد . وأن السيد ـ رضوان نبع من فيضه . ونفحة من بعض سره . وقطرة من محيطه . وعلمت أن إخوتى : السيد ـ عبد الرءوف ، والسيد ـ محمود ، والسيد ـ عبد العليم قد أخذوا العهد الخليلى .

وعند لقائى بهم وجدتهم يذوبون حبا فى سيدنا الشيخ . ولا تفتر ألسنتهم عن ذكر علمه وفضله وولايته وأقواله وأعماله وحاله . . وآيات الله ونعمه عليه . . وتأييد الله له بخوارق العادات ، ووجدتهم لايدخرون وسعا فى الدعوة إلى طريقه فى بذل من الروح والمال والوقت بسخاء نفس وعن طيب خاطر مندفعين وراء حبهم للشيخ. ووجدتهم يذكرون الله كثيرا ويستغفرونه ويصلون على سيدنا الرسول عليه الصلاة والسلام بكثرة لم يعهد لها مثيل . ولمست منهم انشراح الصدر ، ورأيت عليهم نور المتابعة له . وفيهم فيض الفتح ظاهر . وعجبت من سرعة انقياد الناس إليهم . فعلمت أن شيخهم عظيم المدد . نافذ السر . مؤيد برضا الله تعالى . وعندما شرف سيدنا الشيخ رضى الله عنه منزل أخوى السيد ـ عبد الرءوف والسيد ـ محمود ، دعيت فأجبت . وقررت فى نفسى ألا آخذ العهد عليه قبل حدوث أمرين :

أولهما : أن يأمرنى والدى برؤيا صريحة ...

وثانيهما: أن أجد الشيخ من أرباب القلوب .. « أى يجيب على الخواطر القلبية » .. وهذا ميزان الأولياء كما نعلم . .

وعند مثولى بين يدى الشيخ .. رحب بى كثيرا . واحتفى بمقدمى .وضاعف فى إكرامى . وصرت مغتبطا بلقائه الذى يشيع فى نفسى أنسا عظيما كلما عزمت على أخذ العهد منه . فإذا رأيت التمهل والتريث.. رأيته فى هيئة أسد .. فاغراً فاه ليبتلعنى . حتى إذا رجعت عن خاطرى فى تأخير أخذ العهد ، عاد إلى شكله الطبيعى . .

ثم قام سيدنا الشيخ ليقضى حاجة . بعد أن خلع العباءة والشال . فكتبت له خطابا يفيد أنى حضرت لزيارته والتبرك به والتماس رضاه ودعاه . . فحصل ما يعرفه من تقلب الأحوال على وتقلب حاله معى كما يعلم ذلك وحده دون الحاضرين فلذلك سأسافر مع رجاء قبول عذرى . وأن أسافر مرضيا عنى مغفوراً لى تقصيرى ، وألقيت الخطاب على عباءته .. وهممت بالقيام. فوجدته أمامى . ثم التقط الورقة واحتفظ بها فى يده إلى أن لبس ملابسه وجلس . فجلست . ثم نظر فى الورقة من الجهة الخالية من الكتابة . وجعل الكتابة من الواجهة الأخرى .. وأخذ فى قراءة خطابى بصوت مرتفع . سمعه كل الحضور . وقد هالنى ذلك .. فإنى أعلم أن الشيخ أمى .. لا يقرأ ولا يكتب.. فضلا على أن الكتابة كانت عند قراءته بظهر الورقة . وزاد هى إصرارى على أن يأذنى والدى مناما بأخذ العهد فنهضت مستأذنا . فقال لى سيدنا الشيخ : أنت معنا الليلة .. وأصر على بقائى .. فخضعت لأمره .

وانتهت السهرة قبل الفجر بقليل . وقام سيدنا الشيخ للراحة . وقمت للراحة ، فمالبثت أن نمت لطول السهر .. ثم رأيت والدى فى الرؤيا يقول لى: خذ العهد من الشيخ لتنتفع ..

وصحوت فجأة .. فوجدت أنى لم أنم أكثر من ثلث ساعة .. وتنبهت مسرورا .. فوجدت سيدنا الشيخ يتأهب لصلاة الفجر . وأخى السيد عبد عبد الرءوف يقوم على خدمته . فناديته وأخبرته بما رأيت .. فكاد يطير فرحا . وقال لى : توضأ بما بقى معى من ماء .

ثم ذهبنا معا إلى غرفة سيدنا الشيخ . فما أن وقع بصره على حتى قال : تعالى خذ العهد لتنتفع كما رأيت . .

فتقدمت إليه مذهولا مسرورا بكشفه المكشوف .. وأخذت عليه العهد وبشرنى بما شرح صدرى من خيرى الدنيا والآخرة . وهاهى الأيام تحقق مابشرنى به . . فرضى الله عنه وأرضاه ..

(٢) ومن ذلك ماوقع للسيد ـ محمود الحلوانى :

جال بخاطرى .. هل سيدنا الشيخ رضى الله عنه ، لم يعص الله منذ طفولته كبعض الأولياء . ؟ . أم هو محفوظ من الصغر كالبعض الآخر . . ؟

فتوجهت إلى سيدنا الشيخ وسألته : هل يعصى الولى . ؟ — فقال : وكان أمر الله قدرا مقدورا . غير أن الولى يلهمه الله استغفاره على الفور . ويغفرله.. وإن كنت تعنى عملك ياشيخ محمود فإنى والله لاأتذكر صغيرة فعلتها أبدا فضلا عن الكبيرة .

وكذلك خطر ببالى أنى قد جفوت المرحوم والدى بعدم قراءتى شيئا من القرآن ودعائى له لانشغالى بحب سيدنا الشيخ . واستيلاء حبه على قلبى . وظننت غضب والدى على لذلك . وفى الحال ، وجدت سيدنا الشيخ يستدعينى ثم يقول لى : ياسيد محمود . كلما أحببتنى أكثر . يحبك والدك . فطمئن قلبك ولا تظن ماظننت .

فكان هذا القول مزيلا لما أحزننى به ذلك الخاطر . .

(٣) وقال لى السيد ـ محمد أمين عليوه . وفضيلة الشيخ أحمد المسيرى : إن شيخنا قال : اختليت فى سياحة جذبى ماية وسبعة عشر يوما بمسجد مدينة جدة لا يخطر على بالى أكل ولا شرب ولا نوم . فكنت أذكر الله تعالى نهارا كالآتى :

١ — خمسة عشر ألف مرة : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له . له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير » .

٢ — ومثل ذلك العدد : « صيغة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم صل على سيدنا محمد عدد مافى علم الله صلاة دائمة بدوام ملك الله » .

٣ — ومثل ذلك العدد : « ياحى ياقيوم لا إله إلا أنت » .

٤ — ومثل ذلك العدد : « سورة الـــكوثر » .

٥ — ومثل ذلك العدد : « لا إله إلا الله الملك الحق المبين سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين » .

أما بالنسبة للذكر ليلا :

فإنى كنت أذكر الأسماء « المعروفة لنا فى الطريق حاليا » . طول الليل .

واستطرد سيدنا الشيخ قائلا : فى نهاية مدة المائة وسبعة عشريوماً تذكرت الطعام فوجدت بجانبي رغيفا وطبقا به عدس مخلوط بالأرز . فأكلت . واعتبرت أن هذا إذن لى بالخروج . . .

وتابع السيد ـ محمد أبو أمين حديثه قائلا :

فلما سمعت ذلك من شيخنا رضى الله عنه . تعجبت كثيرا . ووقعت فى خاطر شديد . مع تأكدى من صدق شيخنا . وقد لاحظ شيخنا رضى الله عنه على هذا الخاطر القلبي الذى طردته فورا . فحدث لى بعد ذلك الخاطر أنى لم أنم سبعة أيام متوالية بلياليها .. ولم أغفل بسنة من نوم .. فأكثرت من الطعام .. خاصة مايجلب النعاس، كالبصل والثوم والأطعمة الثقيلة .. فلم أنم أبدا ..

وأخيرا شكوت له رضى الله عنه هذه الحالة . فقال لى : ستنام الليلة إن شاء الله . فحصل ذلك بإذن الله تعالى وسماحه لى ذلك الخاطر ..

فلم يحدث من بعدها بحمد الله أى خاطر فى اتجاه شيخنا رضى الله عنه ..

(٤) ومن ذلك ماوقع للشيخ ـ عبد العزيز حسنين :

سمعت الشيخ عبد العزيز حسنين صهرنا يقول :

عند أول خدمتى لسيدنا الشيخ شككنى الشيطان فى ولايته . فقررت فى

نفسى أن أختبئ صباحا فى « البنك » الذى يفصل الدكان عن الشارع ، فإذا حضر سيدنا الشيخ صباحا كعادته ونادانى لا أرد عليه إلا إذا علم أننى مختبىء بالبنك وكاشفنى بذلك — وفعلا .. نفذت الفكرة واختبأت بداخل البنك . .

وفى الصباح أرسل سيدنا الشيخ إحدى كريماته الصغيرات تقول :

ياعبدالعزيز .. والدى يقول لك اخرج من البنك . وهو لن ينزل من البيت اليوم إكراما لفعلتك .. لأنه لا يريد أن يراك ...

فخرجت مذهولا .. وهربت منه ثلاثة أيام . إلى أن أرسل فى طلبى فحضرت إليه وأنا متحقق من ولايته ..

(٥) ومن ذلك ماوقع للسيد ـ محمد فهيم :

وحصل من السيد ـ محمد فهيم . الخبير بالزقازيق .. وهو من مريدى الشيخ الأولين . حصل أن قال لوالدى : أريد أن أرى قطب الوقت ؛ حيث لى مسألة وأرغب سؤاله فيها .. فقال له والدى : إن القطب يوجد بعد صلاة العصر بجوار منبر مسجد مولانا الإمام الحسين بمصر ...

فتوجه السيد ـ محمد فهيم إلى المـــكان المحدد . وفى الزمان المعلوم وتأكد من تواجد القطب وقابله . وعند ذلك أخذه حصربول شديد . فقال للقطب : أستأذنك قبل الـــكلام بأن أتوجه لفك حصرى بالبول لضرورة ذلك .. فقال له القطب : لامانع واترك عندى البالطو إلى أن تحضر . فرد عليه بالشكر . ولـــا ذهب إلى آخر المسجد انتهى إحساسه بالحصر . فرجع سريعا إلى القطب .. فلم يجده .. فرجع يشكو ذلك لسيدنا الشيخ دون أن يذكر مسألة البالطو .. وطلب تكرار المقابلة .. فقال له والدى : كيف أنك لم تأمنه على البالطو .؟ وتريد منه أن يأتمنك على أسرار الله تعالى ... ؟

فوقع فى قلبه أنه لاشك أنه المذنب .. واعتذر ...

(٦) ومن ذلك ماحدث للسيد ـ محمد فهيم أيضا :

قال السيد ـ محمد فهيم : إنه فى أول أمره بالطريق داخله الشيطان بخاطر

خطير . وهو « أنه ربما أن الشيخ تعلم العلوم الروحانية فيشفى بذلك المرضى أو ربما له خادم من الجن يخبره بأحوال ويعينه على الحاجات » . . وكان ذلك من أثر سماع قول بعض من يجهل ولاية الشيخ وقدره من حاسديه . وقال فى نفسه عندما أحضر عند سيدنا الشيخ كعادتى يوميا أسأله بقلبى . فأقول فى نفسى : إن كان حقا وليا، صلى على النبى على مسمع منى : ؟

فلم يفعل ذلك إلى مدة سبعة أيام ...

وفى اليوم السابع صادف أن قال أحد الإخوان السذج لسيدنا الشيخ : هل أنت ولى ياعم . ؟

فرد عليه قائلا : لا .. لو كنت وليا لصليت على النبى كما يريد ذلك فهيم أفندى ويصر عليه سبعة أيام مضت ...

هنا انكشف ذلك الخاطر من السيد ـ محمد فهيم . وطلب من والدى العفو وكان الجواب لطيفا مرضيا ...

* * *

الكشف العـــام

(١) من ذلك :

دعا أحد المريدين سيدنا الشيخ لزيارته بمنزله بالزقازيق . . فلبى الدعوة .. وهناك اشتكت شقيقة ذلك المريد — وكان موظفاً بالحكومة — من كثرة تكاليف أخيها مع قلة مرتبه . فقال والدى ، رضى الله عنه : ربطنا له مبلغ كذا . . وهو يزيد على مرتبه بمقدار غير معقول . . فظن هذا الأخ وآل منزله أنها بشرى تقبلوها على هذا الأساس . . ولكن لم يمض أكثر من أسبوعين حتى صدر الأمر بنقل هذا الموظف وترقيته الى وظيفة أخرى مرتبها كما أخبر والدى تماماً من غير نقص أو زيادة . .

(٢) ومن ذلك ما حدث :

بعد أن ذاع أمر الكرامة السالفة واشتهرت بين الإخوان . . تقدم أحدهم لوالدى رضى الله عنه .. وكان موظفاً أيضاً . يطلب دعاءه لتحسين حاله . . فما كان من والدى إلا أن أجاب : ربطنا لك ثلاثين قرشاً شهرياً . . فتعجب صاحبنا ولم يفهم ما يرمى إليه والدى تماماً . . ولم يمض غير القليل ، وإذا به يطلب للتجنيد ويعطى له فى الشهر ثلاثون قرشاً . . كما كان مقرراً للمجند فى ذلك الوقت . .

وأقول فعل ذلك والدى حيث القضاء المبرم ، لاتنفع فيه شفاعة نبى ولا ولى بل تنفع فى القضاء المعلق على سبب. وهنا تكون شفاعة المتشفع سبباً للطف . (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) .

وتنبه إلى قول المتشفع : « اللهم إنى لا أسألك رد القضاء ، بل أسألك اللطف فيه » .

(٣) ومن ذلك ما وقع :

حدث أن ذهب والدى رضى الله عنه إلى ناحية المعصرة بالقرب من حلوان لزيارة مأذون القرية الشيخ ـ محمود ، أحد أتباعه ، وكان يمتلك معدية لها مرساة ينزل عليها الناس والدواب . . وقد أنفق على صنعها مبلغاً

كبيراً من المال فسطا اللصوص على المرساة ونقلوها إلى مكان آخر ووضعوا فوقها الأحجار الثقيلة حتى استقرت فى قاع النهر . فشكا الشيخ ـ محمود إلى سيدنا الشيخ ما نزل به ، فطيب خاطره ، وعين له المكان الذى رست فيه المرساة تعييناً دقيقاً . . فذهب ووجد المرساة كما عينها والدى ، فانتشلها . . وذاع الأمر بين أهل القرية وسلك منهم الطريق الكثير من أهلها على يدى والدى . . رضى الله عنه .

(٤) ومن ذلك ما وقع للسيد ـ محمد العتر :

كان السيد ـ محمد العتر ، بعد أن سلك الطريقة الخليلية ، قد هام هياماً شديداً فى محبة والدى رضى الله عنه ، حتى ترك والده وأهله . . وأقام عنده بالزقازيق منقطعاً لخدمته . وبذل والده كل جهده حتى يرجع إليه فلم يفلح فى ذلك . . وأخيراً ذهب إلى والدى بنفسه ، يطلب استعادة ابنه . فأجابه والدى بأنه لم يطلبه للمكوث عنده ، ولكنه أتى إليه من تلقاء نفسه . ثم عدد والدى لذلك الوالد موقفه من الشيخ ، وكيف أنه سمح لنفسه بالكلام فى حقه ، وذكر له الأماكن التى تكلم فيها ، والأشخاص الذين تحدث إليهم عنه ، والكلام الذى صدر منه سراً لهؤلاء الناس، حتى استولت الدهشة عليه

..ولم يسعه إلا أن يعتذر عما بدر منه سراً، ويطلب السماح والعفو من والدى .. ثم أخذ العهد وترك نجله فى خدمته . .

هذا وقد اتفق والدى رضى الله عنه مع الوالد المذكور على أن يعطى له قرشاً صاغاً كل شهر أجرة ولده . . فكان ذلك فاتحة خير وبركة . . حيث أبدل الله عسر صاحبنا يسراً . . وأخذ أجره أضعافاً مضاعفة . . وانتهت أزماته ، وتفتحت له أبواب الرزق بعد طول الضيق . .

(٥) وكان والدى رضى الله عنه فى السياحة . . وعند عودته من بلدة سلامون القماش ، وجد بائع برتقال ، فأقبل عليه الإخوان يشترون منه ويقدمون اليسير منه لأستاذهم الجليل ، ويوزعون على بقية الإخوان . . ثم اختلفوا فى عدد ما اشتروه من البرتقال. فمن قائل إن العدد خمسون ، إلى آخر

يقول إنه دون ذلك ، وثالث يقول إنه ستون . . وإذابه رضى الله عنه يؤكد لهم أن البائع لم يكن معه إلا خمساً وثلاثين برتقالة . . مع أنه كان بعيداً عنه ولم يشهد عملية البيع . .

فلم يسع البائع إلا أن يقسم أن ما قاله والدى هو بالضبط ما كان معه .

(٦) ومن ذلك ما وقع للسيد ـ أحمد صالح إمام :

أخبرنى السيد ـ أحمد صالح إمام ، من إخواننا فى الله ، وهو من أعيان وتجار القاهرة ، نقلا عن أحد كبار موظفى وزارة الداخلية الذى أخبره أنه كان مرة يزور والدى ومعه بعض الموظفين . وأثناء جلوسهم معه التفت سيدنا الشيخ إليه وقال له ما معناه .. « إن شاءالله ستقدم لنا خدمة عظيمة .. » فتعجب الرجل من ذلك ، وهو إنما جاء مع صحبه لالتماس بركة الشيخ .

ومضت الأيام وانتقل والدى إلى جوار ربه . ودفن فى مثواه الحالى المبارك دون تصريح من الجهات المختصة وقبل أن يبنى المسجد . وكان مفتش الصحة المسيحى يقيم العقبات حتى ينقل والدى إلى المقابر العامة . وبعد تحريات طويلة عرضت الأوراق على الداخلية ، وكان صاحبنا قد رقى وأصبح هو الموكول إليه بحث هذه المسائل ، قبل أن تعرض على وكيل الوزارة.

فلما قرأ الأوراق تذكر حديث والدى إليه من سنين . فعمل على أن يبقى الشيخ فى مقبرته ، ووافقت الوزارة على ذلك بدون وجود الوزير المتوقف عن التصريح . وكانت شهادة العلماء مهمة فى تقرير ذلك .

(٧) ومن ذلك ما وقع مع السيد ـ عبد السلام الحلوانى .

ذهب السيد ـ عبد السلام الحلوانى لزيارة والدى ، ثم مكث فى ضيافته ثلاثة أيام .. وأراد الاستئذان . فقال له .. رضى الله عنه : ولماذا تتعجل ؟ فقال : للاطمئنان على المنزل ومن فيه . فأخبره والدى بما فى المنزل وما يجرى فيه . فلما رجع وسأل . وجد أن الأمر كما أخبره والدى تماماً ...

(٨) ومن ذلك ما وقع مع الأستاذ ـ عبد المقصود أحمد :

أخبرنى الأستاذ المرحوم ـ عبد المقصود أحمد — باشكاتب مديرية الجيزة

(سابقاً) أنه كان موظفاً صغيراً بمديرية الشرقية ، وكان يتردد على والدى رضى الله عنه .. ثم نقل إلى مديرية أخرى ، فتوجه لزيارته وطلب الدعاء منه قبل سفره . وحين هم بالانصراف قال له والدى : مع السلامة ياحضرة الباشكاتب .. فعجب من ذلك وهو يعلم من كثرة تردده على والدى أنه لا يجامل أو يقول ما قاله على سبيل التعظيم . وكان الوصول إلى وظيفة الباشكاتب فى حكم المستحيل . وكان إذ ذاك وقفاً على المسيحيين خاصة .

ومرت السنون وتغيرت الأوضاع . ولم يترك صاحبنا الحكومة إلا وقد رقى إلى وظيفة باشكاتب مديرية ، كما أخبره والدى وبشره قبل ذلك بسنين طويلة .

(٩) ومن ذلك ما وقع مع إحدى السيدات التركيات .

دعت سيدنا الشيخ إحدى السيدات التركيات — وكانت من أرباب الثراء الطائل والجاه العظيم — تلتمس الشفاء ببركته من مرضها . وكان لها وكيل تركى يتولى الترجمة بينهما . وكان سيىء الظن بسيدنا الشيخ ، ويظن أنه من طلاب المال ، فأخذ يطعن فى الشيخ ويحرف كلامه عند ترجمته الكلام إلى اللغة التركية لسيدته ؛ فإذا بوالدى يتغير ويؤنب ذلك الوكيل باللغة التركية..

وأقبل والدى يتحدث مع السيدة باللغة التركية مباشرة .. ثم طلب كوباً من الماء وقرأ عليه وأعطاه للسيدة ، فأحست بالتحسن وتم لها الشفاء . وعرضت على شيخنا مالا وفيراً .. فرفضه رفضاً باتاً ..

(١٠) ومن ذلك ما وقع مع السيد ـ مصطفى الرجلاتى :

ذهب الأخ فى الله السيد ـ مصطفى الرجلاتى مع نفر من الإخوان لزيارة والدى رضى الله عنه بالزقازيق فى أحد الأعياد . وكانت هذه هى المرة الأولى التى يرى السيد ـ مصطفى والدى ، وكانت نفسه تحدثه والشك يملؤها بأن الشيخ لا يعرفه .

ولما جلس الجميع فى حضرة سيدنا الشيخ ، أخذ يحييهم ويبتسم بصفة خاصة لأخينا السيد ـ مصطفى . إلى أن استأذنوا للسفر وأقبل صاحبنا ليقبل

يد والدى الذى خاطبه قائلا : كل عام وأنتم بخير يا مصطفى أفندى .. نحن نعرف أولادنا قبل دخولهم الطريق ...

(١١) ومن ذلك ما وقع للسيد ـ محمود الحلوانى :

قال لى السيد ـ محمود الحلوانى : عند زيارة سيدنا الشيخ لطنطا قال لى : ما أكثر ضيوفك وزوارك . فمن أين تصرف عليهم ؟ . فقلت : مرتبى وما أتصرف فيه من بيع أملاكى . فقال رضى الله عنه : نأخذ لك إجارة أرض تكسب منها أربعمائة جنيه فى السنة تكمل بها مصاريفك .. فقلت : أمرك يا عم .

وبعد قليل حضر الشيخ ـ إبراهيم شلبى وقال لسيدنا الشيخ : أريد مشاركتك يا عم على إجارة عزبة تبركاً بشركتك . فقال له : شارك السيد ـ محمود الحلوانى . فاشتركت معه فى الإجارة . وكانت تربح ثمانمائة جنيـــه سنوياً لكل منا النصف ، وذلك لمدة ثلاث سنوات كما أمر بذلك سيدنا الشيخ إذ كان قوله لى : إنه يلزمك ذلك لمدة ثلاث سنوات بعدها لن تحتاج لأكثر من مرتبك ..

وقد حدث أنه عند انتهاء مدة الإجارة تم نقلى إلى الإسكندرية .. وبذلك النقل بعدت عن البلاد التى يحضر إخوانها طنطا لزيارتى .

وأما فى الإسكندرية فكان السيد ـ عبد السلام هو الذى يقوم بواجب الضيافة للإخوان . وبذلك تحقق قول سيدنا الشيخ رضى الله عنه ، من أنه لا يلزمنى ذلك ، أكثر من ثلاث سنوات . واستأذنت أخى السيد ـ عبدالسلام فى قبوله المساهمة . فلم يرد رجائى قائلا : مما زاد عن صرفك .. فشكرت له جميله ...

(١٢) ومن ذلك ما وقع للأخ محمد زكى :

كنت موجوداً بالمضيفة عندما أمر سيدنا الشيخ لكل زائر من الإخوان بهدية من ملابسه ، وبقى الأخ محمد زكى ، فقال : يا عم وهديتى ؟. فقال له :

سأحضرها لك . وأمرنى أن أحضر بعض أعواد الذرة الجافة . فأحضرتها له . فصنع منها عصاة بيد مقوسة وقال : هذه أثمن هدية يا زكى ..

فتعجب الحاضرون . . وسرى فى المجلس روح الأنس .. وكل يهنئ الأخ زكى بلغة الممازحة . فقال سيدنا الشيخ .

يا زكى هذه العصا ستطرد وزيراً يأتيك ويظلمك . ولا تطرده من الوزارة فحسب بل ستطرده إلى خارج البلاد ...

وفعلا أتى ذلك الوزير بعد فترة وضايق الأخ زكى .. ثم اختلف مع رئيس الوزراء فى ذلك الحين ، فاستقال وفضل العيش فى فرنسا إلى أن وافاه أجله المحتوم . وكانت آية عجيبة تحققت بعد أن انتقل والدى إلى جوار ربه بزمن ..

(١٣) وذهب الأخ محمد زكى لزيارة الأخ ـ عبد العزيز الغوابى، المدرس بمعهد زراعة شبين الكوم ، حيث كانا على موعد لزيارة سيدنا الشيخ . فقدم له السيد ـ عبد العزيز الغداء « ديك رومى » وبعد الأكل طلب الأخ زكى بصله وملح .. فأحضرها له السيد ، عبد العزيز ظناً منه أن الأخ زكى نفسه بها جزع من تناول الطعام الدسم وأنه يعدل مزاجه بهذا الطلب .

ثم سافرا معاً إلى الزقازيق . وعند رؤية والدى للأخ زكى قال له :

ماذا أكلت عند عبد العزيز بك يا زكى . ؟ فأجاب قائلا : بصلة وملح ، حتى اسأله يا عم .. فقال له : وديك رومى لأ .. ؟

ثم نظر إلى السيد ـ عبد العزيز ضاحكاً وقال له : ضحك عليك القصير يا بنى .. تانى مرة خد بالك من مكر زكى محافظة على سمعة الطوال ...

(١٤) وقد حدث مرة فى حضورى أن قال الأخ ـ محمد زكى .. وأنا أسمع :

أردت أن ألتقط صورة فوتوغرافية خلسة لسيدنا الشيخ لعلمى أنه لايسمح لأحد بتصويره . فالتقطتها عند زيارته رضى الله عنه لنا بمنزلنا ، ولكن لم يظهر بها سوى ملابسه . . فاستعنت بمن له دلال على سيدنا الشيخ أن يجعله يأمرنى

بالتقاط صورة له فوق السطح.. والتقطت جملة صور احتياطاً . ولكن للأسف الشديد لم تظهر سوى ملابسه بكل الصور .

وعندما أعلمناه رضى الله عنه بذلك ؛ طلبها للرؤية ، ثم قال عند رؤيتها : سبحان الله وبحمده .. ألم أقل لكم إنى لا تظهر صورتى .. ؟ وصار يمزح قائلا : ياخسارة تعبك يا زكى .. ومرة يقول : أصلك لا تعرف التصوير أو نسيته . . وأنا فى خجل وأسف حيث كنت أرجو أن تكون تذكاراً قيماً وعملا عظيماً يشكرنى عليه الإخوان ويدعون لى ويحبوننى ، خاصة من سيلتحق بالطريق بعد انتقال سيدنا الشيخ . .

ثم يقول : وياليته سمح ...

(١٥) ومن ذلك ما وقع أيضاً للسيد ـ محمد زكى :

كنا نجلس مع بعض الإخوان ومن بينهم السيد ـ محمد زكى الذى قال :

كنت أعمل كاتباً بوزارة الزراعة ولم يكن حظى من التعليم يتجاوز الشهادة الابتدائية . وبعد تعرفى على سيدنا الشيخ بمدة حضرت يوماً لزيارته . فقال لى : أهلا بحضرة المهندس .. ففهمت أنه يكرمنى . ولكن سيدنا الشيخ استطرد قائلا : ستعمل بعد الآن مخزنجى ، وبعدها مهندس ميكانيكى . ثم سكت برهة ، واستمر فى حديثه قائلا : عندما تعمل مخزنجى لابد أنك ستعرف كل قطعة ونمرتها وأين توضع ، وكل ما يطلب منك من الأصناف هو الذى سيوضع بالعربة أو المحراث أو « السيدكار » ، أو غير ذلك . ولابد لذلك أيضاً أن تلبس بدلة العمل الزرقاء وتعرف تركيب كل ذلك وفكه . وعندما يحتاجون لمهندس تكون أصبحت مهندساً بالخبرة .. صدقت يابنى إنك مهندس ...

فقلت : إن شاء الله يا عم . وقد حصل كل ذلك .. وصرت مهندساً ميكانيكياً .. فذهبت إليه فرحاً أزف إليه بشرى حصول الكرامة وترقيتى .. ثم تعيينى .. فإذا به يقول لى : أهلا بحضرة المفتش ...

وبعد مدة كبيرة زاد العمل وأصبح القسم به مهندسون كثيرون واحتاج

الأمر لمفتش ، ولكن اشترط فيه إما أن يكون حائزاً لشهادة الهندسة أو الليسانس أو يكون عضو بعثة .. وحاولت حتى سمحوا لى ببعثة للخارج على حسابى الخاص لمدة ستة شهور. وقمت بالبعثة وأحضرت جملة شهادات من أصحاب مصانع السيارات ببلدان أوربا نظراً لإقامة معرض « وامبلى » فى هذه الآونة . كما أحضرت شهادة بسيطة من كلية عظيمة . وصرت بذلك صالحاً للتعيين فى وظيفة مفتش ..

وعينت بفضل الله تعالى :

وما كان أكثر فرح سيدنا الشيخ بذلك . إلا أنه بعد ذلك ، ظل ينادينى بزكى ، أو زكى زراعة ...

فسبحان من أعطاه ...

(١٦) وقد حدث أن كنت بالمضيفة ليلا وحضر الأخ أحمد زكى الاسكندرانى متلهفاً على رؤية والدى. ولما لم يجده تأسف وقال : سأرجع بقطار الساعة العاشرة مساء لأنى سأمتحن ببكالوريوس المعلمين باكرا . ورجانى أن أخبر سيدنا الشيخ أنه سيمتحن ليدعو له ويطمئنه على نتيجة الامتحان . فتوجهت إلى والدى وعرفته برغبة الأستاذ أحمد . فقال رضى الله عنه : قل له ستنجح بتقدم ، وتعمل بثمانية جنيهات بديوان المعارف لعدم وجود وظائف مدرسين . وقبل انتهاء السنة ستعين مدرساً وتبقى بها مدة طويلة وأخيراً تكون موظفاً كبيراً بالديوان الكبير ..

فلما أنهيت الخبر إلى السيد ـ أحمد تأهب للسفر مسروراً غاية السرور .. وقد حقق الله كل ذلك بالترتيب الذى بشر به والدى ، إلى أن توفى السيد ـ أحمد زكى الإسكندرانى بعد انتقال الشيخ ، وهو مدير للسكرتارية بوزارة المعارف فى ذلك الوقت .

(١٧) ومن ذلك ما وقع للسيد ـ رضوان بلال :

قال لى السيد ـ رضوان بلال .. من أعيان المنوفية :

أهدى إلى سيدنا الشيخ طاقية صوف مغربى . وقال مازحاً : خذ هذه لتنفع فى مسك الثعبان .. فأخذتها مسروراً بمزاح سيدنا الشيخ معى :

وذات يوم كنت غائباً فيه عن المنزل ، حدث عند تجهيز الغداء أن وقع من السقف على « الطبلية » ثعبان فى غاية الوحشية والعظم : واستقر على الصينية .. ففزع الجميع لرؤيته وولوا هاربين . واستغاثوا بالخدم . وعند رؤية الخدم له ولوا هاربين أيضاً .. وهنا تذكرت حرمى الطاقية حيث كنت قد أخبرتها بما قاله سيدنا الشيخ لى ؛ وعندها قالت لى : لابد لهذه المقالة من واقعة حال ؛ إن مزاح سيدنا الشيخ جد .

واستطردت: لا تلبسها . سأحتفظ بها ربما حصل شيء وأنت كثير السفر .. وأخذتها واحتفظت بها إلى هذه الساعة العسيرة ؛ فأخرجتها ولبستها فى يدها وأمسكت بذلك الثعبان .. فلم يتحرك . ونادت فى طلب الخدم الذين حضر معهم بعض الخفراء .. وأخذوا يضربونه بالفئوس، والثعبان لايتحرك حتى قتل وأخرجوه للخارج . والسيدة حرمنا فى ثبات عجيب معتقدة بيقين أن روح شيخها معها ومدده ..

(١٨) ومن ذلك ما وقع للحاج ـ مصطفى المحلاوى :

قال لى الأخ الحاج ـ مصطفى المحلاوى : عند زيارة سيدنا الشيخ لى بمنزلى للاحتفال الصوفى السنوى بطنطا ، نظر عند دخوله المنزل إلى أعلى وقال : « سلم البيت عالى قوى ، ولكن سليمة إن شاء الله تعالى » .. فأخذتنى رجفة من قوله . وعند وجود سيدنا الشيخ بالمنزل وقع ابنى من بئر السلم من ارتفاع ثلاثة طوابق .. فحدث هرج شديد حيث كاد الولد يموت . ولكن سيدنا الشيخ رضى الله عنه عمل له جبيرة بيده وقال : سليمة إن شاء الله ..

وقد عوفى الولد بعد أيام على غير العادة .. وأكرمنا الله ببركته ...

(١٩) ومن ذلك ما وقع لفضيلة الشيخ ـ عبد الله خضر :

قال لى فضيلة الشيخ عبد الله خضر : زرت سيدنا الشيخ بالزقازيق فأعجبتنى ركوبته جداً . فقلت له : تبيعها لى يا عم .. فقال رضى الله عنه : لا أبيعها لك .. لأنها جميلة ، وقد يراها أحد أصحابك فيأخذها .. فإن اشتريتها فإنك لن تركبها ؛ حيث ستؤخذ من المحطة قبل نقلها للمنزل . فقلت:

قد قبلت كل ذلك .. فبعها لى يا عم .. فقبل . واشتريتها ، وأنقدته الثمن وهو يقول : واحد يأخذ الثمن ويستفيد وواحد يدفع الثمن ولا يستفيد .. يا سبحان الله ! !

ثم أمر خادمه بشحنها وإحضار البوليصة إلى لأستلمها . وبت تلك الليلة عند سيدنا الشيخ وسافرت صباحاً . وعند وصولى المحطة سألت الناظر عن الركوبة فقال لى : إن مفتش الداخلية الإنجليزى ،آها فأعجب بها للغاية وأخذها وقال : « عبدالله بك صاحبى .. لما يسأل عنها عرفوه إنى أخذتها موقنا رضاه .. » .

فحمدت الله تعالى .. وتحقق قول الشيخ رضى الله عنه وأرضاه ...

(٢٠) ومن ذلك ما وقع للسيد ـ محمد موافى :

قال لى الأخ محمد موافى : كنت بمكتبى بدائرة نور بالمنصورة ، حيث وفدعلى خادم سيدنا الشيخ ومعه خطاب رقيق وبوليصة شحن لركوبة مرسلة إلى هدية من حضرته ومعها سرجها ولجامها وركابها وهى موجودة بالمحطة ، فأرسلت من أحضرها . وعند رؤيتها تعجبت كل العجب .. إذ هى فى حجم غير عادى، مرتفعة جداً .. فخمة .. جميلة المنظر للغاية .. ولكننى تحيرت فى إيوائها .. وأخيراً قيض الله لى رجلا من أتباعى لإيوائها بمنزله والقيام بخدمتها وتنظيفها . وتسهل الأمر على ..

وعند تشريف سيدنا الشيخ بمنزلنا قال لى : ما حال الركوبة العظيمة . ؟ قلت : يا عم هى بطرف أحد رجالى يقوم بخدمتها . فقال : أنا أرسلتها لتركبها من المحطة إلى العزبة التى ستشتريها .. ولكى تمر بها على الزراعة مستريحاً من تعب المرور، فإنها علاوة على حسن منظرها سريعة السير لدرجة كبيرة .. ومريحة . فقلت: وهل سأشترى عزبة يا عم . ؟ . فقال : نعم . وبسعر رخيص ولايزيد على ربع الثمن الحقيقى ، ويسهل الله أمر تدبير المبلغ بدون اقتراض أو بيع شىء من ملكك وتشترى بعدها أرضاً مجاورة .

فكنت أستمع من سيدنا الشيخ وأنا فى دهشة مما يقول .

ولكن حقق الله بشراه بغاية السرعة ، واشتريت عزبة من المزاد بالمحكمة وبربع الثمن . وكانت الركوبة وسيلة انتقالى من المحطة إليها حيث تبعد عن محطة القبابات دقهلية عدة كيلومترات كانت تقطعها الركوبة فى سرعة مذهلة . واشتريت أرضاً بجوارها كما بشرنى سيدنا الشيخ رضى الله عنه وأرضاه .

(٢١) ومن ذلك ما وقع للسيد ـ محمد فهيم :

قال لى الأخ محمد فهيم: حضر سيدنا الشيخ بطنطا، وعند مقابلته رجوته أن يتوجه إلى الله تعالى أن أنتقل إلى الإسكندرية حيث أهلى ومصالحى وأنسى بها فقال : اتفقنا . وبعد يومين أخذت أجازة وسافرت إلى مصر وتوجهت للوزارة ، ومعى طلب نقل أريد إعطاءه لمدير الخزينة لرفعه ؛ مطمئناً لإجابة طلبى حسبما بشرنى سيدنا الشيخ بذلك .

وكم كانت دهشتى عظيمة حين قابلنى موظفو مكتبه بالتهنئة . وعلمت منهم أن المدير تذكرنى فجأة فى اليوم السابق وقال لمدير مكتبه : جهز أوراق نقل فهيم حالا ولا بأس من تأخيركم بالعمل حتى يتم قرار النقل .. وسوف لا أبرح مكتبى حتى تتم الإجراءات . وفعلا تأخر المكتب وقسم المستخدمين حتى تم الأمر . وصدر اليوم فعلا للنفاذ ونظنك حضرت للشكر . فقلت : نعم .. مدد يا عم ..

(٢٢) ومن ذلك ما وقع للأخ السباعى خطاب :

قال لى الأخ السباعى خطاب : حدثتنى نفسى أن أسأل سيدنا الشيخ عن اسم الله الأعظم ليكون لى عوناً فى مصالحى ، خاصة وأنا أقوم مع أعمامى بنشر الطريق؛ وذلك يكون بمثابة عون لى فى استجلاب النعمة ودفع النقمة . وتسهيلا لمهمة فتح البلاد وهداية العباد ، ودرجة لى عظيمة . وقررت بينى وبين نفسى أن أسأل سيدنا الشيخ عنه عند زيارة حضرته لى بالحفلة السنوية التى أقيمها بمنزلى نظراً لما كنت ألاحظه من عناية سيدنا الشيخ بصاحب الحفلة ، ودعائه له وتكريمه أمام المدعوين لنفقته فى سبيل الله وتفانيه فى خدمة الإخوان .

ولما حضر سيدنا الشيخ عندنا، نسيت كل هذا لما أنا فيه من فرح بسيدنا الشيخ ، وانشغالى بخدمة الإخوان ، وذلك إلى أن دخل سيدنا الشيخ محل النوم وكنت معه فقلت له : تستريح يا عم . ؟ فقال : بعدين .. ثم قال لى : يا سباعى أفندى . . كان واحد درويش سأل شيخه عن اسم الله الأعظم فقال له: يا بنى بعد حضورك من قضاء لوازمى . وكلفه بأمور . وعند ذهابه لقضائها ، قابل فى طريقه رجلا مبتلى كبير السن تضربه الأولاد بالطوب وهو يفر منهم إلى أن ألجأوه إلى عطفة مسدودة وأخذوا فى إيذائه وهو لا يجد مفرا منهم ؛ فتألم الدرويش لذلك وقال : لو كان شيخى علمنى اسم الله الأعظم قبل تكليفى بهذه الأشياء ، لدعوت الله تعالى أن يمنع هؤلاء الأولاد عن الإضرار بهذا العجوز الفانى الضعيف المبتلى ...

ثم رجع لشيخه متأخراً بعض الشيء . فقال له شيخه : ماذا غيبك عنى طول هذه المدة ؟ . فقص عليه ما رآه . . وماتمناه . . فقال له شيخه : هذا الرجل الذى تتحدث عنه هو شيخى . . وهو الذى علمنى اسم الله الأعظم . ولو شعر بما شعرت به لدفع الله عنه ذلك . ولكنه استعذب العذاب فيمن فى حبه ذاب . .

ثم نظر سيدنا الشيخ إلى مستفهماً بعد أن فرغ من هذه الحكاية : أتحب أن أعلمك اسم الله الأعظم .. ؟ فقلت من غير إرادة منى —مع عدم اهتمام— : أمرك يا عم . فقال : أكنت تريد ذلك ؟ . فقلت : ياعم قبل علمى بذلك .

فدعا لى وبشرنى بخير عظيم أنا فيه . . فسبحان معطيه . .

وبهذه المناسبة فقد سمعت والدى رضى الله عنه يقول :

اسم الله الأعظم يعطى لمن فرغت طلباته للدنيا ، بل وللآخرة . . وربما بعد أن يعرفه لايسأل به طول حياته حياء من الله تعالى ورضا منه لكل ما يريد ، بل وحباً لما أراد . . فقد فنت إرادته فى إرادته تعالى . .

(٢٣) ومن ذلك ما وقع مع الشيخ - أحمد جاد :

قال لى الشيخ أحمد جاد : ولد لى ولد فقصدت سيدنا الشيخ لتسميته لى

لحصول البركة . فقال : سمه محمد الصادق . والذى سيولد بعده محمد الحسينى والذى يليه سمه محمد خيرى .

ثم انتقل رضى الله عنه بعد أن سميت مولودى الأول . ورزقنى الله فعلا بولدين سميتهما كما أمرنى سيدنا الشيخ قبل انتقاله . . رضى الله عنه وأرضاه .

(٢٤) ومن ذلك ما وقع مع الأخ .. « محمد بك الفقى » :

قال لى الأخ محمد « بك » الفقى : سمعت قبل أخذ العهد ، بما عليه سيدنا الشيخ من فتح . فلم أعجب . ولكنى سمعت أنه يأمر الجاهل فيفتح عليه فى الحال .. يقرض الشعر ارتجالا ، ويفسر القرآن إلهاماً ، وغير ذلك .

ودعيت لحفلة يقيمها الشيخ بسيونى جمعة — صهرى — لسيدنا الشيخ وإخوانه . وذهبت إلى الحفلة مصاحباً الكثير من عائلتنا المدعوين مثلى للحفلة . . وعند قيام مجلس الذكر أخذ المنشدون فى الإنشاد . وأخذ العلماء والطلبة وغيرهم يسألونهم فى التفسير والتخميس والتشطير وهؤلاء الناس الذين يتبعونه . . فتقدمت إليه وقلت له : ما هذا ؟ . فقال : إلهام من الله دون اطلاع ولاتعليم ولاحفظ . فقلت له : إن كان هذا صحيحاً فاسمح لى بأن أختار الشخص الذى يقول وبعدها تأذنه . . فقال : اختر من تشاء . فاخترت صبياً أقوم بتربيته بعد وفاة والده ، وكان خجولا وألثغ وغير موفق فى التعليم ، وقلت : ها هو يا عم . فقال : يقف مع المنشدين ويكون هو المنشد . .

وفوجئت بذلك الصبى ينشد أرق وأعلى الشعر بصوت جميل جداً ، أخاذ ، وبطلاقة على غير الذى يعرف منه . وألقى إليه أبيات الشعر فخمسها ارتجالا . ثم سئل التفسير . . فبهر العقول .

وبعدها استأذنت سيدنا الشيخ أن ألقى على الشيخ - عبد الحكيم — أحد المنشدين — بيتين من الشعر بالفرنسية ، فأذن لى . فألقيت عليه البيتين . فقال له سيدنا الشيخ : حفظت يا ابنى . ؟ فقال: حفظت يا عم . فقال له سيدنا الشيخ: عدل البيتين .. لأن الفقى بك قلبهم .. ثم ترجمهم فى أبيات عربية :.

ففعل ذلك والكل يكاد يصعق من ذلك المدد العجيب الذى لم تتحدث

عنه أية كتب صوفية أو غيرها . . وعند ذلك استأذنت أنا وأهلى هروباً من الموقف خوف عدم الوفاء بالعهد ، وما يتبع ذلك من التأديب لنا . ونجونا بأنفسنا . .

ونسى وهو يذكر لى هذه الواقعة أننى كنت موجوداً وشاهدت تلك الواقعة بنفسى . . ولكنى تركته يسرد القصة مسروراً بسماعها منه .

(٢٥) وقال لى حضرته أيضاً.. « وهو نفس ماعلمته من الإخوان الحضور لتلك الواقعة » : كنت فى ليلة واجتماع مجلس الطرب والخمر وغيرها مما هو أعظم وفى حالة سكر وجنابة . . إذ مر بمنزلى أخى وصهرى الشيخ - بسيونى جمعة مع رجال الطريقة ، وألقوا علينا السلام من خارج المنزل . فقلت تفضل يا شيخ بسيونى ورجال القاتل عمك . . فقال : نحن ذاهبون إلى الحضرة بمنزل ابن عمك الشيخ - عبد الله الفقى . فقلت اعملوا حضرة عندى تبركاً . . فقال : لاتقام حضرة سيدنا الشيخ إلا بمنزل « خليلى » . فقلت : أعمل خليلياً . فقال : وهو كذلك . .

فصرفت مجلسى ، وأخذت الجمع إلى أرحب غرفة بالمضيفة ، ولكن الحضور من البلد شغل الدور الأرضى جميعه . وكانت حفلة كبيرة جداً لدهشة الناس لوجود مجلس ذكر عندى وحضورهم لاستجلاء الحقيقة . وطلبت من الشيخ بسيونى أن يبدأ المجلس بالصلاة على سيدنا الرسول فى الدلائل ثم البردة . وعند ذلك وجدتنى أقوم بسرعة للدور العلوى وأتطهر وأتوضأ ، بعد تقيؤى الخمر ، وآمر بكسر كل ما فى البوفيهات عندى من زجاجات الخمر ، وأنزل على عجل لأنتظم بمجلس الذكر وأسهر مع الإخوان للفجر ، وأقدم لهم أفخر عشاء . وأذهب صباحاً دون نوم إلى الزقازيق مع الشيخ بسيونى لزيارة سيدنا الشيخ والوثوق منه بعدم رجوعى إلى المعاصى ، أو سماحى من الآن بأن أتحلل من العهد .

فوجدت سيدنا الشيخ يقول لى : يا بنى أنت معنا إلى يوم القيامة . . أنت معنا فى الجنة . . أنت . . أنت . . إلى أن صرت أبكى وأجهش . . .

فسكت سيدنا الشيخ . فقلت له : ائذن لى أخذ العهد . . فقال : أنت أخذته فى الساعة الثانية عشرة مساء البارحة . . فقلت : على الشيخ بسيونى . . ؟ فقال : على يدى ، لأنه نائبى . ثم دعانا للمبيت عنده وفى رحابه.

فكانت أبهى ليالى العمر . . وهكذا صرت محل نظر وعناية سيدنا الشيخ .. فسبحان من أعطاه . .

(٢٦) وحدثنى الأخ - « محمد بك الفقى » فقال :

كنت مع سيدنا الشيخ بالسياحة بالإسكندرية . وخلوت بنفسى فى ركن منعزل من المجلس وأنا فى حالة قبض شديد ، ويأس من التوبة؛ بعد أن مر بذهنى تاريخ حياتى كشريط سينمائى ، وهو حافل بالمعاصى . وظننت عدم قبول توبتى لسوء أعمالى وتصرفاتى المالية الغريبة وما أنفقته فى إشباع شهواتى الشخصية . . ومنها :

أننى فى حالة سكر ليلة عيد الميلاد فى كازينو « سان استيفانو » طلبت أن يكون حساب مشروبات الحضور من المواطنين والأجانب على حسابى الخاص ، وأنفقت بذلك أربعة آلاف جنيه ثمن تلك المشروبات . وانتزع من أملاكى بسببها أربعون فداناً . . وبها أكون قد أكملت إضاعة مائتى فدان أنفقت قيمتها فى الفجور واللهو .

وعندما انتهى مرور هذه الواقعة بأحداثها فى ذهنى ، قمت من فورى وخرجت من المنزل الذى يشرفه سيدنا الشيخ ، لا ألوى على شىء ، ولا أعرف لى وجهة ، وليس لى غرض أرمى إليه من خروجى المفاجىء .. ولا أعرف كيف سرت فى الطريق المؤدى لمنزل « عشيقة » سابقة لى بالإسكندرية كنت أتردد عليها قبل توبتى بأخذ العهد.. ولا أدرى بنفسى إلا واقفاً أمام حديقة قصرها أدق الجرس ، فيسرع إلى البستانى الذى تلقانى مرحباً غاية الترحيب . ثم تجاوزت حديقة القصر ، وقرعت جرس الباب الداخلى . وقدمت الخادمة فى دهشة تلومنى على طول غيابى وتخبرنى أن سيدتها تذكرنى ولاتنسانى . . واستطردت قائلة : سآخذ البشرى منها على إبلاغها بحضور

جنابك . . ودخلت بسرعة لتخبر سيدتها . . وعند هذه اللحظة فقط وجدت نفسي أفيق وأصرخ قائلا : مدد يا عم . . وأتراجع مهرولا إلى الحديقة ومنها إلى الباب الخارجى للقصر ثم إلى الشارع ، وقفلت عائداً إلى سيدنا الشيخ . . فوجدت كل من استقبلنى من الإخوان يقول لى : أين كنت . . سيدنا الشيخ يسأل عنك كل خمس دقائق بقوله : « أين البك الفقى » . . ؟ — والكل يسعى فى طلبك لرغبة سيدنا الشيخ فى وجودك حتى أننا أرسلنا رسلا كثيرة فى طلبك والبحث عنك بمنازل الإخوان . .

والحقيقة أن الموت عندى كان أهون على من مقابلة سيدنا الشيخ الذى سمعت صوته قائلا : « تعال يا بيك يافقى » . . فتوجهت ناحيته فوجدته مبتسماً فى وجهى تبسماً يحمل كل المعانى .ويهدىء من روعى بقوله : كنت معك من خروجك إلى وصولك . . وكنت أظنك بطلا . . ولكنك كنت ضعيفاً .. كنت زق الباب وادخل . . فقلت له : كان واحد واقف يمنعنى .. وعندما تبينته صرخت قائلا : مدد يا عم . .

فرد على سيدنا الشيخ قائلا : كنت زقه وادخل . . فقلت له : ومن أين لى القدرة عليه وهو البطل . . فقال : يابنى لابد من تبريد الخوف بالرجاء وإلا هلكنا.. واستطرد قائلا: الله كريم .. الله عند ظن العبد به ، وظننا فيه حسن . . يابنى لاتتفكر فى ماضيك بعد اليوم واستقبل عفوه ورضاه . . أما بلغتك أنك معنا إلى يوم القيامة . . ؟

(٢٧) وقال لى أخى محمد بك الفقى أيضاً :

كانت أختى السيدة ـ فاطمة الفقى ، زوجة عيسوى باشا زايد ، قد أصيبت بمرض جلدى بين ثدييها . وقد عجز عن علاجه الأخصائيون من أطباء القطر وتحتم سفرها لأوربا للعلاج . وعند زيارتى لسيدنا الشيخ سألنى : هل تحب أختك فاطمة ؟ فأجبته : أحبها جداً . . فقال رضى الله عنه : فلماذا لم تبلغ رسالتها فى طلب شفائها من مرضها المستعصى . ؟ فقلت : يا عم نسيت لرؤياك كل مهم لدى . فأعطانى مظروف خطاب مستعمل وقال لى : خذ هذا وأعطه لها لتضعه بين ثدييها فتبرأ من مرضها بإذن الله ولاداعى للسفر :

وعند عودتى زرتها بالقاهرة . . وقصصت عليها ما دار بينى وبين سيدنا الشيخ من حديث : فطلبت بلهفة المظروف ، ثم وضعته من فورها حيث أمر سيدنا الشيخ .. وبعدها ابتدأت البثور الصديدية تجف وتكون قشوراً تساقطت عند جفافها ، وتم الشفاء فى ظرف أسبوع . فكان ذلك سبباً لحبها القوى وأخذها العهد على سيدنا الشيخ : :

واستطرد محمد بك الفقى فى حديثه معى قائلا :

(٢٨) أنت تعلم أن سيدنا الشيخ رضى الله عنه كان يقوم بتسعير المحصولات عند السؤال عنها من التجار وأهمها القطن والغلال . وقد قال سيدنا الشيخ عن القطن إن سعره فى البورصة سيفتتح بمبلغ قليل ، ثم يرتفع ليصل إلى خمسين جنيهاً للقنطار الواحد . أى ثلاثة أضعاف سعره عند الفتح فى البورصة . .

فبدت الدهشة ظاهرة على الجميع ، وكل منا تعامل فى هذا المحصول على قدر إيمانه بتلك التنبؤات الإلهامية طبعاً . . وبذلك منعنى سيدنا الشيخ عن البيع حتى وصل سعر القنطار إلى خمسة وأربعين جنيهاً بعد إلحاحى عليه بضرورة قيامى بالبيع عندما حضرت عنده وقلت له : يا عم أريد أن أبيع المحصول . فقال لى : تقوم الليلة وتسافر إلى طنطا بقطار الساعة الثامنة مساء فتصل الساعة الثانية عشرة مساء .. فقلت له : القطار يصل طنطا العاشرة مساء يا عم . . فقال لى : يصل الساعة الثانية عشرة . .

وركبت قطار الساعة الثامنة الذى وصل فعلا — على خلاف المعتاد — الساعة الثانية عشرة ، حيث توقف ساعتين لخلل طارىء بالسكة . وقمت بتنفيذ ما رسمه لى.. وهو :أن أتواجد فور وصولى طنطا بالقهوة الأحمدية ، ثم أدخل مقام سيدى أحمد البدوى بعد فتحه ، حيث سيقابلنى ابن عم لى تاجر أقطان ، فأبيع له المحصول بسعر ثلاثة وأربعين جنيهاً للقنطار ، ناقصاً عن سعر السوق جنيهين. كما أمرنى بأن أقبض المبلغ الذى معه وهو ثلاثة آلاف وسبعمائة جنيه ، بعد أن ينكر وجود المبلغ معه أولا . وقد نبهنى سيدنا الشيخ

بأنه إذا لم يعطنى المبلغ لا أبيع له وأقوم بالبيع لتجار طنطا : كما أفهمنى أن باقى الثمن وهو ستمائة جنيه سأحصل عليه بعد إقامة دعوى : :

وقد رسم لى سيدنا الشيخ بأن أتوجه إلى بلدتى فور إتمام الصفقة وأقوم بنقل القطن من مخزنى إلى مخزن المشترى بكل سرعة على حسابى الخاص ، حيث أنه إذا استمر القطن بمخزنى بعد ثلاثة أيام يكون السعر مائلا للهبوط ويستمر إلى أن يصل إلى ثمنه العادى ، وعند ذلك لو رفعت قضية لا أكسبها نظراً لتدخل مصالحين بيننا لأن التسليم لم يتم . وأمرنى سيدنا الشيخ أنه بعد أن أقوم بكل تلك الإجراءات أحضر عنده ومعى مبلغ الثلاثة آلاف وسبعمائة جنيه ثمن الصفقة الذى قبضته منها ، وأضيف إليه ثلاثمائة جنيه ليصبح المبلغ أربعة آلاف جنيه ، أمرنى أن أتوجه معه به إلى أختى « فاطمة هانم » . .

وفعلا ذهبت معه . . وعند لقائها — تكلم معها سيدنا الشيخ رضى الله عنه فى أن تعيد إلى العزبة الأربعين فداناً التى كانت قد قامت بدفع قيمتها أربعة آلاف جنيه لصاحب «كازينو سان استيفانو » ، ولم تمكنه من استلام العزبة . فقالت أختى لسيدنا الشيخ : يا عم إن هذه الأرض ثمنها الآن عشرون ألف جنيه وعملت بها إصلاحات كبيرة . . فرد عليها سيدنا الشيخ بقوله : إن الإصلاحات لم تبلغ الألف جنيه . . وأنا أتدخل لأخيك وشقيقك وعزيزك محمد بك . . .

فقالت : إننى محتفظة بها من أجل أولاده خشية رجوعه إلى ماكان عليه من العصيان . فإن ضمنت لى ألا يرجع إلى المعاصى أسلمها له على الفور . فقال سيدنا الشيخ : أنت وهو معى فى الجنة إن شاء الله . .

وعند هذا القول . . تنازلت أختى لى فوراً عن العزبة وتم استلامى لها . . :

(٢٩) وقال لى محمد « بك » الفقى أيضاً :

فى ليلة كنت مع سيدنا الشيخ بالسياحة السنوية لزيارة الإخوان بالبلاد ، وعند انتهاء الحفلة السنوية لزيارة الإخوان بالبلاد ، جاءنى رجل فقير يرجو استضافتى والشيخ على عقل على أن نبيت بمنزله . وحاول التأثير على بطريقة مؤثرة فى الكلام كقوله لنا : طبعاً لاتقبلوا المبيت عند رجل فقير ومعدم مثلى

لطبيعة أن الذوات يبيتون عند الذوات . . ثم صار يتفلسف بكلام أخاذ . . فأخذت رأى الشيخ على عقل فقال لى : قلبى يحدثنى بأنها ستكون ليلة سوداء إذا أجبنا دعوة هذا الشيطان . ولكنى صممت على أخذه معى والمبيت عند هذا الرجل الفقير جبراً لخاطره . وقمنا فعلا معه . ووصلنا إلى منزله الذى هو عبارة عن مدخل يصعب السير فيه وغرفة واحدة له وزوجته ، وحظيرة للبهائم . وعند دخولنا للغرفة قال للشيخ على : إياك أن تدوس على المعزة الوالدة وأولادها وتعتذر بالعمى . ! ! وعند اعتلاء الدرجة الموصلة إلى القبة « المصطبة » المعدة محلا للنوم قال له ثانية : إياك أن تدوس على الأرانب ثم تعتذر بالعمى . ! ! وعند بلوغنا بعد اعتلائنا الدرجة قال : إن زوجتى قد وضعت مولوداً اليوم وأنا أعددت فاصلا بينكم وبينها كيس تبن ليسترها عن أنظاركم . . وكفاية عليكم نصف الغرفة . ! ! ثم اعتذر لنا عن عدم إمكانه تقديم أية تحيات لنا لفقره . .

ومكثنا للفجر فى أسوأ حال من الاختناق من رائحة الرطوبة والعفن بالغرفة . .

وتركنا المنزل وتوجهنا إلى المسجد تحت الأمطار وفوق الأوحال إلى أن وصلنا وصلينا وتكرم علينا من أخذنا إلى منزله للراحة . وبعد ذلك توجهنا بعد أن استرحنا إلى سيدنا الشيخ الذى فاجأنى حال تسليمى عليه بقوله :

واحدة بواحدة يا محمد بك يا فقى . . وأبشر بأن الله قد غفر لك فى هذه الليلة فقط ما فعلته فى ليلة « سان استيفانو » ؛ لأنها معصية كانت معلقة للآن ليعاتبك عليها سبحانه وتعالى عند وقوفك بين يديه ، ثم يغفرها لك تماماً . .

ثم طلب منى أن أقص عليه القصة بأكملها . . فقصها الشيخ على عقل لانشغالى بالبكاء والنحيب فرحاً بالمغفرة وعدم تمكنى من الكلام .

حينذاك قص علينا سيدنا الشيخ قصصاً طريفة مضحكة أنست كلا منا شأنه . . وعند ذلك فقط . . اطمأننت على نفسى . . وأوقفت نفسى لخدمة الطريق . .

وأسأل الله أن يتقبلنا مع إخواننا والمذنبين جميعاً ورضى الله تبارك وتعالى عن سيدى وشيخى أبى خليل . .

(٣٠) وقال لى السيد ـ محمد أبو أمين :

كنت فى زيارة سيدنا الشيخ السنوية فى رمضان ، حيث كنت ومجموعة من محبى سيدنا الشيخ نقضى معه ذلك الشهر ثم نهنئه بالعيد ونسافر أول أيام العيد . وبعد مضى عشرين يوماً فى وجودى مع حضرته بمنزله . . نزل من منزل الحريم مبكراً جداً بخلاف عادته فى هذا الشهر . ووجدته يحمل غياراً كاملا ويأمرنى بالاستحمام . فقلت له : يا عم أين الجسم الذى يمكنه لبس ملابسكم ؟ إن لبسكم يصلح لأن يحمله الإنسان على رأسه فقط . فقال : إذن تسافر فى هذه الساعة ، لتدرك القطار . ولاتنسى أن تمر على المدرسة أولا . — وكنت أعمل ناظراً لمدرسة قليوب الإبتدائية — فتذكرت أنه كان هناك منشور دورى بضرورة العناية بنظافة المدارس مدة الأجازة ووجود مراقبين يتبادلون المراقبة طوال مدة الأجازة . أقول إننى نزلت من المحطة إلى المدرسة ونبهت بإجراء النظافة اللازمة وعرفت الفراشين أنى سأرجع لأرى ما قاموا به من أعمال النظافة ، حيث كانت المدرسة مهملة للغاية . وذهبت لمنزلى ، وأخذت راحتى ، ثم رجعت إلى المدرسة لأجد « مستر رب » المفتش الإنجليزى العام يدخل المدرسة فور دخولى بها لأرى ما عمله الفراشون . . ويراها نظيفة وبها ناظرها وخدمها . . فانسر جداً . . وكتب ملاحظات حظيت بسببها بعلاوة وخطاب شكر وبسمعة طيبة . وبعد مغادرته المدرسة مباشرة ، رجعت لحمى شيخى لأخبره مسروراً . ويقول لى ما يفيد أن ذلك السفر كان مقصوداً به الستر من الله فضلاً عن الرقى . .

فسبحان من أعطاه . .

(٣١) وقال لى الشيخ حماد خليفة :

كان الأخ الشيخ إبراهيم عبد الحميد من أتباع أحد المشايخ .. وكان يدعى الشيخ البكرى ببلدة « دمهوج — غربية » .. قد تكلم معه أحد الإخوان فى أن يأخذ العهد عن سيدنا الشيخ . فقال : أنا ابن طريق ولى شيخ ، وكلهم من

رسول الله ملتمس . فسكت عنه من عرض عليه أخذ العهد .

وعندما ذهب الشيخ إبراهيم للنوم ، رأى رؤيا بأن سيدنا الشيخ يعرض عليه أخذه عهده . فقال له : كلهم من رسول الله ملتمس . . فهدده سيدنا الشيخ بقوة قائلا : كمل البيت . .

وكمله قائلا : غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم . .

فقام من النوم منزعجاً وتوجه لزيارة سيدنا الشيخ بالصباح . فقابله سيدنا الشيخ بصدر رحب ولطف منقطع النظير . وهو يقول له : لعلك اقتنعت ياشيخ إبراهيم . .

فتقدم لأخذ العهد مسروراً وأصبح من الظاهرين جداً بطريق سيدنا الشيخ ومن الذاكرين الله المقيمى الليل للفجر ، إلى أن وافاه القدر . .

(٣٢) وقال لى السيد ـ محمود الحلوانى :

كان سيدنا الشيخ بمنزلى بطنطا ، فوصله خطاب من الزقازيق فيه يستأذن الشيخ إبراهيم أن يعطى لتاجر غلال صفقة بالأجل من محل تجارة سيدنا الشيخ . فكان رده : هذا الرجل سيتعبنا جداً ، ويكون بيننا وبينه مشكلات خطيرة . . فقلت له : يا عم . . أكتب إليه بعدم الإذن . ؟ فقال : لا . . اكتب إليه أن يعامله ويكرمه . فقلت : سبحان الله . . « متعجباً . . ! ! » ثم قلت : يا عم إنك قلت إنه سيتسبب من معاملته ضرر جسيم . . فقال لى : يا شيخ محمود دع القدر يأخذ مجراه . .

وقد تابعت معاملة هذا التاجر فوجدت أنه ماطل فى دفع ٣٠٠ جنيه ، ورفع سيدنا الشيخ دعوى مطالبة ، وصرف كثيراً . وأخيراً ترك له سيدنا الشيخ مبلغ الـ ٣٠٠ جنيه ، واكتفى بالمصاريف . بعد أن استحلف سيدنا الشيخ بسيدنا الرسول؛ لعلمه ببره بقسم الرسول العظيم . . فقال له سيدنا الشيخ : إنك سيء الحظ . حيث إنك لوكنت استحلفتنى بترك المبلغ كله لتركته لك . ولكن القدر أن يكون ذلك هو الحل . فقال : يا عم . . أنا لم يلهمنى الله سوى ذلك وأنا راض جداً وشاكر . .

وذهب مسروراً بما تم . .

(٣٣) وقال لى أيضا : زارنا سيدنا الشيخ بطنطا ، وكان من عادته أن يخبرنى قبل مجيئه لأرسل فى طلب والدتى لخدمته — وقد كانت زوجته — ليشعر أنه فى منزله ومع إحدى زوجاته. ولكنه حضر هذه المرة دون إخبارى . وعند مقابلتى له بادرنى بقوله : لم أعلمك بزيارتى لتعلم أننى حاضر لزيارتك أنت حباً وشوقاً إليك . .

فلم أفرح فى حياتى بشىء قدر فرحى بمقالته هذه . .

(٣٤) وقال لى أيضاً :

رأيت من سيدنا الشيخ حرصاً شديداً على شراء الذرة ، فظننت أن سعره سيرتفع جداً . فقلت له : أأشترى لك ذرة من الجهات يا عم . ؟ فقال : نحن نشترى مع الناس ونبيع مع الناس مسايرة للقضاء . . ثم استطرد قائلا : يا شيخ محمود . . أنشترى بالجواهر الترمس . . ؟ ؟ — إشارة منه رضى الله عنه إلى أنه لا يعمل بما أطلعه الله عليه محافظة على سره ، وتقديراً له ، وأدباً مع خالقه . . فعلمت شدة تخفيه ، وهوان الدنيا عليه ، وإيثاره الآخرة ، وتغطية أمره على الناس .

وأذكر أن والدى اشترى الذرة من الشيخ بسيونى جمعة — بزرقان — بسعر الإردب ثلاثة جنيهات ونصف ، وباعه بثلاثة جنيهات . فسئل عن ذلك وهو على علم من الله . فقال : إن ذلك حصل تخفيفاً لأحد أتباعنا . .

وقال لى الأخ محمد فهيم :

لما رأيت اهتمام سيدنا الشيخ بشراء الذرة تتبعت سعره فإذا هو يباع بالخسارة وكنت حزيناً لذلك . ولم أهدأ حتى علمت أن سيدنا الشيخ كان ينصح التجار بعدم شراء الذرة عند أول الموسم ويقول لهم : سينزل سعره بعد تخزينه . فعلمت أنها مسايرة منه للقضاء .

(٣٥) ومن ذلك ما حدث مع الشيخ ـ إبراهيم النحال :

أخبرنى الشيخ إبراهيم النحال — من أهل العلم ، ومأذون الشرع — قال :

كنت والشيخ بيومى عبد الرحمن ، شريكين لوالدك فى التجارة . فكان واجبى أن أعمل فى صنف الحبوب مع الشيخ بيومى . وكان والدك رضى الله عنه يعمل فى صنف القطن . ولما كان والدك لايفتر لسانه عن ذكر الله ؛ فكان لايضيع وقتاً فى وزن ما يشتريه . وكان يملى تابعه الوزن بعد جس أو تحريك كيس القطن . وكنا نجد ما يقوله مطابقاً تماماً للوزن الفعلى . ومما زاد فى اطمئناننا علمنا أنه على نور من الله وعلم به . وأنه لايريد أن ينشغل بإجراءات الوزن عن ذكر الله . وسار الحال على هذا المنوال برضا تام منا لعظيم ما نجنى من أرباح فى مشترواته . إلى أن حصل منا ما جعله يتركنا وينفرد فى التجارة . .

فقد حدث أن قال كعادته : إن هذا الكيس يزن ثلاثة وتسعين رطلا قطناً . . وكنت وشريكنا الآخر متواجدين صدفة . فقلنا : إنه يزن أكثر من قنطارين ونصف « ٢٥٠ رطل » . فرد علينا قائلا : لا .. بل ٩٣ رطلا . فقلنا : نوزنه . وفعلا وزنا الكيس ، فوجدنا وزنه كما قلنا . . ودفع الثمن للبائع على حسب مقدار ما وزنا . . وعند تفريغ القطن بالمخزن وجدنا بالكيس داخل القطن عموداً من الملح . . فوزنا الملح . فوجدنا أن صافى وزن القطن بالكيس كما قال سيدنا الشيخ ٩٣ رطلا . وعند ذلك تألم والدك رضى الله عنه من ظهور سر بينه وبين ربه وفضحه بهذه الصورة .

واعتزلنا بعد أن رفض توسلنا ورجاءنا له . .

وقال لى حضرته أيضاً :

بعد أن استقل والدك عنا ، فتح محلا لبيع وشراء الغلال بالساحة ، وهى سوق التجار وقتئذ . . ووجد أن التجار تغسل القمح وتبيعه بسعر اثنى عشر قرشا للكيلة المغسولة وعشرة قروش للكيلة الجافة ؛ بحجة أن المغسولة ذاب منها الطين وأنها جاهزة للطحن دون عناء الغربلة والتنظيف . .

ولكن سيدنا الشيخ قلب المسألة . فباع المغسولة بعشرة قروش . والجافة باثنى عشر قرشاً . فقد لاحظ أن القمح المغسول يستفيد زيادة فى الكيل من وجود ماء تشربته الحبة . فكثر الإقبال عليه والكسب ، حتى صار التاجر

الوحيد الذى تشترى الناس منه لسخط المشترين على التجار وانصرافهم عنهم بعد اكتشافهم لغشهم المستور . . وهكذا أرغم التجار على الرجوع عن غشهم . واكتسب اسماً ومالا وفيراً ، وثقة دائمة جزاء خوفه من الله تعالى وأمانته ونصحه للخلق . ولم يزل محل ثقة الجميع .

(٣٦) ومن ذلك ما وقع للأخ الأستاذ ـ حسن محمد ، المهندس بالسكة الحديد :

قال لى الأستاذ ـ حسن محمد : حضرت يوماً لزيارة سيدنا الشيخ ، فوجدته يبتدىء إنشاء منزل ، ووجدت معه البناء الذى يشرف على العمل ، وجارى حفر الأساس ، وموجود الطوب ومواد البناء تكفى لبناء الخزان فقط .

فقلت لسيدنا الشيخ : مبروك يا عم . . فرد سيدنا الشيخ قائلا : أنا يابنى على الابتداء وبمعونته تعالى الانتهاء . . واستطرد قائلا : سيكون هذا المنزل إن شاء الله من طابقين ، فاعمل حساب كلفته . فقمت بعمل الحساب وقلت له : يتكلف سمائة جنيه يا عم . فقال : بل سمائة وعشرين . . فقلت له : أمعك هذا المبلغ يا عم وأنت تنفق كل دخلك فى سبيل الله كما نرى . ؟ فقال : المبلغ موجود منه عشرين جنيه معك . . والباقى سيعطيه لى الله باكر . . فأعطنى ما معك أطمئن به البنا اليوم . فقلت له : آخذ به إيصال ، تمضى عليه حضرتك بيدك الكريمة . فقال : لك ذلك . . وأعطانى إيصال ختم عليه بخاتمـه . ثم وقع عليه باسم « محمـــد » بعد أن نقشت له الاسم الشريف على ورقة ليرسم الاسم الشريف على الإيصال . ثم قال لى : أكتب اسم خليل أنت . . إشارة إلى أنه لايكتب . . واستطرد الأخ ـ محمد حسن فى روايته قائلا : والله إن أعطيتنى الدنيا فى مقابل أخذ هذا الإيصال منى ما قبلت . . حيث أننى لم أقصد بالإيصال سوى التشرف بورقة منه تكون معى ، وخاصة أنه كتب عليها اسمه ولم يحصل منه هذا الأمر قبلها ولا بعدها .

وأضاف قائلا : ثم نظر إلى سيدنا الشيخ قائلا : ماذا فى الجريدة اليوم .؟ فقلت أقرأ لحضرتك أخبار السياسة ؟ فقال : أخبار التجارة . فقلت له : يا عم هنا مزايدة فى مصلحة الأملاك عن بيع ثلاثة آلاف أردب شعير . فقال :

ذلك ما كنا نبغ . . سنشتريهم ونكسب فيهم ستمائة جنيه نعطيها للبنا ، ونتفرغ لله تعالى الذى يرضيه أن أتفرغ له ، لا للدنيا والبناء والتجارة . . واستطرد قائلا : أنت يابنى تبيت معنا الليلة ونسافر فجراً للقاهرة .

وقبل الفجر ينزل بملابس شيخ عرب عظيم ، كأحد ملوك العرب ، ويتكلم العربية الفصحى بلهجة بدوية صميمة . . وحاله يبدو متغيراً .

وركبنا القطار ، وعند وصولنا القاهرة ، ذهب لتوه إلى منزل : مصطفى « باك » خليل وطلب منه ثلاثمائة جنيه ذهباً . وقصدنا مصلحة الأملاك . وقابلنا « برش باشا » الإنجليزى القائم بأمر المصلحة فى ذلك الوقت. وأفرغ سيدنا الشيخ الذهب أمامه ، وعده الباشا ثم دفعه إلى درج مكتبه وأخرج بدله ورقاً ووضعه مكانه . وهنا أشار لى سيدنا الشيخ إشارة خفية ، فهمت منها أن الشعير لنا . فارتاح صدرى ، وقبل الباشا من سيدنا الشيخ مزايدة مكتوبة يقر فيها أنه يشترى الأردب بمبلغ جنيه . وقال سنفتح المزاد الساعة عشره فانتظروا النتيجة وارتاحوا مع التجار فى الغرفة المجاورة . .

وعند دخول سيدنا الشيخ عليهم أرهبت رؤياه التجار . . فأقبلوا عليه مسلمين ، وسأله أحدهم عن سبب وجوده . فقال : لشراء الشعير . فقالوا : هل قدمت مزايدة ؟ فقال : نعم . فقالوا : بكم ؟ فقال : بجنيه . . مع علمى بأن آخر عطاء منكم باثنين وأربعين قرش للأردب . فدخل فى نفوسهم شيء من الكرب الظاهر ، وانتحوا جهة من الحجرة يتشاورون ، وأقبلوا عليه قائلين : كيف تشترى كل هذه الكمية ؟ فقال : ورائى جمال . فوقعت فى نفوسهم كالسهم . ثم سألوه : كيف تشترى بجنيه وذلك سعر فاحش ؟ فقال لهم : الشعير اليوم بمبلغ جنيه ونصف الأردب بساحل أثر النبى وروض الفرج . والحرب قامت وينتظر ارتفاع سعره إلى أربعه جنيه للأردب للزومه للسلطة العسكرية . فمن أخذه وأبقاه شهرين يكسب فيه الذهب . . وهذا استنتاجى كتاجر طول عمرى . ولو أنى شيخ عرب الآن . . فساوموه بعد السؤال بالساحلين تليفونياً لأنهم كانوا يعلمون أن سعره جنيه واحد ولم يسألوا عن سعره فى ذلك اليوم لانشغالهم بالمزايدة ... وقالوا له : نعطيك

أربعمائة جنيه وتخرج من المزايدة . فقال : لا . بل أقبل ستمائة لأبنى البيت . مع العلم أن مبلغ العشره فى المايه التى دفعتها بالذهب ترد لى ذهب . .

فكان ما أراد . وتنازل عن عطائه . وانتظر بعضهم بالديوان . وأتى بعضهم معنا إلى الصاغة لاستبدال الورق بالذهب . وتحملوا الفرق . .

ورجعنا إلى منزل : مصطفى « بك » خليل لإعادة المبلغ . وقام سيدنا الشيخ بقطار الظهرة . . كل ذلك وأنا فى شبه حلم لايكاد يوافق عليه عقلى لدهشتى من سير الأمور .

(٣٧) ومن ذلك ما وقع للشيخ ـ عزازى على .. من الأعيان :

قال لى الشيخ عزازى على — من الأعيان — وكان شيخاً للخفراء :

سرق منزل أحد الأهالى ، وقمنا بتبليغ النيابة . وعند حضور وكيل النيابة أسررت إليه أن الشيخ « أبو خليل » من اللصوص . . وأن أولاده عهداً يسيرون بالطرقات ليلا بحجة الذهاب لحضرات الذكر ، وعند رجوعهم يسرقون المنازل ، ولو اقتضى الأمر نقب هذه المنازل مثل الحادثة المنظورة أمامك . وعلامة ذلك أننا إذا ذهبنا إليه وسألناه عن السارق فسيقول : فلان . . وعن المسروقات سيقول : فى المكان الفلانى . وسنعثر على المسروقات دون مشقة . وستكون أنت المحقق الذى دقق وتوصل إلى كشف غطاء الجريمة ، بل وضبطها . .

ومازلت به حتى رجانى هو أن نذهب إلى والدك . وفعلا طرقنا باب المضيفة فى خشونة ظاهرة . فقابلنا الشيخ . . وابتدره وكيل النيابة قائلا : أنت الشيخ أبو خليل رئيس اللصوص . . ؟ فأجابه : نعم . فسأل : من السارق ؟ فأجاب : فلان . . فسأل : أين المسروقات ؟ . فأجاب : بجهة كذا . .

وطلب منه أن يقوم معنا لضبط السارق والمسروقات . فقال له : يابنى أنا راجل كبير . . بعد أن يتم الضبط إن شئت تقبض على . . أنا موجود . وأنا فى ضمانة شيخ الخفراء . .

تم ذهبت ووكيل النيابة ، وضبط السارق ووصل إلى المسروقات . وطلب منى الرجوع للشيخ للقبض عليه . . هنا فقط قلت له : على من تقبض . . ؟ ؟ إنما فعلت ذلك لراحتك فقط . . فاذهب إلى المديرية واسأل المدير والوكيل والمأمور . . فالكل يعرفه ويجله ، على أنه ولى كبير ، فريد زمانه . فلترجع فقط لتسلم عليه وتشكره وقبل يديه . . « ولولا تأييد الحاضرين لكلامى لشك فى ذلك الخبر » .

وذهبنا لسيدنا الشيخ . واعتذر له . فقد كان ذلك أول معرفته بوالدك رضى الله عنه .

وفى اليوم التالى أتيت والدك مسلماً وأخبرته بأنى مطلوب للمركز ومعى الخفراء فى لبسنا الرسمى للاحتفال بالمأمور الجديد . فقال لى سيدنا الشيخ : تذكر ماحدث منك البارحة . . ؟ فقلت : نعم ياعم . فقال: سيأخذ المأمور الجديد حقى منك ويعطيك « قامين عال » على رءوس الأشهاد بعد السب اللازم والإهانة لك .

وقمت مسرعاً إلى المركز حيث سبقنى الخفراء وقد تأخرت قليلا . . وعند دخولى فوجئت بالطابور والمأمور الذى أشار لى بيده قائلا عندما رآنى أركب ركوبة فاخرة وورائى الخادم : العمدة ينتظر مع العمد لحين حضورى. فقلت له : أنا شيخ خفر كفر النحال يا أفندم .

فما كان منه إلا أن قال لى : وأين اللبدة والنمرة واللبس الرسمى يابو كرش . . إلى آخر السب الذى انتهى بصفعى على الخدين . . فضحكت بالرغم من تألمى وقلت : حق الشيخ . . فقال : شيخ مين يا . . .

فقلت : الشيخ أبو خليل . . فنسى الميدان والتمام . وقال : الشيخ أبو خليل رضى الله عنه . . ؟ أنت تعرفه . . ؟ أرجوك أولا أن تسامحنى ، وبعد الطابور تتكرم بتوصيلى إليه . .

وبعد الطابور ومقابلة العمد . . صار المأمور ينادى بلهفة وبصوت جهورى : شيخ خفراء كفر النحال . . فقلت : أفندم . فقال : ألا تزال

غاضبا منى . . ؟ أنا متأسف . . سأعوضك عن هذه الإهانة . . ألا يكفى أن أعتذر لك أمام العمد كلهم وإخوانك كلهم . . ؟

فكان الأمر جزاء وعطاء فى آن واحد . .

وقد قمت بصاحبته إلى أن وصلنا سيدنا الشيخ وعلم أنه بشرنى بتلك الإهانة والضرب حقاً له على ما حصل من وكيل النيابة .

وصار هذا المأمور يكرمنى وأهلى إلى أن نقل من بلادنا بعد ما أوصى خلفه بى خيراً ، وصار كلما انتقل أحدهم يوصى خلفه . .

فكنت فى عزة وكرامة بفضل الله ورعاية والدك الكريم . . رضى الله عنه وأرضاه . .

* * *

الباب الثالث — شفاء المرضى

(١) من ذلك :

لقد أصيبت المرحومة : حرم المرحوم العارف بالله السيد ـ محمد أبى خليل الكبير « نجل شيخنا الأكبر » .. وهى فتاة ـ بمرض عضال . واحتبس لسانها فترة طويلة وأعجز الأطباء . ثم لجأ والدها إلى شيخنا رضى الله عنه ، وقد نذرت والدتها إن تم لابنتها الشفاء أن تزوجها لأحد أبناء الشيخ . فما كان منه إلا أن ضربها على قدميها بعصا ضربة بسيطة ، فنطقت فى الحال . وإذ بأمها التى كادت تجن من الفرح أن عززت نذرها بزواج ابنتها الثانية لأحد أبناء الشيخ ، وقد تم ذلك . . فتزوج الأولى السيد ـ محمد أبو خليل الكبير ، والأخرى شقيقه العارف بالله السيد ـ خليل أبو خليل ، وكان من كبار الأولياء الواصلين ومن المقربين المتفوقين . .

(٢) ومن ذلك :

كان الأستاذ ـ السيد ربيع المحامى ، وصهر شيخنا ، قد أصيب بخراج فى صدره أزعجه أيما إزعاج وخشى من إجراء عملية جراحية . فتوجه إلى الشيخ يشكو ويطلب الفرج . فماكان من الشيخ رضى الله عنه إلا أن أشار بأصبعه إلى صدره . وإذا بالخراج يفتح كأنما مسه مبضع جراح ماهر . وشفى المريض دون إجراء عملية جراحية .

(٣) وأذكر بهذه المناسبة :

أن الأستاذ ـ محمد ربيع المحامى ، قال : مرضت بعرق النساء وذهبت للقاهرة وعرضت نفسى على الأطباء الأخصائيين ، وعولجت مدة طويلة دون الوصول إلى الشفاء . ورجعت يائساً من وجود علاج لهذا المرض . وتوجهت لمنزل سيدنا الشيخ لزيارته . وعند مقابلتى له ابتدرنى قائلا : كان أحسن لو استشرتنى قبل السفر لهذا : الأمر يحتاج للكى بمسمار صغير ، ويتم الشفاء فى يوم واحد . .

وقد أحضرت من قام بعملية الكى . وكانت سهلة جداً وشفيت تماماً ..

« وهذه واقعة أخرى مع أحد الأقباط » : وكان له ابن طالب بمدرسة الطب ، أصابه الشلل فى لسانه ، وكان بحكم وضعه بكلية الطب محل عناية الأساتذة وعطفهم ، وقدبذلوا غاية ما فى وسعهم لشفائه ، فمنوا بالفشل . ولم يتوان الوالد المنكوب فى ابنه النابه عن التردد على كل طبيب فى القاهرة وغيرها والاستعانة بأدعياء الطب والمشتغلين بالروحانيات دون الوصول إلى نتيجة . وكان للوالد صهر موظف بالزقازيق ، فتوجه إليه بعد أن سمع عن كرامات شيخنا الجليل ، وطلب أن يرافقه لزيارة الشيخ ورجائه فى أمر ابنه . فلم يسع صهره إلا أن يلبى الرجاء على كره منه . وتوجها إلى رحاب الشيخ العامرة . وهنا شكا الوالد وذرف الدمع بين يدى الشيخ بعد أن قص عليه الخبر . فقال له الشيخ : اطمئن . فقد شفى ولدك الآن . . .

فرجع الوالد مع صهره إلى منزل الأخير حيث تركا المريض ، وإذا بهما يجدان أنه قد تكلم . . مما كان موضع الدهشة والاستغراب . .

(٤) ومن ذلك :

أصاب السيد ـ محمد الخولى ـ خادم شيخنا رضى الله عنه ـ مرض فى إحدى يديه شل حركتها . وعرض نفسه على أحد الأطباء بالزقازيق ، فوصف له الدواء اللازم . . . فاستعمله دون جدوى . وتصادف أن حضر للزقازيق بعض الإخوان من الموظفين لقضاء أيام فى ضيافة الشيخ والتمتع بجواره . وقد ضايقهم مرض السيد ـ الخولى ـ لأنه كان يقوم على خدمتهم وقضاء مطالبهم ، فذكروا ذلك للشيخ ملتمسين أن يذهب الله المرض عن خادمه . فناداه وقال له : يابنى هل ضقت ذرعاً بالمرض . ؟ مع أن فيه رحمة . . فبكى وقال : إننى راض غير متذمر . . فأخذ الشيخ يده وضرب عليها برفق . فكأنه لم يشك منها أبداً . ثم قام إلى مضخة المياه يديرها حتى يملأ الخزان الذى يستقى منه المنزل ومن فيه ، حيث لم تكن مياه البلدية قد وصلت إلى المنزل بعد . .

(٥) ومن ذلك :

كان المرحوم السيد ـ أحمد فهيم ، معاون الإدارة سابقاً ، من الإخوان الصادقين . وكان برأسه بالقرب من جبهته « قوبة أو صلعة » . فتوجه لشيخنا رضى الله عنه يستأذنه فى أن يقصد طبيباً اختصاصياً للعلاج . فقال له الشيخ : لا داعى إلى ذلك . ثم تفل على مكان العلة . ولم يشعر المريض آخر الجلسة إلا وقد شفى تماماً وانتقل المرض إلى يد أستاذنا الجليل بجوار الإبهام . كأنما أراد رضى الله عنه أن يتحمل المرض عن أحد أتباعه ابتغاء الأجر والمثوبة وليضرب المثل لأتباعه على الصبر والرضا . . جزاه الله خير الجزاء . .

(٦) ومن ذلك : ما وقع مع أحد الأقباط :

أخبرنى الشيخ ـ محمد ظافر ، من الزقازيق ، قال : مرض أخ عبدالملاك الصائغ ، وكان يشعر بآلام فى ساقه انتهت إلى حالة تشبه الشلل ، وعجز عن علاجه الأطباء . حتى صار ميئوساً من شفائه . فأشار عليه البعض أن يذهب بأخيه إلى سيدنا الشيخ ليدعو له فيبرأ مما هو فيه . فتوجه إلى السيد ـ المرصفى ، العالم والأديب الكبير ، ورجاه فى التوجه معه إلى الشيخ ، لعلمه بقبول رجائه عنده وحب الشيخ له ، فوافق . وصاحبهم إلى منزل الشيخ ، وعرض حالته عليه .

فقال سيدنا الشيخ : مدوه . . وضربه على قدميه . . ثم قال : قم بإذن الله تعالى . فقام . . وكأنه لم يكن به شيء سوى الضعف الطبيعى بسبب طول فترة المرض . فكان ذلك أول أسباب هداية الكثير من الأقباط لقضاء الشيخ مصالحهم وعدم التفرقة فى المعاملة بينهم وبين المسلمين .

وقد كان الشيخ يقول إذا حضر مسيحى عنده : سبحان مفرق الأديان .. ويلاطف القادم إليه منهم بقوله : وانت عاوز إيه يا قبطى . . ؟ ويبتسم له ويهدىء من روعه ويقضى له مصلحته ولو كلفه فى ذلك مشقة . .

وقد كان الأقباط يحكمونه فى منازعاتهم ، فيقضى بينهم وينهى خصوماتهم ويصلح البعض على الآخر عند وجود خلاف بينهم . .

(٧) ومن ذلك ما وقع للشيخ ـ عبد الله « بك » خضر ، من العلماء وأعيان البلاد .. قال لى فضيلة الشيخ عبد الله خضر :

مرضت بالمعدة حتى كنت أتألم كثيراً من تناول القليل من اللبن المخلوط بالينسون . وأشار على الأطباء بالسفر للخارج للعلاج . فأعددت للسفر وتوجهت لسيدنا الشيخ لمقابلته للاستئذان فى السفر تبركاً . وعندما أخبرت حضرته بتمام الأهبة وميعاد مغادرة الديار المصرية ، قال لى حضرته : لالزوم للسفر . . لأنك شفيت بإذن الله . . فقبلت عن رضاء تام وانشراح صدر ، وأحسست أنى شفيت . ثم نظر إلى قائلا : أنا نبهت على أهل المنزل أن يكون الغداء عدس لتأكل منه معنا . . وسيأكل الإخوان الطعام الذى أعد لهم . فقلت : أمرك ياعم . .

وعند حضور الغداء أخذ يطعمنى بيده عدساً وبصلا صغيراً وفجلا صغيراً إلى أن امتلأت ، وأحسست برغبتى للنوم . فقال لى : لك أن تستريح . فنمت نوماً هادئاً . وقمت مستريحاً لا أشعر بشىء . . ثم قدم إلى عشاء خفيفاً . فأكلت ولم أشعر بأى ألم . ونمت تلك الليلة طوال الليل مستريحاً . . ولم يحدث لى ذلك من مدة — حيث كنت أستيقظ معظم الليل من شدة الألم — وعند الصباح أقبل سيدنا الشيخ على يحمل على يده الكريمة فطير وعسل نحل وكنت ممنوعاً منذ مدة طويلة من تناول الفطائر . . فقلت له مستغرباً : ياعم . ! فطير وعسل ؟ . . إن الفطير يؤلم معدتى جداً ، والعسل يتحول إلى مخاط وأتألم كثيراً من إخراجه بعد سعال عنيف . . فقال لى : كل على بركة الله . . فأكلت طاعة لأمره . واستأذنت فى السفر للعودة إلى بيتى . ولم أشعر أثناء سفرى بشىء من التخمة أو الضيق . واستغنيت عن مغادرة البلاد للعلاج بالخارج ، وعن إقامتى بحلوان التى أمرنى الأطباء بالسكنى فيها لجفافها . . ورجعت لسكنى منزلى بالريف متمتعاً بصحة كاملة . .

(٨) ومن ذلك ما حدث مع أمين باشا الشمسى :

قال لى السيد ـ محمد أبو أمين : حضرت يوماً لزيارة سيدنا الشيخ وكان موجوداً عنده أمين باشا الشمسى . وسمعته يقول للشيخ : يا عم . . مضى على ثلاثة أيام ، أنا هنا ، وعائلتى وصهرى وزوجته وعياله هناك فى البلد — فى غاية المرض من أثر « دوسنتاريا حادة » قد يكون سببها أكلنا من اللوبيا

الخضراء التى كانت فوق المنضدة التى كانت أمام حضرتك عند زيارتى السابقة ، وقد أخذت منها جزء أهديته لصهرى ومنزله . . فحدث ذلك المرض . فرد عليه سيدنا الشيخ قائلا : هذه كانت «حملة»(١) وأنت أخذت منها بدون إذنى فحصل ذلك لكم . . فقال : أريد يا عم شفائى وشفاء غيرى منها . . فطلب سيدنا الشيخ كوب ماء ، وشرب جزء منه وأعطى الباقى لأمين باشا الشمسى ليشربه . وبعد ذلك سأله سيدنا الشيخ : هل شفيت ؟ فقال : نعم . ثم أردف : وصهرى وأولادى يا عم . . فرد عليه سيدنا الشيخ : لقد شربوا وشفوا . .

وتابع السيد ـ محمد أبو أمين حديثه قائلا : ولقد عجبت من ذلك . وسألت عن هذه المسألة فقيل لى :

إن هنا ولياً تعدى على سيدنا الشيخ بأن طلب من منزل النادى أن يرسلوا إليه شرش اللبن « وهو المياه التى تبقى بعد عمل الجبن » وهو الذى يتناوله سيدناالشيخ غذاء له ولايأكل شيئاً غيره . وقد هدد أهل ذلك المنزل حتى يفعلوا ما أمر . فقالوا : إن شيخنا حليم ، ولكن ذلك الرجل مؤذ وعذرنا ظاهر . فأخذوا يرسلون إليه ما عندهم من شرش اللبن . ولما أرسل سيدنا الشيخ فى طلبه كالمعتاد أعلموه بما حدث . . فقال لهم : أرسلوا له جزء ولنا جزء ، وبعد قليل سترسلوه كله لأنه لايقدر أن يعيش على شرش اللبن وسيلقى جزاءه ، غيرة من الله علينا . .

وبعد أيام قليلة أصيب ذلك الرجل بمرض مكث فيه سبعة شهور . وعند ذلك حضرت زوجته لوالدى تستعطفه أن يسامحه . فقال لها : انتم زارعين خضار . . فقالت : نعم . فقال والدى : أحضرى لنا من بشائره جزء . . وهنا ذهبت وأحضرت كمية من اللوبيا الخضراء . وسامحه والدى . ولم يمد والدى يده إليها ، ولم يهاد منها أحداً . . إلى أن حضر أمين باشا ، وأكل منها ، فأعجبته ؛ واستحسن أن يأخذ الباقى لأهله . حيث أنها كانت بشائر . . وأنه كان يقصد بذلك البركة أيضاً . . فكان ما كان . .

(١) حملة : بلاء .

واستأنف السيد ـ محمد أبو أمين كلامه قائلا : سألت أمين باشا فى الزيارة التالية عن أمر صهره وأسرته . . فقال : إنهم شفوا معه فى ساعة .. فقد أبلغوه بشفائهم تليفونياً . فأخبرهم قول سيدنا الشيخ بأنهم شربوا ساعة شربه . . وقد حضروا لزيارة سيدنا الشيخ وشكروه . . فسررت بهذه الآية ، ولم أفعل بعدها شيئاً بدون أمر سيدنا الشيخ مهما رأيت صلاحه .

(٩) وقال لى فضيلة السيد ـ عبد البارى الشرقاوى :

كنت نائماً متدثراً بلحاف وحانت صلاة الصبح ولم أشعر . وبعد قليل أتانى الشيخ ـ عبد المعطى وأيقظنى قائلا : هل لك فى خير أتاك ؟ . فنهضت قائلا : جزاك الله من أخ وفى . وبعد الصلاة عدت للفراش مرتعداً من البرد . فوجدت الشيخ عبد المعطى قد التحف باللحاف . فقلت محتداً : ماهذا . ؟ فقال : أتغضب منى لأنى أنهضتك للصلاة . ؟ فقلت : لا . إنما غضبى لأنك أخذت منى الغطاء وتركتنى على العراء . فلم يأبه لى ، وغط فى نومه بعد ما سمعنى أقول له : سأشكوك لسيدنا الشيخ عندما تستيقظ . .

لكن الشيخ عبد المعطى هو الذى بدأ بشكايتى لسيدنا الشيخ ، الذى طلبنى فقلت له الحقيقةفضحك كثيراً . وقال لى : سنعوضها لك ياشيخ عبد البارى .

وبعد أيام قليلة أصبت بمرض ولزمت الفراش . فسأل عنى سيدنا الشيخ لأتناول معه الغداء . فأخبره الإخوان بأننى ألازم فراشى لمرضى . . فلما علم بذلك أخذ من الطعام « إصبع محشى » وقال : اعطوه له وقولوا له هذا غطاء لا عراء . .

فحضروا لى وأخبرونى ، وأكلته فشفيت لساعتى من الحمى وزالت عنى الحرارة ونهضت لأقابل حضرته شاكراً له حسن مواساته لى بهذه الآيــة البديعة . . .

(١٠) ومن ذلك ما رواه الشيخ إبراهيم شلبى :

قال لنا الشيخ إبراهيم شلبى : عند أول زيارة سيدنا الشيخ لنا بكفر

شلبى تصادف أن كانت أختى طريحة الفراش من المرض لأسبوع فائت على تشريف حضرته لبلدتنا . فأرسلت أختى أحد خدمها لسيدنا الشيخ ليكتب لها ورقة لحصول البركة والشفاء . فأعرض عنه سيدنا الشيخ ، رغم إلحاحه فى الطلب . . فعاد إليها خادمها وأخبرها بما حدث . . ولكنها لم تيأس . .

واستطرد الشيخ إبراهيم شلبى قائلا : أتعلم ماذا صنعت . ؟ طلبت أن يحضروا إليها بعضاً من الماء الذى يتوضأ به سيدنا الشيخ . وفعلا أحضروا لها ما أرادت بعد وضوء سيدنا الشيخ وشربت منه وشفيت فى الحال . . وقامت من فراشها وأخذت تخدم مع الخدمة فى الليلة المقامة لسيدنا الشيخ والإخوان . . وقد قابلتها ليلتها مندهشاً لحالتها . .

(١١) ومن ذلك ما حدث لزوجة الشيخ ـ حماد الجناينى :

قال لنا الشيخ ـ حماد الجناينى « خليفة كفر نفرة — غربية » : كانت زوجتى فى حالة وضع . وقد انحبس الدم عقب الولادة ، فعرضتها على الدكتور « توفيق » ببركة السبع فطلب الدكتور أن يحضر معه اثنين من الأطباء ليكون « كونسلتو » . ولعدم المقدرة على أجر هؤلاء الأطباء رجعت إلى منزلى مفوضاً الأمر لله تعالى . . وقالت شقيقة زوجتى : أمال فين الشيخ أبو خليل وكراماته ، مع أنه كان معزوماً عندكم ؟ فردت عليها زوجتى : إن سيدنا الشيخ له كرامات كثيرة ، والأمر لله وحده .

وفى تلك الليلة نفسها كانت زوجتى بين النوم واليقظة لشدة الألم الموجود بها وإذ بها ترى : أن سيدنا الشيخ أبو خليل قد حضر إليها فى غرفتها ومعه عدد كبير من الإخوان ثم قال للجميع : إللى عنده شىء يجيبه على . . ثم تقدم إليها ونظر إلى ظهرها ثم انصرف . .

وفى الحال استدعتنى زوجتى من الغرفة المجاورة لأحضر لها جلباباً آخر فسألتها عن السبب ، فقالت لى : أنظر . . فوجدت الدم وخلافه يغطى السرير . . .

واستأنف الشيخ حماد حديثه قائلا :

وكان لهذه الآية أثر واضح فى انتشار الطريق فى البلد .

(١٢) وقال الشيخ حماد أيضاً :

حضر سيدنا الشيخ لبلدتنا وكانت الليلة مقامة عند السيد - عبد الله المليجى - وحضر الشيخ على البكرى للزيارة . وكان بذراعه خلع . وفى أثناء تسليمه على سيدنا الشيخ شد ذراعه بشدة . . فصرخ الشيخ على البكرى من الألم . ولكن سيدنا الشيخ قال له : لقد شفيت يا بكرى . . وفعلا شفى فى الحال . .

والغريب أن أحداً لم يخبر سيدنا الشيخ رضى الله عنه بمرض السيد - البكرى هذا . . وقد قام بالسلام على سيدنا الشيخ كما فعل كل الإخوان . فكان التعجب شديداً .

فسبحان من أعطاه . .

(١٣) ومن ذلك ما حدث للسيد - عبد الحكيم موسى :

قال لنا حضرته : كنا فى أوائل الشتاء ، وكان عندى مرض جلدى عبارة عن تشقق بالجلد واللحم بمفاصل أصابع يدى وقدمى . وعرضت حالتى على الكثير من الأطباء دون جدوى حتى يئست من الشفاء . ولما من الله على بأخذ العهد وأقبل الشتاء وظهر المرض فكرت فى الذهاب إلى سيدنا الشيخ أبو خليل . فلما وصلت الزقازيق وذهبت لمنزل سيدنا الشيخ قابلنى خادمه « الشيخ العتر » قائلا : ألم تحضر معك أحداً من طنطا . ؟ . فأجبته بالنفى . فقال : إذن أنت المطلوب .. فقد قال لى سيدنا الشيخ : إذا حضر البيه الصغير بتاع طنطا أحضره لى فوق . . ففرحت وصعدت إلى حيث يوجد سيدنا الشيخ ، وسلمت عليه ولثمت يده . فلم يترك يدى وأخذ يدى الثانية ووضعهما بين يديه وقرأ الفاتحة . . وكان فى مجلسه الشيخ محمد الهاشمى من أعيان طنطا ، وكذلك شخص آخر يعمل صانعاً للأحذية ، وكان معه وقتها «خف».. فقال لى سيدنا الشيخ : أأنت متوضىء . ؟ فقلت له : نعم . فعلمنى كيفية المسح على الخفين ، وأعطانى إياه كهدية . ولبسته . وكان مناسباً لى بالرغم من أنه صنع لحضرته .. فصار عامل الأحذية مندهشاً .. إذ كيف يمكن لقدمى وهى صغيرة نسبياً لبس خف مصنوع لسيدنا الشيخ . . وهو عظيم القدم .

وعند حلول ميعاد القطار ، استأذنت منه وتوجهت إلى طنطا . .

وأقسم بالله بأننى ما إن وصلت إلى طنطا حتى كانت القروح فى يدى وقدمى قد التأمت .

ومن يومها لم يعاودنى ذلك المرض . .

(١٤) ومن ذلك :

جاء إليه رضى الله عنه مريض بالشلل ، لايستطيع الحركة ، قد حمل على دابة من مكان بعيد . وشكا أهله طول مرضه الذى امتد سنين ، وأنهم أنفقوا عليه كل ما يملك . فأمر الشيخ أن يمـــد . ثم ضربه بالعصا بلطف . فتأوه . . ثم ضربه أخرى . وسأله : ما اسمك ؟ فرد . . ثم ضربه أخرى . فتحدث .. فقال لهم : اسندوه حتى يمشى بعد أن أقعده المرض عن الحركة طوال هذه السنين .

فنهض وقد برىء من الشلل . واستطاع أن يمشى . . مما حير أهله وأذهلهم .

(١٥) ومن ذلك :

حضر إليه أحد الأقباط من مصر ومعه ابنه ، وكان قد انحبس لسانه عن الكلام بضع سنوات . تردد أثناءها على عدد غير قليل من الأطباء والمشتغلين باستحضار الجن وكتاب التمائم والمتفرغين للروحانيات من القساوس والرهبان ولم يظفر بأية نتيجة ، رغم ما بذله بسخاء فى هذا السبيل . فطيب الشيخ خاطر زائره القبطى ، وأمر أن يتقدم ابنه المريض منه . ولم يفعل أكثر من أن عضه فى جبهته ، فانحلت عقدة لسانه وتكلم على الفور . . ووالده لايكاد يصدق ما شاهد وسمع . وأقبل على الشيخ يقبل يديه ورجليه . . وهو مأخوذ من شدة السرور . .

❋ ❋ ❋

الباب الرابع ــ حمل العــاقرات

(١) من ذلك ما حدث :

علمت من جملة مصادر أنه عندما شاء الأمر الإلهى أن يرجع والدى إلى منزله بعد هجرة سبع سنوات . فقد رأت زوجة عمدة بلدة « هرية رزنة » بضواحى الزقازيق مناما يتلخص فى أنها رأت والدى فيه يبشرها بالحمل بغلام ، وأمرها أن تسميه باسمه . وفرحت بذلك حيث أنها عاقر من عشر سنوات . وقال لها : وحلوان ذلك أن تحضرى لزيارتى بكفر النحال ومعك أردب قمح وأرب ذرة لأولادى وضيوفى .

وعند استيقاظها من النوم بدأت على الفور فى تجهيز المطلوب بتنظيف القمح وتحميص الذرة لتكون معدة للطحن ، وذلك تخفيفاً على بيت والدى . وأحضرت الطلب بعد يومين . وسألت عن منزلنا حتى وصلته . وقابلت والدى الذى فاجأها بقوله : مبارك .. فقصت عليه الرؤيا . فقال : ذلك سيتم بإذن الله .

وقد تم ذلك وأنجبت ولداً وعاش عمراً طويلا ...

وقد كانت هذه الكرامة أولى كرامات والدى رضى الله عنه بعد انتهاء فترة جذبه التى استمرت سبع سنوات . . بعدها عاد إلى منزله كما تقدم ...

(٢) ومن ذلك :

أنه كان رضوان الله عليه فى إحدى زياراته بطنطا ، فحضر إليه أحد أهلها يشكو من عدم حمل زوجته وما عاناه فى سبيل مداواتها دون جدوى :

فطلب رضى الله عنه كوباً من الماء ، وقرأ ما تيسر قراءته ، وأعطى الكوب للسائل لتشرب ما فيه زوجته . . ففعل . . وسرعان ما حملت بعد يأس طال واستحكم ..

(٣) ومن ذلك ماحدث أيضاً :

قال لى السيد ـ محمود الحلوانى : أخبرنى أحد زملائى المدرسين بالمدرسه

ويدعى صقر أفندى ، أن زوجته لم تنجب أطفالا طيلة عشر سنوات منذ تزوج منها . ولم يدع باباً للبحث عن وسـيلة للإنجاب إلا وطرقه دون جدوى .. ثم طلب منى أن أتكلم مع سيدنا الشيخ فى شأنه ، وأنه يتوقع أن يمن الله عليه وعلى زوجته بمولود ببركة سيدنا الشيخ .

وعند وجودى مع سيدنا الشيخ بمنزله ، أخبرته بموضوع زميلى المدرس. فقال : تشرب زوجته قليلا من مغلى ماء البصل ويتقابلا .. فنقلت ذلك لزميلى ، وعمل بذلك ، فمن الله عليه وعلى زوجته بولد كان قرة أعينهما ..

وتصادف وجودى بالصعيد .. فأخبرت أحد الأطباء بذلك فعرفنى أن ماء مغلى البصل وصفة لعدم الحمل . وحيث أنه وصف نقيض الشىء فهو ولى بلا شك ..

ونبهنى ألا أصفها بعد ذلك لأنها آية خاصة .. وهى من خوارق العادات ...

(٤) ومن ذلك ما وقع مع الأخ السيد ـ محمد نجيب :

قال لنا الأخ محمد نجيب ، كاتب أول تفتيش أوقاف الشرقية : كنت لا أزال بمصر أعمل بديوان الوزارة حين تعرفت على سيدنا الشيخ وحضرت ذات يوم لزيارته وقلت له : يا عم .. إن زوجتى لم تنجب رغم مرور فترة طويلة على الزواج . وقد اتضح بعد كل العلاج أنها عاقر . فقال لى : خذ عود الخلة هذا لتحمله زوجتك .. فتحمل إن شاء الله تعالى وتلد بنتاً وليس بعدها أولاد ..

فأخذت عود الخلة بعد تخليل أسنانه به . وحملته زوجتى ــ وكانت لا تحب سيدنا الشيخ وتتكلم عنه بما يؤذينى ــ لكنها بعد الحمل ذهبت إلى سيدنا الشيخ فى زيارة ، وكانت معها صديقة لها. وعند وصولهما الزقازيق ، هطل المطر غزيراً وانزلقت زميلتها . وأرادت زوجتى أن تشترى بعض

الفاكهة كهدية للإخوان ، لكن صديقتها أبت عليها ذلك لضيق صدرها بما حدث لها ..

وعند مقابلتها لسيدنا الشيخ قال لزميلتها : لو كان معك فاكهة للإخوان كانوا يتحملوا عنك الواقعة .. ؟ ولكن وصلهم دعاؤك علينا ، وسبك لنا ، فكان ما كان يا هانم .. والحق ليس علينا .. فقالت : أو كنت معنا يا عم .. ؟ فضحك وقال لها : أنا لم أنزل اليوم . فاستعفته فعفا ..

وحضرت مرة وكانت محملة بالفاكهة والثناء بدلا من الدعاء ...

* * *

الباب الخامس – سلطان سيدنا الشيخ على الجن

(١) معلوم للإخوان أن الله تعالى كان يصرف إلى سيدنا الشيخ شرذمات من الجن لأخذ الطريق على يديه . كما أخبر رضى الله عنه . وهو الصادق بذلك .

وكان أحد خلفاء والدى يقوم مرة بإعطاء العهد لأحد الراغبين ، فرأى أحد إخواننا المنفوحين الملهمين جملة أيد صغيرة ممتدة مع الأيدى المشتركة فى تلقى العهد دون أن يرى أجسام أربابها ، وهى أيد لجماعة من الجن ، جذبتهم طريقة الشيخ وأنواره الباهرة ...

(٢) ومن ذلك ما حدث للأخ السيد ـ محمد زكى :

علمت من أخى السيد ـ محمد زكى ، أنه كان يذكر الله تعالى ، فأتاه مجموعة من الجن ظاهرة غير خافية وسلموا عليه بسلام الإسلام . وجلسوا فى مقابلته وقالوا له : نريد أخذ العهد الخايلى منك . فقال لهم : حتى أستأذن شيخى . فقالوا : وهو كذلك .. وانصرفوا على أن يعودوا إليه بعد زيارته للشيخ . وعند وجوده مع والدى أخبره بذلك فقال له : لا بأس ، فهناك الكثيرون جداً ممن أخذوا العهد عنا ..

وعند رجوعه ووجوده لمكانه الذى كان به ، أتاه هؤلاء الجن قائلين له :

الآن . وقد أخذت الإذن وجب عليك تلقيننا العهد . فتم ذلك بشرح صدر منه .. وصار يتوالى عليه أمثالهم لذلك الغرض فيتم لهم ذلك ...

(٣) ومن ذلك ما حدث لى :

وأذكر ما حصل لى شخصياً يؤكد ما سمعته من أخى السيد ـ محمد زكى وغيره ، وهو أننى كنت ببلدة « الخضرا ـ منوفية » ، وبمنزل أخى الشيخ ـ عبدالله إبراهيم حيث كنت مع مجموعة كبيرة من الإخوان قبل الفجر نذكر الله تعالى انتظاراً لصلاة الصبح . وكنا فى سرور عظيم ؛ نتمتع بغناء أحد

الملهمين ، إذ وقع ضغط شديد على قلوب الإخوان ، وابتدأوا يطلبون النوم وأنا أقول لهم : بقى على الفجر ساعة . وهم يتثاءبون ولا يمكنهم الجلوس. حتى ناموا جميعاً حيث هم ، وتدثر كل بغطاء اتقاء البرد ، ولكنهم كانوا بين النوم واليقظة . وبقيت وحدى أذكر متوجهاً للقبلة ، مغمضاً عينى . وكنت فى أنس شديد غير ملتفت لما حصل للإخوان . وعند ذلك رأيت يداً صغيرة طويلة جداً وخشنة جداً تصل بين يدى من بعد حوالى المترين . وسمعت صوتاً رفيعاً جداً يقول : السلام عليكم . ففتحت عينى لأرى أمامى شخصاً قصيراً جداً وبعيداً عنى . ولكن يده طويلة جداً .. فذعرت عند ذلك وكظمت غيظى .. ولكن وجدت يداً أخرى لشخص آخر تفعل ذلك إلى أن وصلوا ستة أشخاص ..

وكان الأول يجلس ووراءه الخمسة الباقون كأنه إمامهم ورئيسهم . وعند ذلك خاطبت الأول ، فسألته عن اسمه فقال : اسمى الشيخ أحمد . فقلت له : وهل من الذوق أن تقول عن نفسك شيخ أحمد .؟ فقال فى خجل ظاهر : إنه سبق لسان يا عم . فسألته عن سبب وجوده فقال : للائتناس حيث أننا من أتباع والدك . . وها هى المسبحة والعداد وهما رمز لطريق سيدنا الشيخ . فقلت له : أعلم أن لكل طائفة منكم رئيس فهل استأذنت رئيسك فى الحضور والظهور . ؟ .فقال : إن رئيسنا ضعيف الإرادة ولذلك نتجاهله ونسير على هوانا وهو يتعامى . وبعد ذلك انصرفوا لملاحظتهم أنى أضيق بهم صدراً . فكان كل منهم يمد يده لتكون داخل يدى وهو بمكانه وهو يبعد عنى كثيراً وأسمع تسليمه وهو يغادر المكان . عند ذلك قام الإخوان من رقودهم ناهضين ؛ مرتعدين لوجود الجن بجانبهم والرعب منهم .. يسألوننى : إننا كنا نسمع أسئلتك التى علمنا من أولها أن رئيسهم يدعى الشيخ أحمد لأننا سمعنا حضرتك تقول له : هل من الذوق أن تقول عن نفسك شيخ أحمد ؟ وسمعنا حضرتك تقول : أعلم أن لكل طائفة منكم رئيس ، فهل استأذنت رئيسك فى الحضور والظهور . ؟ ولا نسمع إجابة من تكلمه ولا نراه . فأعدت عليهم أجوبة أسئلتى للجن ..

فكان عجبهم عظيماً .. وكنت أشد عجبا منهم ، حيث كنت أرى وأسمع وأجالس خلقاً يسمع الكل عنه ولا يراه ..

(٤) ومن ذلك ما حدث للسيد ـ حسن عثمان :

قال لى خالى السيد ـ حسن عثمان : كنت أذكر الله تعالى بأسماء طريقنا ثم نقلنى سيدنا الشيخ إلى الذكر بالصمدية من غير تقييد بعدد . وقال لى : سيأتيك خادمها العلوى . فإذا قال لك سل حاجتك . فقل له : إننى ابن أبو خليل عهداً ، وقد أمرنى بذكرها لوجه الله تعالى . فسينصرف .. فحصل ذلك فى نفس الليلة . وعند زيارتى صباح اليوم التالى لشيخنا ابتدرنى بقوله : مافعل صاحبك البارحة . ؟ قلت : رضى بقولى وانصرف . فقال : سيأتيك خادمها السفلى ويقول لك : امتنع عن ذكرها نظير قضاء حاجتك . فقل له : إننى ابن أبوخليل عهداً ، وقد أمرنى بذكرها لوجه الله تعالى . فيضايقك حتى تخاف من تلاوتها وتقبل الامتناع ، فاذا أصررت على عدم طاعته سيتعدى عليك رغبة فى قتلك .. فإذا كان ذلك فقل : مدد ياعم .. ثم اضربه بسبحتك .. فسيحترق .. فوقع لى بعد مدة ما أخبرنى به حضرته .. وقتلته كما أمرنى ..

فبادرت بزيارته فى الصباح . فابتدرنى بقوله : مبسوط ياعم .. قد أراح الله تعالى منه العباد لأجلك ..

وقال : الحمد لله الذى يحفظ أتباعنا وينجيهم مما يهلك به غيرهم .. ويكرم الناس لأجلهم ..

(٥) ومن ذلك ما وقع للشيخ قاسم عصر :

قال لى الشيخ قاسم عصر : أجرت شقة بمنزل فخم بأجرة أقل من المعقول ، وكانت لا تزال به شقتان خاليتان . ونقلت حاجياتى إليها ، حيث كنت طالباً بالأزهر . وعند طلب النوم وجدت معاكسة شديدة من الجن .. فهربت منه إلى منزل كان به سيدنا الشيخ بمصر فى زيارة للإخوان .

وأرسلت من يخبره بذلك . فقال : يرجع إلى هناك ويقول بصوت مسموع : « عمى أبو خايل يقول لكم اخرجوا من المنزل »

فرجعت وقلت ذلك .. فسمعت عويلا وصراخاً وحركة نقل شديدة.. واطمأننت للمبيت به . وتأجر باقى المنزل الذى علمت أنه خال من سنين ، وكلما استأجر أحد منه شقة على غير علم مثلى ، كان لا يستقر بهذا المنزل ليلة واحدة . .

فسبحان من أعطاه . .

« قال شيخنا رضى الله عنه : ليس للجن على أولادنا الذاكرين سلطان ».

(٦) ومن عجيب ما شاهدته :

أن السيدة زوجة والدى ، والدة السيد ـ رجب ، أصيبت أمامى بصرع ، وصارت تصرخ ، ووقعت تتلوى على الأرض . فأرسلتنى والدتى لإعلام والدى بذلك . .

وعندما حضر قال : هى بها مس من الجن . وابتدأ يخاطب الجن الملازم لها قائلا : من أنت . ؟ . فقال : أحمد . فقال له : كذاب .. أنت نصرانى. ثم استطرد قائلا له : ألست تعلم أنها زوجتى . ؟ . قال الجن وهو يتكلم بلسانها : أعلم . ولكن الحق معى . إذ أنها ألقت ماء غسيل ونحن جلوس بالمرحاض نأكل ، فأفسدت الطعام ، وغيرت علينا حالنا ، إذ قمت أنا وعائلتى مذعورين .. فكان تأديبها .. وكان الواجب أن تستعيذ ، أو تسمى..

فقال له : إنها نسيت طبعاً ، وليس عليها شىء .

فقال الجنى : إذن أخرج ، وسامحنى ..

فقال له والدى : إن لنا عندك حق التأديب أيضاً ..

وأمر بمدها وضربها .. وأخذ يضرب على اليدين ، وهو يصرخ أيضاً من ألم الضرب إلى أن عفا عنه الشيخ ، على أن يخرج من المنزل هو وأهله . فأقسم على ذلك ..

وأفاقت زوجة أبى وهى لا تدرى مما حصل لها شيئا .. وكأنها فى نوم واستيقظت منه .

فكنا بعد ذلك لا ننسى الاستعاذة عند دخول محل للخلاء معتبرين بما حصل فى تلك المناسبة ...

الباب السادس — تسخير الهواء والريح

(١) من ذلك :

أخبرنى الشيخ ـ محمد ظافر : أنه كان باحتفال المولد النبوى الشريف بالزقازيق حيث تقيم كل طريقة سرادقاً خاصاً بها . وتجمع الطرق كلها للذكر عصراً حول « الصارى » كالعادة . وحضر الشيخ عند التئام الجمع رافعاً راية بيده وهو فى حالة جذب شديد . . فرآهم يتفاهمون فيمن يرأس الجمع . وعند أخذ رأيه فيمن يبتدىء مجلس الذكر قال :

يبتدىء من يمكنه الطيران فى الهواء ويربط هذه الراية بأعلى الصارى.. فقالوا : ليس فينا من يستطيع ذلك .. فقال : إن شئتم رفعتها أنا ..

فأمنوا على ذلك . فارتفع فى الهواء وربط الراية بأعلى الصارى ونزل . فلم يتقدم عليه من يومها أحد .

وكان ذلك سبباً فى ظهوره والتفاف الناس حوله وتهافتهم على التماس بركته ..

(٢) ومن ذلك :

سألت السيد ـ سليمان نادى الأمين ، وقد كان وقتها جاراً للشيخ ، عن أول ما وقع من والدى بعد رجوعه للمنزل من الجذب .. فقال :

أول ما رأيناه من والدك بعد حضوره من غيبته الطويلة ، أنه حضر لصلاة الجمعة فقام بعد الصلاة فينا خطيباً مذكراً واعظاً إلى صلاة العصر . فلم يقم أحد من المصلين لتحمله من شدة ما تولانا من تأثر الوعظ والتذكير. وكان أثناء الخطبة ينتقل فى الهواء ويقف على الأعمدة الخشبية التى تعلق فيها المصابيح . وهى الممتدة بين العمد التى ترفع السقف .

فعلمنا أنه على نور عظيم من ربه . وزادت مكانته وحبه بيننا . حتى أننا كنا لا نصبر على مفارقته.. ونقضى معه أكبر وقت ممكن ، التماساً لبركته

وعلمه ، وأنساً بمجلسه ، وعجباً مما يحصل من كرامات وفوائد لكل قاصد .

(٣) ومن ذلك :

كان رضى الله عنه فى سياحته السنوية التى أشرنا إليها ، متوجهاً إلى بلدة «عمروس» . . من أعمال كفر الزيات . ولم يكن إذ ذاك من طريق للوصول بالشيخ وركبه إلا بركوب سفينة تمخر عباب نهر النيل ، وكان فى عنفوان فيضانه . وعمروس تقع جنوبى كفر الزيات ، والمسافر إلى الأولى يسير ضد التيار . وقد قدر الزمن بين البلدتين بتسع ساعات . وبينما السفينة تشق طريقها فى جهد شديد ، إذ هاج البحر وماج ، واشتد الموج حتى خيف على السفينة من الغرق . .

عندها قال الشيخ وكله إيمان بربه وتوكل عليه : « اسكن أيها البحر . . » فسكن فى الحال . . ثم نادى الهواء ، فإذا به يلبى النداء ويدفع السفينة دفعاً متغلباً على التيار المضاد . . وهكذا حتى وصلت السفينة إلى عمروس فى نصف الزمن الذى كان مقرراً ؛ فى سلامة وأمان . .

(٤) ومن ذلك :

وسمعت من جملة مصادر أن السرادق المقام للمولد النبوى الشريف قد غطاه تجمد « البرد » الذى كان يهطل مع المطر بشدة ، وقطعاً كبيرة . . حتى أن عمدالسرادق غاصت فى الأرض . وكان هطول المطر على أشده؛ فأنهى الإخوان الخبر إلى والدى بعدم إمكان إقامة الاحتفال بالمولد ليلتها . .

فقال لهم : سأنزل معكم حالا . .

وعند وجودنا بالشارع رأينا أنه لا يمكن بحال سير سيدنا الشيخ إلا بنهاية المشقة . فقال : « احملونى إلى السرادق . . » وأمام باب السرادق نظر إلى السماء قائلا : كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى مثل ذلك يقول مخاطباً السحاب : « حوالينا ولا علينا » . . وانتظر . . وانتظرنا معه انقطاع المطر ، فلم يحصل . فنظر إلى السحاب مرة أخرى بغضب ظاهر يخاطبه: قلنا إن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : حوالينا ولا علينا . . ألم تسمع . . ؟

وهنا انقطع هطول المطر فى الحال . وقمنا بإحضار سلالم وجرفنا الثلج من فوق سقف السرادق ، وردمنا الأرض بتراب جديد من كومة تراب كبيرة لأحد الأعيان قريبة من المكان بعد إزالة طبقة الطين التى تغطيها . وأقيم الاحتفال بمولد المصطفى صلى الله عليه وسلم .

(٥) ومن ذلك أيضاً :

قال لى الأستاذ الشيخ أحمد المسيرى :

كنا فى بلدة « صفط تراب» وكان سيدنا الشيخ فى حالة غير عادية ؛ وبعد انتهاء الحفلة أردنا الانصراف للراحة ، فقال لنا سيدنا الشيخ : إن هذه الليلة من الجنة . . ألا أدلكم على ذلك . ؟

قلنا : نعم ياعم . . فقال : تعال يا هواء بريحة طيبة ؛ من شمها كان من أهل الجنة . . ولم تمض ثوان، حتى أتى الهواء بعدها برائحة زكية لم نشمها من قبل . . فسررنا جميعاً ؛ وكنا فى أنس بما كسبناه . .

(٦) ومن ذلك :

قال الأخ محمد فهيم : كان ذلك فى صيف ١٩١٧ وكان سيدنا الشيخ حاضراً لزيارة الإخوان بالإسكندرية . وكنا جلوساً مع حضرته أمام مسجد سيدى القبارى فى حوالى الساعة الثالثة بعد الظهر . وكان الحر شديداً . فقال لنا سيدنا الشيخ : « أجيب لكم الهوا » ؟ فقلنا فى نفس واحد : نعم ياعم . . فقال : تعال يا هوا . . ومد الواو مع كسرها بخفة . . ولم ينته من ندائه حتى هب نسيم عليل تلاعبت معه أوراق الشجرة التى كانت تظللنا . ثم قال : « أجيب لكم هوا بريحة زكية » . ؟ فقلنا : نعم . . فنادى مرة أخرى : تعال يا هوا بريحة زكية . فهب النسيم معطراً عطراً لا يوصف . . ولاحظنا أن ذلك النسيم كان مقصوراً على مكان اجتماعنا .

(٧) ومن ذلك ما وقع باحتفال المولد النبوى الشريف :

قال لى الأخ الحاج ـ محمد فهيم فهمى :

حضرت احتفال المولد النبوى الشريف بالزقازيق ، وكنا فى فصل

الشتاء ، وقامت عاصفة شديدة كادت تقتلع أوتاد سرادق الاحتفال . وكان موجوداً فيه سيدى وأستاذى الشيخ مع بقية الإخوان : وذلك عقب صلاة العشاء : فقال سيدنا الشيخ مخاطباً الهواء : « اسكن » .. قالها بشدة وبصيغة الأمر .. فسكن الهواء دفعة واحدة لم يتحرك بعدها أبداً إلى نهاية الحفل .

(٧) ومن ذلك ما وقع مع الأخ السيد ـ محمد الفقى :

سمعت من السيد الأخ ـ محمد الفقى يقول : بينما نحن جلوس مع سيدنا الشيخ فى يوم شديد الحر ، نجفف عرقنا ونشتكى سخونة الطقس ، إذ قال لى سيدنا الشيخ : أجيب لك هوا رطب . . ؟ فقلت : أمر حضرتك .. فنادى بصوت يمده طويلا : « تعال يا هوا بريحة تمر حنة من الجنة » . فجاء الهواء رطباً عليلا محملا بهذه الرائحة التى كنت أحبها وأفضلها على كثير من من الروائح . واستمر الهواء حتى أحس الإخوان بالبرد ، حتى طلب بعضهم من سيدنا الشيخ الانتهاء من هذه الحالة لارتعادهم من البرد .. فقال الشيخ رضى الله عنه : « كفاية » .. فسكن الهواء . وكان سرور الموجودين بهذا الإكرام عظيما ..

(٨) ومن ذلك ما أخبرنى به السيد ـ لطفى خشبة قائلا :

ومما وقع معى خاصة ، وكان رضى الله عنه فى بلدة « دميرة » ، حيث دعاه العارف بالله السيد ـ عبد السلام الحلوانى ، وكنا فى الصيف . وفى آخر الليل اضطجع رضى الله عنه على كنبة فى إحدى الحجرات وأخذت أدلك له رجله وقدمه ، والجو حار كما ذكرت .. وإذ به ينادى على الهواء . ولكن نسماته لم تهب سريعاً كما هى العادة ، وتحدثت بذلك إلى نفسى .. وإذ بى أفاجأ بالهواء يهب ، لا من النوافذ والأبواب .. ولكن من بين قدميه رضى الله عنه .. ويلفح وجهى ..

فأنبت نفسى ولمتها طويلا ...

(٩) ومن ذلك :

ولقد كان رضى الله عنه إذا اكتظ مجلسه بالناس واشتد الحر ، يطلب

منه بعض الإخوان أن يخفف عنهم هذا القيظ ، فيدعو الهواء ، وإذا به يهب عليلا حتى يشعر به كل من فى المجلس . وقد يشتد ويقوى حتى تتأثر منه ضلف الشبابيك والأبواب ..

وقد شهدت ذلك بنفسى غير مرة . كما شهده الجم الغفير من الإخوان وغير الإخوان مراراً عديدة ..

(١) ومن ذلك ما وقع أيضاً :

قال لى فضيلة الشيخ ـ محمد الزينى :

كانت عادتى عند زيارة سيدنا الشيخ لى بالبلد « ميت الغرقا » أن أحضر عربات لتوصيله إلى النيل ليركب ومن معه من المنصورة إلى البلد فى نزهة نهرية .. وكالعادة أحضرت مركبين ، وكان الوقت جفافاً للغاية ، وذلك لنتمكن من توزيع الإخوان عليهما حتى يكون حملهما خفيفاً يمكن معه السير حيث المياه قليلة وقاع النهر قريب ، وإذا زادت الحمولة وقفت المركب ، أو تعثرت فى المسير .

ولكن الذى وقع أن الإخوان لم يفهموا غرضى من إحضار المركبين.. فنزلوا كلهم تمريباً مع سيدنا الشيخ بالمركب التى يركبها .. وخجلت أن أنبه الإخوان لما فى ذلك من ضرر ، وتركت الأمر للظروف ، حيث سيطلب الملاح منهم ذلك ، أو من يقوم بالإشراف على سفر الإخوان والعمل على راحتهم .

وكان فى هذه المرة الشيخ عقل ، وهو مشهور بحزمه ، وكلنا يطيع أمره.

ولكن الشيخ عقل بدلا من ذلك نظر إلى وقال : إخلع ملابسك وجر اللبان مع آخرين حتى تسير المركب على الحالة التى هى عليها .

ولكن سيدنا الشيخ كان متنبهاً لما يجرى بيننا .. فنادانى وقال : ما تصنع ؟

فقلت : خلعت حذائى ومستعد لجر اللبان مع الإخوان ..

فقال : لا داعى ..

وطلب منى الركوب معه ..

وعند استقرارى أمامه قال : « **قل للملاح يحل القلع** » .. فقلت للملاح ذلك .. فاعترض قائلا : معنى **حل القلع أن** تثقل المركب جداً . وربما لا تنتقل من مكانها ؟؟

فقلت له : أطع أمر سيدنا الشيخ . .

فأطاع مكرها . .

وقال لى سيدنا الشيخ : اطلب **الهواء**. فقلنا معاً : تعال يا هوا . .

فاذا بالهواء يهب وتكاد المركب منه **تطير وتنقلب** لشدته ..

وسارت ونحن بها فى غاية **السرعة الفائقة** .. ووصلت فى ربع ساعة . مع أن عادتها والنهر ملآن والهواء متوفر أن **تستغرق** ساعة فى وصولها إلى البلد ..

* * *

الباب السابع — طول اليد وقصرها

التطور بأطوار مختلفات وأشكال متباينات

(١) من ذلك :

قال لى الشيخ ـ محمد الحولى ، خادم والدى :

رأيت سيدنا الشيخ مراراً عديدة يمد يده وتطول ، فقلت فى نفسى لو رأيناها وهى تقصر . فكان رد سيدنا الشيخ على هذا الخاطر أن يأمر بتحضير مياه للاستحمام ودخلت معه لأعينه .. فقال وهو يمد يده لى : تغسل الذراع أولا .. وصرت أغسلها وهى تقصر إلى حد صغير جداً ..

فقال لى : هذا لك لتطمئن ..

فقبلت يده وخرجت ليتم حضرته غسل أعضائه .. فنعم المؤدب كان..

(٢) ومن ذلك أيضاً :

قال لى فضيلة الشيخ ـ محمد الزينى : عند زيارة سيدنا الشيخ لى بالبلد ووصول حضرته ومجىء الإخوان للسلام عليه ، جاء ضمن أهل البلد شخصان لهما اعتراض على سيدنا الشيخ ، وكنت ساعتها أجلس أمامه

فقال لى :

قل حكاية إشرافكم على الغرق فى الإسكندرية ...

وصرت أقص على حضرته ما حدث لنا وأنا أدلك يده الكريمة ، وهى تطول دون شعور منى بذلك إلى أن قربت من الشخصين المعترضين ..

فأخذ الجميع العجب .. وأفقت أنا على تعجبهم .. وكان من بين الحضور : فضيلة الشيخ ـ الصمدى ، وكان أكثر الجمع دهشة .. فطلبه سيدنا الشيخ وأمسكه من أذنيه وشدهما ، فإذا بهما تطولان جداً .. وصار عجبنا من طول أذنيه يساوى عجبنا مما رأينا من طول يد سيدنا الشيخ . . واشتغل الشيخ الصمدى بنفسه ، وبعد قليل رجعت أذناه إلى حالتهما الأولى ..

(٣) ومن ذلك ما وقع للشيخ ـ محمود سلامة :

ومما شاهدته وأنا مع حضرته بمنزل الشيخ ـ محمود سلامة ، التاجر والترزى العربى « ببوريج — غربية » — وهو أن الشيخ محمود سلامة أحضر ثوباً من الكتان ، واستأذن سيدنا الشيخ فى أن يصنعه ثوباً له ، حيث أنه كان يلبس الصوف فى الصيف ، فتقبله الشيخ شاكراً بعد إلحاح ..

وهنا أمر الأخ ـ محمود سلامة سيدنا الشيخ بالقيام، ووضع أول الثوب على كتف سيدنا الشيخ وقال له : ضع يدك على القماش . واستمرت لهجته الآمرة إلى نهاية أخذ المقاسات . فقال له سيدنا الشيخ : أنت لم تأخذ مقاس الكم . فقال : عرفته . فقال له الشيخ : الأحسن أخذه .. فقام بوضع أول الثوب على كتف الشيخ أكثر من أربعة أمتار واليد تمتد معه . فتنبه . وصرخ . فقال الشيخ مضاحكا : أين شجاعتك فى الأمر . كأنك جندى شجاع . ؟

وهنا أقبل الشيخ محمود معتذراً عما فرط منه . وكلنا فى تعجب مما حصل .

(٤) وبهذه المناسبة أذكر :

أن والدى — رضى الله عنه — أراد تفصيل جلباب وهو بالإسكندرية فحضر لحضرته « المعلم التلينى » الترزى العربى ومن الإخوان ، فأخذ المقاس ، وأراد الانصراف فقال له والدى : أنت لم تأخذ مقاس الكم . فرد قائلا : أعرفه يا عم . فقال له : الأفضل أخذ المقاس .. فوضع أول الثوب على الكتف وطلب من الشيخ وضع يده على أول الثوب . وأخـذ يفرد القماش إلى أن وصل إلى باب الغرفة ..

وهنا تنبه الترزى كما تنبه جميع الإخوان أن يد الشيخ تطول والترزى يتابع النظر إلى الكتف ويفرد القماش ..

وهنا رجع الترزى يقبل يد الشيخ ويسأله السماح ، حيث أنه كان يأمره بطريقة غير لائقة بأن يضع يده على كتفه .

فرد عليه الشيخ معاتباً قائلا : « كيف تجعل الثوب كله كم ذراع .: روح هات الباقى » : فضحك الحاضرون .. وسامحه الشيخ .

(٥) ومن ذلك ما وقع مع الحاج ـ عثمان أبو السعد :

قال لى الحاج عثمان أبو السعد ، من الحوامدية : دعوت سيدنا الشيخ لتشريف منزلى مع الإخوان كالمعتاد سنوياً . وعند وجود حضرته بمنزلنا أخذت يده لأدلكها فإذا هى تمتد وأنا لا أشعر ، حيث أنى كنت أنظر إلى الكف فقط ، وأنا أتراجع إلى الوراء حتى وصلت إلى الحائط الثانى وجميع الإخوان ينظرون ذلك فى غرابة شديدة .

وعندما التصقت بالحائط المقابل ، ضغط على صدرى بقوة حيث كنت فى ذهول .. فأفقت على أنى أقول لحضرته : أنا فى عرض النبى يا عم ... فضحك سيدنا الشيخ وصارت يده تنكمش رويداً رويداً وأنا أسير نحوه إلى أن حازت الكم ، فصرت أدلكها وهى تنكمش أيضاً إلى أن غابت تماماً فى جسده ، وأنا فى شبه غيبوبة . ولما لم أجد شيئاً أدلكه .. تبسم ، وعرفت أن ذلك آيتان لى ولوالدى وللحاضرين الذين تشفعوا . وكانت الليلة فى غاية الأنس والوجد ..

(٦) ومن ذلك ما وقع :

قال لنا الشيخ ـ إبراهيم شلبى : سمعت من الإخوان أن يد سيدنا الشيخ تطول حين يدلكها له أحد الإخوان ، ويفعل ذلك مداعبة للمدلك وأنساً للإخوان الحاضرين . فأنكرت ذلك بقلبى وإن كنت أعلم أن سيدنا الشيخ فوق ذلك .. ولكنها الوسوسة . وفى يوم كان عمى المرحوم الشيخ عبدالحميد شلبى جالساً أمام سيدنا الشيخ وجارى تدليك يده ، فإذا هو ينزعج ، ويقوم ليقبل يد سيدنا الشيخ .. وبسؤالى عن سر انزعاجه قال : فى حالة تدليك يد سيدنا الشيخ طالت حتى أنى لم أقو على حملها . فذهبت إلى الحجرة التى بها سيدنا الشيخ ، حيث كنا خرجنا ، وعند وجودى أمام سيدنا الشيخ ، أخذت يد حضرته لأدلكها ، فإذا بها تطول وأنا فى ذهول . ولكن العيان كان لى شفاء روحياً .. وقدر الله لى أن أشفى من الوسوسة بعدها .

(٧) وبهذه المناسبة أقول :

إنه كان من المعلوم بالمنزل أن سيدنا الشيخ كان يستخرج حاجياته من الدولاب وهو نائم على الأريكة . وهو يبعد عن مكانه بأكثر من أربعة أمتار .. وأنه كان يمد يده لإحضار حذائه من أى مكان بالغرفة وهو جالس مكانه حتى لا يوقظ النائم، وعند التنبه لعمله ، وقيام النائم من نومه على هذه الحركة ، يرى أنه قد وجد حذاءه ولبسه ليذهب للوضوء والاستعداد لصلاة الفجر .

ومن المعروف أن شيخنا رضى الله عنه فى حالة البسط والأنس ، كان يشاهد فى حجم أعظم من حجمه الطبيعى . وأنه إذا كان فى حالة فكر أو قبض — يرى فى حجم صغير عن الحجم المعتاد ..

وأذكر أننى دخلت عليه خلوته بعد استئذانه ، فوجدته جالساً يذكر الله بسريره ، وحجمه ضعف حجمه المعتاد . فقلت له وأنا أرتعد : إنى خفت منك خوفى من الأسد . فقال : يابنى إننى أعرف قدرى تماماً .. وهو أننى وزنت نفسى على قشرة البصل فوجدتها أنفع منى للناس ...

فقلت له : كيف يكون ذلك ... وأنت أمل الإخوان فى الشفاعة والنجاة يوم القيامة ؟ فأشار إلى عنقه وقال: يابنى إن الرجل — كل الرجل — من يخلص هذه من النار فى ذلك اليوم ..

فقلت له : لا أزال أصر على أنك إمامنا فى ذلك اليوم .

فقال : يابنى إذا كان هناك الحساب على العمل فقد ضعنا جميعاً . وإن كان الحساب على النية فإننى والحمد لله أعتقد أن نيتى كانت مخلصة . وهنا يكون الرضا علينا جميعاً .. ثم بكى بكاء مراً .. فسكت هنيهة وقلت : ما علينا .. فإننى حضرت للرجاء لصهرنا « إمام بك » أن ينقطع عمله فى التفتيش بطور سينا ويحضر ليقضى رمضان معنا كعادته . فقال : إن وجوده هناك مصلحة لى حيث سيحضر بعد العيد ويقوم لى بخدمة خاصة ، فاكتب له بذلك ..

وأقول إن هذه الخدمة الخاصة كانت لضرورة وجوده عند انتقال والدى ، ورسم المسجد والإشراف على إنشائه ..

(٨) ومن ذلك أيضاً :

سمعت من والدتى وزوجات والدى ، أن شيخنا كان إذا أخذه حال وقت الذكر يصغر حجمه جداً وينتقل طائراً ليجلس فى الطاقة — وهى فتحة صغيرة داخل الحائط — أو ينتقل طائراً من « المنور » وهو فتحة يدخل منها النور إلى قاعات منازل الفلاحين ولا يزيد إتساعها على ثلث متر . وعند هذا الحال يكون صغير الحجم لدرجة أن مسبحته تكون أطول منه .. وهنا يأخذنا الخوف منه والانزعاج . فيأمرنا بالخروج من المكان .

(٩) وقالت لى زوج والدى — السيدة - فاطمة الشهيرة « بأم عثمان » : إننى رأيت سيدنا الشيخ صغير الجسم فى حجم الحمامة يقف على « أكره » عمود السرير ، ولكنه محتفظ بشكله بالرغم من أنه أقل من حجم الطفل حديث الولادة ، فصرخت .. وحضر من بالمنزل ليجدوه على هذا الحال .. وتسمرنا فى أماكننا كالأموات .. لا كلام ، ولا حركة .. حتى رجع إلى حالته الطبيعية رويداً ، رويداً . تقول ذلك وتحلف أنها صادقة وتستشهد بأفراد العائلة ، فطمأنتها بقولى : أنا أعرف عنه أكثر من ذلك ..

فقد كنت أعرف أن والدى كان المشيعون لأى جنازة عند فتحهم للقبر للدفن يرون والدى داخل القبر بالرغم من أن القبر ليس به أى منفذ. وهذا أعجب ..

ولما سئل عن كيفية دخوله القبر قال : يدخلنى ربى ..

سئل كيف يخرج ؟ . فقال : يخرجنى ربى .. وكلا الأمرين بإذنه تعالى وإرادته وقدرته وكرمه ..

(١٠) ومن ذلك أيضاً :

قالت والدتى :

فى أيام زواجى الأولى بسيدنا الشيخ ، حدث بينى وبين زميلاتى خلاف فعزمت أن أذهب إلى بيت أهلى غاضبة صباح اليوم التالى . وصرت أبكى تلك الليلة ، وأنا داخل السرير وعليه ناموسية . . وبعد قليل رأيت كف يد قدر نصف متر تخرج من تحت السرير إلى تحت الناموسية . وأراها فأزداد هما ورعبا وخرجت مسرعة من غرفتى إلى الغرفة المجاورة لأبيت عند زوجة أخيك وأخبرتها بما وقع لى . . فقالت لى : إن هذه يد الشيخ لتخرجى من حجرتك وتحضرى إلى لتأتنسى بى . . فربما كان حصل لك مرض من الهم والبكاء .

وفى الصباح قابلت الشيخ لأخذ الإذن منه فى السفر إلى أهلى وأطلب منه أن يوصلنى خادمه . . فقال لى : قبل ذلك عرفينى رأيت إيه ليلة البارحة . . فقلت له ماحدث . . فقال : صدقت .

ثم أرانى كفه وقال : كانت مثل هذه . . فأقول : تماما . . فيقول : وهل أنت مصرة على الغضب . . ؟ فأقول : لا . . ويستريح صدرى إلى الوجود معه . وقلت فى نفسى : وهل أجد صبرا على مفارقة مثل هذا الولى . ؟ ثم إنه استرضانى وأخذ لى حقى . . ودعا لى بالسكينة . . فكان كل ذلك . .

* * *

الباب الثامن — تكثير الطعام

(١) من ذلك ماوقع :

كان الشيخ رضى الله عنه فى سياحته السنوية عند المرحوم الشيخ - أبى جلالة ببلدة « السرو — دقهلية » ، وكان من عادته أن يقدم سمكا فى هذه المناسبة ، وكان الوقت صيفا ، ولم يوفق إلى استحضار السمك . ولم يكن لديه إلا زوجان من البط ، وبضعة أرطال قليلة من اللحم ، فأسقط فى يده وتوجه إلى الشيخ يكاد يبكى من الورطة التى وقع فيها . فتبسم رضى الله عنه وقال له : لا تخاف . فإن ماعندك سيكفى وزيادة . . وطلب منه ألا يقدم شيئا من الطعام إلا بعد إخباره .

فلما أخبره وتوجه وكشف الأوعية التى بها الطعام وسمى الله تعالى ، وأقبل الإخوان من مختلف الجهات والطعام يقدم ، والبركة حاصلة ، حتى وفى الزائرين مع كثرة عددهم ، بل بقى منه شئ بعد ذلك ببركته رضى الله عنه وبما له من صدق حال مع المولى عز وجل . . وحصل الستر لصاحب المنزل وآله . .

(٢) ومن ذلك ماوقع أيضا :

ومنه ما ذكر العارف بالله السيد - عبد السلام الحلوانى فى «السيرة الحليلية» من أنه دعا الشيخ رضى الله عنه لزيارته ببلدة « دميرة » مركز طلخا . وأنه استدعى طاهيا من المنصورة اتفق معه على إطعام مائة شخص . وعلى هذا الأساس استحضر من اللحم وباقى المعدات مايكفى هذه العدد . ولـــكن الزائرين أقبلوا من كل مكان وكثر العدد ، وتجاوز ماكان مقدرا أضعافا مضاعفة ، حتى أنه كان يدعى إلى المائدة عشرة ، فعشرة . .

ولما بلغت الساعة الحادية عشرة كان العدد « ٥٣٠ » خمسمائة وثلاثين شخصا دون أن ينقص شئ مما يقدم على كل مائدة . حتى عجب الطاهى ومساعده لذلك أشد العجب ، وأيقنا أن فى الأمر سرا واضحا وبركة لم يعهداها من قبل .

وإلى جانب ذلك كانا يخدمان بهمة وإخلاص وانشراح ، مدفوعين إلى ذلك دفعا ، والأمور أمامهما ميسرة كل التيسير ببركة الشيخ وعظيم مدده.

(٣) وقال لى السيد ـ محمود الحلوانى :

شرف عندنا سيدنا الشيخ بطنطا لعمل الحفلة السنوية التى كنت مرتبا لها اللازم كالعادة . ولـكن هذه الليلة كان مددها كثيرا وعددها كبيرا . ولـكننى كنت مطمئنا بالله اكتفاء أن ذلك الستر يحصل فى الأرياف وغيرها من المدن . فإن احتجنا لشئ نستحضره حالا من السوق ، خاصة الخبز الذى عليه الطلب أكثر . ولـكن حصلت الآية . . فإنى كنت أعد لليلة السياحة ست كيلات قمح ، وللمنزل كيلتين ، فنأخذ المخبوز للمنزل ونعوضه فورا من الموجود من القمح . ولكن الواقع أن الخبز بقى منه شىء ، علاوة على الفضلات ، وصرنا نأخذ منه اللازم للمنزل ثلاثة شهور متوالية .. فكانت حرمى تقول : إذن لم يأكل الإخوان منه شئ . ولـكنى أعلم أنها آية .. والله على ماأقول شهيد .. حيث تصديق ذلك على من لايعرف سر الطريق وخوارقه أمر شديد .

(٤) وقال لى السيد عبد السلام الحلوانى :

كنت مع سيدنا الشيخ بكفر الدوار وحان وقت ترتيب زيارة سيدنا الشيخ للإسكندرية ، فقال سيدنا الشيخ : باكر إسكندرية عند عبد السلام ليلة راحة ، وليلة من السياحة . فرحبت بذلك وطلبت الستر من الله تعالى ، حيث لااستعداد لوجود إخوان البلاد وهم كثير ، لأنهم ولو أنها راحة سيحضرون جميعا لوجودهم مع سيدنا الشيخ . . وسافرنا إلى الإسكندرية وأنا متحير فيما أصنع هذه الليلة ، بل ماأصنع فى تقديم الغداء ؟ وهنا قال لى حضرته : ياسيد عبد السلام .. عندكم غدا للإخوان .. ؟ فقلت له : ياعم سنعمل اللازم ، وعندى طباخ ماهر ومبارك .. فقال : عنده كمية عدس يطبخها فى حلة الغسيل ، وهى تكفى إن شاء الله النهار والليل . وباكر تقوموا بتقديم الطعام المعتاد على ألا يكشف غطاء الحلة لينظر مافيها . وأمرنى ألاأفعل غير ذلك ، وشدد فى الطاعة .. ففعلت ذلك مسلما أمرى لله تعالى ..

فكان تنفيذ مارسم . وكانت الليلة من أبهى ليالى الطريق . والجمع فى غاية الرضا والسرور ..

وتمت الليلة الثانية بهذه الروح العالية وستر الله تعالى الطريق ، وتفضل علينا بالرضا ..

(٥) ودعا الشيخ ـ حماد الجنايني ، خليفة كفر نفرة — غربية ، شيخنا لإحياء الطريق ببلدته . وكانت عنده ذبيحة ضئيلة ، ولما حضر شيخنا بمنزله قال له : أطلعنى على ماجهزته لطعام الإخوان ، وسأذهب معك لرؤياه وأتذوقه . فذهب معه وطلب رؤية اللحم على الخصوص . وأخذ من اللحم قطعة وتذوق منها القليل ، ودفعها إلى الحلة وقال له : تأخذوا من الحلة بدون رفع غطائها والنظر إلى مافيها لتكفى وزيادة إن شاء الله تعالى ..

أما أعيان البلد فأكثروا الـكلام فى لوم شيخنا الذى قبل دعوة رجل فقير . وهالهم الوافدون من البلاد المجاورة ، فتأكدوا الفضيحة . واشتد الهجوم على شيخنا من أحد الأعيان .. فلقى جزاءه ، حيث لم يقم من جلسته إلا بفجاءة مرض .. عندها حملوه إلى منزله بين الحياة والموت . وعند ذلك ذهب أهله لشيخنا طالبين السماح . فقال لهم : إن الله تعالى غيور على دينه .. وإن هذا العين (١) قد تكلم فينا كثيرا . وذكر ألفاظه التى سمعها منه بعض المستشفعين له . وقال : هل الشيخ حماد طلب منه أو من غيره أو شكا حاله لأحد . ؟ وكان الواجب عليه أن ينتظر حتى يرى النتيجة ، ثم يقول مابدا له . فألح عليه أعيان البلد فى العفو عنه . فقال : سيشفى الآن ويحضر هنا ليرى السرور والستر .

وعند حضوره معافى .. رأى ما عليه الحفل من البهجة ، فحضر لطلب السماح ، وكانت تلك الآية سببا فى هدايته ومن معه ، والانتساب للطريق ، وصارت هذه الحفلة تقام سنويا بهذا المنزل ومنازل الذين أخذوا العهد على شيخنا رضى الله عنه .. فسبحان من أعطاه ..

---

(١) العين : مفرد الأعيان .

(٦) ومن ذلك : أن الشيخ عبد الرازق أبو حبل من بلدة : القنايات شرقية دعا شيخنا لزيارة بلدته ، والدعوة إلى الطريق ، فقال له شيخنا :

أحضر عندك لما يوسع عليك الله تعالى ..

فقال : ياعم الخير موجود ، والحمد لله .

فقال له : تعمل لنا « أنجر فت عليه لحم » — « الأنجر : هو إناء الطعام .. وهو وعاء من النحاس ، يجلس حواليه تقريبا عشرة أشخاص » — نأكل منه ، ثم لا ترفعه . وأحضر كل من يحضر للأكل منه ، فسيكفى الليلة كلها ، ولا تعمل غير ذلك .

فقال : سأفعل هذا .. وقام شيخنا إلى البلد . وقدم الطعام بهذه الهيئة ، وكان ذلك سببا مباشرا فى هداية البلدة وماجاورها . وهنا قال العمدة لشيخنا : أريد تلك الآية بمنزلى باكر .. فرد عليه شيخنا :

« سبقك بها عكاشة » .. ثم قال للعمدة :

إن ذلك الرجل متوسط الحال ، فأكرمه الله بذلك .. أما أنت فغنى ، فـلا لزوم لذلك .

فسكت العمدة ، ولم يكرر الطلب . فإنه كان من المحبين ، وليس من الإخوان العاملين . وإن شيخنا رضى الله عنه ، كثيرا ماكان لايقبل الدعوة إلا من خليلى ، وكان يكتفى بقبول زيارة المحب لتناول مشروب لاغير ...

* * *

الباب التاسع — انقلاب الأعيان

(١) من ذلك ماوقع لصهرنا :

قال لى الشيخ ـ عبد العزيز حسنين :

أخذنى الحنين لبلدتى ، وعزمت على التفاصل من سيدنا الشيخ والوجود بها ، فاتجهت لسيدنا الشيخ ، وطلبت منه السماح والتفاصل . فقال لى : لامانع . فاستأذنته فى أخذ زوجتى معى فقال : أنت حر فيها .. واستأذنته فى جرد المحل ، فسمح أيضا . وعند مغادرتى لحضرته قال لى : يلزم خدمة بسيطة وهى آخر خدمة .. فوافقت . وعند ذلك أدخل يده بين الجلباب والصديرى وأخرج قطعة من الذهب فى حجم بيضة النعامة وقال لى : حيث أنك مسافر ، فأنا سوف لا أستمر فى التجارة ، فيلزم أن أعمل هذا كلما احتجت للصرف . فبعها ، وآتنى بثمنها ..

وعند ذلك أسفت على مفارقتى لحضرته . ورددت له تلك القطعة الذهبية .. فأخذها وألقاها فى فتحة الصديرى ولم يظهر أى حجم لها كالمعتاد.. فسألته متعجبا : أين هى ياعم ؟ . قال : رددتها للمحال الذى أخذتها منه .

وصار يتجر فى الحبوب ، وهو فى مكانه . ويعطيه الله المكسب الكثير الذى أغناه تقريبا عن التجارة المشتركة . فصارت ثانوية بالنسبة لما يهبه له الله فى التجارة الخاصة .

(٢) ومن ذلك ماحدث :

أخبرنى أخى السيد ـ عبد المجيد عزت : أنه يوما كان مغتما لعدم قدرته على إهداء أخته التى تزوج شيئا كإخوته .. وشكا ذلك الأمر لسيدنا الشيخ ، فتألم له . وبعد قليل ، ناوله الشيخ قطعة من الذهب الخام وقال له : اذهب لعبد الملاك الصائغ واشتر منه طوقا وطاقية وحزاما من الفضة ، وهذا هو الثمن .. فنفذت أمر سيدنا الشيخ . وعند الحساب قلت لعبد الملاك : خذ هذه القطعة من الذهب وقدرها وخذ حسابك . فلما رآها .. ذهل وقال لى :

أتعرف صنعة الــكيمياء ؟ فقلت : لا . فقال : قل الحقيقة ننتفع معا .. وإلا أبلغت الحكومة فتصاب بالضرر .. فقلت له الحقيقة ..

فقال لى بعد أن وزن قطعة الذهب متعجبا : هى قدر الثمن تماما بعد تنظيفها وصهرها ..

وعند انصرافى صار يتوسل إلى ويرجونى أن أطلب من سيدنا الشيخ الشيخ الدعاء له والرضا عليه ..

(٣) وقال لى العارف بالله فضيلة الشيخ ـ عبدالله الشيمى « المتقدم تعريفه بالسيرة » : عندما تواجدت بالزقازيق لزيارة سيدنا الشيخ بمرافقة أخى فضيلة الشيخ محمد عبده — مفتى الديار المصرية . . قدم لنا الغداء « فتة عدس » . وكان مرافقى يكره العدس ولا يتناوله ويصاب بالغثيان لمجرد سماع اسمه . وفكرت فى طلب أى طعام خلافه .. ولــكن سيدنا الشيخ دعانا لتناول الطعام ، وأخذ بيدنا إليه . ثم ناول مرافقى ملعقة منه وأطعمها له فى فمه .. ثم ناوله ثانية .. وثالثة .. ثم أعطاه الملعقة وقال له : كل على بركة الله .. فأخذ يتناول الطعام بلذة وشهية حتى قام آخرنا ..

وعند رجوعنا وجلوسنا بصالون القطار ، قال لى الشيخ محمد عبده :

إنى متعجب جدا مما يصرفه سيدنا الشيخ على الطريق وهو لا يأخذ من الناس شيئا .. ثم استطرد قائلا : لأن الطعام كما رأيت « فتة رقاق باللبن والزبد والقشدة وعسل النحل بكميات وفيرة ... » !!

فتعجبت وخشيت أن أقول له إن الأكل كان : « عدسا » .. حيث إنه كان عند مجرد سماعه كلمة « عدس » يتأفف ويصاب بالغثيان . . فعلمت أنها ليست إلا من كرامات انقلاب الأعيان للولى ..

(٤) ومن ذلك أيضا :

سمعت من كثير من الإخوان الأول كالشيخ ـ محمد البنا ، والسيد ـ عبد المجيد عزت .. وغيرهما ... يقولون :

كنا نجلس مع سيدنا الشيخ ، فدخل علينا رجل تدل هيئته على أنه من أهل المغرب .. نظيف الملبس ، ليس عليه أثر السفر . فتلقاه سيدنا الشيخ بترحاب منقطع النظير .. مما لفت نظرنا إليه .. ونبهنا إلى مكانته . وداعبه سيدنا الشيخ قائلا : نريد الشاى كما يحبه المغاربة عندكم .. فقال : أمر سيدنا الشيخ .

فأمر سيدنا الشيخ رضى الله عنه ، بإحضار البراد والأكواب والشاى والسكر .. فقال الضيف : ووابور الجاز ياعم ..

فقال له : ضع الشاى فى البراد وسخنه أنت وضع السكر واسقنا من شايك .. فقال : وهو كذلك . .

ثم وضع الماء والشاى بالبراد ، وتمتم بكلمات .. فرأينا البخار يخرج من البراد ، وطلب الضيف فوطة وجه ، وغطى بها البراد لئلا يتسرب البخار للخارج . وهذه تسمى عند المغاربة « كمرة » .. كما أخبرنا ..

ثم رفع الغطاء ووضع السكر .. وقدم لسيدنا الشيخ ولنا الشاى .. ونقسم أنه كان ساخنا للغاية ولا يشرب إلا بعد تبريده ..

فنظر إلينا سيدنا الشيخ وقال : أليس هذا ولى ... ؟؟

وقال الضيف المغربى : ذلك حدث أثر أمر سيدنا الشيخ ..

وصار كلاهما ينسب الآية لصاحبه ..

فسبحان المعطى الوهاب ...

❊ ❊ ❊

شيخنا الجليل أبو خليل « الوارث المحمدى » (١)

ومن الأفراد الذين برزوا من أهل هذا المقام السامى العظيم ، وتحققت لهم الفردية بما منحوا من فضل الله وفيضه العميم؛« وهى الشروط المذكورة بقصيدة العهد واتخاذ العارف الممد . والمتوفرة فى شيخنا الجليل سيدى وأستاذى ، وغوثى وملاذى الحاج محمد أبو خليل . . رضى الله عنه »؛فقد صحت له الوراثة المحمدية الكبرى ، وسبقت له من ربه العناية العظمى ، ومنح مقام الحفظ الباهر الأسنى ، وأشرقت بنور رسول الله نفسه . ودق ورق وجدانه وحسه ، وغمرته هذه التجليات النبوية ، وأفاضت عليه من منحها اللدنية فأمد بها من أمد من أتباعه العديدين ، ونفح بها من نفح من المريدين والسالكين ، حتى صح أن نقول إنه أوتى من هذا العطاء الروحى ماأوتى سليمان من العطاء الدنيوى الذى أشار إليه تعالى فى محكم الكتاب : (هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب) .

ولست أعدو الحق إذا قررت هنا عن صدق ويقين أنه مامن أحد سلك نهج الشيخ المبين ، إلا واقتبس من نوره الوضاء ، ونال شيئا من قدسى هذا العطاء . وكم من منكر أو ملحد ، ومن فاسق متجرئ متهجم ، نظر إليه الشيخ فتبدل حاله ، وحسن بالتوفيق الإلهى مآله ، وأصبح من الصفوة السالكين ، ومن الواصلين أهل الصدق واليقين . وكم من مقصر به تأثر ، وعلى قدمه الصادقة سار وبالمكرمات استأثر ، والجمع كله بالمدد المحمدى أحس وشعر ، وبهذا الفيض الغامر انتفع وتطهر ، وبذكره تعالى أحيى فراقب وظفر ...

وأثبت هنا من غير تردد ، أنه لاتوجد فى الطرق الصوفية طريقة تحفل أتباعها بالذكر ، بل الذكر الدائب الكثير ، كالسادة من الإخوان الخليلية الذين خصهم الكريم بهذه المزية .. وهى أيها الأخ الكريم أثر خالد من آثار الشيخ رضى الله عنه ، وميراث دائم إن شاء الله من ميراثه النبوى الكريم .

---

(١) من المناقب الخليلية بتصرف .

وإن مارأيناه من الفتوحات الإلهية فى أتباع شيخنا رضى الله عنه ، من الإلهامات الصادقة وأنوار الجلال الزاهية المشرقة ، وما اختص به عدد غير قليل منهم من ارتجال الشعر الموفق الجزل فى شتى الأغراض ، وما أفاضه الشيخ من أميته على بعضهم ، ممن ليست لهم صلة بالعلم ، من تفسير كتاب الله الكريم تفسيرا لدنيا خلب الألباب .. إن مارأيناه من هذه الفتوحات لم نشاهد أو نسمع بمثله فى الطرق الصوفية وفى المنتسبين إلى كبار العارفين من الأقطاب . والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

ولقد كان رضى الله عنه ميمون الغدوات ، مبارك الخطوات والروحات إذا دعا فقلما يخيب الله له دعاء ، وإذا استغيث أغاث مؤيدا من رب العطاء . وكان إذا نظر أسر ، وإذا توجه بهر ، وإذا غزا القلوب فللنزعات قهر ، وإذا أقبل تم بفضل الله القبول ، وإذا عطف حصل بتوفيق مولاه المأمول . وكان — والله خير شاهد — فوق ذلك وأسمى مما نشاهد .

وهو فى تصويرى كالنيل فى ذروة فيضانه . تمتلئ منه الجداول والفروع ويخضر النبات وتنمو الزروع ، ويحيا القاحل الممحل ، ويزدهى المجدب المقفر . وهكذا فإن نفحاته الربانية لاتنفد ، وفيوضاته الإلهية تزداد وتتجدد ..

أو هو كمولد ضخم عظيم للكهرباء ، تضئ منه الجهات والأرجاء ، وتشرق به الدجنة والظلمات ، وتتولد القوة الدافعة للذكر والشكر والعبادات وذلك بفارق واحد ، أن الشيخ رضى الله عنه لايحتاج فى إيصال أضوائه وأنواره إلى أسلاك ومعدات ، بل أثره البالغ يقوم على صدق التوجهات .

أتباع الشيخ

وإذا كان الشيخ العارف الممد إنما يعرف بأثره فى أتباعه وجماعته ، وسره السارى فى السالكين على طريقته . فقد خرجت ولله الحمد مدرسة شيخنا الخليل من خرجت من أبطال ، وربت فيه من ربت من رجال .. مطاياهم الانكسار قبل العبادة ، ووسيلتهم المراقبة الحقة لأنها طريقهم إلى

السعادة . اختارهم الليل البهيم ضمن فرسانه ، وأطلقهم فأسرعوا مجدين فى ميدانه . منهم من هجر المضاجع ، وهو خائف وجل مخبت خاشع . ومنهم من يقطع من الليل بعض ساحته ذاكرا شاكرا مخلصا فى نيته . ومنهم من جعل له فى الليل نصيبا من الذكر مقسوم ، يحاسب نفسه كثير الرجعة جم الوجوم . فالــكل له مع الليل حال أى حال . لا يستطيع هجره بعد أن ذاق طعم الوصال . والــكل عاكف على الذكر الــكثير منه يتزود ، وكلما تزود أحس بالحاجة إلى المضى فاستزاد وماتردد . وهــكذا فألسنتهم بذكره تعالى لاهجة ، وقلوبهم من نور جلاله متوجهة . وإذا كان أحد من السالــكين لايستطيع أن يدعى أنه ماقصر ، فإن أحدهم قد يزل ويكبو فيتعثر ، لــكن سرعان ماينهض من كبوته ، ويسرع إلى المتاب والإنابة نادما كل الندم على خطيئته . يرده الذكر للاستغفار وطلب عفو الغفور الرحيم . ويسرع به الخوف والأسى إلى باب ربه الــكريم ، فينطلق بعد ذلك وقد اعتبر ، ويسير بعد أن استفاد وتحصن وتطهر . وهذا أثر من آثار الذكر وبعض ثمراته وإحدى بركات الشيخ المتصل بمدده عليه السلام ، والفائز بمرضاته .

وإذا سألت عن حبهم بعضهم لبعض ، لله فى الله ، فحدث ولا حرج عن هذا الحب الذى بلغ منتهاه . فهم بنعمة الله قد انطوت قلوبهم على حب عميق روى المشاعر ، فسقوا من عذب هذا الرحيق . يدفعهم هذا الحب الطاهر إلى الإجتماع والتآزر والتزاور . وقد ربط بينهم هذا الحب الإلهى برباط قوى متين . وأحيا فى قلوبهم الشوق الدائب وطول الحنين . فهم لايفترقون إلا ليجتمعوا . ولا ينصرفون إلا ليتقابلوا . وقد سما بهم هذا الحب إلى حيث لايدانيه حب الأهل والأقرباء ، فجددوا بذلك العهد الزاهر .. عهد الصحابة الأوفياء ..

* * *

الباب العاشر — الشيخ قطب الزمان بالوجــود

ومن توفيق الله ، إذعان أولياء عصره له ، وإدانتهم لسلطانه .. ومن تكبر .. تكسر .

وأنه كان أميا ولايلحظ عليه شئ من الأمية ، بل كان : مع العلماء عالما ، وللجهال معلما .

وأنه لم يعلم أحد من الإخوان قدر عظمته ، مع بلوغهم الدرجات العالية والمقامات القاصية .

فالــكل بالنسبة إليه أطفال .. وعلى بركته وسره عيال :

* * *

(١) سمعت من والدى وهو فى آخر أيام حياته التى أفصح فيها بالكثير مما كان يكتمه طوال أيام الدعوة ، أنه عندما جاءه الأمر بأن يزور القدس ويرجع إلى وطنه ومنزله . . . سمعته يقول :

فارقت من أحبه وأهواه ، وهو يبارك لى بالقطبانية ويدعو لى بالتوفيق. فغادرت حماه إلى ماأمرنى به من زيارة القدس والرجوع لوطنى ومنزلى ، وقد فوجئت بعد ذلك بقليل بهاتف قلبى يضطرنى أن أسرع بالوجود فى طنطا وزيارة صاحب الفضل « السيد البدوى » . وذهبت لأجدنى أقابله فى بهو كبير وبه عدد كبير من المقاعد التى تبدأ بمقاعد صغيرة وتنتهى تدريجيا بمقاعد كبيرة ، أعلاها بالصدر ، وهو يجلس على أكبر المقاعد ، وبجواره يمينا مقعد أدنى منه قليلا فارغ . فوقع بقلبى أنه مقعدى . وعندما وصلت إلى هذا المكان ، رحب بى صاحب الفضل كثيرا ، وأجلسنى بالمكان الخالى ، وأكرمنى بالمقعد العالى . وجلس عن يمينى حضرته . وكان شمالى صاحب الفضل شيخنا « البيومى » . وعلى الجانبين عدد كبير من الأولياء الذين ألهمنى الله تعالى معرفتهم على الفور .

وحصل تقريبا حفل تتويج بالقطبانية بدرجة الغوثية . وأعلن ذلك القرار على الموجودين . وفورا وجدتنى أرى مايحصل من أعمال الأقطاب بالقطر وغيره .. فاذا بى أرى أن القطب حارس النيل بالفرع الشرقى قرب دمياط قد غفل عن الحراسة ، فقطعت مياه النيل أحد الجسور ، وشمول الضرر لهذه الجهات .. فأمرت بقتله .. وهنا راجعنى سيدى أحمد البدوى بقوله : إن هذا القطب من أتباعى بل هو موظف بمسجدى . وعفوا وجدتنى أقول : أرجوكم أن تعفونى . . وخذوا هذه الدرجة ، فإنى لا أقبل عملا لست حرا فيه . فلا أعمل ضد مايصدر إلى قلبى من الله تعالى ، وقد وقع بقلبى أن ذلك من القضاء المبرم الذى لاشفاعة لنبى ولا لولى فيه . وأدركت أن التشفع الذى مضى أذهل سيدى عن تلك النقطة شفقة بمريده المذكور عما وقع بصدرى من ذلك القضاء . وهنا قال لى : سوف لاتجد من يتشفع بعد ذلك . وأنت حر فى وظيفتك . وانتهى الحوار .. وعاد المجلس إلى صفائه قبل ذلك الحوار .

وقال شيخنا مستطردا : إن سيدى على البيومى هنأنى ، كما هنأنى الجمع ، وهو يقول : إننى فرح بهذا التولى أكثر من فرحى به لى .. وهنا شكره سيدى أحمد البدوى على هذه العاطفة بهذا الصفاء .. وختمت الجلسة ..

(٢) ومن ذلك ماقرره السيد ـ محمد الشناوى :

قال لى السيد ـ محمد الشناوى .. الجواهرجى بالصاغة : إن والده كان رئيسا لبيت الشناوية البيومية . وكان صالحا مباركا ، ينشر الطريق حبا فى الله ، ويتصدق كثيرا . وأنه عندما حضرته الوفاة قال لنا : إن قطب هذا الزمن سيتولى شئونكم وينقذكم بإذن الله تعالى عند الملمات . فقلت له: من هو هذا القطب حتى أسعى لمقابلته وأنتفع به ؟ فقال لى : سيحضر عندك عند المهم : فكان أول ماهمنى دخول أخى العسكرية . وتألمنا عند مبيته بالمعسكر ، فقد خانتنا الظروف كلها ، حيث كنا متأكدين من عدم قبوله ، وقد سعينا كثيرا لدفع « البدل » ، ولكن الفرصة كانت قد ضاعت علينا ، فرضينا بالقضاء مسلمين .

وفى يوم أقبل على محل تجارتى رجل لا أعرفه ، وسلم على وجلس ، فوقع فى قلبى أنه القطب الذى أخبرنى عنه والدى. فسألته : أنت الذى أخبرنى عنك والدى . ؟ فقال : نعم . قلت : وأنت الذى ستتولى شئوننا ؟ قال : نعم . فقلت : أنت قطب الزمن .. ؟ فلم يرد بالجواب . وشغلنى بالسؤال عن أخى . ونسيت أنه تخلص من الجواب لمشغوليتى بمسألة أخى .. وقلت له : إنه قبل بالجيش ، وإنه ينام بعيدا عن اطمئنان والدته التى تغير حالها من الحزن ، وأنه يتألم من إهانة المدرب له أثناء التعليم . فقال لى : أرسل له ملابسه المدنية لأنه سيخرج اليوم ليلبسها ، ويكون ذلك بغاية السرعة :

فأرسلت الملابس مع من سيسأل عنه وعن حاله ، وعند سؤال من أرسل قيل له إنه خرج بملابس عهدة طرفه يردها للمصلحة ، حيث إنه « تشرك » اليوم وأخلى سبيله . وقبل رجوع من كنا أرسلناه حضر أخى مقبلا علينا ، فسأله سيدنا الشيخ عن « القيلة المائية » ، فرد قائلا : سنعالجها ياعم . فقال له

سيدنا الشيخ : لقد ذهبت . إنها وجدت عندك اليوم لإعادة الكشف عليك وتشريكك . وقد تشركت فما بقى لها لزوم .

فأخذ أخى يفتش فى جسده فلا يجدها . ثم التفت أخى لى قائلا :

هذا الذى عرفنا عنه والدنا .. ؟ فقلت : نعم . فكان فرحنا بلقائه أكثر من فرحنا بنجاة أخينا .. وصار يوالينا إلى أن انتقل إلى رحمة مولاه .. فرضى الله عنه وأرضاه . .

ثم استطرد قائلا : لقد أوصانى سيدنا الشيخ والدك أن أكون لك كما كان لى .. وأرجو أن أكون فى خدمتك بجاهى ومالى وروحى ودمى ..

وأشهد الله أننى وجدت من السيد ـ محمد الشناوى الوفاء .. تولى الله مثوبته بخير مايتولى به الصادقين من عباده المخلصين ..

(٣) ومن ذلك ماوقع :

سمعت الأخ السيد ـ صالح زيدان ، الذى كان موظفا بمديرية الزقازيق ومن أهلها .. يقول :

قلت لسيدنا الشيخ ممازحا : أنا أعلم أنك قطب الوقت . فأرجو أن تعينى قطب الزقازيق ، وتكون ضمن أهل قطبانيتى . فقال : نعم . اذهب إلى كذا وقابل قطب الزقازيق ليسلمك مهمته . فقلت : ياعم إنما أنا مازح .. فقال : مزاحنا جد . ولابد من تنفيذ ماطلبت .. فقمت وذهبت إلى المكان المعين وأنا فى حالة ذهول . فقابلت رجلا يحمل حقيبته . وبادرنى قائلا بسرعة : اتفضل ياعم . ثم قام بالسير معى فى أرجاء الزقازيق ، وسلمنى إياها قسما قسما . ثم ذهب ، وأنا مازلت فى ذهولى ..

وعند انصرافه وجدتنى أرى من بداخل المنازل جميعا وما يقومون به من أعمال ، وأسمع مايتفوهون به من أقوال ، وأرى أفراحهم وأحزانهم ، وآلامهم وأمراضهم ، وأنا فى شبه غيبوبة من العجب لهذا الأمر . ذلك مع سرور نفسانى عظيم بهذه الدرجة .. وقررت أن ألازم سيدنا الشيخ وقت فراغى . بل أتفرغ لدرجتى الجديدة ووظيفتى .

وبعد أيام قليلة رأيت بلاء عظيما سيقع على أهل البلد ولابد من حمله فى صورة مرض . وفعلا وقع على المرض فجأة ، فدخلت منزلى مسرعا ، وسقطت مريضا مرضا لايظن معه الشفاء . وغبت عن الوعى . وعندما أفقت وجدت سيدنا الشيخ بجانبى يقول : هو السبب . وعلمت أن ذلك اليوم هو اليوم الثالث لإغمائى ووجودى على هذه الحالة التى حار فيها الأطباء دون فائدة . وتماثلت للشفاء بعد زيارة سيدنا الشيخ ودعائه لى وتحمله عنى مابقى من ذلك البلاء .

وبعدها توجهت إليه وأنا فى غاية الضعف . وقلت له : خذ وظيفتك ياعم . . فقال لى : أعطها لمن أخذتها منه ، وتجده فى موضع كذا .. فذهبت إليه وأرجعتها له . وحمدت الله على نجاتى منها وسلامتى ..

(٤) ومن ذلك ما وقع :

سمعت صهرنا السيد ـ إمام «بك» إبراهيم ، كبير مفتشى المساحة السابق يقول : كلفت برئاسة لجنة مفتشين لمسح أراضى القطر ، كما كلف بذلك كبار المفتشين الإنجليز ، وذلك لعمل خريطة مساحية وجيولوجية للقطر . وتكلف كل منا بجهة .

وكان تكليفى مديرتى قنا وأسوان ، من النيل إلى البحر الأحمر . وعندما أخبرت سيدنا الشيخ بذلك قال لى : إنه أشق تكليف . وسنأمر قطب هذه الجهة أن يواليك فيها بمعلوماته . وهو رجل أعمى تجده بالكيلو كذا جالسا على حافة النيل بين الماء والجسر ، وسيقابلك هو ويكون فى خدمتك .

وفعلا عند وصولى إلى ذلك المكان حدث ذلك اللقاء ، وصاحبنى ذلك القطب خلال العمليات كلها من أول يوم إلى آخر يوم .. فكانت المهمة بإرشاده بسيطة وسهلة ، حيث كان ذلك القطب يعلم مغاور الجبال والتلال بالشبر الواحد . وكنت أردفه خلفى على بغلة قوية وهو يوجهنى لكل الجهات .

وعند تمام المأمورية قال لى : عند رجوعك تقول لسيدنا الشيخ : كفى

صبرا من رجل كفيف يسكن بمنحدر النيل بمديرية أسوان ، فربما زلقت رجله مرة فقضي عليه ، وارجه لى أن ينقلنى لجهة أخرى :

وعند عودتى ومقابلتى لسيدنا الشيخ نقلت له رغبته ، فقال سيدنا الشيخ : إنه قد نقل إلى ساحل البحر الأبيض ليساعدك فى المهمة التالية ...

فرجعت إلى الديوان لأجد الأمر بذلك .. وفعلا قمت لساحل البحر الأبيض ، وكانت المهمة مسح الأراضى ما بين فرعى النيل ، ووجدت الرجل هناك يسعى لمقابلتى من اليوم الأول لمباشرة تلك المأمورية . وقام بمساعدتى كل المساعدة ، وطلب منى شكر سيدنا الشيخ على إنفاذه لرغبته ، فعلمت بذلك أن سيدنا الشيخ قطب الزمن وغوثه ...

(٥) ومن ذلك ما حصل لى :

أنه فى ليلة شتاء ورعد ومطر ، تعوقت عن حضور الحضرة لتلك الأسباب . وعند ابتدائى الذكر خطرت لى فكرة خطيرة ، وهى أن أقوم بالبحث عن غوث هذا الزمان وألازم خدمته ، ويكفينى مدده ورضاه فى إرضاء الله تعالى ونيل رحمته . وصرت أفكر فى القيام بهذه المهمة فى اليوم التالى . فأخذت هذه الأفكار تنتابنى وأقرر فيها مايلزم لتلك السياحة بالقطر أو الأقطار المجاورة ، وإنى متأكد أن الغوث يطلبنى كما أطلبه . وستكون هذه المهمة على فرض صعوبتها سهلة . وفجأة سمعت أذان المؤذن للفجر ، ولم أذكر شيئا بتلك الليلة . فقررت أن أتوجه للراحة قليلا ، ثم أقوم بإنفاذ فكرتى والاستعداد لها سرا . فصليت ونمت فوجدتنى فى رؤيا منامية غريبة وهى :

أن جميع الخلق بمختلف الجنسيات والألوان واللغات موجودة كلها بمكان يتسع للجميع ، ومختلطة اختلاطا عجيبا . فظننت أن الخلائق قد بعثت وهذا يوم الحشر ، وعند ذلك وجدت بجانبى رجلا من الشام عليه سيما الصلاح والتقوى ، وهو مطمئن القلب . فسألته عن ذلك الموقف ما يكون هو ؟ ، وهل هذا هو البعث والحشر ؟ فقال : لا . ثم قال : أنظر إلى السماء لتجد بها

الغوث على هيئة قرص الشمس ، وترى أنه متصل عمليا بكل من فى الوجود من الخلق . ونبهنى إلى أن هذا القرص تخرج من لديه أسلاك رفيعة نورانية بهيئة شعاع الشمس ، وأن هذه الأسلاك تنتهى بشئ يشبه الكرة الصغيرة جدا ، ومنها ما هو قدر البيضة الكبيرة وماهو على قدر البيضة الصغيرة . هنا تنبهت إلى أن بيدى كرة كبيرة يصل إليها سلك لايزيد حجمه على الأشعة الشمسية لدقتها .

وهنا علمت أن من يضغط على هذه الكرة ويضعها على أذنه يرد عليه الغوث ، ويقضى رغباته . فضغطت عليها ووضعتها على أذنى . فسمعت الغوث يقول : ما رغباتك ياولدى يامحمد لأقوم بإذن الله بتنفيذها سواء كانت روحية أم مادية ؟ فقلت لحضرته : ليست لى أى رغبات روحية أو مادية . بل كانت رغبتى الوحيدة هى لقاء غوث الزمن واستئذانه لأكون خادمه لوجه الله تعالى ، وبذلك أكون قد نلت رضا الله تعالى . والآن تحقق أنه لم تتغير غوثيتك . ويكفينى جدا أننى ابنك ، وفى خدمة الطريق إرضاء لك ولربك .. فقال : ذلك لايمنع العطاء .. لا المادى ، ولا الروحى . وسيكون الرضا حاصلا .. فقلت لحضرته : أنا راض بما أنا فيه وشاكر لربى ولكم .. فقال : أنا يابنى مشغول جدا بما ترى ما أنا فيه .. فاحسم أمرك .. فقلت : قد حسمت أمرى وتوكلت على الله . فقال : الأمر لله تعالى وحده . إن كنت لاتزال مصمما ، افتح يدك لترجع الكرة إلى ما كانت عليه قبل الضغط .. وألقى السلام ، فرددت عليه مسرورا ..

وبذلك نجانى الله تعالى من الجذب والطيش والآلام . وآلام تلك السياحة المجهولة .. فجزاه الله عنى خيرا ...

* * *

الباب الحادى عشر ــ الشيخ غياث

« وتظهر بهذا الباب درجة الخطوة بأجل معانيها ومبانيها »

(١) ومن ذلك :

توجه رضوان الله عليه لزيارة أحد أتباعه . وبعد أن استقر به المقام ، سمع أصوات استغاثه وصراخا شديدا ، لأن حريقا شب بالقرية . فقال للسيد ـ محمد أمين عليوة ، وكان يرافقه : هلم بنا نساعد فى إطفاء الحريق . فلم يسعه إلا أن امتثل للأمر مع أنه يعلم أن والدى تقدمت به السن ، وضعفت حركته .. حتى إذا وصلا إلى مكان الحريق ، طلب رضى الله عنه إناء به ماء ، ثم أخذه وسمى وكبر ، وقذف بالماء وهو بعيد عن النار . ولم يكد الماء يقع على الأرض ، حتى انطفأت النار المشتعلة ، والمتصلة بعدة أماكن أخرى ..

(٢) ومن ذلك :

كان المرحوم السيد ـ عبدالحميد عزت من الطبقة الأولى التى حظيت بالوصول على والدى رضى الله عنه ، وكان سائق قطارات ، وتصادف أنه كان يسوق قطار البضاعة ليلا ، ولما اقترب من إحدى المحطات كانت الإشارة مغلقة لأمر خطير فلم يتنبه سائقنا لذلك حيث أخذته سنة من النوم . فاستيقظ فزعا مذهولا ... ... وإذ بيد تمتد وتمسك آلة النفس ... فوقف القطار .. ولولا ذلك لحدثت كارثة .

وبعد قليل توجه أخونا إلى شيخنا رضى الله عنه ، وجلس دون أن يخبره بما حدث .. وهنالك عاتبه حبيب رسول‌الله ولامه على نومه وأنه كان سيسبب للقطار كارثة ، لولا أنه أوقف آلة النفس . وقد أصيبت يده من جراء ذلك بحروق أطلعه عليها . فأكب على يد والدى مقبلا وباكيا وداعيا ..

وكان من اليسير ، وقد أكرم الله والدى بما أكرمه به فى هذه الحادثة من الفضل العظيم ، أن يمنع عنه حرق يده . ولكن هذا الحريق كان علامة

واضحة لأخينا السائق على تدخل شيخنا ونجاته وسلامة القطار وما فيه بسبب ذلك ...

(٣) ومن ذلك :

كان أحد أتباع والدى رضى الله عنه ، فى بعثة للهلال الأحمر فى الحرب الطرابلسية . وحدث أن ضل هذا التابع فى الصحراء حتى نفد ما كان معه من ماء وطعام ، وأشرف على الهلاك فى هذه الصحراء الجرداء .. وما لبث أن نادى شيخنا أبا خليل .. واستغاث به ... وإذا به يرى رجلا أعرابيا أخذ بيده وسار معه قليلا وأرشده إلى الطريق ، ثم التفت فلم يجد له أثرا بالمرة . .

وهكذا لحق بصحبه ونجا من هلاك محقق ببركة الشيخ وسره العظيم ..

(٤) علمت من جملة مصادر ، أن الدكتور : محمد مصطفى .. من الأطباء المشهورين بحى سيدنا الحسين ، قام مع الحملة الإنجليزية التى ستحارب فى فلسطين مكلفا بالعمل بالجيش الإنجليزى . وأنه ذات ليلة تأهبت كتيبته للانتقال من جهة إلى أخرى وكانت هناك ضرورة تستدعى تحركها بسرعة . فرأى أن يصلى المغرب والعشاء جمعا . فاتخذ مكانا مستترا عن كتيبته منتحيا . وعند رجوعه إلى موقعها ، وجد أن المكان خال من الجنود والمعدات . فوقف حائرا غير متبين دليلا على اتجاه سيرها ..

وعند ذلك برز له رجل فى ملابس الفرسان العرب يركب حصانا مارا ، وسأله عن تواجده فى هذا المكان ، فأخبره بالواقعة .. فقال له ذلك العربى : اركب معى وأنا أوصلك إلى بغيتك بسرعة .. وأوصله سالما إلى كتيبته ...

وعند انتهاء الحرب ورجوعه إلى الوطن ذهب لزيارة والدى ..

فابتدره شيخنا قائلا : أهلا بالدكتور التائه ...

فقام وقبل يده وشكره .. بعد علمه أنه كان ذلك المنقذ الذى برز له وأنقذه من ورطته ..

(٥) ومن ذلك ما حدث للشيخ ـ على خليل :

قال لى الأخ الشيخ ـ على خليل : اشتقت لحضور الحضرة ببلدة تبعد عن بلدتى حوالى ساعة ونصف سيرا على الأقدام . وكان ذلك فى التاسعة مساء . فتوجهت فى الطريق إليها وحدى وأنا مكفوف البصر .. وسرت قدر نصف ساعة وانهمر المطر غزيرا على .. فجلست بجوار شجرة فى بقعة خالية . وسلمت نفسى إلى القضاء ، حيث أيقنت بالموت .. إن لم يكن من المطر والبرد ، كان ذلك من وحوش البرارى المجاورة ..

عند ذلك قرأت الفاتحة لسيدنا الشيخ . واستعنت به حيث هو شفيعنا إلى الله تعالى . وعند نهايتها ، سمعت صوت رجل يقرؤنى السلام . فقمت لفورى وسلمت عليه وقبلت يده . فسألنى .. إلى أين أنت ذاهب ؟ فقلت : إلى الحضرة .. فقال : أين هى ؟ فقلت : فى عزبة بزمام « طروجى » . . فقال : عند من ؟ فقلت : بمنزل عبداللطيف أفندى أبوزيد .. فقال : ولمن تكون هذه الحضرة . ؟ فقلت : لله عز وجل . قال : على مدد من . ؟ قلت : على مدد العارف بالله شيخنا أبى خليل .. فقال : اعطنى يدك اليسرى واذكر بيدك اليمنى .. وسار بى دقائق سمعت بعدها صوت الإخوان يذكرون اسمه تعالى (لا إله إلا الله) . فقلت له : ها هم الإخوان يذكرون ... فقال : نعم هم .. وأبديت له رغبتى فى الوضوء قبل دخولى المجلس . فاقتادنى إلى شاطئ قناة صغيرة وقال لى : توضأ . وأنا مسرور بسماع صوت الإخوان .. ومؤتنس به وبنجاتى وإكرامى بذلك الولى .. وطى المسافة البعيدة فى دقائق .

وعندما فرغت من الوضوء .. ناديته قائلا : خذ بيدى وأوصلنى إلى المجلس . فلم يرد علىأحد . . فناديت : « يا أخينا ياللى كنت معايا » .. فلم يجب أى إنسان . فقلت : إن شا الله عنك ماجيت . . أنا بقيت مع الإخوان ..

ومشيت مسافة قصيرة حيث كنت أمام المنزل تقريبا ، فدخلت الحضرة وأخذت مكانا مع الإخوان بالمجلس .. وهنا أوقف المجلس السيد ـ عبداللطيف أبو زيد وسألنى بدهشة عن كيفية حضورى وليس معى أحد .. فأخبرته

بما حصل .. ففرح به وقال للإخوان : إن سيدنا الشيخ هو الذى أتى به وهو حاضر معنا الآن .. وأخذنا نذكر الله إلى الفجر .. ثم انصرف كل إلى وجهته ...

واستطرد الشيخ على خليل قائلا : وبعد هذه الواقعة بستة أشهر دعوت سيدنا الشيخ وحضر بمنزلى ، وحضر السيد ـ عبدالسلام الحلوانى الذى قال فيه شيخنا إنه ولى كامل . وعندما اكتمل جمع الإخوان فى حضرة سيدنا الشيخ وأنا قائم بالخدمة ؛ وجه سيدنا الشيخ كلامه للسيد ـ عبدالسلام الحلوانى قائلا :

يا سيد عبدالسلام . كان فيه واحد من إخواننا مكفوف البصر ، يحب الحضرات ، ويميل إليها بقلب مخلص . وخرج فى الساعة التاسعة ليلا ، وأمطرت عليه السماء . فاستنجد بنا ، فأغثناه .. فكان جزاؤنا عنده : إن شا الله عنك ما جيت ...

فهل يليق هذا .. ؟؟

فقلت مداريا خجلى : ولماذا لم توصلنى إلى المجلس .. ؟
فرد نافيا الكرامة عنه : هذا مدد سيدى على البيومى .. ونسبها إليه ...

(٦) ومن ذلك ماوقع للحاج ـ مصطفى الشاذلى :

كان المرحوم الحاج مصطفى الشاذلى ، السائق بالسكة الحديد ، من خيرة الإخوان . ولما اعتزم الحج والزيارة ، ذهب إلى شيخنا الجليل أبى خليل رضى الله عنه ، يستأذنه فى السفر ويطلب منه الدعاء . فلما تمت الزيارة وهم بالانصراف .. خاطبه والدى قائلا : إن شاء الله نتقابل هناك ..

ولما عاد الحاج مصطفى من حجه وزيارته ؛ حضر للسلام على شيخنا الجليل ولم يكد يراه وسط الإخوان حتى أخذه حال شديد .. ووقف لايتحرك واستحثه الإخوان الحاضرون على أن يتقدم ويقبل يد سيدنا الشيخ . وإذا به يقول : أفعل ذلك بعد الذى فعله معى . ؟

ولما سئل ، أجاب : أنه بينما كان يطوف بالكعبة ، أبصر سيدنا الشيخ أبا خليل على بعد خطوات منه .. وتأكد من شخصيته تأكدا تاما .. فأسرع للحاق به والسلام عليه . ولكن كلما أوشك أن يقترب منه ، ابتعد عنه ، إلى أن غاب عن نظره تماما .

عندها ابتسم والدى وتكلم ببضع كلمات سريانية ...

(٧) ومن ذلك :

أنه كان رضى الله عنه ببلدة « منية النصر » ، حيث مجلس الذكر أقيم ، وإذا به يسرع إلى داخل المنزل حيث الحجرة المعدة له ولنومه . ولما علم بذلك السيد ـ عبدالرءوف الحلوانى لحق به . ولكنه لم يجده بالحجرة . فرفع الكلة « الناموسية » عن السرير لعله يكون هناك .. فلم يجده . وبينما هو فى حيرته إذا به يسمع صوت الشيخ .. وما كان أشد دهشة السيد ـ عبدالرءوف الحلوانى إذ أبصره على السرير . . فسأله أين كان ؟؟ وألحف فى السؤال والرجاء .. فأخبره أنه كان بإحدى الجهات النائية ، وهى تبعد بعدا تاما عن منية النصر ...

(٨) ومن ذلك أيضا :

كان رضى الله عنه ، يزور أحد أتباعه بإحدى القرى . ولما كان موعد صلاة الجمعة ، ذهب ليستريح بالحجرة المخصصة له ، وكانت تطل عليها نافذة يمر بها سلم المنزل . ودفع حب الاستطلاع إحدى سيدات المنزل ، فأطلت من النافذة التى يكشف من يطل منها ما فى الحجرة كشفا تاما . فلم تجد بها أحدا لا الشيخ ، ولا غيره . فأطالت الوقوف والتطلع والوضع لم يتغير ..

فأذاعت الأمر حتى انتشر ووصل إلى شيخنا .. فغضب كثيرا ، وأخبر أنها إذا لم تكف عن التحدث عن هذا الأمر عوقبت أشد العقاب ..

(٩) ومن ذلك ما حدث :

قال لى صهرنا : إمام « بلك » إبراهيم : أخذت العهد الخليلى على الشيخ -

رضوان عثمان ، « أحد خلفاء والدى » ، وكان فى نظرى أكبر شيخ فى وقته . فعلم شيخى السابق بأخذى العهد الخليلى ، وصار يحاربنى بمختلف ضروب الحرب .. فصرت أشكوه للسيد ـ رضوان . فقال لى : خذ هذه الورقة معك ، فلا يضرك الجن ولا السحر ولا الهواتف ولا الأعمال التى تلقاها . ولكنى وقعت فى أشد منها وهو سحب روحى عند طلبى للنوم . فأكاد أقاسى سكرات الموت من جراء ذلك ولا أستطيع النوم ليلا أبدا .. فأخبرت السيد ـ رضوان بذلك . فقال : عليك بسيدنا الشيخ بالزقازيق . وكان حالى مع سيدنا الشيخ أننى أرى أن شيخى هو الشيخ رضوان ، وأن سيدنا الشيخ شيخه هو ، وأنه جد لى فى الطريق لا غير . وكنت أجاهد حبه وأدفعه عن قلبى ثلاث سنوات متواليات . وأقول : لا أتخذ شيخين .. ولكنى أمام إلحاح السيد ـ رضوان ، ذهبت للزقازيق ، وقابلت سيدنا الشيخ ، وشكوت له حالى .. فقال لى : سوف لا ترى بعد اليوم شيئا يزعجك إن شاء الله .

ويتفرس فى سيدنا الشيخ .. تذكرت رؤيا كنت رأيتها قبل العهد بثلاث سنوات وهى : أننى زرت الملك بالزقازيق بسرايا ، وبها محل تجارى وأمامه « مدق بن » فقصصت هذه الرؤيا على سيدنا الشيخ ، وأنه هو بعينه الملك الذى كان بالرؤيا شكلا وملبسا وحالات . وأن هذا المنزل هو بعينه ..

فعاجلنى قائلا :

ومدق البن موجود بمحل تجارتى ، إلا أنه استبدل بطاحونة .

وهنا قلت له : أنت شيخى ..

وهنا تذكرت أنى تزوجت ابنة الملك فى الرؤيا .. واستطردت قائلا : وأريد الزواج من ابنتك ياعم .. فقال : سيكون ..

وفعلا تزوجت بعد ذلك بسنين طويلة ابنة سيدنا الشيخ .

أما مسألة حرب شيخى القديم ، فقد انتهت تماما ..

وهذه أول آية رأيتها من سيدنا الشيخ رضى الله عنه وأرضاه .

الباب الثانى عشر — كرامات متنوعة

(١) من ذلك ما وقع للشيخ ـ محمد عبدالمنعم :

قال لنا الشيخ ـ محمد عبدالمنعم : كنت كما تعلمون أشقى أشقياء الشرقية ورئيس عصاباتهم ، نعيث فى البلاد فسادا ، نسرق ، وننهب ، ونفرض الإتاوات ، ونذل الذوات ، وتنام عنا أعين رجال الأمن رهبا ورغبا ، ونمارس الفتك والقتل ، مع أننى من أهــل العلم ومن أبنــاء العلماء ، وأمى من الصالحات المتصدقات .. وكان دعاء أبوى لى بالهداية كثيرا ، ولكن لم يشأ الله بذلك .. إلى أن دخل الطريق الخليلى بلدتنا واهتدى على يد الشيخ بعض أعوانى وبارزنى بالمخالفة . فجن جنونى ، وذهبت للمحيا وأدبت الحاضرين بالضرب الموجع وفرقتهم ، كما أننى نبهت عليهم بعدم مباشرة المحايا .. وهددت .

فذهبوا فى اليوم التالى لسيدنا الشيخ شاكين ما لحقهم من إهانة وضرر ، فقال لهم سيدنا الشيخ عنى : الشيخ عبدالمنعم سيكون خليفة البلد .. وراعى الإخوان .. وسيكون رأسا من رءوس الطريق .. وعلما من أعلامها ... فهلا احتملتموه قليلا إلى أن يتم مكتوبه الذى آن أوانه . ؟ سلموا لى عليه وقولوا له كفاية .. وعفا الله عما سلف .

ففرحوا بما قاله لهم سيدنا الشيخ ، ونقلوه إلى بسرعة البرق .. فقلت لهم : إن هذا الرجل مجنون .. ومدع .. ويظن نفسه سياسياً . ولكنه رجل مخادع . وصرت أسب الشيخ .. واستطردت قائلا لهم : سأكذبه فيما قاله . وصرت أباشر الفاحشة علنا ، وأظهر وأجاهر بكل المعاصى ، وزاد ظلمى ، وصرت أسرق وأنهب أنا وأتباعى جهارا نهارا وأستوثق من رجالى . إلى أن أرسل سيدنا الشيخ إلى : إما التوبة وإما قتلك .. فقلت لهم : قولوا له إنى أختار القتل ..

وصرت أحكيها استهزاء لكل من أقابله من العقلاء . ولم تمض إلا أيام قليلة ، حتى لزمت الفراش واشتد مرضى واستمر وقتا طويلا ، إلى أن رأيت

الموت تماما وصرت لا أقدر على الكلام . وكانت أمى بجانبى . وصارت تستعطفنى وتقول لى : أرسل لسيدنا الشيخ أنك تبت ... فلا أقبل . إلى أن وصلت إلى حالة من السوء ، صرت يغشى على حينا ، وأفيق حينا .. علامة الانتهاء . وبحركة لا شعورية لست أدرى كيف صدرت ، أشرت إلى والدتى حيث كنت فاقد القدرة على الكلام تماما وأعانى من سكرات الموت .. أشرت إليها بأن تذهب لاسترضاء الشيخ ...

وذهبت إليه . وابتدرها قائلا : علمت ذلك .. وهو الآن يتكلم .. كما أنه جالس متكئا ليطعموه بأيديهم ما طلبه .. وقد رضى الله عنه وهداه .. وبعد تمام شفائه يحضر لزيارتنا ..

وعند زيارتى لحضرته أعطانى العهد . وأرجو أن أكون كما بشرلى سابقا . وسكت الشيخ محمد عبد المنعم ، ثم استطرد قائلا : كسر رقبتنا التى كانت لاتلين ولا تنكسر لمخلوق .. والله كان بطلا ..

(٢) وقال لى : إمام « بك » إبراهيم :

عندما تقدمت لسيدنا الشيخ لإنجازه وعده السابق لى بأن يزوجنى إحدى كريماته ، اختار أصغرهن التى عقدت عليها وعمرها ثلاث سنوات . وانتظرت ست سنوات أخرى . ولم أكن قد قدمت المهر عند العقد لعدم استعدادى . وبعدها قطعت منى المصلحة بدل انتقال السفر بحجة أنى مفتش عموم ، وعملى التفتيش فلا يحق لى صرف بدل الانتقال .. وشكوت ذلك الأمر لسيدنا الشيخ فلم يتأثر . وضحك . وقال : خير .. إنا ندخره لك .. فسكت ، وفهمت أنه لافائدة من الشكوى .

وبعد مضى عام تقريبا كنت فى أجازة فى زيارة لحضرته بالزقازيق ، وجاءنى رسول مفتش المساحة بضرورة حضورى للتفتيش لأتسلم شيكا مستعجلا جدا . وفعلا قمت معه ، وتسلمت الشيك وصرفته من البنك . وحضرت عند سيدنا الشيخ .. وعند تقبيل يده تذكرت أننى لم أقم بسداد المهر .. فنظرت لحضرته وقلت :

ياعم استلمت مبلغ مائة جنيه . هاهى . قيمة المهر التى كانت تدخر لى ..
فقال : نعم إنها كذلك ..

فاعتبرت عدم نظره فى شكواى آية .. وحضور المهر آية أخرى ...

(٣) ومن ذلك ماوقع أيضا ..

قال لى إمام « بك » إبراهيم – صهرنا – : أصابنى قبض سبعة أيام كدت فيها أن أستسلم لليأس ، وأوشكت أن أفقد عقلى من جراء ذلك القبض الذى استولى على . وانتظرت يوم الخميس بنارغ الصبر لأذهب لسيدنا الشيخ .. وعند مقابلتى لحضرته وجدت أحد الإخوان يبكى ويقول لسيدنا الشيخ : عندى قبض ياعم .. فقال له : مالك ومال القبض . اتركه لأصحابه.. اتركه لمن يكاد يموت منه سبعة أيام وهو كالقدر فوق النار يغلى .. مش كده ياإمام بك ..؟ فبكيت متوسلا إليه قائلا : كفاية ياعم .. فقال : اتفقنا ..

فبدل الله غمى فرحا .. وصرت أعجب كيف تحملت ذلك كله ..

(٤) ومن ذلك ماوقع للأخ ـ منصور أفندى مصطفى :

قال لى الأخ ـ منصور أفندى مصطفى : حضرت أحد الأيام كعادتى يوميا لأتبرك بسيدنا الشيخ .. فابتدرنى قائلا : لى ثلاث ليال لا أراك .. وهذا كثير .. لماذا تحرمنا يابنى من أنسك وتهجرنا . ؟ فقلت له : ياعم لم أتخلف يوما واحدا عن زيارة حضرتك .. فأعاد نفس الكلام مرة ثانية .. وثالثة .. وتذكرت أننى لم أذكر الثلاث ليال السابقة .. وأنه لايرى ولا يزور إلا الذاكر ..

فقلت : سامحنى ياعم .. فرد على قائلا : على شرط .. وسكت ثم استطرد قائلا: إننى لا أرى من أولادى إلا الذاكر .. الغافل كأنه لا رآنى ولا رأيته .. وأردف قائلا : لاتهجر سبحتك . فقلت : إن شاء الله ياعم ..

فلم أترك الذكر المستديم بعدها ، ووجدتنى أذكر بعد ذلك ذكراً فاق ماأتصوره .

وتركته يسترسل فى حديثه ولم أقاطعه لأننى حضرت هذه الواقعة ...

(٥) ومن ذلك ماوقع للأخ السيد ـ محمد ربيع « المحامى » :

قال لى السيد ـ محمد ربيع : توجهت زوجتى إلى سيدنا الشيخ وقالت له:

بلغنى ياعم أنك تريد أن تزوج الأستاذ ـ إحدى بناتك .. فهل هذا صحيح . ؟ فقال لها : صحيح .. سيأخذ إحدى بناتى فى وقت لاتتأسفى فيه على ذلك ، بل وتفرحين به . فلم تفهم مقصوده ، وفهمت أنا أن ذلك سيكون بعد وفاتها لأن سيدنا الشيخ لم يكن له بنات فى سن تصلح وقتها للزواج . كما أنه ليس لى مثل ذلك من سيدنا الشيخ ، وأن القائل ذلك إنما يريد الوقيعة بينى وبينها .

وقد تم ذلك فعلا .. وتزوجت إحدى كريمات سيدنا الشيخ بعد وفاة زوجتى .. ومضى سنين طويلة على هذه العبارة .. وبعد انتقال سيدنا الشيخ بسنين طويلة أيضا ..

(٦) وبلغنى متواترا :

حدث أن اثنين من البغايا المقيمات بالجهة المخصصة لهن قد رقت حالتهما ، وقل روادهما ، فاتفقتا على زيارة والدى لطلب الدعاء بالتسهيل . فلما حضرتا عنده أبدتا رغبتهما لحضرته .. فتبسم والدى وقال لإحداهما : إذهبى إلى زوجك بمصر .. وستجدين منه عطفا وجميل مقابلة . وسيسألك عن سبب مجيئك ، فقولى له : أرسلنى أبو خليل . وإذا سأل ومن أبو خليل ، أخبريه عنى حتى يطمئن .. يكون فى هذه المدة القليلة أتى فرج الله بالسماح والعفو من الزوج ، وينتهى الأمر عند ذلك الحد .

ثم قال للأخرى : أما أنت فستتوبين توبة نصوحا يقبلها الله ، وتتزوجين برجل عظيم . فقالت : مرحبا بالتوبة . وتابت لفورها .. وسهل الله أمرها ،

فخطبت لعظيم ، عاشت فى كنفه معززة ، بعد أن كانت من سيرتها متقززة ولا يخفف عليها ألم الخطيئة إلا أنه كان قدرا ولنفسها كانت تعتذر وتطلب الرضا عن شيخنا . ومن ذلك يتضح قبول الشفاعة من الولى ...

(٧) ومما يذكر :

أنه كانت إجتماعات الإخوان بمنزلنا بالزقازيق عند مواسم الزيارة وهى مولد النبى صلى الله عليه وسلم ، وشهر رمضان ، والعيدين . أو عند السياحة لزيارة الإخوان بالبلاد التى كنت ألازم والدى بها . وكان يحدث أن يرجونى فى إلحاح الإخوان الذين لديهم أزمات متنوعة بأن أتوجه مع كل إلى والدى لينفخ فى أذنه وهو يردد اسم الله تعالى (هو) ، متأكداً أن فى ذلك تمام التفريج وشرح الصدر بانقضاء الأمر .

وقد شجع حدوث ذلك الإخوان على أن يقدم كل منهم لى علبة سجائره لأقدمها لوالدى ليدعو لهم بالتوبة منها . وقد كنت ، لكثرتها ، أضعها حجرى إلى أن يمتلئ وأقدمها إلى والدى الذى كان يبتسم لذلك ويقول : ملأ الله حجرك خيرا .. ثم يبشرنى بتوبة الراغبين فيها جميعا . فيتم ذلك فورا بإذن الله تعالى .

وقد صار يتكرر حدوث ذلك فى كل المواسم ، إلى أن نقل والدى إلى رحاب الله .

كما كان يحدث أن يعطينى جميع الحاضرين مسابحهم جملة لأعطيها لوالدى ليمسها بيده الكريمة . فكنت أحمل فى يدى ماأنوء بحمله ، ثم أعطيه لوالدى الذى يقبل ذلك بكل ارتياح وابتسام . ثم يدخل السبحة فى ذراعه ، الواحدة تلو الأخرى حتى الأخيرة ، ثم يتقدم صاحب كل سبحة بعد استدعاء والدى له قائلا : أعطنى سبحتى ياعم ، بعد أن يكون والدى قد تركهم فترة فى ذراعه . فيخرج له سبحته من بين المسابح بعد تقليبها ويسلمها إليه ويدعو له . وبعدها يقوم بقية الإخوان لطلب مسابحهم فيسلم والدى لكل منهم سبحته . ولم يحدث قط أن أخطأ وأعطى لأى من الإخوان سبحة ليست سبحته .

وصارت عادة تحدث فى هذه المناسبات إلى أن انتقل والدى رضى الله عنه إلى جوار الله سبحانه وتعالى ..

(٨) ومن ذلك ماوقع للسيد ـ عبد السلام الحلوانى :

قال لى السيد ـ عبد السلام الحلوانى : أقلعت عن عادة التدخين ، حيث وصل ماكنت أستهلكه يوميا حوالى مائة سيجارة ، وأضرت بصحتى وماليتى كثيرا .. ولكنى لم أتب ، فرجعت للتدخين بعد حين . وعندما زرت سيدنا الشيخ فاجأنى بقوله : كان شخص يدخن وتاب فأحبه سيدنا الرسول . وسكت هنيهة وتابع قوله : ولكنه عاد . فخرجت من فورى من حضرته وألقيت كل مامعى .. ورجعت .. فوجدته مسرورا يقول : فعاد للتوبة ، وعاد إليه حب الرسول .. ولم أكن مسرورا أبدا مثل سرورى بذلك القول .. مع أنه كان يقول لغيرى : إننى أكره الدخان وأحب شاربيه . تطييبا لقلوب شاربيه ..

(٩) ومن ذلك ماوقع للسيد ـ عبد السلام الحلوانى :

قال لى السيد ـ عبد السلام الحلوانى : تعذر علينا جدا فتح بلد من البلاد للدعوة للطريق بالرغم من أننى كنت أعد لذلك كل الإعداد فأصطحب معى الشيخ ـ على عقل وجملة من كبار الإخوان ذوى المقام الرفيع ، وأهل الثراء ، وكبار الموظفين ، وجملة من الإخوان المفتوح عليهم . وتقام بالبلدة حفلة على أحسن نظام . ونخرج من البلدة فى كل مرة صفر اليدين ، دون أن نعطى عهدا واحدا لأى شخص منها .

وفى ذات يوم قصدت تلك البلدة ، بعد أن خرجت من العمل ودون أن أذهب لبيتى ، حتى لإبدال ملابسى . فقد سافرت وحدى دون أدنى استعدادات متعارف عليها للدعوة للطريق ، من مصاحبة المفتوح عليهم من الإخوان عند ذهابى لتلك البلدة . وفى ليلتها أخذ معظم أهل هذه البلدة العهد دون أدنى مشقة . وكان فتحا عجيبا .. فانتويت أن أزور سيدنا الشيخ مبشرا بذلك ..

وعند مثولى لحضرته .. ابتدرنى قائلا : كان واحد بريد فتح بلد . وكان بعمل كذا وكذا .. فلا يفتح عليهم . ولما تجرد من حوله وقوته وترك التحايل فى الأمر مستعينا بالله وحده ومتوكلا عليه ، فتح الله عليه وعليهم .. أليس كذلك ياشيخ عبد السلام .. ؟؟ فقلت : كده ياعم .. فقال : يكون هكذا دائما .. فقلت : إن شاء الله ..

(١٠) ومن ذلك ماوقع للسيد - مصطفى « بك » خليل — خليفة والدى بالقاهرة ..

قال لى الأخ - مصطفى « بك » خليل : استدعانى سيدنا الشيخ تلغرافيا بأن أحضر حالا ومعى خمسة آلاف جنيه . فنفذت أمر سيادته . وعند مقابلته لى أخبرنى بأن محلج القطن المواجه لمحطة السكة الحديد سيباع فى اليوم التالى فى المزاد بأمر المحكمة المختلطة ، وأن من يدفع خمسة آلاف جنيه سيرسو عليه المزاد ويقسط باقى الثمن وهو خمسة آلاف جنيه أخرى عليه . علما بأنه يساوى وقتها أكثر من أربعين ألف جنيه . حيث أنه تكلف إنشاؤه من زمن مبلغ خمسة وثلاثين ألف جنيه . وكان سبب بيعه فى المزاد ضرورة سداد مبلغ عشرة آلاف جنيه ديون على أصحابه أولاد الخواجه « أربيب ». وأن من سيشترى هذا المحلج سيربح أرباحا هائلة ، وينال درجة « بك » ، ثم ينال درجة « باشا » ، ويتوفى عن مبلغ يناهز المليون جنيه ..

وأخبرنى سيدنا الشيخ أيضا أنه انتوى أخذ هذا المحلج شركة معى فى رأس المال والأرباح لصالح الإنفاق على الدعوة ، وأننى سوف أسترد قيمة مادفعته من الأرباح حتى نتعادل فى رأس المال ..

ومكثت مع سيدنا الشيخ لليوم التالى . وخرجنا وركبنا عربة متوجهين إلى المحكمة المختلطة ، وفى منتصف الطريق أخذه حال غريب .. ثم انتفض واقفا فى العربة وهو ينادى على السائق بصوت جهورى : ارجع ياأسطى .. إن الدنيا تريد سرقتى . .

وأخذ يناجى الله سبحانه وتعالى : « اللهم ارفع هذا البلاء » .. وصار يبكى ويقول : أى شئ فعلته ياربى حتى تطردنى . ؟

وعند ذلك رجع بنا السائق والناس فى الشارع دهشة مما حدث .. وبعد عودتنا قال لى رضى الله عنه : خير لى أن أكون داعيا إلى الله تعالى باسمى المعروف للجميع والله سبحانه وتعالى راض عنى ، خير من أن أكون باشا ومبتعدا عن حماه .. وأن أكون جامعا للقلوب خير لى من أن أكون جامعا للقطن فى طلب المال ..

وهنا زاد تثبيتى من زهد شيخنا وورعه حتى فى الحلال ، مقتديا بكبار الرجال بمسايرته العجيبة للقضاء .

وقد رجوت سيدنا الشيخ برغبتى فى أن أتشرف بمشاركته فى أى شئ ليقال عنى إنى شريك سيدنا الشيخ ، ويعرف الجميع أنه يحبنى ، حيث فضلنى على كثير من الأغنياء . فلبى رغبتى وأرسل فى طلب أحد الأغنياء ، وساومه على شراء عزبة تقدر بمبلغ خمسة آلاف جنيه . وعند كتابة العقد قلت للبائع : سنشتريها مناصفة . فقال سيدنا الشيخ : يكفى أن يكون الربع لى .

وقد تسدد معظم ثمن نصيبه من يده رضى الله عنه فى حال حياته . والباقى سدد لى بعد انتقاله إلى رحاب الله تعالى . فكان شرفا لى لا يعادله شرف ..

بقى أن أقول : إن كلام سيدنا الشيخ قد تحقق ، وأصبح مشترى ذلك المحلج من ضمن باشوات القطر ، وهو رجل البر والخير المعروف لمديرية الشرقية عبد العزيز باشا رضوان رحمه الله تعالى .

(١١) ومن ذلك ماوقع للسيد الأخ - مصطفى سالم :

قال لى الأخ مصطفى سالم .. الواقعة المشهورة التالية :

بعد وفاة والدى ، تبين أن تركته محملة بديون كثيرة . ففكرت أنا وإخوتى فى بيع قطعة الأرض ، الخمسة أفدنة ، الكائنة بكفر النحال ، إلى سيدنا الشيخ .. وهى الأرض الموجود على جزء منها مسجد سيدنا الشيخ حاليا ، كمشورة إخوتى . وعرضت عليه فعلا شراءها ، فقال لى سيدنا الشيخ :

ياسيد مصطفى . هذه الأرض ستباع بأثمان خيالية بالمتر وستشترون من ثمنها عزبة عظيمة ، وتبقى معكم مبالغ طائلة تنفع العائلة فى المستقبل . وأنا لن أتجرأ على أخذها بعد ما أعلمنى به الله عن مصيرها ، وأشير عليك أن تبيع منزلكم وتسدد الديون . واستبق ذلك الخبر بألا تفرط فى بيعها أبدا حتى يحكم الله . وأنا لاآخذ رزقا سيسوقه الله إلى شخص غيرى ، فأكون بذلك قد استعملت عطاء الله تعالى فى غير ما هو له .

واستطرد الأخ مصطفى سالم فى حديثه قائلا : إننا فعلا اشترينا العزبة العظيمة جدا ، ومدخرين مبالغ كبيرة بالبنك ، حيث إننا بعنا هذه الخمسة أفدنه بالمتر ، حيث قسمت تقسيم بناء ، وأنت تعرف أثمان أرض البناء ، فضلا عن أنه لايزال جزء من هذه الأرض باقيا معروضا للبيع . وقد قمنا ببيع جزء من هذه الأرض يقرب من ثلثى فدان لمسجد سيدنا الشيخ ولعائلته بمبلغ ألفى جنيه والسعر يعتبر خدمة كله تقريبا ، وهو المبلغ الذى كنا نطلبه فى كل الأرض ..

وبهذه المناسبة أذكر : أننى كنت موجودا حينما قال السيد - إمام إبراهيم - صهرنا - لوالدى : إنك ياعم تصرف كل مايصل إلى يدك على الطريق ، وهو كثير جدا ، ولم تعمل حساب أولادك بعد الانتقال . فقال له والدى : ياإمام بك إن الله لهم رازق ومعين . وقد تألم جدا لفتح هذا الباب عليه ، ولكنه استطرد قائلا : سأبلغ سادتى بهذا ..

وبعد ذلك بأيام حضرت وجود إمام بك معه وسأل والدى : هل أبلغت أسيادنا كما وعدتنى ياعم ؟ . فرد عليه : سألتهم ولذلك سيكون هناك عقار وأراض تغل مبلغ ثلاثة جنيهات للولد شهريا والله يرزقه من فضله ويستره ، ويكون للبنت مبلغ مائة وخمسين قرشا شهريا حتى تزور أهلها ولا تكلف زوجها ..

وقد شاء الله تعالى رفع نصيب الولد فى الميراث إلى خمسة جنيهات ، والبنت إلى جنيهين ونصف ، نظرا لقيام الحرب العالمية الأولى فارتفعت أثمان العقارات وإيجاراتها .

ويعلق السادة الإخوان على هاتين الكرامتين بقولهم :

وفى هذه الكرامة وماقبلها : مايدل على زهد سيدنا الشيخ ، ومسايرته للقضاء ، وصدقه فى معاملة الله سبحانه وتعالى بطهارة النية ونقاوة الطوية وحسن القصد فى دعوته لمولانا جل جلاله .. كيقينهم بذلك .

(١٢) وقال لى الشيخ - إبراهيم النحال ، المأذون وشريك والدى بالتجارة : عندما كنا شركاء لوالدك رضى الله عنه ، ذهبنا لشراء كمية كبيرة من القطن من أحد الأعيان ببلدة مجاورة ، فسافرنا إليها أول النهار ، وبقيت عملية استلام البضاعة مستمرة إلى الغروب . وعند استئذاننا للعودة على أن نرجع فى اليوم التالى لنقل البضاعة بعد المحاسبة ، تشبثت زوجة ذلك الوجيه فى مبيتنا لنستريح من عناء العمل طول اليوم ، ولتقوم بواجب الضيافة اللائقة بمركز زوجها . وهكذا كان العشاء فاخرا للغاية ، وكانت تقوم على خدمتنا بنفسها ، مما أذهل الجميع . وعند المبيت ، أفردت لكل منا فراشا وثيرا ، وتوجهنا لفراشنا بعد سمر ؛ للنوم . وعندما انتصف الليل شعرنا بحركة غير عادية بالحجرة التى ننام فيها .. ووجدنا السيدة تقف بجوار فراش والدك تستعطفه فى ذلة أن يقوم معها إلى حيث تريد .. بصوت خافت وحذر شديد .. وهو يتناوم مظهراً استغراقه فى النوم ، بل ويظهر أنينه من أثر التعب والإجهاد . وهى لاتيأس من ندائه باسمه .. إلى أن كاد الصبح يفضح الأمر .. فانصرفت .

وهنا قمنا جميعا دفعة واحدة ، وزايلنا الفراش متألمين لكثرة ماحبسنا أنفاسنا من الضحك .. وصرنا نقلده فى تناومه وأنينه وهو يضحك مرة ويحمد الله أخرى .

وهكذا تكون الرجال .. إذا اختبرت بالمال والجمال ..

ولا أنسى أن أقول إن الإفطار قد قدم إلينا أقل من العادى بكثير ..

وقال لى حضرته : — نعلم من ذلك أن والدك رضى الله عنه كان محاطا بالحفظ الإلهى ، كما هو معلوم للجميع ، وذلك من أول أمره إلى نهايته ..

فسبحان من أعطاه ..

(١٣) ومن ذلك ماحدث :

كان والدى رضى الله عنه كثيرا ماىمازح الأخ ـ محمد زكى .. فحدث أن كان الأخ زكى وأمثاله من الظرفاء متواجدين مع والدى على مائدة الطعام فى أحد أسفاره ، وقد وضعت أمامهم سلطانية بها حساء ساخن جدا والبخار يتصاعد منها ، وتناول منها الأخ زكى ملعقة ، فلسعته لسعة قوية .. فقال : الشوربة نار ياعم .. فمد والدى يده محركا لها بالملعقة وأخذ منها رشفة ثم قال : الشوربة عادية وتحتاج لتسخين . وتذوقها الإخوان ، فإذا بها كما قال والدى. وأخذ الأخ زكى يحلف لهم أنها كانت كما قال ، والإخوان تمازحه قائلين له : لا .. لا .. كذاب يازكى .. وهو يستشهد بالبخار الذى كان متصاعدا منها والذى رأوه ..

وسرى بالكل روح الأنس بذلك المزاح الجاد الظريف .

(١٤) ومن ذلك ماوقع للأخ محمد زكى أيضا ..

أتى السيد ـ محمد زكى لزيارة والدى فوجد عند إحضار الطعام أنه طعام عادى على غير المعتاد .. فقال : ياعم تركت والدتى بمصر ، وهى تجهز طعاماً غالياً وشهياً ، وكنت أطمع فى طعام أشهى منه هنا .. ولكن اليوم الأكل عادى ، وأرجو أن تأمر لى ياعم بوزة قبل حضورى .. فقال له والدى : لك على أنك كلما تأتى تجد وزة .

وقد أقسم لى الأخ ـ محمد زكى أنه كلما حضر وجد على المائدة وزة . وكان ذلك يحدث معه دائماً عند وجود والدى أو عند سفره . فكانت دائما الوزة كلما حضر يجدها على المائدة ضمن مايقدم من طعام الإخوان ..

فقد كان مزاحه رضى الله عنه مداعبة جادة ..

(١٥) قال لى السيد ـ عبد الرءوف الحلوانى :

كان السيد ـ رضوان عثمان عندنا ، فأخبرته بشوقى لسيدنا الشيخ ، وعزمى على زيارته . فقال لى : عند تشرفك بمقابلته.. اسأله لى نظرة .

فسافرت .. وعند وجودى مع سيدنا الشيخ قلت : الشيخ رضوان يسألك نظرة . فقال : أرسلت له نظرة .. فنظرت فى ساعتى لتحديد الوقت بالساعة والدقيقة ..

وعند رجوعى ومقابلتى للسيد ـ رضوان ، شكرنى وقال : وصلت النظرة .. فقلت له: فى أى وقت . ؟ . فقال : الساعة كذا والدقيقة ... فصرت كلما قابلت سيدنا الشيخ أسأله نظرة لى ، فيتكرم بما تشعر به روحى .. إلى أن لاقى ربه الكريم .

وانتهى من كلامه وبكى أسفا عليه .. رضى الله عنه . أو شوقا إليه أو كلاهما .. وكان أمر الله قدرا مقدورا..

(١٦) ومن ذلك ماحدث معى :

فى ابتداء الثورة الوطنية سنة ١٩١٩ قامت مظاهرة الطلبة بمدينة طنطا فى ١٢ من مارس ١٩١٩ بأعداد هائلة . وعند وجود المظاهرة بميدان المحطة حاصرها الإنجليز بالمدافع الرشاشة من ثلاث جهات وقاموا بحصار المتظاهرين وأطلقوا الرصاص (١) . فقتلوا أعدادا كبيرة . وقال البلاغ الرسمى : إنه قتل ستة عشر شخصا وجرح الكثير . وفى اليوم ذاته حضر سيدنا الشيخ إلى طنطا عصرا وسأل عن القتلى والجرحى . فذكر له البلاغ الرسمى . فقال : إن الذى قتل للآن ٨٥ شخصا . وسيموت الجرحى كلهم ، الموجودون بالمستشفى الأميرى . وفى هذه اللحظة وصل الأخ عبد المجيد ، رئيس الطباخين بالمستشفى الأميرى فسأله الإخوان : كم بلغ عدد القتلى حتى الآن ؟ فقال : خمسة وثمانين شخصا.. وذلك إلىأن غادر المستشفى للحضور للسلام على سيدنا الشيخ. وعند ذلك قال سيدنا الشيخ للسيد ـ محمود الحلوانى : إنى قطعت رحلتى لزيارة الإخوان بالمنصورة ، وحضرت لأخذ ولدى والاتجاه إلى الزقازيق ؛ ثم استطرد قائلا للسيد ـ محمود : أرجو أن تتفق حالا مع عربة حنطور لتوصلنا

---

(١) رصاص دمدم الممنوع استعماله دوليا .

إلى الزقازيق . فقال : ياعم السكة الحديد أسرع وأريح ، وأقل نفقة ، والسفر طويل . فقال له : لاتوجد سكة حديد باكر بالقطر . فامتثل السيد ـ محمود . واتفق مع صاحب عربة حنطور على مبلغ عشرة جنيهات . وقمنا عند الفجر يصاحبنا السيد ـ عبد العزيز الغوابى ، وعند بلدة المنشية ، وهى قبل مدينة زفتى بقليل ، أخبرنا الأهالى أن مدينة زفتى أعلنت استقلالها عن القطر ، وقامت بها جمهورية برئاسة السيد ـ يوسف الجندى .. وأن السكة الزراعية الموصلة إليها بها خنادق مغطاة لتكون شراكا تقع فيها القوات الإنجليزية إذا حاولت مهاجمة الجمهورية الجديدة . فنزلنا من العربة وتركناها . وعند ذلك قال السيد ـ عبد العزيز الغوابى لوالدى : أنا كنت مهندس زراعة هذه المنطقة ، ولى فيها أصدقاء كثيرون ، ويمكننى الآن إحضار ركايب توصلنا لمدينة ميت غمر . فقال له والدى : اذهب وأنا هنا منتظر لحين حضورك لأرى مجهودك . .

وجلس سيدنا الشيخ على القنطرة بأول البلدة . وصحبت السيد ـ عبدالعزيز إلى منزل العمدة فلم نجده ، فمنزل شيخ البلدفلم نجده، ثم منزل شيخ الخفراء فلم نجده . وكذلك منازل الأعيان الذين يعرفهم .. لم نجد أحدا من أصحابها . ورجعنا يائسين . ورأينا ضرورة المبيت هنا ، ثم التصرف .

ورجعنا لنجد والدى محاطا بكل رجال القرية ، ومعه كل من سألنا عنهم .. محتفلين به ، وكل يرجو تشريفه بالمبيت عنده قائلين : كل منا يمكنه أن يحضر الركايب ونوصل حضرتك ومن معاك ، ولكن لايمكن أن نترك هذا الخير يفلت من أيدينا ، لأننا سمعنا عن حضرتك الكثير وكنا نود رؤياك . ثم يستطردون محاولين استرضاءه بقولهم : سنأخذ عهدا ونكون من أتباعك .. فقال سيدنا الشيخ مبتسما : الرأى لعبد العزيز باك صاحبكم قديما. فأصبح السيد ـ عبد العزيز ضمن الراجين .

وانتقلنا لمنزل العمدة الذى استعد فورا استعدادا كاملا ، ودعا الكل إلى طعامه ، وأقام حفلا كبيرا ترأس سيدنا الشيخ مجالس الذكر فيه . وكان

هو المنشد أيضا فى وقت واحد .. وعند انتهاء المجلس ، استمر الحضور فى أخذ العهود إلى الفجر ...

وقمنا صباحا لمدينة زفتى ، وبتنا بها ، حيث لم نتمكن من السفر ، لإصرار الإخوان وإلحاحهم فى مبيت سيدنا الشيخ بالبلد . ثم قمنا صباحا فى عربة متجهين إلى الزقازيق . وبعد ركوبنا بقليل رأيت مآذن مساجد الزقازيق وذلك عندما تنبهت على نداء السائق وهو فى حالة جذب وأخذ ، وهو يهتف : مدد ياأولياء الله . . مدد ياأبو خليل .. العربية طايرة ياناس ..

وعند ذلك صحت أنا فرحا : وصلنا .. وصلنا .. هذه مآذن مساجد البلد ..

وهنا بدأت العربة تسير بالسرعة الطبيعية . وعند ذلك قال والدى : لولا هذه الحركات والصياح لوصلنا بنفس السرعة التى كانت ولكنه القدر.. وصار السائق يتلفت لى ويقول : ليه يابنى ؟ كنت خلى الطريق مستور . لاحول ولا قوة إلا بالله :: ثم يتابع قوله مهموما : الأمر لله . وأنا أقول له: أنت السبب . أنت الذى كنت تنادى ونبهتنى فوقفت ورأيت مبانى البلد . فيرد بصوت آسيف : طيب يابنى .

وهنا سأل السيد ـ عبد العزيز الغوابى شيخنا عن سبب توقف هذه السرعة المذهلة . فقال له سيدنا الشيخ : هذه كانت بركة سيدنا الخضر ، الذى كان يرافقنا فى هذه الرحلة تفضلا منه لراحتنا ، حيث الوصول يكون كالطيران . ولولا هذه الحركات والصياح من ولدنا والأسطى التى حصلت لما سلم سيدنا الخضر وذهب . وبعدها قطعنا المسافة الباقية من الطريق للزقازيق فى ساعة تقريبا .

وعند وصولنا طلب السائق أخذ العهد بعد تمنعه من أخذ أجر توصيلنا ولم يأخذ الأجر إلا بعد استرضاء الشيخ له بقوله : هذه النقود بركةإن شاء الله . وكان السائق يردد: هو ده كان سفر؟ د ى كانت كرامات ونزهة وسعادة دخلت على.. واستأذن قائلا : والله لولا عيالى والقيام بلوازمهم ، لما فارقتك يا عم :.

(١٧) ومن ذلك ما وقع :

قال لى أخى السيد ـ محمد أبو خليل الـكبير :

كنت شابا عندما حضر للزقازيق اثنان من الأولياء بأعالى الصعيد ليقابلا والدى . فأخذ الناس من مظهرهما رعب كبير .. وصاروا يتفادون طريقهما وهما يقصدان لمنزلنا دون دليل ، حتى قابلا والدى وسلما عليه فى خشونة ظاهرة جدا . فقال لهما سيدنا الشيخ بعد تقديم التحية : أتريدان طعاما . ؟ فقالا فى وقت واحد : طعام إيه . ؟ إنت عندك غير أوزة وملوخية لضيوفك كلهم ، وأخرى لأولادك . ؟ . فقال لهما : نحضر لكما كل ماتطلبان . وتأخر الطعام قليلا ، فقالا : لا .. هيئ لنا الموجود ، وأخر ضيوفك .

فأمر سيدنا الشيخ بإحضار الطعام .. فالتهما الخبز واللحم والملوخية .. وكلما أحضر لهما شئ من الطعام يطلبان المزيد .. وهـكذا صار الخادم لايأتى بطعام حتى يذهب لإحضار غيره .. حتى انتهيا من الطعام — ورفعنا المائدة .

وهنا توجه سيدنا الشيخ بوجهه لهما وقال بصوت رهيب : « هو » ، فخرج من فيهما نوران . حجم الواحد منهما بيضة نعامة . وهنا قام بسرعة خاطفة أخونا السيد ـ عبد الغنى الجزار ، وشفط نور أحدهما من الهواء . وقام فضيلة الشيخ الجزار بنفس السرعة وشفط النور الثانى . وقال الإخوان : فاز بالنور الجزاران . . .

وهنا قام الاثنان صارخين فى الشيخ : رد لنا نورنا .. وهو يقول : أخذه الجزاران .. ثم سألا عن الجزارين . فعلما أنهما قد هربا بالبلاد المجاورة فأخذا يبحثان عنهما دون جدوى ..

فرجعا لسيدنا الشيخ قائلين : طيرت تعب العمر .. ويستجديانه بعض السر .. فيقول لهما : نفذ السهم . فانصرفا إلى حيث لانعلم ..

وكانت هذه تربية عجيبة وقصاصا فرح به الإخوان .. ورجع الجزاران يتلألأ وجهاهما بنور الولاية والـكشف والعطا ..

(١٨) وكنت بالمضيفة حين فاجأنى الأخ السيد ـ محمد دسوقى ، كبير مخابرات بالسرايات الملـكية فى عهد الملك فؤاد ، مسلما على قائلا لى : أين سيدنا الشيخ . ؟ فقلت له : بالمنزل .. فقال : إنى حاضر من مصر الآن بكرنيه رئيس الوزراء : يوسف وهبه باشا ، لئلا يعرفنى أحد . ومضطر جدا لمقابلة سيدنا الشيخ لأمر هام جدا . فقلت له : إنه لن ينزل بعد وجوده بالمنزل لتعبه نهارا بمقابلة زائريه والقيام بواجباتهم العديدة كما تعلم . فقال : هل يمكن أن تبلغه رسالة عنى وتأتينى بالرد .. ؟ فقلت : نعم . فقال : إن الملك كان ليلة البارحة يحضر حفـل استقبال مكون من الحاشية ورجال ونساء البيت المالك ، وكلهم أمراء وأميرات ونبلاء ونبيلات ، وسفراء الدول وكبار رجال الدولة حاليين وسابقين . وكانت السهرة للفجر تقريبا . وعند انتهائها توجه الملك لغرفة نومه ، وبعد خلع ملابسه لاحظ أن التاج غير موجود ، وظهر أنه مفقود تماما . وهنا كلفنى بالبحث عنه مهما تكلفت من جهد ضاعت معه معالم الجريمة تماما . وهنا تذكرت سيدنا الشيخ ، وتذكرت صلته بالله تعالى وفضله عليه ، وأنه سيكشف لى عن سر ماأنا فيه ، فهو غياث أولاده ، وفضل الله عليه كبير . متأكدا أنى سأرجع مجبور الخاطر . فقلت له : الأمر سهل جدا ، والآن سأقابله فورا ، وأرجع لك بما يسرك .. فقال : أنا أعلم جيدا أن لك عند الشيخ شفاعة لاترد وأنه يكرم من يحبك وأنا منهم .. فقلت له : اطمئن ..

فبلغت الأمر لوالدى ، الذى رد على وهو يتنهد : سلم لى عليه ، وقل له « دود المش منه فيه . » . فقلت هذه إشارة غامضة ، وأطلب تصريحا أصرح .. فقال : إنه سيرقص طربا بهذه الإشارة التى سيدركها بذكائه المعلوم .. فتركته لأقول ماسمعته منه ، وبلغت الرسالة لطالبها ، الذى رفع يديه راقصا وهو يردد هذه الإشارة ، ويقبلنى مرارا . وذهب للمحطة على الفور ليلحق آخر قطار لمصر وهو يقول : سأرجع إن شاء الله تعالى شاكرا سيدنا الشيخ فقلت : أولا وقبل مغادرتك لهذا المنزل لابد أن تقول لى مافهمته من هذا التصريح . فقال : الآن ظهرت مهمتى جلية وحصرت الشبهة فى البيت المالك

نفسه ، الذى سأضيق عليه الخناق حتى يظهر الفاعل الذى سأمنيه وأؤكد له رد مظلمته قبل إحضار التاج . فلن يفعل ذلك إلا مظلوم . وستعلم النتيجة عند حضورى لشكر مولانا الشيخ .. وذهب مسرعا ..

وبعد ثلاثة أيام حضر للتشكر .. وعلمت أنه اتهم جميع أفراد الأسرة المالكة ، وبسؤاله لإحدى الأميرات ، قالت وهى تبكى : أنا مظلومة .. فقد ضم رئيس الديوان أملاكى إلى أملاك الملك بحجة أنه الناظر الشرعى لها ، وصرت بذلك فى حالة بؤس يعلمها الجميع ، وشكوت للملك فلم يحرك ساكنا ، وتركته بوعد لم يحققه للآن .. وقد انتهزت فرصة الحفلة وأخذت التاج وأودعته داخل شنطة ، على أنه ملابس لى ، وأودعته عند حرس الباب مع ودائع الغير . وعند الانصراف أخذته وأخفيته ولن يصلوا إليه أبدا إلا بعد رد مظلمتى مهما فعلتم لى ، لأن الموت أهون من تفريطى فيه . وهنا أبلغت هذا للملك الذى قال : ردوا إليها حقها فورا .. وفى هذه اللحظة اتصل جلالته برئيس الديوان قائلا : كفى مظالم ياظالم .. فأنا لست فقيرا ، وغير محتاج لخدماتك التى ستكون فضيحة لى خاصة . وعند ذلك قمت باستلام أراضيها وتسليمها لها باليوم الثانى مباشرة ، حيث هى طمأنتنى سابقا أن التاج تحت أمرى على شرط مساعدتى لها قائلة : إذا كان هذا الأمر سيكون سببا مؤثرا على مركزك سأرده لئلا أضر بمركزك ، لأنك رجل صالح ومبروك . وبعد تسلمها لأراضيها حاسبت الخاصة الملكية على مااستولت عليه من إيجار تستحقه لدى الخاصة . وليس إلا تسليمها للتاج واستلامى له من يدها .. وعلم كل ذلك والدى منه حين حضوره . وكانت هديتى لعبة أطفال لايوجد مثيلها إلا عند أولاد الملك نفسه .

ذلك مع العلم أن السيد ـ محمد دسوقى ـ المذكور ـ كنت أراه كثيرا فى زيارة والدى لمهمات يشترط فيها والدى عليه ألا يحضر لأى أمر يخالف الشرع . ويكون به عمل خير لاشر فيه ، بل يكون أمراً كله منفعة للجماعة أو للفرد ...

فسبحان من أعطاه . .

الباب الثالث عشر ــ كرامات بعد انتقال شيخنا رضى الله عنه

.. من ذلك ماوقع للسيد ـ ربيع المحامى :
أنه رأى سيدنا الشيخ مناما بعد الانتقال يقول له : لا تظنوا أننى مت ، ولكننى بعثت ..

* ويروى السيد ـ أحمد عبد الرحمن ، وهو من الإخوان الصالحين ، كرامتين من كرامات سيدنا الشيخ ، حدثنا له بعد انتقال الشيخ إلى لقاء ربه عز وجل .

(١) الأولى يقول : أصبت برمد شديد فى عينى منعنى من العمل ثلاثة أيام مصحوبا بألم عظيم . ومن الله على بالنوم لأستيقظ فأرى رأسى موضوعة على رجل سيدنا الشيخ ، وعندما بدأت أفيق من نومى وجدت رأسى على المخدة ، وانصرف الشيخ فى هدوء ، ووجدتنى سليما معافا من المرض ..

(٢) الثانية : التوت قدمى محدثة صوتا وفرقعة **أثناء** نزولى من الترام .. ومصادفة مر أحد الأحباب وأوصلنى لمنزلى وأنا فى شبه غيبوبة من الألم ، ولزمت الفراش حتى تمت بعد تدليك وتطبيب ، ثم رأيت فى نومى أرواحا طاهرة كثيرة ، أعرف أصحابها ، تزورنى وتباركنى . واستيقظت لأرى شيخى بجوارى يمسح موضع الألم ، وأخذنى وجد شديد وهممت بالسلام عليه ناسيا مرضى ، لكنه غادرنى قبل قدرتى على القيام أو الحديث . ومن ساعتها بدأت أشعر بالراحة والسلامة والشفاء ..

جزاك الله عنا ماأنت أهله ياحبيب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٣) وأذكر كرامة ثالثة للسيد ـ أحمد عبد الرحمن المذكور :

وهو أنه كان قد دخل مستشفى خاصا لإجراء عملية بتر بالساق . وكان معه صديق له ، أحد أعيان الشرقية والذى كان يريد إجراء نفس العملية ؛ وتقدمه صديقه الذى توفى أثناء إجرائها . لذلك خشى السيد ـ أحمد من إجرائها.

وعند زيارتى له بالمستشفى قال لى : سوف لا أجرى العملية إلا بعد أن

تستشير لى سيدنا الشيخ ويوافق على إجرائها ، وذلك برؤيا منامية واضح بها الإذن وإلا سوف أترك المستشفى وأنتقل لمنزلى حتى أموت موتا عاديا وسط أهلى وإخوانى . وتركته على هذه الحال ..

وليلا رأيت والدى رضى الله عنه مناما بالجنة يسكن قصرا لم تر عينى مثله ، وأخذنى إليه من أوصلنى لحضرته ، فوجدته بغرفة فسيحة ، نائما على سرير من ذهب ، يحلى جوانبه حبل مجدول من ذهب ، به جميع الألوان ، وقطره يبلغ مايوازى عشرين سنتيمترا ، أى شبرا تقريباً . وبهذه الغرفة كراسى عديدة مصنوعة من ذهب مجدول كالحبل المعدنى المركب من جملة ألوان من الذهب الذى وجدت أخسه الذهب الأصفر الموجود بنسبة الألوان الأخرى . ووجدت الشيخ مغطى بلحاف عليه رسم غابة بها أشجار وحيوانات مصنوعة من اللآلئ والأحجار الكريمة الملونة ، بحيث أن كل شجرة وكل حيوان يظهر بلونه الطبيعى من هذه المجوهرات اللاتى يأخذن بالنظر والعقل ؛ وهو مغطى بهذا اللحاف إلى العنق ولا يظهر منه سوى كفيه فسلمت عليه قائلا : صدق الله تعالى : (نعيما وملكا كبيرا ..)

ولكننى عند تسليمى عليه ظهر لى بعض ذراعه الذى وجدت به ماراعتنى رؤيته ، وهو وجود آلاف الشرط المملوءة بالصديد ، وهى فى حجم الظفر بعد قصه كما يحصل للذى تلقى لقاحا ضد الأوبئة .. فتعجبت قائلا : ماهذا البلاء ياوالدى . ؟

فكشف جسمه الذى وجدته كله على هذه الحالة المؤلمة التى لايحتملها إلا أمثاله من جبال الرجال . فقلت لحضرته مستفهما عن سبب ذلك فقال :

إن كل شرطة مما رأيت ، فهى تحمل بلاء أحد الإخوان . وهم مئات الألوف كما تعلم . والأعجب أنهم يقولون عند نزول البلاء أين شيخنا الذى كان يتحمل عنا البلاء فى حياته ، ولايعلمون أنى لاأزال أحمل عنهم معظم بلاويهم ، وهم يتحملون القليل منه مع حيازتهم الثواب الكامل على البلاء كله وأنا أتحمل معظمه ... بالحساب التجارى تراهم أنهم الفائزون فوزا عظيما ،

حيث الثواب أضعاف أضعاف ماتحملوا . فاقصص كل مارأيت للشيخ أحمد ، من سر عزيز على ذكره . وماذكرته إلا تطمينا للإخوان الذين يظنون انقطاع علاقتى ولايدرون قدر علتى .

وهنا قمت بزيارة السيد ـ أحمد ، وقصصت عليه رؤيتى .. وماكان أشد فرحه بها .

وقد أجريت له الجراحة الناجحة . وقد استغنى بساق صناعية ، واستمر فى عمله التجارى إلى أن وافاه القدر المحتوم فى سعة من الرزق خادما للطريق.

(٤) وقال لى الأخ الشيخ ـ على عقل :

سألنى علماء المنصورة قائلين : طلب سيدنا موسى الرؤية . فأجيب : (لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى) فدك الجبل .. (وخر موسى صعقا) . فعلم استحالة الرؤية .

وأثر أن المعراج كان بالروح والجسد .

ونريد أن نعلم رأى الإلهام فى هذا المقام .

فلم يفتح على الجواب . وقلت لهم : إنه لم يرد على صدرى كالعادة الكلام . وتكلمنا فى موضوع آخر .

وعند نومى رأيت سيدنا الشيخ يقول لى : قل للعلماء إن سيدنا الرسول أعطى قوة فوق قوة البشر . ونظرا فوق نظر البشر . وسمعا فوق سمع البشر ، فتحمل مالم يتحمله البشر إعدادا لهذه الرؤية والمقابلة .

وعندما استيقظت سعيت إلى العلماء وأخبرتهم بما أمرنى به ، فأبدلهم الله بالشك يقينا بحمد الله تعالى .. وكانت آية لشيخنا رضى الله عنه بعد انتقاله.

(٥) وقمت مع أخى محمد بك الفقى وبعض الإخوان لبلدة طوخ «منوفية» ونزلنا بمنزل الشيخ ـ رضوان بلال لزيارته ، فتعجب جدا ، وصار ينادى: مدد ياعم .. مع نهاية وقاره وسكونه المعروفين عنه فسأله محمد « بك » عن سبب ذلك فقال : رأيت سيدنا الشيخ أبو خليل فى الرؤيا ، وقال لى :

سأحضر لزيارتك باكر ، فاذبح لغدائى هذين الديكين الرومى . وأشار عليهما . فقلت له : ياعم أنت فى الدار الآخرة . وهل يأكل المنتقل . ؟. فقال ، اذبحهم واستعد لحضورى . فقلت : ياعم عندى جلسة مهمة أستأذنك فى حضورها باكر ثم أرجع بعد الجلسة . فقال : أنا أذهب بدلك ، وأحضرها عنك . وبشرنى بكسبها :

وها أنا إذن لم أسافر والطعام فى التجهيز لثقتى بالرؤيا .. وها أنتم المراد إكرامكم .. وها هو ابن سيدنا الشيخ الذى هو قطعة منه ونائبه وإن شاء الله سيقدم الطعام فى ميعاده ، وستتغدى مسرورين بنجاح القضية . وهذه آية وكرامة لشيخنا واعتناء بنا وبكم بعد انتقاله . فلماذا تلومنى يا محمد بك إذا صحت رغما عنى : مدد ياعم . ؟

ثم تناولنا طعام الغداء بعد إخباره تليفونيا من محاميه بنجاح القضية وتهنئته الحارة له .

لذا نقول : مدد ياعم ... بعد انتقاله رضى الله عنه ...

(٦) ومن ذلك :

كان المرحوم الشيخ - أبو جلالة ، يلاحظ مبانى مسجد سيدنا الشيخ بالزقازيق . وعندما حضر عمدة كفر النحال لزيارة ضريح سيدنا الشيخ قال له الشيخ أبو جلالة : فزتم بدفن سيدنا الشيخ بالزقازيق ، مع أن سيدنا الشيخ عند زيارته بلدنا « السرو — دقهلية » قال : « السرو بلدى وفيها مدفنى » . فرد عليه العمدة قائلا : إن الحوض الذى يقام فيه المسجد الآن اسمه حوض السرو .

وكأنه رضى الله عنه كان يعنى حوض السرو .. وهذا تغطية للكشف كعادته رضى الله عنه .

(٧) ومن ذلك :

مرضت بمرض فى الأمعاء ، وقام الطبيب على علاجى سبعة أيام والمرض يزداد وساءت حالتى جدا لمدة سبعة أيام أخرى لم تتخلص فيها الأمعاء من

فضلات الطعام بالرغم من أخذ الأدوية الملينة والحقن الشرجية بالزيت الكثير حتى يئس الطبيب من حالتى ، ولم أذق طعم النوم طوال هذه المدة إلا لدقائق فرأيت والدى مناما يقول : أقلقتنى ياولدى فى مقامى . فاستغثت به .. فقال : دواؤك فى أخذ علبة « ياترين باير نمرة مائة وخمسة » .. تأخذ حبتين صباحا . ومثلها ظهرا ومثلها ليلا .وستشفى تماما باكر وتنام ..

نهضت من الرؤيا وسجلت اسم الدواء . وعند الصباح وجدت نفسى مرتاحا جدا ، ولا أحس بآلام المرض إلا أن بطنى منتفخة جدا ، وتكاد تتمزق .

وحضر لزيارتى الأخ السيد - محمد عصر . وركبت معه عربته للسؤال بنفسى عن الدواء الذى لم أسمع به قبل ذلك ، ربما يكون موجوداً ، وأن الغرض من الشيخ إخبارى بالشفاء . ولم أشأ أن أرسل حضرته ربما تعرض لشئ من الإحراج فيخجل .

وعند سؤالى بأول صيدلية وجدته ، فاشتريته واستعملته ، فتخلصت من كل بقايا الطعام المختزنة بأمعائى دفعة واحدة ، حتى ظننت أن أمعائى قد خرجت معها . وكان تمام الشفاء كما أخبر .

وكلما قابلت الطبيب بعد ذلك يقول : أهلا بابن الدكتور ..

(٨) ومن ذلك ما حدث معى :

فى إحدى ليالى شهر مارس ١٩٤٦ ، رأيت شيخنا رضى الله عنه مناما يقول لى : هل زرت الإخوان باسكندرية ؟ فقلت : لا .. فقال : زرهم فى السنة مرتين . وقم لهناك باكر . وتلك آخر الأسبوع الذى ستقضيه معهم أجرة . ثم استطرد قائلا : أتحبها أجرة روحية أم مادية ؟ فقلت: روحية . فقال : روحية ومادية إن شاء الله؛ حيث إنك قلت روحية وفضلت الآخرة ..

وبالفعل توجهت إلى زيارة الإخوان بالإسكندرية . وعند عودتى أخبرنى زميلى فى العمل أن « سليمان بك متولى » مراقب الدائرة سأل عنى ، وأنه

آخبره أنى فى أجازة أسبوع . فقال له : بمجرد وصوله يقابلنى . ولما ذهبت إليه ابتدرنى بقوله لى : إن مرتبك لايتناسب مع الحالة الحاضرة والغلاء الفاحش . وقد أسندت الدائرة إليك وظيفة معاون إيرادات بالإضافة إلى عملك رغبة منها فى تحسين حالتك أولا ، ولثقتها فى جدك وأمانتك ثانيا . ولو أن المبلغ المقدر لذلك ضئيل وهو سبعة جنيهات ، وجنيهان كمصاريف انتقال بخلاف أجور السيارات الأجرة . وسننظر فى تحسين حالتك مرة أخرى عندما يوجد سبب نرتكن عليه .

ومرت على ذلك الأمر سنة . ثم رأيته مناما مرة أخرى فى شهر مارس أيضا .. يقول لى : زرت الإخوان باسكندرية ؟ فقلت : سأزورهم إن شاء الله .. فقال : تزورهم أسبوعا ، وعند رجوعك لك أجرة . أتحب أن تكون مادية أم روحية ؟ فقلت : لقد أخذت المادية بالسنة الماضية ، وأرجو أن تكون روحية هذه المرة . فقال : مادية وروحية . حيث فضلت الآخرة على الدنيا .

وسافرت ورجعت بعد أسبوع لأجد المراقب نفسه يسأل عنى ، فأذهب إليه ويقول لى : فكرت فى عمل تحت يدك تأخذ منه مرتباً جديداً حتى يمكنك مواجهة الغلاء . فقلت له : يمكن تعيين ولدى السيد ـ مجد الدين مراقبا صحيا ليليا فى الملجأ ، حيث إنه طالب بكلية الطب ، ويمكنه مراقبة صحة النزلاء .

فوافق وعين ولدى بمرتب خمسة جنيهات ، ثم وصلت ثمانية جنيهات . على أن يصرف له خمسون جنيها من الدائرة فى آخر العام منحة لشراء كتب وملابس لإعانته على طلب العلم .. والعجيب عند عرض ذلك الأمر على الأمير للموافقة قال : يصح أن تكون هذه الهبة سنويا لكل طلبة التعليم العالى من أبناء الموظفين ..

فكانت خيرا وبركة على أمثال ولدى ، وتعميما للرخاء ، حيث شمل الجميع بفضله تعالى .. فسبحان من أعطاه .

(٩) ومن ذلك أيضا :

كنت بزيارة الإخوان بمديرية المنوفية ، واستغرقت الزيارة عشرين

ليلة ، زرت فيها عشرين بلدة . فأحسست بآلام شديدة فى ظهرى ، قررت بسببها العودة إلى الزقازيق لأعرض نفسى على الطبيب وأستريح بمنزلى وأحضر بعد ذلك لتكملة زيارة الإخوان . وفى الصباح المبكر جدا عند طلوع الشمس ، طلبت ركوبة لتوصيلى لمحطة البتانون . فقال لى الأخ الكريم ـ الحاج عبدالسلام بحبح : تنتظر عندنا الليلة . وساعده أخوه السيد أفندى ووالده . ولكنى اعتذرت بالمرض أولا ، ثم قلت لهم : لو كنتم مجتهدين فى نشر الطريق كما كنتم كنت أضطر لإجابة الدعوة . ولكنكم تراخيتم . وإنى مرتاح أيضا للتراخى فى دعوتكم .

وسافرت . حيث وصلت للزقازيق بالضحى ، وعرضت نفسى على الطبيب ، وكتب لى العلاج ونصحنى بالراحة التامة . وهكذا وصلت المنزل ظهراً لأجد الآلام تزداد ، ونمت من شدة التعب .. فرأيت والدى يقول لى مناما :

« ذهبت لزيارة بلد كذا » . وأخذ يعد ليالى الاحتفالات بالترتيب الذى وقع . فقلت له : نعم . فقال : لماذا تعتذر عن ليلة منزل بحبح ؟ . ألم تعلم أنى أحبهم .. ؟ ولو أنهم أخذوا العهد بعدى ؛ ولكنى أرعاهم وأزورهم وأنت تعتذر عن زيارتهم ..؟ فقلت له: إنى مريض . فقال : شفيت . فاذهب اليوم إليهم . قلت : إن السيد أفندى موظف ببلد غير البتانون ، وكذلك الحاج عبدالسلام ، وإنهما يحضران ليلة الجمعة . فقال : قم وخذ القطار وسأحضرهما لك اليوم لتكون مسرورا .

فقمت من النوم ووجدت أن لامرض ، بل هناك صحة ونشاط عجيب . وقمت بزيارة ضريحه وتوجهت للمحطة لأدرك قطار قبيل العصر . وعند وجودى بالمحطة أرسلت تلغرافا لوالدهما أخبره بحضورى فى نفس اليوم . وعندما وصلت طنطا وجدت السيد أفندى بالمحطة راجعا إلى البلد . فقلت له : هل ذهبت لمدرستك اليوم ؟ فقال : ذهبت إليها وحضرت طنطا لسؤال المحامى عن قضية لنا . وسألنى : وأنت هل ذهبت إلى الزقازيق ؟ . فقلت : نعم .. وأفضيت إليه بقصتى .. ففرح فرحا شديدا . وعند وصولى محطة

البتانون وجدت الحاج عبدالسلام أخاه منتظراً ركوبته ، وحاضراً من محل عمله . فكان شديد السرور لعناية والدى بهم . وتوجهنا لمنزلهم لنجد أن والدهم قام بدعوة الجهات جميعها بين غرابة الجهات المجاورة لهم لسفرى فى صبيحة ذلك اليوم مع غاية الاستعداد .

ومكثت عشر ليال أخرى زرت فيها من كنت قد تخلفت عن زيارته خوف أن يرجعنى والدى مرة أخرى ... فسبحان من أعطاه ..

(١٠) وحدث بعد انتقال شيخنا رضى الله عنه ، أن الدكتور ـ حسن صبرى ابن السيد ـ صبرى من كبار رجال الطريق ، أمره والده أن يتوجه إلى مقام سيدنا الشيخ ويطلب إليه أن يساعده بروحه ويحدد له طريقة الوصول إلى النجاح بتفوق . فامتثل لأمر والده وقام بتلك الزيارة . ورجع إلى القاهرة فرأى شيخنا مناما يقول له : اهتم بدراسة جراحة الذراع لتنجح فى التحريرى. وعند امتحانه بالشفهى كرر الزيارة لنفس الغرض ، فرآه مناما يقول له : اهتم بدراسة جراحة الذراع أيضا .

وعند امتحانه بالشفهى . سئل عن إجابته بالتحريرى ليقرر ما كتبه فيه ظنا منهم بأنه يحتمل أن يكون قد نجح بطريقة غير مشروعه . فنال الإعجاب . وعند امتحانه بالعملى كرر الزيارة لثالث مرة . فسئل فيما سئل فيه بالتحريرى والشفهى حتى يتأكدوا مما إذا كان إتقانه للإجابة نظريا فقط . فأدى الامتحان بإتقان منقطع النظير . وقام بالزيارة الأخيرة بعد نهاية الامتحان للتشكر ..

(١١) وأعلم حقا أن أخانا المرحوم الأستاذ ـ صادق الشرقاوى قد عين بوظيفة كبيرة للقيام بعمليات مهمة زراعية ، فقام بها خير قيام . وهنا كرمه ملك العراق وقربه واتخذه ضمن حاشيته الخاصة التى تلازمه فى العمل والفراغ والوجود بمجلسه ليلا ، حتى تنتهى السهرة لأولئك المقربين .

وبعد ثلاث سنين تقريبا من وجوده هناك ، رأى شيخنا رضى الله عنه عنه مناما يقول له : اترك الخدمة بمملكة العراق فورا ، وارجع إلى بلدك مصر .

فقص هذه الرؤيا على السيدة ـ زوجته التى ردت عليه بقولها : عليك بتنفيذ أمر سيدنا الشيخ فورا مهما حصل . فأخذ يستعد لذلك الرحيل بتأن وتؤدة فى تصريف أمره .

وبعد ذلك بقليل كان بالسهرة مع الحاشية والمقربين ، وبعد الاستئذان بالخروج من السراى رافق تلك الفئة التى غدرت به فى الطريق ، وقامت بإلقائه بالنهر ، وهرعت إلى منزلها عندما تحققوا من غرقه .

وهنا رأت زوجته سيدنا الشيخ يقول لها : إن أصحاب زوجك ألقته بالبحر وهربت . فقومى إلى الذهاب فورا إلى زوجك الذى سترينه ملقى بالشارع أمام الكوبرى لأنى أغثته بإخراجه من الماء وإلقائه بالطريق العام .
وهنا قامت فورا بالذهاب إلى هناك لتجد زوجها يرتعد من البرد لبلل ملابسه التى تقطر ماء ، وهو عارى الرأس ولباس الرأس يطفو على وجه الماء بالنهر ، فأخبرته بالرؤيا عند دهشته لحضورها . وقال لها : إنى بعد إلقائى بالنهر وتحققى من الغرق بعد امتلاء جوفى بالماء ، رأيت سيدنا الشيخ يرفعنى بيديه ويلقينى بالشارع .

وذهبت به إلى البيت مطمئنة ..

وصباح اليوم التالى توجه إلى السراى وقدم استقالته ..

وهنا فاجأه الملك بقوله : إن أصحابك بعد قيامك معهم بقليل أبلغونى تليفونيا أنك قفزت من السيارة وألقيت بنفسك فى الماء ، وربما يكون قد شرب مسكرا سرا بدون علمنا جميعا ، والآن سنقوم بانتشال الجثه وعمل اللازم . وبعد قليل أبلغونى أيضا أنهم لم يجدوا الجثة وسنحضر غواصين لإخراجها وعمل اللازم نحو تسفيره مع الأسرة إلى مصر بالطائرة .

والآن تجدنى مضطرا لقبول الاستقالة وسرعة تسفيرك لتبتعد عن هؤلاء الخونة . وسرحه بعد تكريم مثواه مكرما غاية التكريم . وكل ذلك كان غيرة وحسدا من هؤلاء لحظوة ومكانة أخينا عند الملك ، الذى قام بالقصاص خوفا على نفسه وتأديبا لغيرهم .

● القسم الثالث

من أقوال شيخنا

" رضى الله عنه "

من أقواله رضى الله عنه

فى حب الله تعالى

* كان رضى الله عنه إذا قال : « يارب » أو : « يانبى » ، تشقق جبينه ونبع منه الدم .
* وكان رضى الله عنه إذا أخذه الوجد يقول : « أريد أن أسمع سيدى ولو بقوله : خذوا عبدى إلى النار .. » .
* وكان يقول : « لو نسيت ربى أو رسوله طرفة عين ، عددتها ذنبا يستغفر منه .. » .
* وكان يقول : « أفضل ما قالت السيدة ـ رابعة العدوية :

« أنا لا أبتغى بحبى بديلا »

* وكان يقول : « أفضل ما قاله لبيد :

ألا كل شئ ما خلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زائل »

ثم يقول معلقا على هذا البيت : « وكان الأفضل أن يقول لبيد :

« وكل نعيم مبعد عنه زائل »

« لأن النعيم الروحى فى الدنيا متصل بنعيم الآخرة ، وهنا يكون غير زائل بل ممدود » .

* وسئل فى القدر ، فقال : « كل ماجاء من المحبوب .. محبوب .. »
* وسئل فى الجبر والاختيار ، فقال : « ليس عندنا جبر ولا اختيار .. ولا تبرم .. ولاشكوى .. بل هناك محب ومحبوب » . ثم يقول : (قل كل من عند الله) . أو يقول : « كله منه » . باللهجة الدارجة . أو يقول : (وما تشاءون إلا أن يشاء الله) .
* وسئل عن التدبير . فقال : « خير التدبير ، ألا تدبير مع القدير » .
* وسئل عن الإرادة ، فقال : « نحن قوم فنت إرادتنا فى إرادة الله تعالى . فليس غير الرضا والتسليم والتفويض والشكر على كل حال ، وانتظار الفرج » .

(المــربى)

* وكان رضى الله عنه إذا بلغه أمر يقول فى تسليم تام : « على مراد الله » . أو يقول كلمة : « أمره » أو يقول كلمة : « قدر » . أو يقول : « كله خير » .. ويصمت غير معقب على ما سمعـه ، ويشتغل بالذكر كعادته .. فإذا هو يقول : « سبحان من أوجد فى كل قلب ما أشغله .. سبحان من لايشغله شأن عن شأن » .

* وكان يقول لمن يستشيره بعد أن يشير عليه بما فيه نجاحه : « اذهب على بركة الله » . أو : « اذهب على بركة النبي » ..

* وسمع منه مرارا يقول :

« ملك عظيم الشأن فرد واحد * صمد عظيم الصفح جل ثناه
أسماؤه دلت على أوصافه * فتقدست وتعظمت أسمـاه
كل عليـه معول ومؤمل * يرجو الرضا طوبى لمن أرضاه
فاذا بليت بكربة أو شدة * فارجوالخلاص وقل سريعا ياهو »

* * *

من أقواله رضى الله عنه

فى حب سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم

من الصفات البينة فيه رضى الله عنه ، الاعتماد التام على الله تعالى ، وسوق كل شئ ببركة النبي صلى الله عليه وسلم .

فكل شئ كان يسأل فيه أو يخبر بنجاحه كان يقول : « بالنبى » . أى ببركة النبي .

* قلت للعارف بالله تعالى فضيلة الشيخ ـ عبدالله الشيمى :
أغرب ما سمعته من والدى وهو فى حالة وجد وأخذ : « لو أعلم أن أحدا يحب سيدنا رسول الله أكثر منى ، لقتلته .. » فقال لى فضيلته :
وأنا سمعته رضى الله عنه يقول فى مثل هذه الحالة :
« لو أعلم أن أحدا يحب سيدنا رسول الله أكثر منى لقتلت نفسى .. »

* وسمعت من حضرته مرارا يقول : « مادلنى ع الذات إلا محمد »

* وكذلك قوله : « لولا النبي ما كان فى الوجود زاوية (١) .. »

* وكان كثيرا ما يقول مخاطبا النبي صلى الله عليه وسلم :
« لك فى الصخر غاصت الأقدام » .

* ويقول : « اللهم صل على من قال يارب أمتى ... »

* وسمعنا منه مرارا متمثلا سيدنا رسول الله :
« نبى تقى أرجحى مهذب * حرام على أرض وجود نظيره »

أقـوال عامة

* كان عندما يثنى عليه العلماء يقول : « رب الدار أدرى بما فيه . وهذا حسن ظن بنا منكم » .

* وكان يقول : « وزنت نفسى على قشرة البصلة فوجدتها أنفع منى للناس»

---

(١) إما أن يكون المقصود : زاوية للصلاة . أو زاوية هندسية بناء على أنه صلى الله عليه وسلم أصل الوجود .

* وسئل لماذا يقال على العالم: « **صاحب الفضيلة** »؟؟ . فقال : « أصلها قول القائل: إنما يعرف الفضل من الناس ذووه . وبذلك يسمى أحدهم بصاحب الفضيلة والجمع أصحاب الفضيلة » .
* وعندما كان السادة العلماء يرون منه الكرامات الخارقة للعادات يقولون لشيخنا : ما هذا ياعم . ؟ فيقول : « **الله تعالى كريم يكرم عباده ..** »
* وكان رضى الله عنه ينظر إلى من بمجلسه من الإخوان ويقول :
« الحمد لله . أولياء فى بدل أفرنجى .. هذا عجيب .. فى هذا فضل الله على وعليهم عظيم .. »
* وسئل عن لبس الملابس الإفرنجية **فقال** : « لو كان سيدنا الرسول موجوداً بعصرنا للبسها أحيانا لعدم تحرج أمته .. »
* وسئل رضى الله عنه : هل السيدة **رابعة العدوية** كانت تصلى ألف ركعة بالليل والنهار كما هو مشهور ؟.. **فقال:** « نعم .. » فقيل: بالحساب لايسع اليوم هذا العدد فقال : « أنتم عملتم حساب الوقت ونسيتم البركة فى الوقت والبركة أن يحصل الخير الكثير فى الشئ القليل بقدرته وكرمه . »
* وسئل من بعض العلماء : هل صحيح **أن** الأرواح تحضر بمقام عبدالله بن سلام ؟ فقال : « صحيح .. » فرد **العالم** بقوله : كان الأحق **بذلك** المقام الحسينى أو الزينبى . فقال : « عندكم **أن** المزية لاتقتضى الأفضلية . فارفعوها نرفعها منعندنا » . . **فرد العالم** قائلا : لا نرفعها ولا أنتم ترفعوها .. وشمل المجلس الأنس .
* كثيرا ما كان رضى الله عنه يردد **الحديث القدسى** :
« أوحى الله إلى الدنيا : يادنيا **من خدمنى** فاخدميه ، ومن خدمك فاستخدميه » والحديث النبوى : « **لو** كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء » .
* وكان يقول : « من هوان الدنيا على **الله أن** ملكها كلها لكافرين اثنين

« نمروذ وبختنصر » ، وللمؤمنين فقط « داود وسليمان » . فلو كانت تساوى عند الله شيئا ما ملكها لأعدائه » .
* وكان يقول رضى الله عنه : « الدنيا كالدخان يعلو جداً ثم يتلاشى وينخفض . »
* وكان يقول: « الدنيا كسوق قام ثم انفض ، ربح فيه من ربح وخسر فيه من خسر . »
* وكان يقول : « من كان همه بطنه ، فقيمته ما خرج منها » . ثم يردد : « الدنيا جيفة وطلابها كلاب » ... « وأحسب أن ذلك حديثا لسيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم »
* وكان يتمثل بالشطر الأول من البيت الآتى :
« ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا * وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل »
فإنه كان يذكر الشطر الأول ويمسك عن الشطر الثانى ، لأن شيخنا رضى الله عنه كان لايتلفظ إلا بالقول الجميل ، وماسمعناه ذم شيئا حتى فى الأشياء الصغيرة .
* فقد حدث أن قدم إليه فى يوم حار ماء غير بارد للشرب . وبعد أن شرب هنيئا قال : « المية دى سخنه حلوة » .. وذلك تعويدا لنا على التلفظ بالقول الجميل .
* وكان رضى الله عنه يقول : « نعم ماقال الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم : « الدنيا مزرعة الآخرة » .
* وكان شيخنا رضى الله عنه ينهانا عن قراءة الكتب . ويقول :
من اجتهد فى عبادة الله ، نور الله بصيرته ، وعرف ما فى الكتب وما ليس فى الكتب بطريق الإلهام أو الكشف ، وذلك مصداقا لقوله تعالى : (واتقوا الله ويعلمكم الله) . وقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم » .
* وحدث أن كنا فى سفر وفاجأ سيدنا الشيخ حال وجذب حين خلوته

بغرفة مغلقة وصار يغنى . فاقترب أحد الإخوان من الحجرة فسمعه يقول : « أنا جبال الأرض متى تدكدكت .. » فرجع إلينا مذعورا ، حيث لم يستطع الاستمرار فى هذا القرب والاستماع إلى ما يقول .

* وحدث أن اختلى رضى الله عنه ، مدة ستة أشهر ، وكان أثناءها يتكلم بصوت مرتفع كمن يشرح درسا للطلاب . وحضر الشيخ ـ رضوان عثمان ، رأس الملهمين من الإخوان ، ورجانى أن أستأذن والدى فى زيارته فأذن له . وفاجأه والدى بقوله : « هل فسرت سورة يس .؟ » فقال : نعم . فقال له : « كم استغرق تفسيرها من الزمن . ؟ » فقال : ستة عشر يوما . فقال له : «كنت أظنك ترقيت كثيرا عن ذلك القدر » . وأخبره أنه محجوز ستة أشهر ليفسرها ، ولم يتم تفسيرها بعد . فرد الشيخ رضوان قائلا : أفض على مما أفاض الله عليكم فأكون كما تحب . ثم انصرف معى مغادرا المنزل وهو يقول لى : على قدر مدده لى كانت مدة تفسيرى ياسيد محمد ...

فقلت له : أيسألك وهو يعلم حالتك . ؟ . فقال لى : هذا تأديب ليحد من غرورى ، وينبهنى إلى تقصيرى ، ويحضنى على العمل ، ويوسع ظنى فى الله تعالى فى تحقيق الأمل .

* كان رضى الله عنه يقول : « إن الله يعطى للولى درجتى السمع والبصر ، فيرى الولى من هو فى أقصى الأرض ، ويسمع من يناديه كذلك » . فقيل له : وكيف ذلك ؟ فقال : « يسمع الكلام فى القلب قبل أن يتقلقل . ويبصره أيضا كأنه محسوس . وكذلك من يناديه الشيخ من بعد يسمع نداءه .. » .

وأقول ذلك كنداء سيدنا عمر « ياسارية الجبل »(١) .

* وكان يقول : « الكرامة للولى معجزة لرسوله .. فإنها لدوام دعوته ، وهى ناشئة عن الاتباع الصحيح والاقتداء بسيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم» . مشيرا بذلك إلى أن ماينشأ من خوارق نتيجة لتعلم وخلوة ورياضة بقصد استعلاء الروح على الجسد ، أو نتيجة لتسخير الجن .. لايعد كرامة . فمعروف أن الفرق بين الولى والمتعاطى الروحانى ، أن الولى لابد وأن يكون من أرباب القلوب .. أى يتكلم بما فى صدر محدثه . وأن الله سبحانه وتعالى يفتح عليه بشئ من الغيبيات ، بالماضى أو المستقبل الذى يحدث بعد حين . أما المتعاطى الروحانى فيعجز عن مثل ذلك . فقد يحدث عن الماضى أى إنسان ، مؤمنا كان أو غير ذلك ، إذا زاول الخلوة والرياضة ، ثم تسخير الجن بعد استدعائهم وصرفهم بعد انقضاء مسألته ، وبذلك يكون الروحانى علويا للمؤمن وسفليا للفاجر .

ومن قبيل ذلك مسألة تحضير الأرواح ، فإنه يحضر القرين من الجن ، كما علمت ذلك من كبار رجال الروحانيين من المؤمنين الصادقين .

وويل لمن يدعى الولاية بعد نجاحه فى الوصول للخوارق بالعلم الروحانى ، زاعما أنه فتح عليه ، وولاية له ، كما يفعل بعض المتمشيخين من الأدعياء . وذلك منهى عنه ومحرم . (ولايفلح الساحر حيث أتى) صدق الله العظيم .

---

(١) من كراماته العلية المقدار : أنه أمر سارية على جيش ، وجهزه إلى بلاد فارس ، فاشتد على عسكره الحال وهو يحاصر « نهاوند » ، وكثرت جموع الأعداء ، وكاد المسلمون ينهزمون .. وعمر بالمدينة ، فصعد المنبر ، ونادى بأعلى صوته : « ياسارية الجبل » .. فسمع الجيش صوته وهم بنهاوند ، فلجأوا إلى الجبل ، فنجوا ، وانتصروا . وكان سيدنا على حاضرا ، فقيل له : ما هذا الذى يقول أمير المؤمنين ؟ فقال كرم الله وجهه : دعوه . فما دخل فى أمر إلا وخرج منه ثم تبين الحال بالآخرة .

وقال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« كذب المنجمون ولو صدقوا » . أى ولو صدقوا فى بعض ما يصدر منهم . فلكل قاعدة استثناء ، والنادر لاحكم له . فإن التنجيم قبل ولادة سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم كان ممكنا عن طريق الجن باستراق السمع ، أما بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم فقد أصبح مستحيلا على الجن ذلك (١) .

وختام مسك هذا الباب واقعتا حال ، بهما تعاليم غالية لناشرى الدعوة من أبناء الشيخ صلبا ، وأحفاده والناشرين للدعوة الخليلية السنية الصوفية المحمدية .. كما قال شيخنا رضى الله عنه : « أنا سنى صوفى محمدى ، متبع لامبتدع ، مأمور بما آمر به » .

* زار الأخ محمود باشا فهمى الناضورى ، سيدنا الشيخ بالحفلة المقامة باسكندرية أمام منزل الدكتور حامد ، وشهد الجمع الخليلى بإمامة شيخنا ، فما لبث أن مالت روحه للتوبة والهداية وسلوكه إلى الله تعالى .. فأخذ العهد عن شيخنا ، واجتهد فى العبادة والتنسك ، كما ابتعد عن جميع إخوان السوء ، ولزم بيته متعبدا .

وفى العام الذى يليه ، وبنفس المكان ، تقابل مع شيخنا الذى قال له : كيف حالك ؟ . فقال : الآن أنا أعلم أنى أقل من أقل موجود بهذا المكان . فقال له شيخنا : قم وأحضر إلى أقل الإخوان ..

وعند قيامه نظر إلى الإخوان متفقدا ، ثم تسمر فى وقفته مدة .. ثم جلس قائلا : كان الواجب على أن أقول إنى أقل الإخوان ..

فقال له سيدنا الشيخ : فلحت ياباشا .. فإن من ظن أنه يوجد بالإخوان من هو أقل منه لا يفلح فى طريقنا .

* كنا فى يوم عيد ، والإخوان مجتمعون فى حضرة الشيخ . ودخل رجل من

---

(١) (وأناكنا نقعد منها مقاعدللسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) (آية ٩ : الجن)

الأعراب ومعه ولده عريانا وفى حالة من الجنون عارمة ، وقدم ابنه لسيدنا الشيخ قائلا : مثل ما جننت هذا اشفه ...

فقال الشيخ : هذا الولد أخذ العهد على أحد أولادنا الخلفاء الذى ظن أنه تمت تربيته ويمكنه أن يربى .. كمن أخطأوا السبيل من المستدرجين .. فهذا الولد لم يرتضينى شيخا له .. ويقول على إنى جده ، وإن والده ذلك الخليفة .. فتركه وهو يذكر الله كثيرا بغير ملاحظة ، فحصل له مس من الجن وخبل بالعقل .. واستطرد الشيخ قائلا : إن شروط الشيخ المربى أن يمر ليلا على أولاده كلهم بمختلف الجهات ، وأن لا يغفل عنهم طرفة عين ، حتى لاتتخطف الجن عقولهم مثلما حصل لولدك ، وأن يكون مأمورا من حضرة الرسول بنشر الطريق ، فتمد روحه دائما من روح الرسول . والخليفة لايقدر على ذلك . فالأولى ترك البلاء لأصحاب البلاء . والشيخ يسمع نداء أولاده له مستغيثين .. ويسمعون نداءه لهم ...

فقال الأعرابى للشيخ : إذن تدعو الله له وتسامحه . . فرد سيدنا الشيخ قائلا : قلت لك إن ولدك لايرضانى .. ومع ذلك نسامح .. ثم نظر سيدنا الشيخ تجاه الولد وقال له : اثبت .. فأجاب الولد بهدوء العاقل : ثبت ياعم ..

فأمر سيدنا الشيخ بطرح الولد على الأرض وضربه على قدميه بالعصا .. فارتد عاقلا تماما ..

ثم سأله سيدنا الشيخ : هل ترضانى شيخا لك .. ؟

فأجاب الولد قائلا : شيخى الشيخ خير الله . وأنت جدى ..

فرد عليه سيدنا الشيخ : بل أنا شيخك حيا ومنتقلا ..

وهدأ الولد تماما ونظر إلى نفسه متألما لكونه عاريا تماما ، وأخذ ملابسه وكان والده يحملها له فلبسها .

وقال الشيخ للأعرابى : إن ابنك كانت صدمته العصبية شديدة أثرت فى صحته ، فلا تكلفه شاق العمل . وإن روحه لاتتحمل الإيلام ، فألن له الكلام

لأنه الآن أصبح لايقدر على خدمة المخلوقين . فهبه لرب العالمين ولاتضيق عليه . وكفى أن الله حفظه لك ، حيث إنه وحيدك ..

* وبالمناسبة أذكر أننا :

كنا فى مجلس بمدينة الإسكندرية ومعنا الأخ محمد «بك» الفقى ، الذى كان يتحدث لكبار الإخوان الحاضرين ، ومنهم السيد - عبدالسلام الحلوانى ، والسيد محمد أبو أمين ، وغيرهم من الظاهرين والواصلين .. عندما قال لنا : تعلمون جميعا أنى كنت مسرفا على نفسى جدا فى مباشرتى للمعاصى ، وأننى ارتكبت كل كبيرة وصغيرة . وقد هدانى الله ببركة شيخنا . لذلك أرجو أن أفعل ما يقابل المعاصى من طاعات ، وأن أصل إلى معرفة ربى ورضاه بأسرع وقت ومن أقرب طريق .. فهلا نصحتمونى بما يكون فيه إجابة رجائى .. ؟

فقال له أحدهم : عليك بالجوع والسهر .. وقال أحدهم : عليك بالذل فى مظهرك ومخبرك .. وقال غيره : عليك بالخلوة والرياضة والصوم والصلاة فى جوف الليل .. وقال غيره : عليك بالذكر إلى الفجر .. وقال غيره : عليك بمنع الطيب من الطعام وطيب اللباس واقنع بخسيسها ..

وأخذ كل ينصحه بما يجول فى ضميره ، أو بما يتمناه لنفسه ، أو بما عمله ، أو بما قرأه عن الصوفية .. وعند ذلك صفق سيدنا الشيخ بالغرفة التى بجوار الصالة المجتمعين بها وقال : تعالوا نجلس مع بعض ..

ودخلنا فلم يستقر بنا المقام حتى قال : كنتم بتقولوا إيه ؟

فذكرنا له ماحصل كله .. فقال رضى الله عنه : أفضل من كل ذلك أن يكون الإنسان معتدلا وعاديا فى أكله ولبسه وسهره وصيامه وقيامه ، ولايتكلف فى ذلك ما يرهقه . ويكفى أن يذكر الله مادام نشيطا ، ويأكل شيئا بدون إسراف فى الشبع . ويلبس أغلى الثياب مع تجنب الحرير والذهب الموجب للخيلاء . فإن سيدنا رسول الله كان كذلك .. ونحن على سنته . فإنه كان لاينام إلا على غلبة نوم . ويصوم ويفطر . ويسهر الليل . وفى بعض الأحيان نصفه وثلثه . فالاتباع أفضل من الابتداع . والأسوة بالرسول هى

باب المعرفة والوصول . ثم استطرد قائلا : ألا تعرف الطريق المختصر إليه ؟

قال : ماهو ياعم ؟ .

قال : ذكر الله كثيرا .. ثم تلا : (قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة) . (١)

أما الخلوة التى يأمر بها التصوف فإنها قد تضر المختلى . فربما كان جسمه فى الخلوة وقلبه مع الناس ، فيبتلى بالعجب . ومن أعجب بعمله حبط . فنحن خلوتنا بالقلب . فكم من مع الناس وقلبه معلق بالله فعلا .

ثم قال شيخنا بأسى ظاهر : إن التصوف قد ضاع بين إفراط الداعين وتفريط السالكين . ولكنى بفضل الله قد وفقت بين مصالح الدنيا والدين ونقيت الطريق من الشوائب .

* وبالمناسبة أيضا أذكر أن السيد - عبدالسلام الحلوانى تقدم لشيخنا قائلا : ياعم أنت تعلم أننا وصلنا إليك وأخذنا العهد عنك . وكنا سالكين قبل ذلك لطرق أخرى لها أوراد مشعشعة ومنعشة للقلوب ، خاصة ورد قبل الفجر . وترجو الإخوان ما أرجوه ، وهو أن تتكرم علينا ببعض أوراد كهذه كما اعتدنا على ذلك ..

فقال والدى رضى الله عنه : ياسيد عبدالسلام . إن الأوراد ما هى إلا دعوات سأل بها كل على قدر حاله ومقامه . فكيف يستفيد منها السالكون وهم لم ينالوا تلك المقامات ؟ . وإن الأوراد ما هى إلا دعوات ، والذكر لله تعالى ذكر محض للتعبد والتوحيد والتمجيد .. وفى الحديث القدسى : « من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين » . واعلم أن كل الذين أنشأوا الأوراد وألفوا تلك الأوراد وصلوا إلى ذلك بعد الذكر الكثير . فلتذكر الله سبحانه وتعالى .. ومن ذكر الله كثيرا قال ما فى الكتب وما ليس

---

(١) آية ٣٢ : الأعراف .

فى الكتب . والشيخ مأمور بما يأمر به .. وأشكر الله على أنى متبع لا مبتدع
وهنا قام السيد ـ عبدالسلام الحلوانى ، مقبلا يد شيخنا ، مستأذنا منه أن نخبر إخواننا بذلك .

* وسمعت السيد ـ محمود الحلوانى يقول :

عندما كنت بطنطا ، حدثت بها فتنة عظيمة بين طبقة المتعلمين والمفتوح عليهم بالطوالع والتفسير والشعر وغير ذلك من الكشف ومختلف العطاء . فتسبب عن ذلك انقطاع عدد كبير من الإخوان عن الطريق والحضرات والاجتماعات والسفر لفتح البلاد . فحزنت لذلك حزنا شديدا ، خاصة وأن تيار الفتنة كان جارفا لاينفع فيه النصح والتذكير والحجة والبرهان لظن من قاموا بها أنهم أغزر منا علما واطلاعا على كتب التصوف والفلسفة والأخلاق .. كابن تيمية ، وابن القيم ، وغيرهما .. وأننا نجهل الحقائق التى وصلوا إليها . وكان لهم حديث براق يسيطرون به على عقول المخدوعين .

وعندما ضاق صدرى بفعلهم ، وعجزت عن صد تيارهم ، قصدت سيدنا الشيخ وسردت له قصة هؤلاء المنحرفين .. فقال لى :

ـ إن فتحهم حجة عليهم يوم القيامة .. كيف ينكرون الآية وهى فيهم ؟

ثم أخرج علبة نشوق وقال لى : استنشق من هذه .. فأخذت قدرا قليلا جدا حيث أنى لم أكن أحب النشوق . ولكنى أخذت أعطس عطسا متواليا إلى العشرين مرة تقريبا، حتى كدت أهلك من شدة العطاس .. فقال لى :

ـ خذ كمية كبيرة جدا ليقف العطاس ..

فامتثلت متعجبا، فلم أعطس بعدها .. وأفقت من هذه الحالة ، فنظر إلى باسما وقال : ياشيخ محمود هذه منى وهذه منى .. ففهمت مراده ، وأنه يعنى الحالة الأولى منى والثانية منى ... وهدأت نفسى بعد أن أخبرنى بما سيكون بعد ذلك من التأديب والرجوع للبعض ، والطرد وخمول الذكر للبعض . ثم تاب الله على المرادين دون حفنة من المستدرجين .. ورجعوا بعد تأديب .. يسعى نورهم بين أيديهم ، وفتحهم يوافيهم ، ولايزال شيخنا يواليهم ...

فسبحان من أعطاه ...

* وسمعت الأخ الشيخ فريد « خليفة الغار — مركز الزقازيق » يقول :

كانت مجالس الذكر ببلدتى تعج بالإخوان ، حيث يحضرها فى العادة ما يزيد على المائتين . وفجأة قل الحضور منهم إلى ربع العدد تقريباً رغم متابعتى للمتخلفين .. فظننت انقطاع المدد عنا .. فسافرت لمقابلة سيدنا الشيخ أثناء زيارته للإخوان بطنطا . وعندما قابلته تهيبت الكلام معه .. ولكنه ابتدرنى قائلا :

ـ ما شأنك .. بأى شىء أنت مشغول ؟ ؟ ..

فقلت : ياعم يقال إن الشكوى لأهل البصيرة عيب ... فقال :

ـ يابنى الشيخ زى المعاملى .. يفحص البيض . فالسليمة يبقيها ، والفارغة يرميها .. أو مثل الغرابلى .. الحب السليم يبقيه ، والفلت والمسوس ينفيه .. وقد كان فى الطريق هذا الأسبوع غربلة .. فكان ما رأيت ..

ونظر إلى السيد ـ محمود الحلوانى الجالس بجواره نظرة فهمها .. ثم قام مقبلا يد سيدنا الشيخ قائلا : الآن اطمأننت يا عم ..

وقال لى السيد ـ محمود — عند انفرادنا : ما زلنا — نحن الظاهرين — عيالا على سيدنا الشيخ ، ولا ندرى درجته . وهو سر مغلق يعلمه الله الذى أعطاه .

واستمر الشيخ فريد فى حديثه قائلا : فما فرحت بشىء قدر فرحى بأنى بقيت .. وما نفيت .. وفهمت أنه يبقى المريد المراد .. ومن أريد إيقافه لا يرتاد .. وسألت الله دوام السلامة .. والحمد لله الذى ساقه لنا وساقنا له ، رحمة منه تعالى لنا .. لنكون أتباع من أحب الله وأحب مصطفاه . . .

وكنا ببلدة الرملة « القريبة من بنها » . . وكان وقت الاحتفال قد انقضى فدخلنا المنزل ، وقصد الشيخ محل استراحته . وسهرت مع الإخوان ، وهم يسهرون إلى الفجر عادة ، يذكرون الله على مسابحهم ، ويتذاكرون الفتح والرؤى المنامية والمقامية والإلهام ، مما يشوق لتلك المقامات فى السير والسلوك

وكلهم قص رؤياه للمصطفى صلى الله عليه وسلم بما يفيد الرضا عنه أو المدد الإلهى له منه ...

وشعرت بذلة المحروم ، ولوعة المكلوم . وعدت على نفسى باللوم . ولكنى قلت لنفسى : أليس هذا بعد أخذ العهد والسلوك بالطريق . وأن العطا والتفضل من الشيخ بالرضا ومن الله بالقبول له ؟ وقمت لفورى حيث يربض ذلك الأسد فى عرينه ، ولكننى تهيبت أن أكون قرينه ، ولذت بالصبر على ضر البرد اللاذع ، حيث كنت أنتظر أمام غرفته بسطح المنزل ، غير مكترث بالبرد ، لما أنا فيه من شدة طلب اللقاء .. فإذا به رضى الله عنه يطلب الخادم والوضوء استعداداً لصلاة الصبح . فدخلت عليه واجماً ، لا مسلماً . ومشاغباً لا مستسلماً . فى داخلى حجج . . وفى نيتى لجج . . فقال رضى الله عنه :

ــ ما بالك .. ما أحضرك الآن . ؟؟ ..

فقلت : كنت مع جمع من الإخوان ، فأدلى كل بدلوه بما نال من قبس نور يفيض عليه آيات الشكر لله والسرور .. وكل وصف كيف قابلت روحه روح الوجود .. وما أفاض عليه من رضا وجود .. فقمت هارباً من خجل الحجاب ، طالباً منك ما نالوه .. فأنا أولى ممن جمعتهم من نواديهم ، وخلصتهم مما كان فيهم ، وأعطيتهم مراقيهم ، حتى تصورت كأنى لست منهم وأنا فيهم ، مع أنى أولى منهم لبنوتى لك أولا ، ولأن صفحتى بيضاء ناصعة لم تكتب بها هفوة . حيث كانت سنى وقتذاك العاشرة وليس بصحيفتى طى ولا نشر له بيوم الحشر ..

فقال رضى الله عنه :

ليس فى الطريق يا بنى مجاملة . وإنهم وصلوا لله بحسن المعاملة فافعل كما فعلوا ، تأخذ حظك من الحظوة كما حظوا . أما أنك صفحة بيضاء . . فلو كان الأمر كما رأيت . لرأته كل العيال .

فقمت أجر أذيال الندم ، وتوجهت لإخوانى طالباً أن يمن على أحدهم

بمسبحة نهارية ، غير منتظر إلى أن أشترى مسبحة فيفوت على وقت أنا أحوج إليه ..

وابتدأت الذكر مع من يذكرون الله : حبا فى الله ، لوجه الله ، قصد رضاه .. ولا أزال ذاكرا أنصح الرائد .. جزاه الله جزاء الداعين لوجهه .. آمين ..

وصرت منافسا إخوانى فى السهر والعدد إلى أن وصل المدد ...

والحمد لله لهذه المعاملة التى تعتبر عناية بى دون غيرى من أبنائه ، ومعاملتى معاملة المريدين المرادين .

❊ ❊ ❊

* كان شيخنا رضى الله عنه لايتسامح قط مع المقصرين فى الذكر . وكان يردد دائما :

ــ « ليس من أولادى من لم يذكر .. »

ــ « إنما نذكر الله لله . إنما نذكر الله حبا له .. » « فكررها حيث هذا موضوعها الأصلى » .

ــ « اذكروا الله ذكرا خالصا لوجهه الكريم . لاتقصدوا منه ولاية ولادرجة من الدرجات . ولاعطية من العطيات . إنما اذكروه عبادة محضة ... »

* وكان يقول :

ــ « ألا تتدبرون قول الله تعالى : (فاذكرونى أذكركم) .. ؟ »

ــ « أما تشتاقون للجلوس مع الله تعالى القائل : « أنا جليس من ذكرنى» والقائل : « هم القوم لايشقى جليسهم » . ؟ »

* « الزموا مجالس الذكر تفلحوا .. » وصار يتأوه ويقول : « أين فرسان الليل .. ؟ أين من هجروا الفراش وقاموا الليل ذكرا وتهجدوا .. ؟ أين الخائفون ؟ أين الباكون .. ؟ أين ... ؟ أين .. ؟ » وهو يبكى ..

* وقال رضى الله عنه فى التوكل :

« لو بلغ العبد مقام حسن التوكل وضرب بالسيف ماجاز فيه .. »

* وكان يقول للمبتلى : « ما أخذ منك الله إلا ليعطيك .. »

* وكان كثيرا ما يردد الحديث الشريف :

« المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » .

* وكان عند الضيق يضحك ويقول :

« كل الأمور إذا ضاقت لها فرج   لكن أمورى إن ضاقت فمن فرج »

* وكان يقول : « من ظن أن أحدا أقل منه فى مجتمعنا لايفلح فى الطريق .. »

* وقال : « فاز بثواب الاجتماعات من يخدم بها ... »

* وكان إذا أراد أن ينهى متصنعا يقول له : « جاهد نفسك يابنى ... »

* وعجب البعض من ستره وتخفيه وظهور بعض مريديه .. ففاتح شيخنا فى ذلك ، فرد عليه قائلا : « إن الثمر يأخذ من غصون الشجرة .. » .

* وكثيرا ما كان يردد الحديث الشريف :

« الدنيا ملعونة .. ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه »

ومن أقواله رضى الله فى الدنيا :

* « الدنيا كسوق قام ثم انفض . ربح فيه من ربح وخسر فيه من خسر .. »

* « الدنيا مزرعة الآخرة . كما ورد ذلك بالحديث الشريف . »

* « من كان همه بطنه فقيمته ما خرج منها . »

* « الدنيا كالدخان ، يرتفع ويتلاشى .. »

* « الدنيا كالبغى .. تستدرج طالبها ، ثم تسكره وتتلاعب به .. ثم تقتله .. »

وكان يقول : « لو أعطيت وجهى للدنيا لكنت من أغنى الأغنياء ، ولكن كلما أقبلت أوليها ظهرى ، خوفا من اشتغالى بها عن ربى .. »

* وسمعته فى يوم عيد يقول :

« ليس العيد لمن لبس الجديد .. وإنما العيد لمن خاف يوم الوعيد »

تربيـــة :

* سئل شيخنا رضى الله عنه : كيف يصل المدد والسر إلى المريد فى تربية المربى ؟؟ فقال : إن الله الذى أقدر الشيطان أن يجرى من ابن آدم مجرى الدم من العروق ويصل إلى القلب وهو عدوه ، قادر أن يجرى روح الشيخ من مريده مجرى الدم من العروق .. ويصل إلى القلب .. وهو حبيبه . وإن لم يكن ذلك أصبح اللازم باطلا .

« يعنى شيخنا بذلك : وإلا كان الشيطان أفضل من الولى . وذلك لايكون أبدا »

* طلب منه أحد العلماء أن يأذنه برخصة فى مسألة فقهية . فرد عليه قائلا :

— يابنى .. هذه مسألة تجر بذيلها . من حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه .. فالترخص يكون فى حالة الضرورة ، على ألا يكون عادة . ولكن عدم الترخيص للصادقين أفضل ..

* رأيت والدى رضى الله عنه ، مناما ، يقف وأمامه الأخ السيد ـ نصر الوكيل ، فتوجه بقوله له : يانصر أفندى .. من اتخذ ورداً غير ما أمره به شيخه فهو شيخ نفسه فيما اتخذه لنفسه . فرد عليه السيد ـ نصر بقوله : على كل حال هو عبادة يا عم ..

فنبهته بشدة قائلا : كفى المرء شرا أن يكون شيخ نفسه ..

وهنا قال له والدى : الحق ما قاله ولدى لك ..

ثم توجه بالقول له قائلا : يانصر أفندى .. طريقنا مبنية على أن الشيخ مأمور بما يأمر به . وعلى الحديث الشريف : « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم » — وأن من تصوف ولم يتشرع فقد تزندق . وأن من تشرع ولم يتصوف فقد تفسق .. يا نصر أفندى .. هذه درر من درر الطريق . .

وعند يقظتى من النوم رأيت أن أبلغ السيد ـ نصر بذلك .. فزرته بمحل عمله الوظيفى وأخبرته بذلك ، حيث اعتقدت أن هذه الرؤيا هى توجيه له ولنا جميعا . وهى أمانة فى عنقى .. واجب على أن أبلغها للجميع .

وعند قصها له قال : أشهدك أنى قد تبت وسوف لا أستمر فى مسألتى للنهاية ، بل أقف عند أوامر شيخنا . ثم قال لى : إن هذه الرؤيا حقة . واستمر فى حديثه قائلا : إنى قد وقعت على رسالة صغيرة لسيدى على البيومى . . بخط يده . فكنت كالذى وقع على كنز . ولفت نظرى قوله رضى الله عنه :

« إن من ذكر اسمى « هو الله » أربعين ليـــلة متواصلة فى كل ليلة سبعين ألف مرة ، وصل إلى الله تعالى » . فقلت لنفسى هذا هو قول شيخ شيخنا ، فلا بأس فى الذكر به . وبذلك مر على شهر وأنا أقوم بذلك ساهرا الليل كله فى ذكر بجد ونشاط وانتباه إلى الفجر ، رغبة فى الوصول عند تمام الأربعين ليلة . ولكنى الآن أشهدك على إقلاعى عن ذلك ، راجيا عفو شيخنا رضى الله عنه ، سائلا الله تعالى عدم القطيعة عنه ، شاكرا اعتناءه بى وبإخوانى .. فهى أمر خاص يراد به العموم طبعا . .

وودعته فرحا بامتثاله .. فالرجوع إلى الحق فضيلة ..

* قال لى السيد ـ محمود الحلوانى :

أردت أن أتحقق من شفاعة سيدنا الشيخ لنا ، وكان من عاداتى إن سألته عن شئ بخصوصه أن أقول له : هل يفعل الولى كذا ؟ خوفا من أن

يستر عنى الجواب لتواضعه وكتمانه السر .. فقلت له يوما : هل يشفع الولى فى أتباعه ؟؟

فقال : الولى العارف يشفع فى أتباعه ، وأتباع أتباعه ، والمعارف ومعارف المعارف .. وكان يبتسم لتحايلى عليه فى السؤال .. ثم سألته : أيعصى الولى ، وهوولى ؟؟.. فقال : وكان أمر الله قدرا مقدورا .. غير أن الولى يلهم الاستغفار فورا ، فيغفر له . ثم استطرد قائلا : إن الله أكرمنى . فإنى لم أفعل صغيرة فى حياتى .. فكانت ردا على خاطر آخر عندى كنت سأسأل حضرته عنه وسترته خجلا . فقد رد على السؤالين فى وقت واحد .. ونظر إلى قائلا : تمام يا عم . ؟ فقبلت يديه وقلت : تمام يا عم .. وهربت حياء منه رضى الله عنه ..

* وكان شيخنا يقول قبل انتقاله بوقت قصير :

سأتزوج بزوجة ذات جمال .. وقد واعتدال .. وهى لاتتبول ولاتتمخط ولاتبصق — وهذه أوصاف الحور العين بالجنة — ، فكانت تلك إشارة تقال أمام أهل العلم فيتألمون لقرب رحيل حبيبهم شيخنا .. فيقولون : بعد عمر طويل إن شاء الله ياعم . فيقول الآية :(فتمنوا الموت إن كنتم صادقين) .. لذلك أنتظر الأجل بفرح طمعا فى أن أكون من الصادقين ، ومعروف أن من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه .

* قال شيخنا بنغم عرب البادية :

« يحتاج الحى إلى ربع به سيد يركب جملا .. » ثم يتنهد ويقول « أى والله يا سالمة .. » .

فكانت هذه المقالة تقع على القلوب موقع الخوف والأسى من قرب نقله — رضى الله عنه ...

* وقد سمعت شيخنا رضى الله عنه قبل انتقاله بأسابيع يقول :

« رأيت فى النوم أنى انتقلت إلى الدار الآخرة ، ودخلت الجنة ، فإذا بقصر عظيم به أربعون حورية .. فأعجبنى رواؤهن وحسنهن . إلا أنه عند قربى من أجملهن ، وجدت بأعلى صدرها نقطة سوداء .. فسألتها عن سر ذلك فقالت : هى صغيرة وقعت منك عفوا ، والله سبحانه وتعالى يعاتبك فيها ويذكرك بها بهذه النقطة . فتركتها وسألت ربى عفوه . فما لبثت أن ذهبت وعوضنى ربى خيراً منها .. ففرحت بعفوه أكثر من فرحى بما عوضى »

* * *

رؤيتان ذواتا مغـزى عظيم

وهنا أبشر الإخوان برؤيتين عظيمتين ذواتى مغزى كريم يستبشرون به ، لدلالتهما على الوراثة المحمدية لشيخنا رضى الله عنه ، والرضا عن تابعيه ، والنجاة بمشيئته تعالى . .

١ ــ الرؤيا الأولى :

وهنا الفرصة مناسبة لكى أدون هـــذه الرؤيا المنامية الصادقة التى رآها شيخنا وحدث عنها الإخوان . قال رضى الله عنه :

« رأيت رجال الطرق الصوفية فى موكب حافل وأنا وجماعتى معهم نسير جميعاً إلى إمام الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم ، وكل طائفة معها علمها فى عدد قليل ، وكنت أنا آخرهم ومعى جمع لا يحصى من السالكين يخفق عليهم علم كبير ، فكنت أمر مع من معى بهذه الطوائف من رجال الطريق لاهجين بذكره تعالى ، وهذه الطوائف مشغولة بالدنيا والتحدث فيها .. فيخلى لنا الطريق ، فنتجاوزها ونسير على بركة الله ورسوله . حتى جاوزت كل الطوائف من رجال القوم جميعاً ، وانتهى بنا السير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فكنت ومن معى أول من أذن لهم بالدخول على النبى الكريم . وكان لنا بفضل الله وتوفيقه الجمع الحاشد الحافل . وكل طوائف القوم تتبعه وتسير وراءه .. » .

ــ ونرجو نحن تابعيه أن يكون ذلك لنا مصداقاً لقوله تعالى :

(يوم ندعو كل أناس بإمامهم)

« آية ٧٠ ــ الإسراء »

٢ ــ الرؤيا الثانية :

كان الوقت قبيل الفجر حينما أرسل لى والدى من يوقظنى من النوم ، ويستدعينى لمقابلة حضرته . فصحوت وصليت الصبح بوقته . وذهبت إليه . وبعد التحية قال لى : تأخرت على كثيراً ..

فقلت : تأخرت لصلاة الفجر .

قال : حسناً فعلت .

وقال : أرجو ألا أكون قد أزعجتك .

فقلت : لم أنزعج . بل فرحت للقائك واستبشرت به . وما أرى استدعاءك لى إلا لخير ومنفعة .

فقابل ذلك بالدعاء لى مسروراً بما قلت . وقال : يا ابنى إنى قد سألت سادتى عن أشياء مستقبلة فقالوا : سيكون الجواب فى رؤيا يراها ولدك « محمد الصغير » فى هذه الليلة .. فما رأيت الليلة فى منامك يا ولدى ؟ .

فقلت : رأيت رؤيا عجيبة للغاية وكنت سأقصها عليك الآن ..

فقال : قصها على ، بشرك الله بالخير ..

فقلت : إنى رأيت أنى بالحج وقد أتممت له بطواف الوداع وقمت لزيارة سيدنا الرسول . وعند وجودى بباب الحرم الشريف ، وجدت ازدحاماً لا يمكن معه وصولى لداخل الحرم ، ولكن الله سهل ذلك ، حيث وجدت جميع الزائرين يهتفون بنغم مرتفع بندائهم : « يا أبا خليل المدد » .. فقلت للواقف بجوارى : تفضل بإرشادى إلى محل والدى الذى يهتفون باسمه . فأخذ بيدى ليغوص داخل المسجد ، فأرشدنى إليه ، ولكننى وجدت ملابسك وعلمت أنك تتوضأ . فذهبت إليك لأجدك تشرع فى الوضوء . وهنا توقفت من الشروع وتقبلت منى التحية ، ثم قلت مخاطباً لى : أنت قد تعينت مهندساً لعملية بناء قصر هنا يسع الإخوان .. ويمكنك أن تتوجه إلى خارج الحرم لترى فراغاً كبيراً وأدوات بناء ضخمة ، وعند وجودك بهذا المحل ستجد من يتعرف عليك ويسلمك الرسم لتقوم فوراً بالعمل . فامتثلت وخرجت لأرى ما قلته لى ، ثم تسلمت الرسم .. وهالنى وجود تلال من الرخام الشفاف المصقول والمصنع على هيئة مكعبات بارتفاع خمسين سنتيمتراً ، وكذلك الطول والعرض .. وعدداً وفيراً من البراميل التى تحتوى على كميات ضخمة من الورد المجسم المصنوع من الذهب

الخالص على هيئة قطاع بطول كل وردة وبألوان مختلفة من الذهب الخالص أقلها منظراً الذهب الأصفر المعروف لنا فى الدنيا . وأقيم البناء من مكعبات الرخام البللورى المصقول « أشبه باون لمبة الكهرباء المصنفرة، وهى مضاءة » ، وقمت بإقامة البناية إلى نهايتها ، وكانت تتكون من صف من خمسة وسبعين غرفة ، يقابلها صف من الغرف بنفس العدد ، تتوسطهما صالة بطول يتناسب مع هذا البناء — سقفها مرتفع عن سقف الحجرات يدخل من فتحاتها الهواء والضوء .. وكان اتساع كل غرفة من هذه الغرف فى اتساع الزاوية التى تقام هنا للصلاة فيها . وجدرانها منقوشة بطلاء الذهب برسوم تشبه النقوش الموجودة على جدران أضرحة أولياء الله بالمساجد فى الدنيا ، فى رسمها وارتفاعها . وفوق هذه الرسوم لصق الورد المجسم المصنوع من الذهب المختلف ألوانه . وباقى مساحة جدران الحجر متروك على لون الرخام الشفاف المبنية به .. ثم قمت بفرش هذه الغرف بسجاد لا مثيل له هنا من حيث جماله ورسمه بحيث يغطى كل الأرضية .. ثم رصت الأرائك بجوار الجدران، عليها متكآت من حرير له رسم يأخذ العقل .. وبعد إقامة كل هذا البناء رجعت إلى حضرتك فوجدت أنك فى منتصف الوضوء فأخبرت حضرتك بما تم ، فحمدت الله كثيراً وأثنيت عليه ، ثم قلت لى حضرتك :

— بصفتك مهندساً — هل لك ملاحظة على هذا البناء ؟

فقلت أنا : لو لم أكن مقيداً بالتصميم لرفعت السقف بما يتناسب مع الاتساع العظيم لهذه الغرف .

فقلت حضرتك : هكذا تكون منازل الآخرة ، العبرة فيها بالاتساع لا بالارتفاع ... ثم استطردت حضرتك قائلا : بصفتك ابن طريق .. هل لك ملاحظة صوفية على هذا العمل ؟

فقلت أنا : نعم .

فقلت حضرتك : ما هى ؟

قلت أنا مستفهماً : هل الطريق انتهى إلى الموجودين من الإخوان ؟ وهل انتهى الفتح أم سيمتد ذلك بعد الوفاة لكم ؟

فقلت حضرتك : سيمتد إلى الضعف إن شاء الله تعالى .

فقلت أنا : أين إذن سيسكن هؤلاء الجدد الوافدون إلى الطريق بسبب إيمانهم بسيرتك ونهجك وعطائك ؟ وأرجو أن يقام لهم طابق فوق هذا البناء فهم أهل للإكرام .

فقلت حضرتك : حتى يأذن الله تعالى ..

ثم سكت حضرتك هنيهة .. ثم التفت إلى وأنت فى غاية البشر وقلت :

قد صدر الأمر بما طلبت . فارجع إلى هناك ، وستجد الأمر كالمرة السابقة بعينها . فرجعت لأجد ما وجدته من قبل وقمت بإقامة الطابق الثانى بعد رفع سقف الصالة وتثبيته بأعلى الصالة العلوية بعد زيادة بئر سلم يميناً وآخر يساراً ، كلاهما يصب فى بلكون داخلى عريض جداً أمام غرف كلا الصفين ، يطل على صالة الدور الأرضى . ثم عدت لمقابلة سيادتك للإخبار بما تم حيث وجدتك بنهاية الوضوء ، واتجهنا إلى داخل الحرم .. فنادى مناد بصوت رهيب قائلا : كل من بالحرم يخرج بما فى ذلك الخدم .. ما عدا حضرتك وأنا . وبهذا أخلى الحرم تماماً ، وصرنا منفردين .. ثم توجهت حضرتك للصلاة ، منفرداً ، التى طالت حتى توجست خيفة أن يكون هناك شىء . فقمت وحركت حضرتك فوجدتك قد توفيت .. وهنا فوضت الأمر منتظراً ما تأتى به الأقدار مع انفرادنا وعدم دخول أى إنسان .. وهنا وجدت أجساماً كالطيور تدخل الحرم من الشبابيك ، وتنزل .. ثم تزداد حجماً فارها وتكون على هيئة إنسان مغطى الجسم بالريش الأبيض وله جناحان يصلان للأرض ويخفيان كل الجسد كالعباءة تماماً ... »

« وهنا سألت والدى سؤالا عارضاً : ما هذه الطيور التى صارت على شكل إنسان ؟ فقال : « هى الملائكة حضرت لعمل اللازم نحوى » —

فقلت لحضرته : فعلا ، وقد قاموا جميعاً وحملوا الجثة إلى غرفة تم بها الغسل والتكفين .. مع قيام البعض بحفر مدخل يوصل للقبر الرابع الخالى بجوار قبر سيدنا عمر . « وهو القبر المعروف أنه معد لدفن سيدنا عيسى بعد نزوله ووفاته » — وهنا سألنى والدى عندما قلت لحضرته ذلك سؤال المتعجب : « هل دفنونى بهذا القبر ؟ »

فقلت : نعم .

قال : « وهل أغلقوا بابه على وأهالوا على التراب . ؟ »

فقلت : نعم . وأعادوا المكان إلى ما كان عليه قبل الدفن ، وفرشوا الأبسطة كما لو كان لم يحدث أى شىء .

وهنا — لا تسل عما عمه من البشر والسرور الذى جعله يحمد الله من كل قلبه وقال : هذا من أهم ما كنت أسأل عنه . ثم سألنى بلهفة : وبعد ذلك..

قلت : رأيت مأتماً لا نظير له هنا .. مقاماً بقاعة كبيرة جداً متصلة بالحرم .. جدرانها مبطنة جميعها بستائر من الحرير الأخضر السميك .. وكل كراسيها منجدة من نوع من هذه البطائن .. وأرضية القاعة مفروشة بالسجاد الأخضر .. كذلك ولها بابان للدخول . كما رأيت جمعاً حاشداً من آل البيت والأولياء وعرفت الكثير منهم ، ولا أعلم من أين جاءوا ولا من أى طريق وصلوا ولا لأى جهة خرجوا — فعند انتهاء الحفل وجدتهم ينصرفون ثم يغيبون عن الأنظار ..

فقال لى حضرته : ومن كان يتقبل العزاء فى .. ؟

قلت : كان لذلك المكان مدخلان .. يقف بأحدهما مولانا الإمام على . وعلى الآخر مولانا الإمام الحسين رضى الله عنهما . وكانت صيغة العزاء الموجهة إليهما من الحضور هى :

« أعزيك فى ولدك العارف بالله الشيخ ـ محمد أبو خليل — غوث الزمن »

وعند وصولى إلى هذه النقطة من الرؤيا وجدت سرور والدى يجل عن الشرح — وهو يقول بعد أن حمد الله تعالى :

« هذا تفضل كبير . . . هذا تفضل كبير »

وسألنى حضرته عما تم بعد ذلك ، وكان بشأن تعيين خلف له ... فعرفته بما تم . لأنه من المهم . لما فيه من نار محرقة .. تعقبها أنوار بالنور محدقة ..

وهذا سر عزيز لا أفشيه لوجود ما يتعلق بشأنى وشأن غيرى ..

وإلى هنا ليس الكلام مباحاً ... »

قال جميل بثينه :

لا لا أبوح بحب بثنة إنها * أخذت على مواثقاً وعهوداً

وقال آخر :

بين المحبين سر ليس يفشيه * خط ولا قلم عنه فيحكيه

❋ ❋ ❋

دعاؤه رضى الله عنه

كان يقول ذلك الدعاء بعد إعطاء العهد للمستجدين والإخوان تردده معهم ، وذلك بالأيام الأخيرة ، قبيل انتقاله ..

وقد أدركت قلوب الإخوان أن هذا الدعاء دعاء مودع . وتفيض أعينهم بالدمع عند ذلك الشعور الخفى الذى تحقق بعد قليل من الشهور :

« اللهم بجاه نبيك المصطفى .. وحبيبك المرتضى .. ووليك المجتبى .. وأمينك على وحى السماء ، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم : أن تغفر ذنوبنا ، وتستّر عيوبنا ، وتكتب لنا عندك براءة وعتقاً من النار . وأمنا من العذاب ، وجوازاً على الصراط ، ونصيباً إلى الجنة ، وعاقبة إلى الخير ... اللهم توفنا يا إلهى بكرمك مسلمين مؤمنين موحدين وألحقنا بالصالحين ... آمين ..

❋ ❋ ❋

● القسم الرابع

حبيبي رسول الله

"قصيدة"

في مدح آل البيت النبوي

"قصيدة"
لمناسبة المولد الزينبي

خاتمة مباركة

عزاء وسلوى

"قصيدة"

بسم الله الرحمن الرحيم

(يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً * وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً) ٠

« صدق الله العظيم »

« بسم الله الرحمن الرحيم »

حبيبى رسول الله

حبيبى رسول الله جد لى بنظرة أسوق بها وصفى لخير الأنبيا
وإن كنت فوق الواصفين مكانة ولا يدرك المقدار غير إلهيا
ولكن لإدخال السرور على الذى يحب ويرضى الطالبين متاليا
فما كان وصف الماء للبدر كافياً ولا وصف مرآة لشكل كافياً
وكل على مقدار أنواره يرى فما كان رائى القوم مثل المرائيا
فإنك يا مختار صفوة خلقه إمام جميع المرسلين وأنبيا

سيدنا الرسول فى القرآن

ففى والضحى (١) والانشراح (٢) وكوثر (٣)
وفى الفتح (٤) والاسرا (٥) ثناء باديا
ومزمل (٦) مدثر(٧) بعد غافر (٨)
وفى الأنبيا (٩) صفو المديح الغاليا

---

١ — سورة الضحى ٢ — سورة الانشراح ٣ — سورة الكوثر
٤ — سورة الفتح - آية ٨ : (إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً) . ٥ — سورة الإسراء - الآية ١ : (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير).
٦ — سورة المزمل - الآيات من ١ : ١٠ : (يا أيها المزمل ...) إلى قوله تعالى : (واهجرهم هجرا جميلا) . ٧ — سورة المدثر - الآيات من ١ : ٧ : (يا أيها المدثر ...) إلى قوله تعالى: (ولربك فاصبر) . ٨ — سورة غافر - الآية ٧٧ : (فاصبر إن وعد الله حق .. فإما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فإلينا يرجعون) . ٩ — سورة الأنبياء الآية ١٠٧ : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) .

(المربى)

وفى «ن»(١) ذكراكم وبالنجم(٢) وصفكم … عزيز وهل بعد الثنا من ربيا
فمن خير آباء ومن خير محتد … ومن خير أوساط سلالة أنبيا
وبشرت الكتب السماوية التى … بوصف لكم جاء بأعلى بيانيا
فتوراتها (٣) قالت وإنجيلها (٤) نبا … بأنك للحمد الجليل المواليا
وأيدكم ربى بشتى خوارق … لعادات أقوام وهدم لعاتيا

المعجزات

وقد منعت جن (٥) من السمع عندما … ولدت وكان الحق والخير آتيا
وأخمدت النيران فى فارس كذا … تصدع إيوان لكسرى العاتيا
وساوة قد غاضت مياها وأمحلت … ووارده‍ا قد رد عنها باكيا
ففى شق صدر قبل بدر لآية … وفى نبع ماء للأصابع جاريا
ودعوة الاستسقاء تم نفاذها … لحلب غمام بعده الغيث وافيا

---

١ ــ سورة «ن» ـ الآية ٤ : (وإنك لعلى خلق عظيم) ٢ ــ سورة النجم ـ الآيات من ١ : ١٨ : (والنجم إذا هوى ...) إلى قوله تعالى : (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) ٣ ــ سورة البقرة ـ الآية ٨٩ : (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) ، نزلت فى اليهود عند تكذيبهم لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ٤ ــ سورة الصف ـ الآية ٦ : (وإذ قال عيسى بن مريم يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) . الآية نزلت فى النصارى عند تكذيبهم لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . ٥ ــ سورة الجن . الآيتان ٨، ٩ : (وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهبا . وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) .

فكاد يضر الماء من كثرة له … فكان دعاء منك .. ولى سحابيا
وعند غداء الجيش بالصاع آية … ورى بقعب إن تكن أنت ساقيا
وخضرة زرع بعد در لضرعهم … وإنماء مال بعد ما كنت داعيا
رددت لعين بعد خالص دعوة … ولمس يد تعطى المريض شفائيا
وقد لانت الأحجار عند مسيركم … عليها كما لانت قلوب الأعاديا
ولم تظهر الآثار عند مسيركم … على الرمل حيث الجسم روح ساريا
وقد ظللتكم عند قيظ غمامة … وباض حمام عنك بالروح فاديا
وكلمك المأكول : « لأنك آكلى … فلحمى به سم لكيد يهوديا »
دعوت الأشجار فكان مجيئها … ملبية والحفر فى الأرض جاريا
وأسقطت للأصنام عند إشارة … إليها . فسبحان القدير العاليا
وسبحت الحصباء فى كفك الذى … كفينا به من شر جهل طاغيا
وكلمكم ضب ليشهد أنكم … رسول البرايا مرسل ثم هاديا
وكلمكم من فرط ظلم غزالة … فكنت ضمينا للضمانة وافيا
وسلمت الأحجار عند مسيركم … كما كان نطق للجمادات باديا
وقد حن جذع عند هجر ارتقائه … وأبدى خوارا للبكاء العاليا
كفاك بعلم الله معجزة لها … تخر جباه النابغين النواشيا

صفات حضرة النبى وأخلاقه

وقد أكثر المولى لذكرك مثنيا   عليك دفاعاً منه شأن الحانيا
لكم ربكم أعطى وأظهر فضاكم   وكان لكم فى كل أمر مواسيا
عجبت لأمى يفيض بلاغة   ولم يك قراء كتاباً وتاليا
وأيدك الرحمن عند براعة   فأذهلت أرباب النهى والأعاديا
جوامع ألفاظ منابع حكمة   معضدة بالوحى من عند ربيا
بإيجاز إعجاز البلاغة قولكم   وعند بديع القول تم بيانيا
بأمتع ما يروى بأروع فكرة   بأوقع تأثير مريع الخياليا
ومنطقكم حلو بحسن ترتل   وجودة إلقاء وإتقان لفظيا
لتحفظه الحفاظ عند إعادة   ليكمل إيمان به عند راويا
وأدبكم بالسر والعلم والهدى   وأفردت فى خلق وفى أخلاقيا
ورفع لذكر ثم تيسير أمركم   وقرن (١) لاسم فيه كل تواليا
مروءتكم فوق المكارم كلها   مودتكم والحلم والعفو باديا
عليما حكيما صابرا ومجاهدا   حييا لكم فى الخلق رحمة هاديا
وفى ذاتكم لين ولطف وبهجة   «وأدبنى ربى» بها العلم وافيا
مكارم أخلاق بعثت لبثها   فأتممتها والفضل والخير جاريا
لك المثل الأعلى لكل فضيلة   بثثت لها بين الرجال الغواليا
وأنت « على خلق » شهادة ربنا   وأخلاقك القرآن والله راعيا

---

١ — قرن باسم الله فى التشهد والأذان وفى هذا نهاية التكريم .

و « إنك » (١) فيها للجمال نهاية   «لعمرك»(٢)فيها الحب والقرب ساقيا
« لقد جاءكم » (٣) فيها ثناء ورفعة   و« قد جاءكم» (٤) فيها تسميت ياضيا
وفى « من يطع» (٥) معنى جليل وحكمة   « وما كان » (٦) فيها للعذاب ارتفاعيا

الاسراء والمعــراج

ومخترق سبعا لنجوى إلهنا   بليلة إسراء وتم التدانيا
وفى « لن ترانى » حكمة عندها نرى   سمو مكان فى سمو مكانيا
وعند تجليه لكم قد أعدكم   بسمع وإبصار وقوة جأشيا
فلو كان ذياك التجلى بأرضنا   لما ثبتت واندك منها جباليا
ولو كان جرم الأرض يحمل نظرة   لما كان إسراء ولا معراجيا
وهذى أراها حكمة الرفع سيدى   لكم عند تشريف بفاطر كونيا
هنا لك جبريل الأمين مودعا   وعند اعتذار منه ناداك ربيا
وفى لحظة قد فزت فيها لنظرة   بعين فؤاد أبصرتك بعينيا

---

١ — سورة «ن» — الآية ٤ : (وإنك لعلى خلق عظيم) ٢ — سورة الحجر — الآية ٧٢ : (لعمرك إنهم لفى سكرتهم يعمهون) ... أى أن المولى يحلف بحياته عليه الصلاة والسلام .

٣ — سورة التوبة . الآية ١٢٨ : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) ٤ — (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) فسماه المولى نوراً . ٥ — سورة النساء — الآية ٦٩ : (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) ٦ — سورة الأنفال الآية ٣٣ : (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) .

رجعت رجوع الموقنين بربنا   ورؤيا جلال النور بالعين رائيا
وأخبرت أم المؤمنين أم هانىء   فكان لها أنس بذلك وافيا
وأخبرت للصديق صدق قولكم   وعند سماع الأمر جد مسريا
وأخبرت بالإسرا ومعراج ذاتكم   لقومك قالوا ذاك منك خياليا
وقالوا بشهر إن أردنا زيارة   لقدس وشهر راجعين دياريا
وقالوا صف القدس الذى قد رأيته   فقمت بوصف للحقيقة راويا
وأخبرت عن عير تجيء لحيكم   رأيت لها عند الرجوع لداريا
فصدقكم من كان فى قلبه هدى   بإيمانه والقلب منه راضيا
وكذبكم قوم لبعد قلوبهم   وطمس بقلب عن إلهى لاهيا
لذا وصفوكم بالجنون وساحر   كذا شاعر ما استشعروا خوف ربيا
تكفل قوم باضطهاد لصحبكم   وتشريدهم شأن الحسود الغاويا
وتكذيبهم والحط من قدرك الذى   بهم منه حقد يأكل الصدر باقيا
وقد نصحوكم إن تكن بك علة   طلبنا لطب حيث تلقى شفائيا
فقلت أرانى عاقلا مرسلا لكم   بشرع له نور الهداية وافيا
وقد فاوضوكم عند ترك لأمركم   تكون مليكا فوق عرش راقيا
فجاوبتهم بالرفض للعرض قائلا   ولو ملكت للنيرين (١) الأياديا
وإنى ماض (٢) حيث أهلك دونه   أو النصر والإظهار للدين حالياً
ولم ترض إنساناً بسخط إلهكم   لأنك للحق النصير المواليا
وقد فاوضوكم نعبد الله دفعة (٣)   وتعبد أصناما لوقت تاليا
وقلت مقال الله فى سورة بها   لكم دينكم ترضوا وأرضى بدينيا

---

١ — النيران : هما الشمس والقمر .

٢ — ماض : أى مستمر .

٣ — سورة الكافرون : (قل يا أيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون. ولا أنتم عابدون ما أعبد . ولا أنا عابد ما عبدتم . ولا أنتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم ولى دين) .

كما فاوضوكم لا تكن مؤذيا لنا   بذكرك آباء بنطق جافيا
فقلت كتاب الله من عند ربنا   وما أنا إلا مرسل منه تاليا

القرآن الكريم

وجئت رسول الله بالأمر معلنا   وفى يدك التنزيل والله هاديا
كتاب له سر ونور وحكمة   وبشرى وإنذار وهدى باديا
وداع إلى ما فيه كل خلاصنا   وينقل طبعاً نحو خير آتيا
يعلم للإخلاص للخلق رحمة   ينبه للأخرى ففيها دواميا
ويأمر بالمعروف والعرف أنه   لقانون إسلام سليم المعانيا
وفسرته يا أعلم الخلق بالذى   سواه وفتحت القلوب الحواليا

تأسيس الدولة الاسلامية

وفى أخذ ربى (١) العهد للرسل جمعهم   على نصركم والله أجلى معانيا
وأسست يا مختار دولتكم على   متانة أخلاق وحب صلاحيا
وبالعدل بالأحكام كان اعتزازكم   وتسوية بين الخلائق راقيا
نصرت لمظلوم نصحت لظالم   حكمت بقرآن تعاليم ربيا
رسالتكم إصلاح شأن لديننا   وإصلاح دنيانا وتقويم عاتيا
وأصلحت أفراداً وأصلحت مجمعا   فكان نواة الخير صبا غواليا
فكم مثل عليا لها كنت راسما   وأبواب إصلاح لفرد وجمعيا
وصار هدى التفكير فى الكل عادة   وأشعرت للخيرات قلباً مواليا
وأشعرت بالله العظيم وقدره   وأسرار كون بالسما والأراضيا
وأنهضت للخيرات فى كل موضع   وقمع شرور عند تثقيف عقليا
وغذيت للفطرات فى ملكاتها   بتهذيبها فالعقل بالعلم ساميا

---

١ — (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لمآ آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ...)

ومعرفة لله ثم عبادة   وزرع لإيمان بقلب صافيا
وإقرارنا بالمرسلين جميعهم   على قدم التحقيق جاءوا تواليا
لأن لهم صدقا وحسن فطانة   وتبليغ أقوال أمانة رسليا

ما تحمل الرسول فى الدعوة

وما من نبى قد تحمل مثلكم   ولكن لعفو الله كنت الداعيا
تحملت فى نفس وصحب وآلكم   وكان دفاع الله للضر جاليا
وكنت نبيلا والحكيم بدعوة   وفى حسن وعظ كان قولك باديا
أمرت بعرف بل دعيت لجاهل   وواريت كفارا وعاهدت غازيا
وأملت فى القربى لقرب قلوبهم   فإن قريب القوم للقوم واليا
لذا اعتقلوكم عند شعب وقاطعوا   لكل محب أو ظهير حانيا
ثلاث سنين دام حبس وذلة   ولكنها أصلا لخير آتيا
تآكل رسم للصحيفة وانتهت   ولم يبق إلا اسم ربى باقيا
وقد تم فكا للعقال أعزه   وقد دخل الإسلام جمعا راقياً
فكان اضطهاد بعد تبييت غيلة   وما هجرة إلا لحسن تفاديا
فقد رام قوم عند إزهاق روحكم   خلاصا فكان الرمى (١) من أمر ربيا
وفى هجرة كان الفرار بدينكم   لتظهر أمر الشرع والنصر ساريا
ولاقيت بالتكريم من أهل يثرب   وكان وجود الصحب والأهل حاليا
ولما رأى الكفار حسن مقامكم   بطيبة فى صفو وروح التآخيا
وحب وإيثار ونشر لديننا   تناجوا بإثم إذ تنادوا بحربيا
أمرت(٢) من المولى النصير بحربهم   لتنفيذ أمر الله والله واقياً

---

١ — (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) — سورة الانفال — آية ١٧ .

٢ —(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير). آية ٣٩ من سورة الحج .

ففى الحرب دفع الشر بالشر رحمة   وإطفاء نور الحق ظلم دانيا
وكان قيام الصحب والموت دونكم   لرفع منار الدين عند التفانيا
يريدون نصراً رافعاً لديانة   أو الموت حيث الموت للخلد مدنيا
فلا واجل أو ناكص أو هائب   ولا فرة تبدو .. ليوثا كراميا
سلوا لبيد عن بيض السيوف ونزعها   لهامة كفار عنيد طاغيا
أعزة (١) أقوام على الكفر بينما   أذلة نفس عند مؤمن هاديا
سل السيف هلا كنت جانب سبحة   بقول وجار السيف عود الأراكيا
ملائكة عند العبادة فى الدجى   وعند امتشاق السيف أسد ضواريا
وعند قيام الليل سالت مدامع   وفى الحرب ضر الدمع عين الأعاديا
وما مؤمن إلا القوى بدينه   فلا ينصر الإسلام إلا الأقويا
وقد دافعوا سوء التواكل والمنى   فدان لهم شم الأنوف العواتيا
ببدر بدور الدين قاموا بدورهم   وقد بادروا للكفر والله واقيا
بسورة أنفال نجد أخبارها   رواها إله العرش أصدق راويا
وساعدهم ربى بألف ملائك   لإخلاصهم عند الجلاد القاسيا
وفى أحد لولا الرماة وتركهم   مواقعهم كان الهدى والتعاليا
ونصرك بالأحزاب كان له سنا   أضاء قلوب العارفين بربيا
وطرد يهود من نضير وخيبر   وبعد قريظ كان للدين معليا
وللطائف المزموم يوم تسجلت   به نفحات النصر والحال عاليا
وفى يمن يمن ونصر لجيشكم   وإسلامها بالسيف للشر جاليا
وفى نجد ضاء النجد بعد انخذاله   ليدنو لدين الله بعد توليا
فتسع حروب كنت فيها حاضرا   وعشرون حربا كنت بالسر واليا
وقد طهرت أرض الجزيرة كلها   وكلت سيوف الكافرين بربيا

---

١ — (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضواناً سيماهم فى وجوههم من أثر السجود) .الآية ٢٩ من سورة الفتح .

وفى مكة تمت لكم حسن آية ... ووعد إلهى ربنـا كان موفيا
ونجران حاربت الكذوب(١) بحيها ... وأعلنت دين الله صفواً داويا
وجيرانها أبدت لحرب عظيمة ... فداهمها جيش النبي الغاليـا
بسبعين ألفـا من رجال قوية ... بإيمانها حين اعتلتها سيوفيـا
هنا طلب الجيران للصلح وافتدوا ... بمال وتم النصـر للدين عاليـا
وتمت عليهم جزية يدفعونهـا ... لإذلالهم بعـد الغنى والتغاليـا
وبعد سنين أسلموا وتعـاونوا ... وصارت ديار الكفر نورا له ضيا

انتقال الرســول للملأ الأعلى

تركت لدنيـانا ودينك غالب ... ورايتك العليـا وروحك باقيا
فقد قامت الأصحاب بعدك بالذى ... رسمت وما بشرت والنصر دانيا
وقام أبو بكر بحـرب لـردة ... وحرب لروم كان فيها ارتقائياً
ومن بعده الفاروق والى فتوحـه ... وكان لنصر الدين صوتاً داويا
وأيام عثمان الفتـوح تفتحت ... جوانبه والدين بالنصر غاليـا
وكان على سيف ربى وخـالد ... وجمهرة القواد كل مواليـا
فقد كسروا كسرى وقيصر واعتلوا ... عروشاً لهم خرت كخر الجباليا
وصاروا ملوك الأرض أجر جهادهم ... ومن يتق المولى له النصر دانيا
وبعد توالى الفتح حتى توغلوا ... بآفاق دنيانا وصاروا الأعاليـا
إلى الآن يامختار تورث سركم ... لأغوات أقطاب كنواب أنبيا
ومنهم خليل الله شيخى محمد ... حبيب رسول الله باب نواليـا
فبلغ منهـاجاً لـكم وهنا بكم ... توالت فتوحات وربى راضيـا
فنسألكم بالله يا خـير خلقه ... بأن تسأل المولى الخليل الهاديا
صلاحا لدنيـانا ودين وشأننا ... وإصلاح حال الدين ثم طريقيـا
فأنت حبيب الله شافعنـا له ... لأجلك يا محبوب ما شئت راضيا
عليـك صلاة الله ثم سلامه ... وآل وصحب والهداة وشيخنـا

* * *

(١) — مسيلمة الكذاب

بسم الله الرحمن الرحيم

(إنما يريد اللـه ليذهب عنـكم الرجس أهـل البيت ويطهركم تطهـيرا) ٠

٣٣ — الأحزاب

(قل لا أسألكم عليه أجـرا إلا المـودة فى القربى) ٠

٢٣ — الشورى

صدق الله العظيم

فى مدح آل البيت النبوى

لمناسبة المولد الزينبى

أوقاتنا فى قربكم أفراح ... يا سادة تفديهم الأرواح
يا سادة شاد الكتاب بذكرهم ... وعلا صدورهم المديح وشاح
يا عترة ثمن الهداية ودهم ... والود قوس للرضا مفتاح
يا سادة شهد الكتاب بطهرهم ... والرجس عنه بالتطهر شاحوا
يا قادة الأرواح نحو إلهها ... والسر سارٍ والعطاء مباح
يا سادة سادوا بإبداء الندى ... ومكارم الأخلاق والإصلاح
يا سادة نال النزيل برحبهم ... عزا وزالت علة وجراح
آل النبي لكم وهبنا روحنا ... فإذا قبلتم كان ذاك نجاح
من أمكم ؟ من والد ؟ من جدكم ؟ ... من مثلكم فى العالمين فلاح
الأم فاطمة البتول ونسلها ... آل الرسول ونورها وضاح
والوالد الشهم الأشم المرتجى ... فى النازلات وجيشه فضاح
والجد خير المرسلين إمامهم ... وشفيعهم والملهمون فصاح
أسرى به للقدس أم لجمعهم ... وبدا العروج فهاجت الأرواح
ورقى البراق وللسموات ارتقى ... للملتقى حيث اللقاء مباح
جبريل ميمنة الرسول محافظا ... ميكال ميسرة له وسلاح
أسمى سمواً نال مخترق السما ... فتزينت وأقيمت الأفراح
ورأى من الآيات ما لم يفشه ... والمرسلون بسرهم ما باحوا
وهنا يودعه الأمين بقوله ... هذا مقامى ليس عنه براح
فاق الملائك قوة وتبلورت ... ذراته نوراً وجاء سماح
سمع الندا : أقبل . فأقبل خاشعا ... للجلال هيبة ربنا الفتاح
لولا أمد بطاقة روحية ... كبرى لما كان اللقاء يتاح
وهنا رأى الأنوار والسبحات ... بل صار الكلام مباح
يا لحظة شهد الزمان بفضلها ... من قبل أو من بعد ليس تتاح

وهنا تكلف بالصـــلاة فريضة ... وهدية من منـة الفتـــاح
من مثل جدك نال أعلى رتبـة ... وكـرامة ورعاية وفـــلاح
يا أخت من جمع القلوب بصلحه ... وبصفحه قد زالت الأتـــراح
حسن له حسن الفعال عزيزة ... ولذا تنـازل والحقوق صـراح
أعطى التنازل للحبيب تصـاعدا ... أودى بمجـد حازه السفـاح
كالشمس رابعة النهـار بنورها ... تخفى النجـوم وفى المغيب سماح
هال العدا ما نال فأتمروا به ... إن الإناء لمـا به رشـــاح
أكل الطعـام به السموم مفوضا ... عملا بظاهر شـرعة الفتـــاح
لينال بالفردوس أعلى رتبـــة ... إن الشهـادة للشهيـد وشـاح
يا أخت مولانا الحسين من ارتضى ... حـرباً ووقع أسنة ورمـاح
فمن ابتغى الأخرى استحب شهادة ... حيث الحيـاة عقيـدة وكفاح
ما أخطأ التقدير بل رضى القضا ... ومضى إليه والعيون سحـاح
والله يحـكم ما يشاء بحكمـة ... دقت وكل فعـاله إصـــلاح
هـذا اختيار الله رمزاً للفـدا ... عنـد الجهاد إذا أريد فـلاح
والله ما هان العـزيز وإنمـا ... ثمن الشهادة جنـة ونجـاح
وكلاهما حمـل الأذى فى ربه ... والمر يحلو للمريد صـــلاح
حبس الشجون دما العيون تحزنا ... والصمت أفصح من بكا ونواح
أخوان قتلهما أقام لدولتين ... ليثأرا ، ألمثل ذاك يتاح (١)
خاب اليزيد وسل ربى عرشه ... بالموت بعـد تمـرض وصياح
يا بضعة حبهم دين ندين به ... والبغض كفر وللنيران مفتاح
أخذت بنو العبـاس ثأر محمد ... والفاطمية ثأرها وضـــاح
من مثل زينب بنت بنت محمد ... روح الوجـود وسره سيـاح
شهدت لمأساة الحسين ودافعت ... واستخلصت بيتـا علاه سلاح
بيت الرسالة والنبـوة والهدى ... وكواكب بالأفق نوراً لاحوا

(١) الدولة العباسية والدولة الفاطمية

لولا تعقلهـا وطول أناتهـا ... لأزيل بيت المصطفى مذ راحـوا
بيت له الميراث صفو سائـغ ... والكل من أنواره منـــاح
ورثوا بمحض الفضـل حال نبينا ... وترأسـوا فى دولة الأرواح
ورثوا لحـكم باطن وحقيقـة ... وإلى هنـا ليس الكلام مباح
ورثوا لعـلم ماحيـا لجهـالة ... إذ منهم العلمـاء والشـراح
ورثوا لفضـل ماحيـا لضلالة ... وبدا لنـا العبـاد والسـواح
ورثوا لحب الله جل جـلاله ... وتصوفوا وتعـرفوا ما باحوا
قوم قيام الليـل قوم روحهـم ... فرسان ليـل يدركون صبـاح
يرضون خلاق السموات العـلا ... وبذكـره أرواحهم ترتـاح
إن التصوف الاقتـداء بفعلـهم ... والأصل فيـه مصحف وصحاح
فإذا اقتديت تذوق من أذواقهم ... وإذاعة الأسرار ليس متبـاح
ورثوا لحب المصطفى وصحابة ... صدقوا العهود وبيعت الأرواح
ورثوا لتجـديد الشريعة كلما ... وهنت وصـار المصلحون شحاح
ورثوا لنشر الدين والتوحيـد ... والتمجيـد والتفريد عم صـلاح
ورثوا الولاية والهـداية للورى ... وعظاتهم لقلوبنـا مفتـــاح
ورثوا لإمداد الرسـول وسره ... والسر منهم فى الورى سحـاح
مدد الرسول من الإله ورووده ... ولمن يشاء القـاسم المنـــاح
وينـال آل البيت أكرم منحة ... والـكل من إمداده نفـاح
كالسحب تعطى البحر من إمدادها ... والبحر للظمآن منـه سمـاح
والفضل يرجع للتى قد أنقـذت ... نسل الرسـول حفيدة المصباح
من مثل زينب فى عظيم صفاتها ... وجليل أخلاق لهـا وكفـاح
من مثلها فى صبرها فى حلمها ... فى علمها فى ذكرها الفتـاح
فى خوفها ورجائها فى شـكرها ... فى برها مع زهدها المجتـــاح
فى وجدها فى حبهـا لإلهها ... بل عشقهـا وهيامها الفداح
حب الإله لعبـده من فضله ... بدءاً وللعشاق بعـد يبـاح
لمـا قصدت لمصر نالت قصدها ... والفرح فيها هب منه رياح

يا درة عصماء أشــرق نورها … بسماء مصر فشعشع الأرواح
يا نفحة قدسية فى خلعــة نبوية … بمعية فى الأفق نورا لاحــوا
ها هم بنو الزهراء أشرق وفدهم … والله أبدلنــا المساء صبـــاح
كالشمس نوراً والنجــوم تلألؤاً … والبدر لطفا والوجــوه سماح
وبدا الجمال يحوطه روع الجلال … وللكمـــال بهاؤه الوضـــاح
وربا الربا باهٍ وأينــع زهــره … والعطر منه لفرحــه فــواح
ولسان حال النيل قال مرحبــا … أهلا فكان نداؤه استمنــــاح
والقطر عم بهــاؤه ورخــاؤه … والطير فوق غصــونه صــداح
لكم القلوب مساكن يا ســادتى … فإذا رضيتم كان ذاك ربــاح
أسعدت مصر وقد رضيت رياضها … سكناً فنالت عــزة ونجــاح
أحضرت زين العابدين هــدية … من مثله فى الكون حاز صــلاح
أسعدت مصر بزيد والحسن ابنه … ظهرا فكانا بهجــة الأفــراح
بســكينة ورقيــة وبفاطــم … ونفيسة قد تمت الأفــــراح
وبعــترة لم يذكروا كى يشكروا … وكفاهم شكراً رضــا الفتــاح
إن الملوك إذا بدت أعيــادها … منحت ومد موائد الأفــراح
ها نحن بالذكرى نقيم شعائراً … لله نرجو عفــوه وسمــــاح
نحيي لذكراكم ونذكــر فضلكم … حيث التأسى يوجب الإصــلاح
بنت الإمام وحق جدك نظرة … للزائــرين تهــيم الأرواح
فإذا شفعت منعت كل كريهــة … والكل عنــد صفائه مــداح
لمــا دعوت منحت كلاً ومضة … لولا دعوتم لا يكون سمــاح
والصب أرقه الحنــين وقاده … نحــو الحمى قلب به أفــراح
كل له يا بنت فاطم حاجــة … وبسرهم لك يا كريمة باحــوا
فانهى مطــالبهم لجــدك إنه … نعــم الشفيع لربه الفتــاح
الله أكبر ما توجــه روحنــا … بمقامها لضريحهــا الوضــاح
فــكأننا فى جنــة علــوية … وتبدلت أشبــاحنــا أرواح
فى مهبط الأسرار نحن ومسقط … الأنــوار أم فى رحمة الفتــاح

أم أننــا فى حضــرة قدسيــة … والله من فوق الورى منــــاح
عجبا أنحن بمكــة فى كعبــة … أم نحن فى حرم النبى سيــاح
لا تعجبوا فهناك منبــع ما هنا … وهنــاك أصل والفروع سحــاح
إن الفروع من الأصول قد استقت … فسقت لظمــآن وطاب الراح
وهنــاك تعتصر الخمور لشارب … وهنا تصب وتشــرب الأقداح
خمر الورى كرم الرياض وخمرنا … كرم يفاض فتسكر الأرواح
والسكر من بسط لنا وشهودنا … من وجــدنا ووجودنا والراح
لا تعذلوا صبا يغالبــه الهوى … فالعشق من عاداته فضــــاح
لا تعذلوا فى حب آل محمد … هم روحنا .. وريحاننــا والراح
هم خير أهل الأرض هم أغواثها … أقطابها ، أبدالهــا السـواح
هم نور دنيانا ومنبع هدينــا … هم ملجــأ اللاجى الكسير جناح
وبهم قبــول تشفع وتضــرع … وترى الغريق لمنقــذ لمــاح
كيف السلو لآخــذين قلوبنــا … وعقولنــــا وإرادة الأرواح
يا نعمة كبرى علينا أســدلت … والعجز عنــد ثنائنا وضــاح
سبحان معطيكم ورافع قدركم … سبحان من أعطى المــلاح فلاح
لمــا استفاض الأنس صار نشيدنا … أوقاتنــا فى قربكم أفــراح

❋ ❋ ❋

(المــربى)

خاتمة مباركة

عـــزاء وسلوى

كفكفى الدمع مقلتى الدامعه … كيف يبكى من كان ربى معه
خففى الهم مهجتى واستريحى … كل أمر لربنا مرجعه
كيف تبكى والله ربى عليم … إن لطف الرحمن ما أسرعه
إنما الله بالعباد رحيم … ورءوف وكونه أبدعه
جانبى الذنب جددى التوب نفسى … وأنيبى واستغفرى راجعه
واصدق الله نية وفعالا … كفدائى لله قد بايعه
باع للنفس والنفيس وأضحى … داعيا للطريق والشرع معه
واصبرى فى ثبات عبد منيب … كثبات الفرسان بالمعمعه
تجدى الله ناصراً وحفيظا … محب له ومن يتبعه
وانظرى للرسول والصحب والآل … جبال ما صابهم زعزعه
ملكوا ملك قيصر بسيوف … وكسرى بالكسر قد تابعه
عز دين إله بالشرق والغرب … وأضحى راياته مرفعه
وجهاد النفوس والحرب للنفس … هو أقوى من خوضنا المعمعه
فالزمى كل ما يحب إلهى … حيث منه سبحانه منبعه
فوضى ترتضى بخير عظيم … إن فضل المنان ما أوسعه
إن حال الرضا يطمئن للنفس … وحب الجليل ما أنفعه
وانس للهم تأنسى بتقى الله … فالله رحمة جامعه
فاز من جاز فترة اليأ … س وحاز من الله منحة رائعه
واذكرى الله تهتدى بهداه … إن ذكر الإله ما أدفعه
واسلكى الروح فى محبة ربى … تشهدى للجلال والنور معه
والجئى للإله إن مس ضر … إن حى الرحمن ما أمنعه
وارقبى الخير عند نازلة الشر … فعفو الوهاب ما أترعه
إنما الخير من ودائع ربى … جاز لله أخذ ما أودعه
قادر سابق له فى كتاب … ليس فى الكون قوة تمنعه

نحن ملك ومالك الشىء حر … إن حال المملوك منا الضعه
مالك الملك كلنا لك عبد … لك منا رقابنا خاضعه
قد يكون البلاء منبع خير … حيث ضيق الأمور ما أردعه
ويكون العطاء محنة عبد … ولدى المنع منحة رائعه
وعسى كارها لشىء يراه … عين خير والنصر قد تابعه
حكمة الله قد خفت فى فعال … من يثق فى الإله ما ضيعه
فاتق الله واحسن الظن فيه … إن روح الإيمان ما أنجعه
إن صهر الإبريز ينقى من … الغش وبعد الإصهار ما أنصعه
وترى الماس بعد تسوية الطرف … آخذاً للعيون ما ألمعه
يصقل الجوهر النفيس ليعلو … فوق رأس الملوك ما أرفعه
إن تر الأمر عز فيه اصطبار … الزم الذكر تذهب الضعضعه
واسأل الله لا تسل لسواه … حاصرا للرجا ، فلا شىء معه
إن تكن سائلا فربك يرضى … وسؤال العباد ما أوضعه
إن كل الورى إليه فقير … وفقير العباد ما أمنعه
يا غنيا يعطى لكل غنى … وفقير العباد ما أطمعه
يا قريبا نجيب دعوة عان … كان لله وحده مفزعه
فارج الهم كاشف الغم والسوء … لطيفا يبدل الضيق سعه
يا جواداً ويا ودوداً وفرداً … ولشكوى المضطر ما أسمعه
يا محيطا يا واسعا يا عليما … يا حبيبا وقلبنا موضعه
فرج الهم واكشف الغم والسوء … فأنت الرحيم روحى معه
سهل الأمر واشرح الصدر ربى … أنت .. أنت المعبود لا ندّ معه
دارنا دار محنة وبلاء … ورضاء الكريم فيه الدعه
واغفر الذنب واقبل التوب … يا رب وقو أرواحنا المفزعه
حيث لا نشتكى ولا يسخط القلب … وطهر أرواحنا الضارعه
حيث هذى الحياة جسر لمر … لمقر بجنة يانعه
إن بعد الممات تأتى حياة … وثوابا ، ودارنا مزرعه
زارع الخير يجتنى لجنى الخير … ومحب الإله ما ودعه

لهف نفسي على رسول عظيم   ليلة القدر هاجراً مضجعه

فر بالدين فرة الليث بالصيد ،   وقد نام عنه من ضيعه

ما رميت (١) اقرأوا تروا منعة الله   لعبد مراده برفعه

ويح نفسي على كرام صحاب   عقدوا العزم أن يموتوا معه

وهبوا النفس والنفيس من المال   وأوذوا ما مسهم زعزعه

أول الراشدين يختار للفقر   ويجفو الصديق ما فيه دعه

ثاني الراشدين يقتل غدراً   بعد عدل في حكمه وادعه

ثالث الراشدين يذبح كالشاة   ويلقى ببيته مصرعه

رابع الراشدين خير إمام   مات غدرا ..والعلم مات معه

جاء بعد الهداة قوم طغاة   جعلوا الدين خادم المنفعه

جعلوه ملك الوراثة بالقهر   وقتل الحسين .. ما أفظعه

ابن بنت الرسول حورب ظلما   وحاز الخلافة الإمعه

ويل طاغ باغ مباه بجاه   حين تغشاه قصمة قارعه

ويل عاص قاص وقاس لقلب   حين تطويه نكبة مفزعه

فتعزى بسيد الخلق نفسي   وصحب أوذوا بما روعه

ودعا الله بالهداية للقوم   فصار الهدى لمن قاطعه

غير أن العدو ساء به الحال   ولاقى بظلمه مصرعه

ليلة القدر فاقت الألف شهر   حكمتها أمية الضائعه

وتلاها حكم لآل رسول   بقرون قد فاقت الأربعه

ذاك فوق الميراث بالسر   وحال الولاية الرائعه

كيف نرجو لصافي الصفو فيها   ورسول الإله لم يرض سمعه

ذاق خير الورى فراق أحبا   ء وأجرى دموعه الناصعه

رحمة منه لا تبرم بالصدع ؛   رقة القلب عينه دامعه

وبكى حين زار قبر حبيب   ثم أبكى الرفيق بما صاح معه

---

(١)ـ (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى . .) آية ١٧ ـ الأنفال .

كان دنياه ليس إلا طريقا   لوصول للجنة اليانعه

جاع فيها خير الورى وطوى   الكشح وخبز الشعير لم يشبعه

رقع الثوب يخصف النعل راض   يحلب الشاة يحمل الأمتعه

يخدم الضيف يرحم الضعف   يغيث الملهوف لا يمنعه

نام فوق الحصير أثر بالجنب   ومر الأيام لا مال معه

ودته الجبال تبراً أباها   لا يريد الغنى فما أقنعه

همه الله لا يريد سواه   حامي الدين خائض المعمعه

حرم النفس من مباهج دنياه   كفاه الإيمان ما أورعه

ليس من شأنه التمتع   بالعيش ولكن هداية جامعه

ويح نفسي على رجال جبال   عبروها ونفسهم قانعه

وكفاهم فيها الكفاف وكفوا   عن نعيم وروحهم قابعه

ويح نفسي على ظباء نساء   زهدوها ومنهمو رابعه

لهف نفسي على خليلي . . دليلي   باذل المال باني الجامعه

وارث المصطفى وغرس يديه   ناشر الدين خامس الأربعه (١)

يوم نعي الخليل قد مات قلبي   ليت روحي والجسم زالا معه

اذكروا قول شيخنا لبنيه   طالبا ذكر من له متعه

واذكروا الله رغبة في رضاه   لا لدفع الشرور أو منفعه

وأحبوا لله حبا قويا   طالبين الإله لا شيء معه

وأحبوا للمصطفى سيد الخلق   تنالوا أمداده الواسعه

وأحبوا للآل والصحب جمعا   ثمنا للهدى وما يتبعه

أين مولاي سيد الخلق جمعا   أين آل الرسول من كانوا معه

أين صحب والتابعون أولوالقرب ؟   وجدت الجواب : بالخلد معه

سنة الله لا يبدلها الله   وكل الورى له راجعه

فتأسوا بنقل خير البرايا   واصطبار لراشد الأربعه

حب آل الرسول فرض علينا   بكتاب آياته جامعه

---

(١) ـ الأربعة الأقطاب .

حبك الشيخ من محبة مولاك ... وهوى الحيران من يجمعه
إنما الشيخ مرشد ومرب ... رائد قائد لمن يتبعه
قد علمنا الشيطان يسلك ... بشرور وقلبنا موقعه
يزرع الشر بالنفوس مجداً ... ويد الشيخ بالهدى تقلعه
إن روح الولى أقوى نفوذاً ... ونفاذاً وقلبنا مرتعه
كيف يعطى العدو شيئاً عزيزا ... عن حبيب وروحه ضارعه
طالب العلم لا يلام على ... حب أستاذه ومن شايعه
ويحب الإخوان لله فى الله ... واحداً موجدا ولا رب معه
ونقيم الصلاة نعطى زكاة ... ونعين المنكوب فى الفاجعه
ونقيم الحدود لا نعص الله ... مطيعين منهجا شرعه
نعبد الله مخلصين له الدين ... وندعو الورى له أجمعه
وجدير بنا متابعة الذكر ... لنيل الرضا وما تابعه
ونجيل الأفكار فى صفة الله ... ومعنى أسمائه الرائعه
يذكر الله من أحب له الله ... ويعطيه قوة دافعه
كيف لا تنبض القلوب بحب ... لرسول رب الورى شفعه
ويحب الرسول من أحب الله ... وشاء الرحمن أن يرفعه
ويحب الإله من عرف ... الله حكيما لحكمة يمنعه
ويحب الهوان من عذبه ... هائماً فيه هاجراً مضجعه
كل ما جاء من حبيبى حبيب ... ومحب الإله ما ودعه
ويحب الجريح من قطعه ... وهو مازال عاملا مبضعه
وصلاتى على نبى وفى ... ثابت الجأش خائض المعمعه
جاء بالدين واليقين لقوم ... ورثوا منه حكمة نابعه
ولآل والصحب جمعا وشيخى ... ولأبنائه ومن بايعه
ما شدا النجل للخليل وغنى ... كفكفى الدمع مقلتى الدامعه

كيف يبكى من كان ربى معه

* * *

تصويب الأخطاء

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٣٧	١٣	خير الخلق ابتدعوا الحزب	خير الخلق وابتدعوا الحزب
١٩٧	٢	السليم الحواس ولر السمع	السليم الحواس ولو السمع
٢١٣	١٨	فدعى إلى الله	فدعا إلى الله
٢١٧	٤	وهذا الحب فى وضعه	وهذا الحب فى وضعيه
٢١٧	١٦	كل مالك	كل سالك
٢٥٠	١١	تضرعا وخفية	تضرعا وخيفة
٢٥٤	٦	وذكروا الله كثيا	وذكروا الله كثيرا .
٢٥٧	١٣	عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : ماعمل العبد	عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم : ماعمل العبد
٢٦٤	٣	عن معاذ رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه : مامن مسلم	عن معاذ رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مامن مسلم ..
٢٦٦	١٨	مائة وثلاثة عشر ألفا الليلة	مائة وثلاثة عشر ألفا فى الليلة
٢٩١	٢٣	الشيخ محمود خضر	والشيخ محمود خضر
٢٩٣	٤	كنت درسى	كنت فى درسى
٢٩٣	٤	درس تفسير البيضاوى	درس فى تفسير البيضاوى
٢٩٣	٦	كثيرة الآيات الثلاث	كثيرة فى الآيات الثلاث
٢٩٣	٢٤	إلى بلد دهنت	إلى بلدتى
٣١٧	١	ائدن لى أخذ العهد	ائذن لى بأخذ العهد
٣٨٣	٦	الشيخ إبراهيم شلبي	الشيخ ابراهيم شلبي
٣٨٨	١٣	حجرى إلى أن يمتلى	فى حجرى إلى أن يمتلى
٤٠١	١٠	وجدتنى سلما معافا	ووجدتنى سلما معافى
٤١٠	٢٠	بناء على أنه	بناء على أنه

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٤٣٤	٢٣	الورد المحسم	الورد المجسم
٤٤٩	٥	سمو مكان	سمو مقام
٤٥١	٢٠	ميثاق النبين لمأ	ميثاق النبين لمـــا
٤٥٢	١٢	للعقال أعزه	للعقال أعزة
٤٥٣	٥	سلوا لبيد عن	سلوا البيد عن : البيد جمع بيداء أي : صحراء
٤٥٤	١٧	لأغوات أقطاب	لأغوات أقطاب
٤٥٩	١١	ليس متباح	ليس تباح

فهـرس

القسم الثـــانى (لمعـــة ثانية)

يقـولون لى كيف اتصلت بربنـا

الجزء الثـانى

القسم الأول

الموضـــوع الصفحة

القسم الثــانى (الكرامات)

القسم الثــالث

من أقوال شيخنا — رضى اللـــه عنـــه

الموضـــوع الصفحة

رؤيتان ذواتا مغــزى عظيم

القسم الرابع

حبيبى رســـول اللـــه

« قصيدة »

فى مـــدح آل البيت النبـــوى

خاتمة مباركة

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٦/٥٤١١
الترقيم الدولى ISBN ٩٧٧ — ٢٨٦ — ٠٥٠ — ٣